هذه المادة هي تفريغ صوتي للمحاضرات، ولم تُراجع من قِبَل الشيخ

وهي للمدارسة فقط

الشريط الأول
مقدمة في طلب العلم

محتويات الشريط الأول

1- مقدمة (التوقيت: 1 دقيقة و3 ثانية) 1
2- طبقات يجب الحذر منها في طلب العلم (التوقيت: 13 دقيقة و36 ثانية) 2
3- مراحل دراسة المسألة العلمية (التوقيت: 23 دقيقة و21 ثانية) 2
4- أشرف العلوم (التوقيت: 26 دقيقة و55 ثانية) 3
5- التخصص في طلب العلم (التوقيت: 38 دقيقة و25 ثانية) 3
6- نفسية طالب العلم (التوقيت: 44 دقيقة و55 ثانية) 4

1- مقدمة (التوقيت: 1 دقيقة و3 ثانية)

- الحمد لله الذي هدانا للإسلام ومنَّ علينا بتعلم علوم القرآن والسنة والصلاة والسلام على النبي المصطفى والرسول المجتبى (ﷺ) الذي أرسله لإقامة الحجة وبيان الهداية للناس جميعاً. والحمد لله على شرائعه الظاهرة وسننه الوافرة. نسأل الله (ﷻ) بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل نياتنا في هذا العمل خالصة لوجهه الكريم وأن يتقبل منا وأن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه وأن يجعل طريقنا في طلب العلم طريقاً إلى الجنة
- أما بعد فإن طلب العلم الشرعي من أعظم العبادات وثوابه يفضل أكبر القربات حتى إن بعض أهل العلم قالوا لو وازن طالب العلم بين السهر في طلب العلم وقيام الليل يسهر في طلب العلم وقالوا إن ثواب طلب العلم أفضل من ثواب نافلة الحج
- فتحصيل العلم هو سبيل الوصول إلى الجنات وتظله الملائكة وتنزل على طالب العلم بالسكينة والرحمات فلم تدُّب على الأرض قدم أفضل من قدم طالب العلم الذي يسهر الليالي يقرأ الكتب العلمية ويحفظ حديث النبي (ﷺ) ويتحمل المشقة والتعب ويترك الدنيا بملذاتها لغيره من الناس
- ولقد أخبرنا الله بمناقب أهل العلم في كتابه كما في قوله (ﷻ) في الحث على طلب العلم بسؤال أهل العلم: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43 & الأنبياء: 7] وتكلم عن الرحلة في طلب العلم فقال (ﷻ): ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 122] وكذلك أخبرنا بفضل أهل العلم فقال (ﷻ): ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28] فلم يجعل منقبة الخشية إلا لأهل العلم الشرعي وجعل الشهادة على توحيده (ﷻ) لهم فقال (ﷻ): ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: 18] وما طلب من نبيه (ﷺ) أن يستزيد من شيء في الدنيا إلا من شيء واحد وهو العلم فقال (ﷻ): ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114] وفرق الله بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون فقال (ﷻ): ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [طه: 114]
- وفي السنة أن النبي (ﷺ) قال: " من سلك طريقا يبتغي به علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة" [1].
- وفي الحديث قال (ﷺ):" إن لله ملائكة سياحين في الأرض فضلا عن كتاب الناس فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى نادوا: تعالوا هلموا إلى بغيتكم فيحفون بهم فإذا تفرقوا صعدوا إلى السماء فيقول الله تعالى: أي شيء تركتم عبادي يصنعون؟ فيقولون: تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويذكرونك. فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا. فيقول: وكيف لو رأوني فيقولون: لو رأوك كانوا لك أشد تحميدا وتمجيدا وذكرا. فيقول: وأي شيء يطلبون؟ فيقولون: يطلبون الجنة. فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا. فيقول: فكيف إذا رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد لها طلبا وأشد حرصا. فيقول: من أي شيء يتعوذون؟ فيقولون: يتعوذون من النار. فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا. فيقول: وكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها هربا وأشد منها تعوذا وخوفا. فيقول: فإني أشهدكم أني قد غفرت لهم. فيقولون: فيهم فلان الخطاء لم يردهم إنما جاء لحاجة. فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم مرتين" [2].
- وفي الحديث قال (ﷺ):" إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع" [3].
- وفي الحديث قال (ﷺ):"إن العلَماء ورثَة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا دِيناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أَخذه أَخذ بحظ وافر" [4]. وهذه من مناقب العلماء التي لا يضاهيهم فيها أحد أن يكون وريث النبي (ﷺ)
- ولهذا كان الصحابة (رضي الله عنهم) يقدرّون العلماء فقد قال على (رضي الله عنه): " الناس ثلاثة: فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لا يستضيئون بنور العلم؛ فيهتدوا ولم يلجئوا إلى ركن وثيق" [5].
- وكذلك جاء عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال: " اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكونن الرابع فتهلك" [6].
- ومن أهم الفوائد طالب العلم أنه يكون على بينة وإن هلك فإنما يهلك على بينة وإن حيي فهو يحيا على بينة كما في قوله (ﷻ):﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[الأنفال: 42]

---

1 أخرجه مسلم عن أبى هريرة (رضي الله عنه)
2 أخرجه البخاري ومسلم عن أبى هريرة (رضي الله عنه)
3 أخرجه الترمذي عن أبى الدرداء (رضي الله عنه) برواية " وإن الملآئكَةَ لَتَضع أجنحتها رضاء لطالب العلم" وهذه الرواية صححها الألباني (رحمه الله) في السلسلة الصحيحة
4 أخرجه الترمذي عن أبى الدرداء (رضي الله عنه) وصححه الألباني (رحمه الله) في السلسلة الصحيحة
5 راجع حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للإمام الحافظ الأصفهاني (رحمه الله)
6 أخرجه أبو خيثمة في " كتاب العلم " وعنه البخاري في " التاريخ الكبير " وقد صح موقوفاً عن ابن مسعود وأبو الدرداء (رضي الله عنهما)

- وكذلك ترى أن العلماء وطلبة العلم هم من يثبتون في الفتن على عكس الجهَّال الذين يسيرون مع كل ناعق كما في قوله (ﷻ):﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾[إبراهيم: 27] وذلك بسبب دراستهم للقرآن والسنة فيمُّن الله عليه بأن يفتح له أبواب الخير ويبصره فيكون على بصيرة حتى إن أجتهد وأخطأ فهو لا يخطأ إلا بدليل فيكون معذوراً عند الله (ﷻ) ولا يأثم بذلك
- وكذلك كان التابعين كانوا يقدرّون العلماء فقد سُئِل ابن المبارك: " من الناس؟ فقال: العلماء. قيل: فمن الملوك؟ قال: الزهاد قيل: فمن الغوغاء؟ قال: خزيمة وأصحابه (يعني من أمراء الظلمة). قيل: فمن السفلة؟ قال: الذين يعيشون بدينهم" [1]. فأهل العلم هم الذين في رفعة وفي درجة عالية
- قال الحسن البصري: " لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم" [2].
- قال الخليل بن أحمد: " الناس أربعة رجل يدري ويدري أنه يدري فذاك عالم فخذوا عنه ورجل يدري وهو لا يدري أنه يدري فذاك ناسٍ فذكروه ورجل لا يدري وهو يدري أنه لا يدري فذاك طالب فعلموه ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذاك أحمق فارفضوه" [3]. والصنف الرابع هو الطامة الكبرى وينطبق عليه قول حمار الحكيم توما في بيت الشعر المشهور: متى ينصف الزمان فأركب فأنا جاهل بسيط وصاحبي جاهل مركب

2- طبقات يجب الحذر منها في طلب العلم (التوقيت: 13 دقيقة و36 ثانية)

1- **طبقة المتعجلين:** وهو طالب العلم الذي يتعجل الطلب ويظن أن العلم سيأتيه في أسابيع أو أشهر أو سنين قليلة فيتعجل مسألة الطلب والتصدُّر فلا يصبر على طلب العلم فهو يريد أن يُنهي العلوم سريعاً فييأس سريعاً. فطريق العلم سهل لمن سهله الله له لكنه طريق طويل يحتاج لصبر على المشقة ففضائل أهل العلم السالف ذكرها لابد فيها من سهر وتعب. فالسنة نزلت منجمة ولم تنزل كلها دفعة واحدة ففي مكة نزل التوحيد ولم تنزل الشرائع إلا في المدينة. وكذلك علماء السلف لم يكونوا يتعلمون العلم جملة واحدة. ولابد هنا أن نفرق بين تعلم العلم وكيفية تطبيق الشريعة فتعلم العلم كما قال عبد الرحمن السلمي -أحد أكابر التابعين -: حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي (ﷺ) عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: "فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً" [4].

2- **طبقة المتذوقين:** فطالب العلم لابد له من نوايا كما سيأتي وأولها رفع الجهل عن نفسه ثم يعلم الناس بعد إتقان العلم. بعض طلبة العلم يأتي ليحكم على العالم المعلِّم أو يحكم على العلم نفسه فمثلاً يريد تعلم الفقه فيحضر لينظر ماذا يقول هؤلاء القوم وليس بنية الاستمرار في الطلب. فتجده ينتقل من شيخ إلى آخر ومن علم لآخر وهكذا فلا يحصل شيئاً من العلم. نعم التنقل جيد ولكن بعد الانتهاء من كتاب عند الشيخ الأول. فمن أهم النقاط عند دراسة علم من العلوم أن أعرف خصائص هذا العلم والثمرة من تعلمه وذلك لاختلاف قدرات طلبة العلم فقد تكون مؤهلاته لا تؤهله لدراسة هذا العلم فيصبح من المتذوقة فمثلاً علم الرجال في مصطلح الحديث يحتاج لقوة حفظ قد لا تكون موجودة عند طالب العلم. وهناك نقطة هامة جداً وهي كيفية دراسة هذا العلم حتى يحصل أكبر قدر من هذا العلم.

3- مراحل دراسة المسألة العلمية (التوقيت: 23 دقيقة و21 ثانية)

- ولابد كذلك أن يكون لطالب العلم للمسائل التي يدرسها أربعة أشياء أساسية في أي علم من العلوم:

1- صورة ذهنية للمسألة (مثال: رجل قام يصلي ولم يكن متوضئاً)
2- حكم المسألة (حكم الصلاة: باطلة)
3- ما الدليل على حكم هذه المسألة؟ (حديث النبي (ﷺ): " لا صلاة لمن لا وضوء له " [5])
4- كيفية استنباط الحكم من الدليل " وجه الشاهد" (النفي نفي صحة وذلك لأنه لا يصح أن يكون نفي وجود لأن الوضوء موجود ولا يصح أن يكون نفي كمال لأن الأصل في النفي نفي الصحة وليس نفي الكمال)

---

[1] أخرجه أبو خيثمة في " كتاب العلم " وعنه البخاري في " التاريخ الكبير " وإسناده ضعيف سهل القراري مجهول ولكن صح من طرق أخرى بألفاظ أخرى عن ابن مسعود وأبو الدرداء (رضي الله عنهما).

[2] راجع كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي (رحمه الله)

[3] راجع كتاب "أخبار الحمقى والمغفلين" لابن الجوزي (رحمه الله)

[4] أخرجه ابن جرير بلفظه في تفسيره وقال الشيخ أحمد شاكر (رحمه الله): " هذا إسناد صحيح متصل"

[5] أخرجه أحمد في مسنده عن أبي هريرة (رضي الله عنه) وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف (والأصح منه في الباب حديث النبي (ﷺ):" لا تُقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول" وهذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر (رضي الله عنهما).)

- ولابد أن تكون النقاط الأربعة السابقة هي نقاط النقاش بين طلبة العلم وبغير هذه النقاط يكون دعوة أو ثقافة حتى أن العلماء يعلموننا: " إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بدليل فافعل"

4- أشرف العلوم (التوقيت: 26 دقيقة و55 ثانية)

- هو بالطبع علوم القرآن والسنة " علوم أساسية" فكل العلوم الأخرى مساعدة لهما " تسمَّى علوم الآلة وهم علوم اللغة والمصطلح وأصول الفقه". فعلم المصطلح مهم في السنة في معرفة الرجال والاسانيد وعلم أصول الفقه مهم في معرفة الناسخ والمنسوخ والأمر والنهي والأحكام الخمسة واللغة مهمة في فهم الكلام العربي.
- والسنة عند المحدثين هي كل ما صدر عن النبي (ﷺ) من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية وحتى الحركات والسكنات وكل ما ورد عن الصحابة (الحديث الموقوف) أو التابعين (الحديث المقطوع). أما عند الفقهاء هي كل ما صدر عن النبي (ﷺ) من قول أو فعل أو تقرير فقط لأن الفقهاء يهمهم العمليات.
- وعلما القرآن والسنة مرتبطان ببعضهما البعض كما في قوله (ﷻ):﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل: 44] وتفسير هذه الآية أن السنة جاءت مبينة للقرآن فالقرآن جاء مجملاً (مثال: أقيموا الصلاة) وفي السنة التفصيل (5 صلوات مع أركان الصلاة المعروفة) وهناك فهم آخر مضاد لهذا الفهم أن القرآن هو الذين نزل لبيان السنة ولكن الأول هو الشائع بين أهل العلم. ولكن المهم أن الآية تدل على التلازم بين القرآن والسنة والآية تقضي على القرآنيين الذين يقدحون في السنة. وقد جاء عن مكحول قوله: " القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن " [1] فالقرآن مجمل والسنة تفصل وتبيّن. والصحابة عندما جاءوا يسألوا عن خلق النبي (ﷺ) فقالت عائشة (رضي الله عنها):" كان خلقه القرآن" [2] فأحالتهم إلى القرآن رغم أن الخلق من سنته وهذا يدل على ترابط القرآن والسنة. وجاءت آيات كثيرة في القرآن تدل على وجوب اتباع السنة مثل قوله (ﷻ):﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب: 65] ففي الآية نفي لصحة الإيمان و ليس لكمال الإيمان وقوله (ﷻ):﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾[النساء: 80] وقوله (ﷻ):﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[آل عمران: 31] وقوله (ﷻ):﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[النساء: 59]
- بل أن السنة جاءت فيها أحاديث تدل على فضل من يتعلمها كما في قوله (ﷺ): " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك " [3] وكثير من أهل العلم قال إن هذه الطائفة هم أهل الحديث وإن كان الحق أن هذه الطائفة أشمل وأعم من ذلك. وكذلك أصحاب الحديث أكثر الناس صلاة على المصطفى (ﷺ)

5- التخصص في طلب العلم (التوقيت: 38 دقيقة و25 ثانية)

- لابد لأي طالب علم قبل أن يتخصص أن يأخذ من كل علم لأنه سيحتاج هذه العلوم في تخصصه. فمثلاً أن كان سيتخصص في المصطلح فسيحتاج مثل إلى معرفة البدع لرد الرواية لو كان فيها هناك راوي مبتدع وهذا من خلال العقيدة وكذلك معرفة الناسخ والمنسوخ في الحديث وهذا في أصول الفقه وهكذا اللغة وسائر العلوم
- هناك مدرستان لأهل العلم في مسألة التخصص:

أ- **المدرسة الأولى:** ترى أن طالب العلم لابد أن يتخصص في علم معين وذلك لأن زماننا يختلف عن القرون الخيرية فلا يوجد فسحة من الوقت ولا بركة فيه. فإن لم يتخصص طالب العلم فسيكون أديب (عنده ثقافة شرعية) لأن طالب العلم هو المتخصص الذي حرفته العلم أما الأديب الذي يأخذ من كل علم جزء فقط. فمن الصعب في زماننا هذا الجمع بين أكثر من علم. وقالوا إن هناك من علماء السلف من تخصص في الفقه وهو أقل في الحديث والعكس وهكذا

ب- **المدرسة الثانية:** ترى أن طالب العلم لابد الجمع بين كل العلوم. وهذا في الحقيقة من النوادر ففي المئة سنة الأخيرة في مصر لم يظهر بهذه المواصفات إلا الشيخ أحمد شاكر (رحمه الله) فقد كان فقيهاً ومحدَّثاً ومن خارج مصر الشيخ الألباني (هو مشهور بالحديث ولكن عنده فقه كبير) وكذلك ابن باز

---

[1] راجع كتاب "السنة" للإمام المروزي (رحمه الله)
[2] أخرجه مسلم عن عائشة (رضي الله عنها)
[3] أخرجه عن البخاري ومسلم عن ثوبان (رضي الله عنه) والرواية لمسلم ورواية البخاري عن المغيرة (رضي الله عنه)

- وهذا في الحقيقة يرجع لقدرات كل طالب من طلاب العلم فإن استطاع الجمع بين العلوم فهو أفضل فإن لم يستطع فليتخصص (المسألة دائرة على السنة والفقه. وعلم العقيدة علم مستثنى فهو علم واجب دراسته وأي طالب علم بدونه سيكون ضعيفاً وسيقع ويزّل فهي أصل العلوم وأساسهم ولابد طوال طريق الطلب دراستها)

6- نفسية طالب العلم (التوقيت: 44 دقيقة و55 ثانية)

- لابد لأي طالب علم عند دراسته علم استحضار نيته لأن طلب العلم من أجلِّ العبادات وأن تكون نيته خالصة لله متابعة لسنة رسول الله فلو انحرفت النية سيهلك ويدخل عليه الكبر والرياء وحب الشهرة وأشياء أخرى كثيرة. فالطلب في بدايته قد يكون صعباً ولكن بعد فترة يصبح يسيراً وتظهر أهمية النية. فلابد من استحضارها في كل مجلس علم وكل عمل في حياته
- لابد لطالب العلم وهو يحضر مجلس العلم أن يستحضر ما يلي:

1- أن يحضر مجالس العلم لتحصيل العلم (وهذا هو الأصل ولكن بعضهم يأتي لاختبار الشيخ أو العلم نفسه أو أخوته من الطلبة)
2- أن يثق طالب العلم فيمن يتعلم منه حتى لا يتشكك في مسألة ما سمع فيها آخر فتضيع منه مسائل أخرى في مجلس العلم فيضيع وقته (من كان متشكك في مسألة يكتبها في ورقة خارجية ثم يسأل أحد أقرانه في درس العلم فإن لم يتضح له عاد إلى معلمه)
3- رفع الجهل عن نفسه وعن غيره (قال أحد الشيوخ الفضلاء: نحن نريد طلبة علم محترفين متقنين حتى يقودوا الأمة. فالأمة كما تعلمون وقعت في الفتن لأنها زهدت في طلب العلم والعلماء واختلط العلماء مع الأدباء والدعاة الوعَّاظ ولكن من يُثبِّت الناس في الفتن هم العلماء)
4- الاتقان في طلب العلم كما في قول الشافعي: " من تعلم علمًا فليُدَقِّق كيلا يضيع دقيق العلم" [1]

[1] راجع كتاب "الأنساب المتفقة" لابن طاهر المقدسي (رَحِمَهُ اللَّهُ)

الشريط الثاني
مقدمة في الأسماء والصفات

محتويات الشريط الثاني

1- مقدمة (التوقيت: 32 ثانية) 1
2- مقدمة لعلم العقيدة (التوقيت: 5 دقيقة) 1
3- ظهور البدع في العقيدة (التوقيت: 28 دقيقة و6 ثانية) 2

1- مقدمة (التوقيت: 32 ثانية)

- كتاب لمعة الاعتقاد للإمام المقدسي هو كتاب صغير للمبتدئين في مسألة الأسماء والصفات مع أبواب أخرى مثل أحداث الساعة وغيرها.

2- مقدمة لعلم العقيدة (التوقيت: 5 دقيقة)

- علم العقيدة هو أهم العلوم على الإطلاق لأنه العلم الذي جاءت به الرسل وأنزل الله به الرسالات. فالله أرسل الرسل جميعاً لتوحيد الله (ﷻ). والتوحيد هو أهم الواجبات التي سيسأل عنها العبد حتى أن الله جعل أي ذنب وأي معصية تغفر إلا الشرك كما في قوله (ﷻ):﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء: 48&116]. فلو مات الإنسان على الشرك مات كافراً وأما من مات المعاصي كبائر وصغائر فهو في المشيئة إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبَّه وأدخله النار
- فالتوحيد هو أصل الأصول ولا تظل أعمال في موازين العبد يوم القيامة بغير التوحيد والإيمان كما في قوله (ﷻ):﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[النحل: 97] وفي الشرك قال (ﷻ):﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام: 88]. فالشرك محبط للعمل في الدنيا والآخرة فشرط قبول الأعمال عند الله الإيمان والتوحيد.
- ولهذا كان علم العقيدة هو أهم العلوم التي يبدأ بها في طلب العلم. ومن فعل غير ذلك فهو مخالف للسنن وأوامر الله (ﷻ) فهذا أول ما أمر الله به رسله كما في قوله (ﷻ):﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ
- يعترفون بربوبية الله (ﷻ) كما في قوله (ﷻ):﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾[العنكبوت: 61] فهم يوقنون أن الله (ﷻ) هو الخالق الرازق المدبر وهم ما يعبدوا الأصنام إلا ليتقربوا بها إلى الله (ﷻ) أو يشفعوا لهم عند الله كما في قوله (ﷻ):﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر: 3] و قوله (ﷻ):﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[يونس: 18] وكانوا يقولون في الحج قبل الإسلام: " لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك" [1]. حتى فرعون الذي أنكر الربوبية بلسانه كما في قوله (ﷻ):﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾[القصص: 38] ولكن استيقن بها قلبه كما في قوله (ﷻ):﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ﴾[يونس: 18] ولهذا فقد كانت الرسل تتكلم فقط في توحيد الألوهية.
- والتقسيم إلى توحيد ربوبية وألوهية وأسماء وصفات (شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم جمعا توحيد الربوبية والأسماء والصفات تحت اسم توحيد العلم الخبري وسموا توحيد الألوهية توحيد القصد والطلب) ليس تقسيماً مبتدعاً كما يشكل علينا ويقولون إنكم وافقنا النصارى في التثليث. فالرد عليهم أن هذا التقسيم جاء استقراءاً من آيات القرآن والاستقراء أحد الأدلة الشرعية اللغوية. فوجدوا القرآن إما يتكلم عن أسماء وصفات لله (ﷻ) وهذا توحيد لله بأسمائه وصفاته وإما يتكلم عن ربوبيته أنه الخالق الرازق المدبر الذي له الملك فهذا توحيد الربوبية.
- ولابد أن نشير أن التوحيد لابد أن يُأخذ جميعاً ولكننا نقسم للتعليم فقط
- ومعنى توحيد الربوبية هو إفراد الله بالخلق والملك والتدبير
- والدليل على إفراد الله بالخلق في قوله (ﷻ):﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[الأعراف: 54] والشاهد من الآية هو تقديم الخبر على المبتدأ (تقديم ما حقه التأخير) يفيد الحصر أصولياً ولغةً أي أن الخلق فقط لا يكون إلا لله كما في قوله (ﷻ):﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة: 5] فيه تقديم المفعول به على الفعل يفيد أن العبادة لا تكون إلا لله
- ولكن إذا أفردنا الله بالخلق فماذا سنفعل في قوله (ﷻ):﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[المؤمنون: 14] وقد جاءت كلمة الخالقين في الآية على صورة الجمع مما يدل على وجود أكثر من خالق؟ والجواب أن الخلق على نوعين: خلق إيجاد من عدم وهذا النوع لا يكون إلا لله وخلق تحويل الشيء من صورة إلى صورة وهذا يكون لآحاد الناس كما في الحديث القدسي: " من أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؟ فليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة" [2].

---

[1] أخرجه مسلم عن ابن عباس (رضي الله عنهما)

[2] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه)

- والدليل على إفراد الله بالملك في قوله (ﷻ):﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[آل عمران: 189] والشاهد من الآية هو تقديم الخبر على المبتدأ (تقديم ما حقه التأخير) يفيد الحصر أصولياً ولغةً أي أن الملك فقط لا يكون إلا لله
- والملك على نوعين: ملك مطلق وهذا النوع لا يكون إلا لله وملك مقيد وهذا يكون لآحاد الناس كما في قوله (ﷻ):﴿ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾[النساء: 3] قوله (ﷻ):﴿ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ ﴾[النور: 61]
- وكذلك التدبير والتدبير على نوعين: تدبير مطلق وهو تدبير أمر الكون وهذا النوع لا يكون إلا لله وملك مقيد وهذا يكون لآحاد الناس مثل تدبير الرجل في بيته
- ومعنى توحيد الألوهية هو إفراد الله بالعبادة والعبادة تطلق على الفعل نفسه وهو التعبد (مثلاً: صام) أو المتعبد به (مثلاً: الصوم) وهي كما قال ابن تيمية (رحمه الله): "هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال"
- فكل ما ثبت بالشرع أنه عبادة (مثل الدعاء كما في قوله (ﷻ):﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[غافر: 60]) كان صرفه لله توحيداً وصرفه لغير الله شركاً
- العبادة عموماً مبينة على المحبة والتعظيم كما في قوله (ﷻ):﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾[الأنبياء: 90]
- فالأوامر مبنية على الرغبة لأداء الأمر للوصول لرضا الله (ﷻ) والنواهي مبنية على الرهبة ألا تقع فيما نهى الله عنه حتى لا يصيبك غضب الله وجزاءه و
- والدليل على أن الله منفرد بالألوهية آيات كثيرة منها قوله (ﷻ):﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[الأنبياء: 25] وقوله (ﷻ):﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾[النحل: 36] وكل قصص الأنبياء في سورة الأعراف وغيرها تجد فيها قوله (ﷻ):﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[الأعراف: 59&65&73&85 و هود: 50&61&84 والمؤمنون: 23&32]
- وداخل المسلمين لم يحدث خلاف في توحيد الربوبية والألوهية ولكن حدث في توحيد الأسماء والصفات وهذا هو محور حديثنا بعد ذلك

3- ظهور البدع في العقيدة (التوقيت: 28 دقيقة و6 ثانية)

- فأول بدعة ظهرت في زمن النبي (ﷺ) فعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال بينما نحن عند رسول الله (ﷺ) وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال: " يا رسول الله اعدل" فقال: " ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل" فقال عمر: " يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه" فقال: " دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافة فما يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من الناس" قال أبو سعيد: " فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله (ﷺ) وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به حتى نظرت إليه على نعت النبي" [1].
فخرج من ظهر هذا الرجل الخوارج وقد ظهرت بدعتهم جلية مع مقتل عثمان (رضي الله عنه) وعلى (رضي الله عنه).
ثم في عهد الصحابة وتحديداً ابن عمر (رضي الله عنهما) ظهرت بدعة القدرية فعن يحيى بن يعمر(رحمه الله) قال :" كان أول من قال في القدر معبد الجهني بالبصرة قال فانطلقنا حجاجا أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري فلما قدمنا المدينة قلنا لو لقينا بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فسألناه عما يقول هؤلاء الناس في القدر" فوافقنا عبدالله بن عمر وهو في المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله قال يحيى فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت: " أبا عبدالرحمن إن قبلنا ناسا يقرؤون القرآن ويتقفرون العلم ويزعمون ألا قدر وإنما الأمر أنف" قال:" فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم بريء وإنهم مني براء والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا فانفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر كله خيره وشره" ثم قال:" حدثني عمر بن الخطاب قال:" بينما نحن عند رسول الله (ﷺ) ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا نرى عليه أثر السفر ولا نعرفه حتى جلس إلى رسول الله (ﷺ) فأسند

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) بنحوه والرمية: الصيد الذي ترميه فتقصده وينفذ فيه سهمك وقيل هي كل دابة مرمية والنصل: حديدة السهم والرصاف: مدخل النصل من السهم والنضي -بفتح النون وكسر الضاد وتشديد الياء -: وهو القدح أي: عود السهم والقذذ -بضم القاف -: هو ريش السهم والبضعة: القطعة من اللحم وتدردر: أي تضطرب وتذهب وتجي

ركبته إلى ركبته ووضع كفيه على فخذيه ثم قال:" يا محمد أخبرني عن الإسلام ما الإسلام؟" قال: " أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً" قال:" صدقت" قال عمر:" فعجبنا له يسأله ويصدقه" فقال:" يا محمد أخبرني عن الإيمان ما الإيمان؟" قال:" الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر كله خيره وشره" قال: "صدقت" قال:" فأخبرني عن الإحسان ما الإحسان؟" قال: "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" فقال: "أخبرني عن الساعة متى الساعة؟" قال:" ما المسئول عنها بأعلم من السائل" فقال:" أخبرني عن أمارتها" قال:" أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البناء" قال:" ثم انطلق الرجل" قال عمر: " فلبثت ثلاثا ثم قال رسول الله (ﷺ):" يا عمر أتدري من السائل؟" قلت:" الله ورسوله أعلم" قال:" فإنه جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم دينكم" [1]. فادعى هؤلاء المسئول عنهم ابن عمر (رضي الله عنهما) أن الله لا يعلم أفعال العباد قبل أن يفعلها العباد. هم (ويسمون القدرية) أرادوا تنزيه الله (عز وجل) عن أمر وهو عدم خلق الله للشر وهو معاصي وذنوب العباد بل العباد خلقوها بأنفسهم ولكنهم يقولون بأن الله يعلم أفعال العباد وبعضهم ارتقى (وإن كانت هذه الطائفة غير موجودة الآن) وأدعى أن الله لا يعرف أفعال العباد قبل وقوعها فلم تكتب في اللوح المحفوظ فلا يعلمها إلا بعد أن تحدث (وهؤلاء كفار بإجماع أهل المسلمين) فوقعوا في أمر أعظم منه وسيأتي في باب الإيمان بالقدر. فوضَّح ابن عمر (رضي الله عنهما) أنه برئ من هؤلاء ولا يصح إيمانهم حتى يؤمنوا بالقدر خيره وشره وسيأتي في باب الإيمان بالقدر أن القدر معناه أن تؤمن بأن الله خلق كل شيء فالله علم فكتب فأراد وشاء فخلق. وأصل مسألة الخوارج في عبد الله بن سبأ اليهودي الذي أظهر اسلامه وجاء لعلي (رضي الله عنه) فقال: " أنت هو" فقال لهم: " ومن هو؟" قالوا: " أنت الله" فاستعظم الأمر وأمر بنار فأججت وأحرقهم بالنار فجعلوا يقولون وهم يرمون في النار: " الآن صح عندنا أنه الله لأنه لا يعذب بالنار إلا الله". وفي ذلك يقول رضي الله عنه:" لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا أجّجت نارًا ودعوت قنبرًا" [2]. ولكن ابن عباس أنكر عليه ذلك لأن هذا أدى إلى زيادة المعتقد العفن عندهم كما ظهر من قولهم السالف الذكر. قال ابن تيمية: " كما ظهر بولس في دين النصارى وتنصر ظاهراً من أجل أن يفسد دين النصارى هذا الخبيث عبد الله بن سبأ يهودي ماكر دخل في دين الإسلام على أنه مسلم" [3]

- ثم ظهرت بدعة المرجئة فهم يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب فطالما المرء شهد الشهادتين وإن فعل من معاصي وذنوب فهذا لا يدخل في الإيمان في شيء. فإيمان آحاد الناس عندهم كإيمان أبي بكر(رضي الله عنه). فهم لا يدخلون الأعمال في الإيمان وهذا لا يصح لأن معتقد أهل السنة والجماعة أن أعمال الجوارح والقلوب واللسان أركان من أركان الإيمان.
- وهذه البدع كلها كانت تتكلم بعيداً عن ذات الله. ثم دخلنا في اشتداد البدع وهي بدعة الظلمة وهي بدعة الجهمية (وهم ينسبون إلى جهم بن صفوان) وهؤلاء هم أول من تكلموا في ذات الله وابتدعوا في أسماء الله وصفاته. فانقسمت الأمة فيها إلى طرفان (وهما على بدعة) ووسط (وهو قول أهل السنة والجماعة).
- فالطرف الأول هم الممثلة المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه فقالوا بأن أسماء الله وصفاته كصفات المخلوقين واستدلوا على ذلك بأن الله (عز وجل) أنزل القرآن عربياً كما في قوله (تعالى):﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾[الشعراء: 195] فمن اللغة العربية أن اليد هي اليد الجارحة التي نعلمها فقاسوا الغيب وهو يد الله على المشهود وهو يد المخلوق فبالتالي الله يسمع كسمعنا ويبصر كبصرنا. وهذا كلام باطل لقوله (تعالى):﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: 11] ولقوله (تعالى):﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾[الإسراء: 36] فلا قياس الغائب على المشهود لأنك لم ترى الله حتى تقيسه على صفات المخلوقين. وحتى في المشهود هناك اختلافات فالإنسان عنده يد وكذلك الدواب ولكن يد الآدمي ليس كيد الدابَّة.
- والطرف الثاني هم المعطلة الذين عطلوا صفات الله (عز وجل) للفرار من تشبيه الخالق بالمخلوق فأحدثوا ما أحدثوا وهم درجات من الكفر إلى البدع والفسق وهم (من الأدنى إلى الأعلى في مقدار البدعة وليس بالترتيب الزمني لظهور الفرقة):

أ. **الأشاعرة والماتريدية:** الأشاعرة أثبوا أسماء الله وسبع صفات فقط (السمع والبصر والكلام والعلم والإرادة والقدرة والحياة) والذي جعلهم يثبتون هذه الصفات أنهم يعبدون إلها وهذه الإله لابد له من صفات لا يمكن أن تنفك عنه فلا يصح أن يكون إله لا يسمع المخلوقين لكي يحب دعائهم وكذلك يرى عبادة ويتكلم (هم لا يثبون الكلام كما نثبته) وهكذا. ولكن لو جاءت الصفات الفعلية والاختيارية مثل الضحك والحب والغضب فقالوا لا نستطيع أن نثبتها لأن إثباتها (من وجهه نظرهم) فيه تشبيه للخالق بالمخلوق فمثلاً كيف نقول إن الله يضحك فالضحك معناه أن القلب يتحرك والحب معناه أن هناك ميل للقلب تجاه أحد فيرجعون هذه إلى الصفات السبع يثبتونها التي فيقولون مثلاً إن الحب إرادة

---

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن عمر (رضي الله عنه). واكتنفه: أحاط به ويكل: أي يسكت ويفوضه إلى وأُنُف: أي مُستَأنَفٌ استئنافا من غير أن يكون سبق به سابق قضاء وتقدير، وإنما هو مقصور على اختيارك ودخولك فيه ويتقفرون العلم: بتقديم القاف على الفاء أي يطلبونه ويتتبعونه وفي بعض النسخ بتقديم الفاء

[2] راجع كتاب "تاريخ الإسلام" للذهبي (رحمه الله) وكتاب " الفصل في الملل والنحل" لابن حزم وقنبر هو غلامه الذي كلفه بهذا الأمر

[3] راجع كتاب "مجموع الفتاوى" لابن تيميه (رحمه الله)

الثواب والغضب إرادة الانتقام. هم يقولون إن هذا تأويل ونحن نقول إن هذا تحريف (هناك تأويل صحيح عندنا في الشرع ولكن ليس هذا التأويل). والأشاعرة منتشرون في الأزهر. أما المذهب الماتريدي هو الموجود في تركيا ويختلفون عن الأشاعرة أنهم أضافوا صفة ثامنة (التكوين وهي من صفات الفعل ترجع للتكوين من الصفات كالتخليق والترزيق والإحياء والإماتة). والرد عليهم أنهم ردوا هذه الصفات بالعقل رغم الأدلة الصريحة فيه ولكن هذا الباب لا يصح فيه العقل فهذا من باب الغيبيات. وثانياً: القول في بعض الصفات كالقول في باقي الصفات فأنتم نفيتم معظم الصفات من باب عدم الوقوع في التشبيه وأثبتم سبع (أو ثمان) صفات فقط فوقعتم في التشبيه الذي تفرون منه. وثالثاً: أن ما فعلوه هو صرف لظاهر النصوص بدون دليل فالنص جاء يثبت لله (ﷻ) الضحك والحب والغضب والأصل أن النصوص تحمل على الظاهر. نعم أهل السنة أحياناً يؤلون ويصرفون النص عن ظاهره ولكن بدليل ولكن الصرف بدون دليل يكون تحريف وسيأتي التأويل في مقدمة مصنَّف كتاب لمعة الاعتقاد. وللأسف بعض العلماء يدخلون الأشاعرة داخل أهل السنة والجماعة وهذا خطأ فهم يخالفون مذهبهم الاعتقادي في الأسماء والصفات وغيرها. فهناك تلبيس يحدث الآن أنهم يقسمون (أي الأشاعرة والماتريدية) أهل السنة والجماعة إلى الأشاعرة والماتريدية ومذهب أهل الحديث (وهو مذهب أهل السنة والجماعة الحقيقي) حتى يدخلوا أنفسهم في أهل السنة والجماعة ويقولون ومذهب أهل الحديث يريد التنزيه ونحن كذلك نريد التنزيه. ولكن في الحقيقة هم لا ينزهون بل معطلون للصفات فمثلاً ماذا يقولون في قوله (ﷺ): " يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة". قالوا: كيف يا رسول الله؟! قال: "يقتل هذا فيلج الجنة ثم يتوب الله على الآخر فيهديه إلى الإسلام ثم يجاهد في سبيل الله فيستشهد" [1] فالنبي (ﷺ) أضاف الضحك لله وماذا يقولون في قوله (ﷻ):﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[المجادلة: 14] فكيف لا تثبتون صفة الغضب لله؟. وماذا يقولون في قوله (ﷻ):﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[المائدة: 54] فكيف لا تثبتون صفة الحب لله؟. وقد يأتي بعضهم ويقول إن النووي وابن حجر كان على معتقد الأشاعرة فهل ستخرجهما من أهل السنة والجماعة؟ فنرد عليهم أنه كان عندهما بعض أخطاء في مسألة أو مسألتين تغمر في ميزان أعماله ولم يكن هذا معتقده الصريح فنحن نرد على معتقدهم كفرقة

ب. **المعتزلة:** فهم أثبتوا لله الأسماء فقط بدون معناها ولم يثبتوا الصفات وعطلوها كلها فيقولون الله عليم بلا علم (أسم بلا مضمون ولا مفهوم كمن يقال له محمود ولكنه ليس محمود بين الناس فالاسم ليس له علاقة عندهم بالصفة) وقدير بلا قدرة وهكذا. فنسألهم ما الفائدة من أثبات الأسماء إن لم نثبت معها الصفات؟. فالأصل أن الأسماء تدل على الصفات. ولهذا عندهم كل الأسماء مترادفة فلا فرق بين سميع وعليم فهي مسميات تطلق فقط. والذي جعلهم يقعوا في هذه الشبهة هو الفرار من التشبيه لأن أثبات الصفات عندهم يلتزم التشبيه لأنه لا يوجد من يتصف بصفات إلا المخلوقات والأجسام فإن قلنا إن لله صفات فقد جعلنا لله جسم. فهم أصَّلوا أصل باطل فليس كل من يتصف بصفات لابد أن يكون جسم وهذا الأصل هو سبب ما وقعوا فيه

ج. **غلاة الجهمية والقرامطة والباطنية:** هؤلاء كفَّار بإجماع أهل العلم لأنهم أنكروا الأسماء والصفات فسلبوا من الإله كل شيء. ولكنهم أثبتوا الأسماء والصفات بالنفي فعندما تسألهم هل الله موجود؟ يقولون هو ليس بميت وكذلك الله ليس بجاهل وليس بظلّام

د. **غلاة الغلاة من الجهمية والقرامطة والباطنية:** هؤلاء لم يثبتوا الأسماء والصفات لا بالنفي ولا بالأثبات فجعلوا الله كالمعدومات (نعوذ بالله من ذلك) فلا يقولوا هو حي ولا غير حي أو ميت ولا يقولوا عدل ولا ظالم ويقولون لا نعلم فهم قد فرَّوا من الموجود وغير الموجود فأصبحوا يعبدون معدوماً. وهذه الطائفة أكفر من سابقتها

- والطرف الوسط وهم أهل السنة والجماعة فيثبتون لله الأسماء والصفات من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل. وهذا هو المنهج الوسط والمنهج الحق والذي يسير عليه كتاب لمعة الاعتقاد وسوف يتم شرحها بالتفصيل المرة القادمة إن شاء الله

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) واللفظ لمسلم

الشريط الثالث
قواعد في الأسماء والصفات

محتويات الشريط الثالث

1- مقدمة (التوقيت: 1 دقيقة و15 ثانية) 1

2- مذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات (التوقيت: 15 دقيقة و36 ثانية) 1

3- ضوابط وقواعد في الأسماء والصفات (التوقيت: 20 دقيقة و26 ثانية) 1

1-3 ما هو الواجب في نصوص الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته (التوقيت: 22 دقيقة و12 ثانية)؟ ... 1

2-3 أسماء الله كلها حسنى (التوقيت: 22 دقيقة و12 ثانية) 2

3-3 أسماء الله غير محصورة (التوقيت: 32 دقيقة و4 ثانية) 2

4-3 أسماء الله لا تثبت بالعقل بل تثبت بالشرع (التوقيت: 34 دقيقة و27 ثانية) 2

5-3 الصفات اللازمة والتعدية (التوقيت: 37 دقيقة و19 ثانية) 2

6-3 صفات الله (ﷻ) كمال من كل وجه (التوقيت: 40 دقيقة و46 ثانية) 3

7-3 الصفات الثبوتية والسلبية (التوقيت: 44 دقيقة و7 ثانية) 3

8-3 صفات الله توقيفية (التوقيت: 1 ساعة و5 دقيقة و20 ثانية) 4

9-3 التأويل (التوقيت: 1 ساعة و21 دقيقة و32 ثانية) 5

4- الإخبار 6

1- مقدمة (التوقيت: 1 دقيقة و15 ثانية)

- كما ذكرنا من قبل إن علم العقيدة هو أشرف العلوم على الإطلاق فشرف العلم من شرف المعلوم ولا أشرف من الله (ﷻ). ولابد في بداية طلب العلم أن ندرس العقيدة قبل بقية العلوم ولابد أن نسير في التدرج في هذا العلم حتى الوصول للإتقان وإمكانية تدريسه فلا تجد عالم بحق إلا تجده يفهم علم العقيدة وإلا فإنه سيقع كثيراً في إشكاليات

2- مذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات (التوقيت: 15 دقيقة و36 ثانية)

- أهل السنة والجماعة يثبتون ما أثبت الله لنفسه من الأسماء والصفات من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل.
- ومعنى أثبات الأسماء والصفات بلا تمثيل أي عدم تشبيه الخالق بالمخلوق وأما معنى بلا تعطيل أي عدم نفي صفات الله وأما معنى بلا تكييف أي بدون وصف التفاصيل فمثلاً لله (ﷻ) يد فالتكييف أن تقول إن يد الله (ﷻ) شكلها كذا وكذا. فأهل السنة والجماعة يثبتون أن هناك تكييف ولكن لا يكيِّفون. معنى التكييف يفوضونه ولكن لها تكييف لا ندركه. وطوائف المبتدعة يفوضون الكيفية عموماً فهم يقولون اليد ليس لها كيفية ثم يسميها النعمة والقدرة عند من ينفون الصفات يقولون هي يد ولكننا لا ندرك لها كيفية. أما بلا تحريف أي عدم صرف الصفة عن معناها ومجازاً نطلق عليه التأويل مثل أن يقولوا إن اليد بمعنى القدرة وهذا في الحقيقة تحريف وليس تأويل صائغ مقبول فصرف الصفة عن ظاهرها بدون قرينة يعتبر تحريف فأهل السنة يقولون إن لله يد حقيقية. فيقولن مثلاً أن الاستواء بمعنى الاستيلاء وهذا تحريف فأهل السنة يقولون كما قال مالك: " الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة" [1]. أما التشبيه فهو يختلف عن التمثيل في أن التمثيل يعني المطابقة في كل الصفات والتشبيه مشابهه في جزء من الصفات.

3- ضوابط وقواعد في الأسماء والصفات (التوقيت: 20 دقيقة و26 ثانية)

3-1ما هو الواجب في نصوص الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته (التوقيت: 22 دقيقة و12 ثانية)؟

- أولاً نأصل أن الله أنزل علينا كتاباً بلسانٍ عربيٍ مبين كما وضحّ لنا في قوله (ﷻ):﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[يوسف: 2] وقوله (ﷻ):﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾[الشعراء: 195]. فالله جعله عربياً لكي نفهمه ونعقله نحن العرب لأننا نفهم هذه اللغة فعندما يقول (ﷻ):﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[الفتح: 10] فهذه آية من كتاب الله (ﷻ) نحن العرب نعلم اليد هي اليد التي يبطش بها ونعلم أننا كمخلوقين لنا يد فعندما نقرأ هذه الآية علمنا من هذا القرآن العربي المبين أن لله (ﷻ) يد واليد عندنا معلومة وإن كنا لا نعلم كيفيتها لأننا لم نرى الله (ﷻ) ولا رآه النبي (ﷺ) فأبلغنا ولا يوجد مثيل ولكن نحن كعرب علمنا أن مقصود الله من الآية أن له يد.
- فعندما يأتي أحد يقول إن المقصود باليد القدرة أو النعمة فهذا خالف الآية﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾
- فعندما يأتي قوله (ﷺ): " إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء" [2] وجاء حبر إلى رسول الله (ﷺ) فقال: " يا محمد أو يا رسول الله إن الله جعل السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع فيهزهن فيقول: أنا الملك" قال: فضحك النبي (ﷺ) حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قال: "وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة إلى آخر الآية" [3] وغيرها فيه أثبات على صفة الأصبع لله (ﷻ)
- وعندما يأتي قوله (ﷻ):﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾[القمر: 14] فنقول إن لله (ﷻ) عينين. فلا نقول إن العين عين الماء أو الجاسوس لأن اللسان العربي المبين يدل على أن المقصود بالعين العين الجارحة.
- وكل ما سيأتي من قواعد هو استقراء من نصوص القرآن والسنة.

---

[1] رواه اللالكائي (رحمه الله) في " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " والبيهقي في "الأسماء والصفات " وصححه الذهبي (رحمه الله) وشيخ الإسلام (رحمه الله) والحافظ ابن حجر (رحمه الله). انظر: " مختصر العلو" و" مجموع الفتاوى" و " فتح الباري " بألفاظ متقاربة ومعنى متحد. ومعنى معلوم: أي: معناه في لغة العرب ومن ظن أن معنى " معلوم " أي: موجود مذكور في القرآن فهو جاهل كما قال شيخ الإسلام (رحمه الله) والكيف مجهول: فيه اثبات الكيف لكنه مجهول بالنسبة لنا والإيمان به واجب أي الإيمان بالكيف والسؤال عنه بدعة: أي السؤال عن الكيف. .

[2] أخرجه مسلم عن عمرو بن العاص (رضي الله عنه)

[3] أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه)

3-2أسماء الله كلها حسنى (التوقيت: 22 دقيقة و12 ثانية)

- وأهمية هذا الضابط أن نفرق بين ما هو أسم لله وما ليس أسم لله والدليل على أن كل أسمائه حسنى قوله (ﷻ):﴿ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[الإسراء: 110] ومعنى حسنى أي بالغة في الحسن ومعنى ذلك أن الاسم لله (ﷻ) له علامتان:
  - أ- أن يكون الاسم علامة على ذات الله فالرحمن والرحيم والكريم علامة على ذات الله
  - ب- أن هذا الاسم لابد أن يتضمن صفة أو معنى لهذا الاسم وتكون صفة كمال وحسن
- فلو فقد الاسم أحد الشرطين السابقين فاعلم أنه ليس من أسماء الله (ﷻ). مثال لتطبيق الشرطين: اسم الله الرحمن فهو علامة على ذات الله ويتضمن صفة بالغة في الحسن وهي صفة الرحمة فالله (ﷻ) يرحم المسلم والكافر كما سنبين. مثال لعدم انطباق الشرط الثاني: الدهر رغم أن ظاهره في حديث (ﷺ): " لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر " [1] أنه من أسماء الله ولكن الدهر ليس فيه صفة حسن ولهذا هو ليس اسماً من أسماء الله (ﷻ) وكذلك يبين قوله (ﷺ): " قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار" [2] أن المقصود من الدهر هو الزمن الذي يقلبه الله (ﷻ). كذلك كثير من الناس يظنون أن الموجود اسم من أسماء الله (ﷻ) ولكنه ليس باسم وذلك لأنه ليس فيه صفة حسن فالوجود صفة نقص لأن الموجود كان معدوماً ثم وُجِد وأن هناك من أوجده ولهذا يُقال على الله (ﷻ) الواجد وهذا خبر أنه هو الذي يُوجِد. وكذلك القديم قد جعلته بعض الطوائف اسماً لله (ﷻ) مثل في شرح الطحاوية والصحيح أنه ليس باسم لأن القديم ليس فيه صفة حسن بل هناك من هو أقدم منه. والأشاعرة كثيراً ما يصرون على هذا الاسم بل هو عندهم عمدة في كتبهم. ونحن عندنا البديل له وهو اسم الله الأول أي ليس قبله شيء كما في حديث (ﷺ): " اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء " [3]

3-3أسماء الله غير محصورة (التوقيت: 32 دقيقة و4 ثانية)

- يخطأ من يظن أن لله تسعة وتسعين اسماً فقط فقد أخطأ لقوله (ﷺ): " من كثر همه فليقل: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك، عدل في قضاءك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في كتابك **أو استأثرت به في علم الغيب عندك** أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همة وحزنه وأبدله مكانة فرحاً" [4] فهذا يعني أن لله أسماء لا نعلمها وكذلك حديث الشفاعة في قوله (ﷺ): " فأنطلق ، فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي عز وجل، **ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي** ، ثم يقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، سل تعطه ، واشفع تشفع" [5] والحمد لله تكون بأسمائه وصفاته

3-4أسماء الله لا تثبت بالعقل بل تثبت بالشرع (التوقيت: 34 دقيقة و27 ثانية)

- وهذا معناه أن أسماء الله توقيفية أي تقف عند الأسماء التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) ولا تزيد عليها. وهذا يرد على من يسمي الله بأسماء لا تجدها في الكتاب ولا في السنة. وكذلك أخطأ من اشتق الأسماء من الصفات ولكن الصفات تشتق من الأسماء فكما قلنا من قبل أن الاسم لابد أن يتضمن صفة كمال فلا أستطيع اشتقاق من صفة المكر في قوله (ﷻ):﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[آل عمران: 54] اسم الله الماكر (بغض النظر أنها صفة نقص) ولا أقول الله هو الضاحك. النصارى مثلاً يسمون الله بالآب فهذا خطأ لعدم وروده في الكتاب والسنة وهذا من باب الإلحاد في أسماء الله (ﷻ) وهو تغيير الاسم لاسم آخر. وقريش كانت تسميه العزى من العزيز. العلماء اختلفوا في اسم النور فابن القيم يثبته ولكن كثير من أهل العلم لا يثبتونه يقولون هو صفة وليس من الاسماء

3-5الصفات اللازمة والتعدية (التوقيت: 37 دقيقة و19 ثانية)

- فكما قلنا من قبل أن الاسم لابد أن يتضمن صفة كمال فهذه الصفة قد تكون لازمة أو متعدية والصفة اللازمة لا يتعدَّى أثرها للغير والصفة المتعدية يتعدَّى أثرها للغير. فمثلاً الرحمن أو الرحيم اسم يتضمن صفة الرحمة وهي صفة متعدية لأن أثرها يتعدَّى ويظهر على عباده فهو يرحمهم ومثلاً الأول فهي صفة لازمة لأنها لا تتعدَّى على العباد ولا يظهر أثرها عليهم بل هي صفة لا يُوصف بها إلا الله. وأيضاً اسم الله العزيز فيه صفة العزَّة وهي صفة لازمة لا تتعدى على العباد ولا

---

[1] أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه)
[2] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه)
[3] أخرجه مسلم عن سهيل بن أبي صالح (رضي الله عنه)
[4] أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وأبي يعلى عن ابن مسعود (رضي الله عنه) وصححه الألباني في الصحيحة
[5] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه)

يظهر أثرها عليهم (بعضهم قال إنه متعدي ولكن الصحيح أنه لازم لأن الفعل يُعز غير صفة العزَّة). وأيضاً اسم الله العظيم فيه صفة العظمة وهي صفة لازمة لا تتعدى على العباد ولا يظهر أثرها عليهم.

3-6صفات الله (ﷻ) كمال من كل وجه (التوقيت: 40 دقيقة و46 ثانية)

- وهذا لقوله (ﷻ):﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾[النحل: 60] ولقوله (ﷻ):﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص: 4] ولقوله (ﷻ):﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى: 11] فمثلاً صفة العلو فنقول إن العلو المطلق لله لا يدانيه فيه أحد وكذلك بقية الصفات. ولكن هناك صفات كمال من وجه ونقص من وجه آخر ويسمَّى كمال مقيَّد مثل صفة الاستهزاء والخداع والمكر فالله يُوصف بها من وجه ولا يُوصف بها من وجه آخر فنقول الله (ﷻ) يمكر بالماكرين فلا نقول يمكر وتسكت فلابد أن تكون مقيدة حتى لا يكون هناك سوء أدب مع الله فهي تكون كمال عندما يمكر بالماكرين ويستهزئ بالمستهزئين مثل قوله (ﷻ):﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[الأنفال: 30]. فصفات مثل الرحمة والعزة لا تحتاج لتقييد لأنها كمال من كل وجه. ولهذا تُسمى هذه الصفات (المكر والخداع و ...إلخ) صفات المقابلة فهي تأتي لمقابلة الغير فتكون كمال في حق الله (ﷻ)

3-7الصفات الثبوتية والسلبية (التوقيت: 44 دقيقة و7 ثانية)

- صفات الله (ﷻ) تنقسم إلى صفات سلبية وصفات ثبوتية. فالصفات الثبوتية هي التي أثبتها الله (ﷻ) لنفسه في كتابه أو أثبتها له رسوله (ﷺ) في سنته وغير ذلك يكون من باب القول على الله بغير علم كما في قوله (ﷻ):﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[الإسراء: 36]. فالصفات توقيفية فلا يصح أن تأتي بصفة من عند نفسك. والصفات الثبوتية مثل قوله (ﷻ):﴿ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[النساء: 139] وقوله (ﷻ):﴿ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[الجاثية: 37] فالله أثبت لنفسه العزة والكبرياء وقوله (ﷺ): " فيكشف الله عن ساقه " [1] فالنبي (ﷺ) أثبت لله صفة الساق
- والصفات السلبية التي نفاها عن نفسه مثل قوله (ﷻ):﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[فصلت: 46] فالله (ﷻ) نفى عن نفسه صفة الظلم وقوله (ﷻ):﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾[ق: 38] فالله (ﷻ) نفى عن نفسه صفة اللغوب وهو التعب والمشقة وقوله (ﷻ):﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[البقرة: 255] فالله (ﷻ) نفى عن نفسه صفتي الغفلة والنوم. وهذه كلها صفات فيها نقص في حق الله (ﷻ) ولكنها في حق المخلوق كمال فالمخلوق الذي لا ينام يكون فيه نقص وقوله (ﷺ): " إن الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام" [2] فالنبي (ﷺ) نفى عن الله (ﷻ) صفة النوم.فعدم نوم المخلوق تجعله غير حاضراً ويكون بعيداً التركيز على عكس الله (ﷻ) عندما ينام يكون نقص لأنه فيه تركه لمخلوقاته وعدم متابعتهم في فترة نومه.
- والصفات الثبوتية تنقسم إلى صفات ذاتية وصفات فعلية وبعضهم أضاف صفات خبرية ولكن الخبرية تُلحق بالذاتية كما سنبين.
- الصفة الذاتية هي التي لا تنفك عن ذات الله (ﷻ) فلو قلت إن الله عز وجل حي أو صفة العلم أو القدرة أو الإرادة فلا يمكن في لحظة ألا يتصف بالحياة أو العلم أو القدرة أو الإرادة.
- أما الصفات الفعلية هي الصفات التي إن شاء الله فعلها وإن شاء لم يفعلها مثل المجيء
- الكلام صفة ذاتية وفعلية فلو قلت إنه صفة فعلية فقط فكأنك تقول إن الله (ﷻ) متكلم وغير متكلم وعدم الكلام فيه نقص. فأصل صفة الكلام ذاتية فلم يكن يوماً غير متكلم ولكنه صفة فعلية لأنه إن شاء تكلم وإن شاء لم يتكلم فمثلاً قوله (ﷻ):﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾[الأعراف: 143] فهذه الآية أن الله يكلم موسى (عليه السلام) من قديم الزمان حتى الآن؟ فمعنى الآية أنه كلمه عندما جاء في الميقات كلمه الله (ﷻ) ولكن هل قبل أن يأتي موسى (عليه السلام) إلى الجبل لم يكن الله متصف بالكلام؟ كلا بالطبع ولهذا سماها شيخ الإسلام " قديمة النوع حادثة الأفراد" أي صفة ذاتية (يتكلم منذ القدم) فعلية (عندما أراد أن يتكلم أحدث الكلام على مستوى كل حدث). فالضحك صفة فعلية فلو قلت إنها صفة ذاتية تكون صفة نقص فلا أحد يضحك على الدوام فهذا فيه سوء أدب. فضابط الصفات الفعلية المشيئة وضابط الصفات الذاتية أنها غير مُنفكه عن ذات الله
- صفتين مثل الاستواء والنزول الجمع بينهما فيه خلاف بين أهل السنة فهل عندما ينزل لا يكون مستوي على عرشه كما قال ابن تيمية (رحمه الله)؟ الراجح أن نتوقف ونقول إنه مستوي على العرش وينزل بكيفية لا نعلمها.

---

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه)

[2] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه)

- فالنزول صفة فعلية لأنه غير متعلق بالذات فليس الله في نزول دائم بل ينزل في الثلث الأخير كما أخبرنا
- أما الصفات الخبرية وجاء أسمها من أننا أُخبرنا بها (نعم كل الصفات أُخبرنا بها لكن هذه لم يكن العقل ليتوصل لها لولا أن أخبرنا الله بها) مثل اليد والعين والساق والأصبع. وضابطها **مُسمّاها عندنا** أبعاض وأجزاء فلو قلت أبعاض وأجزاء فقط فكأنك قسمت الله إلى أجزاء –حاشا لله-ولهذا لابد أن تقول مُسمَّاها عندنا فهي عندنا نحن بعض منا أو جزء منا فنحن لا نُجسم الله (ﷻ). فاليد مثلاً خبرية ذاتية (لا تنفك عن ذات الله). النفس ذاتية فقط ولا تصلح خبرية لأنه المقصود من مُسمّاها عندنا أبعاض وأجزاء أن تكون ملموسة وبعضهم قال إنها خبرية.
- أمثلة على أنواع الصفات الثلاثة: الوجه صفة خبرية والانتقام صفة فعلية والمحبة صفة فعلية والكرم صفة فعلية (ليست ذاتيه لأنه لا يكرم كل خلقه وممكن نقول فعلية من أنها لا تنفك عن ذات الله) والرحمن صفة ذاتية (يرحم كل خلقه ومن ذلك إعطاء الكافر المال والولد ولا يحاسبه في الدنيا على تجرأه عليه (ﷻ)) والرحيم صفة فعلية (رحمة خاصة بعباده المؤمنين فما جاءت في القرآن إلا متصلة بالمؤمنين)

3-8صفات الله توقيفية (التوقيت: 1 ساعة و5 دقيقة و20 ثانية)

- كما ذكرنا في الأسماء أنها توقيفية فكذلك الصفات. والتكلم في الصفات بغير دليل يدخل تحت قوله (ﷻ):﴿ **وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[البقرة: 169] وهذا فيه إثم شديد وكذلك قوله (ﷻ):﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[الحشر: 7] فالضابط أن ما أتى به (ﷺ) نأخذه وما لم يأتي به لا نأخذه. في بعض كتب السلف مثل كتب أحمد بن حنبل (رحمه الله) وابن تيمية (رحمه الله) والشافعي (رحمه الله) فتجد أحمد مثلاً يقول: يا غيَّاث المستغيثين رغم عدم وجود دليل على هذه الصفة وتجد الشافعي مثلاً يقول: الله هو الجاعل رغم عدم وجود دليل على هذه الصفة. فبعضهم يظنها اسم أو صفة ولكن الحق أن هذا من باب الأخبار والخبر لا يشترط فيه أن يكون توقيفياً كما سيأتي فالخبر بابه أوسع. فمثلاً عند شرح اسم الله القدوس يقولون: هو المنزه عن النقائص ولا يوجد دليل على أن المنزه من أسماء الله (ﷻ) أو صفاته فهذا إخبار عن الله (والإخبار له ضوابط ستأتي). والهدف مما ذكرنا ألا نأخذ كل ما يقال عن الله من العلماء على أنه أسم أو صفة دون معرفة الدليل والتثبت من ذلك.
- وطرق معرفة الصفات هي ثلاث طرق:
  أ. تأتي الصفة تصريحاً في الكتاب أو السنة
  ب. استنباط الصفة من الاسم المنسوب لله (ﷻ)
  ج. استنباط الصفة من الفعل المنسوب لله (ﷻ)
- **استنباط الصفة من الاسم المنسوب لله (ﷻ):** الفرق بين الاسم والصفة إن الاسم يدل على ذات الله ويحتوي على صفة تدل على معنى أما الصفة تدل على معنى فقط. فالرحمن نستخرج منه صفة الرحمة والكريم نستخرج منه صفة الكرم والعليم نستخرج منه صفة العلم والحي نستخرج منه صفة الحياة والعزيز نستخرج منه صفة العزة وهكذا.
- **استنباط الصفة من الفعل المنسوب لله (ﷻ):** فحديث " يضحك الله من رجلين" أضاف الفعل إلى الله فنأخذ من الفعل صفة الضحك. وكما في قوله (ﷻ):﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[طه: 5] أضاف الفعل إليه (ﷻ) فنأخذ من الفعل صفة الاستواء وفي الحديث: " ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فاستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له " [1] أضاف الفعل إلى الله فنأخذ من الفعل صفة النزول وكما في قوله (ﷻ):﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾[الفجر: 22] أضاف الفعل إليه (ﷻ) فنأخذ من الفعل صفة المجيء وكما في قوله (ﷻ):﴿**فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ**﴾[الزخرف: 55] أضاف الفعل إليه (ﷻ) فنأخذ من الفعل صفة الانتقام. الفعل المُضاف لله على قسمين (فليست كل الإضافات نأخذ منها صفة):
  أ. إضافة صفة لموصوف (تُضيف معنى فتُسمَّى إضافة معاني): مثل ينزل ربنا ويضحك الله وجاء ربك (هذه نأخذ منها صفة لله)
  ب. إضافة تشريف (تُضيف أعيان إلى الله فتُسمَّى إضافة مباني): مثل: ناقة الله وروح الله وبيت الله (هذه إضافة للتشريف فقط)
- **تأتي الصفة تصريحاً في الكتاب أو السنة:** مثل قوله (ﷻ):﴿ **وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾[الأحزاب: 40] فهذه الصفة فيها تصريح بصفة العلم.

---

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه)

9-3التأويل (التوقيت: 1 ساعة و21 دقيقة و32 ثانية)

- التأويل يرد على بقية الطوائف التي تكلمنا عنها. التأويل لم يكن بالمعنى المصطلح عليه الآن عند المتأخرين فلم يكن معروفاً في زمنه (ﷺ) ولا الصحابة (رضي الله عنهم) ولا التابعين (رضي الله عنهم) ولذلك في باب الأسماء والصفات يسعنا ما وصل إليه هؤلاء في القرون الخيرية وإن كنا لا نقول بغلق باب الاجتهاد ولكن في هذا الباب (باب الأسماء والصفات) نأخذ ما جاء في القرون الخيرية. فلم يكن هناك من يؤول من الصحابة (رضي الله عنهم) ويسأل هل اليد هي اليد الجارحة أم القدرة؟ وهل العين بها المقصود العين الجارحة أم الرعاية والثواب بل كانوا يأخذون بظواهر النصوص لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين. وهذا المبدأ الصغير هو الذي جعل فتنة خلق القرآن تقف فالأعرابي الذي دخل على ابن أبي دؤاد في وجود الخليفة فسأله: " الذي تقولوه أنت "يقصد خلق القرآن" هل علمه النبي (ﷺ) وهل علمه الصحابة (رضي الله عنهم) أم لم يعلموه؟" فقال ابن أبي دؤاد:" لم يكن يعلمونه" فأحس ابن أبي دؤاد أنه بهذا سيُجهِّل النبي (ﷺ) وسيُجهِّل الصحابة (رضي الله عنهم) فيقع في كفر لأنه سيكون أعلم من النبي (ﷺ) والصحابة (رضي الله عنهم) فعلِم أنه تم استدراجه فقال: "يعلمونه" فقال الأعرابي: " أتكلموا به؟" فسكت ابن أبي دؤاد فقال الأعرابي: " فليسعك ما وسعهم" أي طالما سكتوا عنه فلتسكت عنه فكان سبب في انتهاء فتنة خلق القرآن [1].
- والتأويل مراتب فمنه الحق لأنه جاء في قوله (ﷻ):﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾[آل عمران: 7] في حالة وصل الآية دون الوقف وهو على المراتب التالية:

أ. **التأويل بمعنى التفسير:** فالمقصود بتأويله في الآية هو تفسيره على قراءة الوصل وكان ابن عباس (رضي الله عنهما) يقرأ وصلاً ويقول: " أنا ممن يعلم تأويله" [2] وقد قال هذا لقوله (ﷺ) له: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" [3]. وهذه مرتبة حق وموجودة كما ورد عن ابن عباس (رضي الله عنهما).

ب. **التأويل بمعنى ما يؤول إليه حقيقة الشيء:** فالمقصود بتأويله في الآية هو حقيقة الشيء على قراءة الوقف فالمقصود أن حقيقة الشيء لا يعلمه إلا الله فعن ابن عباس (رضي الله عنهما):" ليس في الدنيا شيء مما في الجنة سوى الأسماء" [4] وكذلك قوله (ﷻ):﴿ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾[الأعراف: 53] أي يوم يأتي حقيقة يوم القيامة. وهذا النوع من التأويل لا يعلمه إلا الله وهو حقيقة الأشياء

ج. **تأويل المتأخرين:** وهو معناه صرف اللفظ عن ظاهره. وهذا ما وقع فيه الطوائف الضالة كلها فمثلاً الاستواء نقول فيه كما قال فيه مالك: " الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة" [5]. أما أهل البدع يقولون إن الاستواء بمعنى الاستيلاء وهذا صرف للفظ عن ظاهره. هم يسمونه تأويل ولكنه عندنا ليس تأويل بل هو تحريف. وصرف اللفظ عن ظاهره قد يكون صحيحاً في بعض الأحيان بضوابط وقد يكون مذموماً في أحيان أخرى. المتأخرين يستخدمون التأويل في صرف نصوص الصفات عن الظاهر مثل تأويل اليد بالقدرة والنعمة والغضب إرادة الانتقام والعين بالرعاية والحفظ. حكم التأويل المذموم على قسمين:

1- التأويل له أصل من اللغة: فهذا من الفسق لأن له شبهه فلا يُكفَّر. ومثاله تأويل اليد بالقدرة والنعمة وهذا موجود في لغة العرب وله من السنة شاهد أن سهيل بن عمرو قال للنبي (ﷺ) عن أصحابه: " أي محمد أرأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحدٍ من العرب اجتاح أهله قبلك وإن تكن الأخرى فإني والله لا أرى وجوهاً وإني لأرى أشواباً (أي أخلاط وفي المسند أوباش) من الناس خليقاً أن يفروا " فقال له الصديق (رضي الله عنه): " امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه؟؟" فقال من ذا قالوا أبو بكر فقال "أما والذي نفسي بيده لولا **يدٌ** كانت لك عندي ولم أجزك بها لأجبتك" [6] وكان الصديق قد أحسن إليه قبل ذلك فرعى حرمته ولم يجاوبه عن هذه الكلمة. فاليد لها أصل في كلام العرب أنها بمعنى الفضل والقدرة والنعمة لكن إذا تعارضت اللغة مع الشرع قدمنا الشرع
2- التأويل ليس له أصل من اللغة: فهذا من الكفر لأن هذا تحريف لكتاب الله (ﷻ) وكذب عليه. ومثاله تأويل الاستواء بالاستيلاء لأن ليس أصل في لغة العرب ويستدلون عليه ببيت شعر لشاعر نصراني وهذا لا يصح.

---

[1] ستأتي قصة محمد بن عبد الرحمن الأذرمي (رحمه الله) بتفاصيلها في الشريط الخامس
[2] راجع تفسير الطبري وفي تفسير ابن كثير: " أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله"
[3] أخرجه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه عن ابن عباس (رضي الله عنهما) بسند صحيح وهو في الصحيحين دون قوله: وعلمه التأويل.
[4] راجع تفسير القرطبي
[5] سبق تخريجه
[6] أخرجه البخاري عن عروة بن الزبير عن المسور (رضي الله عنه) ومروان (رضي الله عنه) يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه

- أما التأويل المقبول فقد وضع له أهل العلم ضوابط لقبوله بأن يكون الحديث أو السياق مُقترن بالقرائن المُحتفَّه (المحيطة) أي هناك قرائن تجعلك تصرف هذا اللفظ عن ظاهره.
- ومثال ذلك كلام العلماء (على خلاف بينهم) في قوله (ﷻ):﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[البقرة: 115] فبعضهم يقول إن المقصود بالوجه الجهة وليس الوجه ذاته. فابن تيمية (رحمه الله) يرى أن هذه الآية ليست من آيات الصفات لأن السياق يتكلم عن القبلة
- فيأتي الطوائف المبتدعة ويقولون أنتم تأولون فنرد عليهم أنه طالما السياق يسمح لك أو القرائن المُحتفَّة فيجوز وإن كان التأويل المقبول في الأسماء والصفات قليل جداً
- القرائن المُحتفة: مثل السياق أو آية أخرى أو حديث آخر يدل على المعنى المراد.

4- الإخبار

- هو باب أوسع من الأسماء والصفات وهو ليس توقيفياً
- وتعريفه لغة: اسم لكلام دال على أمر كائن وسيكون أو يعبر عن حقيقية أو بعض أجزاء هذه الحقيقة
- أما اصطلاحاً: هو التكلم بألفاظ مترادفة لأسماء الله وصفاته وأفعاله. مثل شرح العلماء أسم القدوس فيقولون هو الطاهر عن العيوب فالطاهر عن العيوب ليس اسم ولا صفة بل هو إخبار. مثل شرح العلماء أسم السبوح فيقولون هو المنزه عن النقائص
- الهدف من الإخبار لتوضيح معنى الاسم للمتلقي. فالشافعي عندما قال الجاعل لم يقصد أنه أسم قبل يقصد التكلم عن السكون والحركة.
- ولكن الإخبار له أربعة أنواع وهي:

1- **التكلم بمرادف لأسماء الله وصفاته وأفعاله:** هذا يُفهم من سياق القرآن وهذا ليس هناك خلاف عند السلف في جوازه
2- **ما أجمع عليه السلف:** هذا لتقرير معنى معين في العقيدة مثل البائن (منفصل) عن خلقه فهو ليس أسم ولا صفة وهذا إخبار للرد على الحلولية والاتحادية الذين يقولون إن الله حلَّ في خلقه.
3- **ألفاظ تكلم بها السلف للرد على الخصوم:** مثل القديم والحد (هل الله محدود بحدود أم لا؟) كان للرد على الاشاعرة وغيرهم. فلو كان هناك لفظ غير هذا اللفظ يُستخدم ولا هذا اللفظ فنحن نستبدل القديم بالأول.
4- **الألفاظ المجملة التي تكلم بها المبتدعة:** مثل الجسم والمماسة والتحييز فهذه لا شك في منع استخدامها إلا في مناظرتهم للرد عليهم

- قال ابن تيمية: "وأما الإخبار عنه فهو بحسب الحاجة فإذا احتيج في تفهيم الغير المراد إلى أن يُترجم اسماؤه لغير العربية أو يعبر عنه باسم له معنى صحيح لم يكن ذلك محرماً " [1]

[1] راجع كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية

الشريط الرابع
مقدمة كتاب لمعة الاعتقاد

محتويات الشريط الرابع

1- ترجمة صاحب متن لمعة الاعتقاد (التوقيت: 3 دقيقة و3 ثانية)..... 1
2- شرح اسم الكتاب (لمعة الاعتقاد) (التوقيت: 7 دقيقة و57 ثانية)..... 1
3- مقدمة كتاب لمعة الاعتقاد (التوقيت: 11 دقيقة و17 ثانية) 1

1- ترجمة صاحب متن لمعة الاعتقاد (التوقيت: 3 دقيقة و3 ثانية)

- من دأب أهل العلم عندما يتحدثون عن كتاب أن يعطوا نبذة عن اسم ونسب وحياة مؤلف الكتاب
- هو الإمام العلَّامة موفق الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجمَّاعيلي (رحمه الله) شيخ المذهب الحنبلي الإمام البحر في علوم الشريعة. وُلِد بجمَّاعيل (تُسمَّى اليوم جماعين) بنابلس بفلسطين سنة 541 هـ وقَدِم إلى دمشق مع أهله.
- قال الضيَّاء في وصفه: " كان تام الخلقة ابيض مشرق الوجه كأن النور يخرج من وجهه واسع الجبين طويل اللحية قائم الأنف مقرون الحاجبين صغير الرأس لطيف اليدين والقدمين نحيف الجسم ممتعاً بحواسه (لم يكن عنده عيب في حواسه)"
- حفظ القرآن وهو دون سن البلوغ وحفظ مختصر الخرقي وكان ذو خطٍ مليح وقرأ على مشايخ دمشق ثم سافر من دمشق إلى بغداد هو وابن خالته الحافظ عبد الغني المقدسي الغني عن التعريف وقام ببغداد أربع سنين ثم رجع إلى دمشق.
- له شيوخ كثيرة منهم أحمد بن محمد بن قدامة والده والشيخ عبد القادر الجيلاني والأمام أبو الفرج ابن الجوزي والشيخ أبو المكارم ابن هلال والشيخ المبارك بن الطباخ.
- لما رجع من بغداد إلى دمشق جلس في جامع دمشق مدة طويلة وكان إمام بالمسجد وكان يخطب فيه وكان صاحب محراب الحنابلة في المسجد.
- قال ابن كثير (رحمه الله) عنه:" كان يتنقل بين المغرب والعشاء بالقرب من المحراب فإذا صلَّى العشاء رجع إلى منزله بدرب الجمَّاعيل وكان عندما يرجع لا يأكل العشاء حتى يأخذ معه أحد من الفقراء والمساكين".
- كان مشهور أنه دائم الابتسامة حتى إنهم قالوا إنه يقتل بابتسامته من يناظره حتى إنه ناظر ابن فضلان الشافعي (رحمه الله) وكان فحلاً من فحول الشافعية وكان شديد في المناظرة فقطعه المقدسي بابتسامته ومناظرته. فقد كان له سمت في مسألة المناظرة والكلام فقد كانت ابتسامته تدل على الثقة في الانتصار.
- كان شجاعاً في الجهاد وكان يتقدم الصفوف وكان يرمي العدو فقد كان مقداماً
- قال ابن رجب (رحمه الله) عنه:" لم يكن يخوض مع المتكلمين وكان كثير المتابعة للمنقول (أي كان حريصاً على اتباع السنة والقرآن)"
- وكان سلفي المنهج كما جاء في هذا الكتاب العظيم الذي بيَّن فيه منهج أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات

2- شرح اسم الكتاب (لمعة الاعتقاد) (التوقيت: 7 دقيقة و57 ثانية)

- الكتاب اسمه لمعة الاعتقاد واسمه الكامل هو لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد.
- اللمعة: تطلق على الشيء المخالف في اللون فلو وُجِد مثلاً ثور أسود وفيه بقعة بيضاء فهذه البقعة البيضاء تُسمَّى لمعة وكذلك الفرس الأسود الذي فيه بقعة بيضاء. وكذلك تطلق على البلغة (القليل) من العيش
- فمقصود المصنف من "لمعة الاعتقاد" مختصر الاعتقاد الذي فيه الكفاية الذي يبلغ به المرء سبيل الرشاد في الدنيا فهو يحميه من الفتن أو في الآخرة في مشاهد يوم القيامة فهو طريقه إلى الجنة.
- فهو سبيل وطريق يُبيَّن طريق الرشاد والفلاح.
- وميزة هذا الكتاب أنه مبني على الكتاب والسنة وهذا ساعد على انتشاره وزاد في بركته

3- مقدمة كتاب لمعة الاعتقاد (التوقيت: 11 دقيقة و17 ثانية)

بسم الله الرحمن الرحيم

- بدأ المصنف (رحمه الله) كتابه بالبسملة وهذا كان من دأب أهل العلم. وهذا اقتداءاً بالله (عز وجل) ثم اقتداءاً بالنبي (صلى الله عليه وسلم). فالله (عز وجل) بدأ كتابه العظيم بالبسملة وكذلك النبي (صلى الله عليه وسلم) عندما كان يرسل الرسائل إلى الملوك مثل كسرى وقيصر والنجاشي وغيرهم يدعوهم إلى الله (عز وجل) فكان يبدأ بالبسملة. وبعضهم يتعلق بحديث: "كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم؛ فهو أبتر (وفي رواية أقطع أي إنه ناقص البركة)" [1]

☜ **بسم:** الباء للإلصاق والاسم من السمو والعلو والاسم لغة هو العلامة وهو علامة على الله (عز وجل) ولا شيء أسمي واعلى

[1] أخرجه الخطيب في " الجامع" والسبكي في "طبقات الشافعية الكبرى" من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) وهو حديث ضعيف جداً؛ لأنه من رواية أحمد بن محمد بن عمران المعروف بابن الجندي. قال الخطيب في "تاريخه": (كان يضعف في روايته ويطعن عليه في مذهبه أي: في التشيع. وقال ابن عراق في "تنزيه الشريعة المرفوعة ": (شيعي اتهمه ابن الجوزي بالوضع)

من الله (ﷻ) كأن تقدير المصنَّف للكلام بسم الله أكتب أو أصنّف أو أقرأ. والأصل في الفعل أنه يُقدَّم وتأخير الفعل يفيد الحصر كأنك تقول لا أقرا إلا بسم الله

- **الله:** والاسم الأعظم لله وهو الذي تألهه القلوب محبة وتعظيماً وهو تُضاف إليه الأسماء ولا يُضاف إلى الأسماء فتقول الله الرحمن الله الرحيم الله الكريم ولا تقول الرحمن الله أو الرحيم الله
- **الرحمن:** هو من أسماء الله يتضمن صفة الرحمة وهي صفة ذاتية متعدية لأن الرحمة لا تنفك عن الله وتشمل المؤمن والكافر فالله على الرغم من كفر الكافر يعطيه النعائم من زوجات وأولاد وأموال وغيرهم لعلهم يرجعون
- **الرحيم:** هو من أسماء الله لأنه أضيف إلى الله يتضمن صفة الرحمة وهي صفة فعلية خاصة بالمؤمنين فقط لأننا نظرنا في القرآن الكريم فوجدنا كل رحيم جاءت ملتصقة بالمؤمنين كما في قوله (ﷻ):﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[الأحزاب: 43]. فهي صفة فعلية لأنها متعلقة بالمشيئة لأنه قد يتجاوز عن المؤمن فيدخله الجنة بدون سابقة عذاب ولا عقاب وقد يعذبه في الآخرة.

- الرحمن والرحيم ينطبق عليهما قاعدة: " إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا" (أي إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى وإذا افترقا في الذكر" جاء أحدهما منفرداً" اجتمعا في المعنى). فلو أتى الرحمن مع الرحيم في كلام واحد أصبح الرحمن رحمة لعامة البشر والرحيم رحمة خاصة بالمؤمنين ولو أتى أحدهما بمفرده فأتى الرحمن بمفرده مثلاً أصبح معناه الرحمة العامة للبشر والرحمة الخاصة للمؤمنين. وكذلك الإيمان والإسلام ففي حديث جبريل أتى كلاهما في الحديث فأصبح لكل واحد منهما معناه المستقل فأصبح الاسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة وكذلك في قوله (ﷻ):﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾[الحجرات: 14] ولكن لو جاء الإسلام منفصل فهو يشمل الأعمال الظاهرة والباطنة أو الإيمان منفصل فهو يشمل الأعمال الظاهرة والباطنة.

الحمد لله المحمود بكل لسان المعبود في كل زمان

- ثنّى المصنف (رحمه الله) كتابه بالحمد وهو فيه معاني كثيرة منها الثناء على الله (ﷻ) بمحاسنه وبعضهم قال ذكر أوصاف المحمود مع المحبة والتعظيم وهو تعريف مهم لأن هذا التعريف يفرَّق بين الحمد والمدح فالمدح ذكر الأوصاف دون اشتراط المحبة والتعظيم فشرعاً الحمد لا يكون إلا لله (لغة ممكن تقول حمدت فلان على كرمه مثلاً ولكن شرعاً لا) فالمحبة والتعظيم لا تكون إلا لله (ﷻ) فالمصنف يقصد الحصر في قوله (الحمد لله) لأن الحمد لا يكون إلا لله. وهناك فرق بين الحمد والثناء لأن الله سبحانه في الحديث القدسي:" قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: {الحمد لله رب العالمين} [الفاتحة: 2]، قال الله تعالى: **حمدني** عبدي، وإذا قال: {الرحمن الرحيم} [الفاتحة: 3]، قال الله تعالى: **أثنى علي** عبدي...." [1] فرق بين الحمد والثناء وبعضهم قال إن الثناء هو تثنية في ذكر أوصاف المحمود كما في السورة من ذكر صفة الله في الآية الأولى (رب العالمين) ثم ذكر صفتي الله في الآية الثانية (الرحمن الرحيم).
- وبعضهم قال إن الحمد هو المدح ولكن هناك فرق كما ذكرنا وهناك فرق آخر أن المدح لابد أن تكون مدحت الممدوح قبل الإخبار بأنك مدحته فهذا خبر مجرد (الخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب لذاته) أما الحمد فهو خبر يراد به الإنشاء (الإنشاء ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته).
- الفرق بين الحمد والشكر أن الحمد أعم من الشكر فالحمد لا يستلزم نزول النعائم وهو أن يستشعر المرء بنعمة جاءته حتى يحمد بخلاف الشكر الذي يستلزم نعمة زائدة على المرء ليشكر على هذه النعمة فالإنسان يحمد الله دوماً دون نزول النعائم فالحمد هنا أعم من الشكر. والحمد أخص من ناحية الآلة فالحمد قد يكون باللسان أو اعتقاد القلب أما الشكر فيكون بالقلب واللسان والجوارح والدليل على الشكر بالجوارح في قوله (ﷻ):﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ﴾[سبأ: 13] وقوله (ﷺ) لعائشة عندما قام يصلي من الليل: " أفلا أكون عبدا شكورا" [2]. والحمد والشكر ينطبق عليهما قاعدة: " إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا" [3]
- هناك فوائد كثيرة للمداومة على الحمد والشكر منها محبة الله كما في قوله (ﷺ): " لا أحد أغير من الله، ولذلك حرم

---

[1] أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) واللفظ لمسلم

[2] أخرجه البخاري ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه)

[3] بعض أهل العلم جعل الحمد والمدح والثناء والشكر كلهم مترادفين والحق أنهم ينطبق عليهم هذه القاعدة

الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شيء أحب إليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه" [1] وقوله (ﷺ): " إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها " [2]

- ومنه أن الله اختار لنبيه (ﷺ) اسم محمد وهو يدل على كثرة الحمد
- المدح أحياناً يذم في الشرع كما في قوله (ﷻ):﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ﴾[النجم: 32] والمدح فيه تزكية وقوله (ﷺ) لمن مدح رجل رجلاً عنده: " ويحك قطعت عنق صاحبك" مرارا ثم قال: "إن كان أحدكم مادحا أخاه، فليقل: أحسبه ولا أزكي على الله أحدا " [3] وكذلك قوله (ﷺ): " لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله، ورسوله" [4] والمقصود هنا هو المبالغة في المدح.
- وكذلك المحبة تأتي من كثرة الشكر فعندما مدح الله عبده نوح (عليه السلام) قال (ﷻ):﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[الإسراء: 3] والله وكذلك زيادة النعائم كما في قوله (ﷻ):﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[إبراهيم: 7] ومن مفهوم المخالفة (المفهوم عند عدم تحقق الشرط إي في حالة عدم الشكر) أن النعم تنقص مع عدم الشكر.
- والله يحمد بكل لسان سواء كان عربي أم غير عربي والآدمي وغير الآدمي كما في قوله (ﷻ):﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[الإسراء: 44] وقول ابن عباس (رضي الله عنهما) للتابعين: "ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل" [5].
- فالله يعبد في كل مكان فهو يعبد في السماوات وفي الأرض كما في قوله (ﷺ): " أطت السماء وحق لها أن تئط فما فيها موضع أربعة أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدا" [6] وفي الأرض كذلك وفي كل زمان يوجد من يعبد الله

الذي لا يخلو من علمه مكان ولا يشغله شأن عن شأن جَلَّ عن الأشباه والأنداد وتنزه عن الصاحبة والأولاد

- **الذي لا يخلو من علمه مكان:** المقصود بها أن الله علمه محيط بكل شيء. وعلم الله (ﷻ) ينقسم إلى ثلاثة أقسام: علم ما كان وعلم ما سيكون وعلم ما لم يكن لو كان كيف سيكون والمقصود بعلم ما كان أي علم القرون السابقة التي لم نحضرها من خلق آدم ونزوله إلى الأرض والأنبياء السابقين وغير ذلك. وعلم ما سيكون أي علم ما سيحدث مستقبلاً من علامات الساعة واليوم الآخر والقبر وفتنته والبعث والنشور والحوض والميزان والشفاعة والصراط ودخول الجنة والنار وذبح الموت وقد قال(ﷻ):﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾[الأنعام: 59]. وعلم ما لم يكن لو كان كيف سيكون وهو علم الأشياء التي لم تقع لو وقعت ما الذي كان سيحدث وهذا قسمين: علم الممكن وعلم المستحيل. وعلم الممكن يظهر في قوله (ﷻ):﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾[الأنعام: 28] والمقصود هو شيء لم يكن وهو عودة الكفَّار إلى الدنيا ولو حدث الذي سيكون هو عودتهم إلى الكفر الذي كانوا عليه. وعلم المستحيل يظهر في قوله (ﷻ):﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[الأنبياء: 22] وهذا يسمى عند علماء التوحيد دليل التمانع فلو افترضنا فرضاً جدلياً بوجود إلهين وأحدهما أراد الظلمة مثلاً والآخر أراد النهار فمن الذي سيمضي أرادته؟ فلو مضى أمر أحدهما لصار الآخر ضعيفاً لا يستحق أن يكون إله ومثل ذلك قوله (ﷻ):﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾[المؤمنون: 91].
- **ولا يشغله شأن عن شأن:** أي لا يلهيه أمر عن أمر فهو محيط بكل شيء وهذا من كمال القدرة فهو يعلم ما يكون في كل مكان في الكون في وقت واحد. فالإنسان في الدنيا لو أراد فعل شيء وأراد أحد أن يكلمه يقول أنا مشغول الآن وهذا من ضعفه.
- **جل عن الأشباه والأنداد:** أما عدم وجود الشبيه فكما في قوله (ﷻ):﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾[مريم: 65] وأما عدم وجود الند فكما في قوله (ﷻ):﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا ﴾[البقرة: 22] وقول ابن مسعود: قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال (ﷺ): "أن تجعل لله ندا وهو خلقك" [7] فالله عندما تجعل له ند في الألوهية أو الربوبية أو الأسماء والصفات فهذا من

---

1 أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود (رضي الله عنه) واللفظ للبخاري
2 أخرجه مسلم من حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه)
3 أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي بكرة (رضي الله عنه)
4 أخرجه البخاري ومسلم من حديث عمر (رضي الله عنه) واللفظ للبخاري
5 أخرجه البخاري من حديث ابن مسعود (رضي الله عنه) وليس ابن عباس (رضي الله عنهما)
6 أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة والحاكم من حديث أبي ذر (رضي الله عنه) والحديث في سنده كلام
7 أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود (رضي الله عنه)

أعظم الذنوب

- تنزه عن الصحابة والأولاد: كما في قوله (ﷻ):﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾[الإخلاص: 3] وقوله (ﷻ):﴿ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾[مريم: 92]

ونفذ حكمه في جميع العباد لا تمثله العقول بالتفكير ولا تتوهمه القلوب بالتصوير

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]

- **نفذ حكمه في جميع العباد:** فيه دلالة على عبادة القهر لله (ﷻ) لأن الله (ﷻ) القاهر فوق عباده وحكمه نافذ فلا أحد ولا حتى كثرة تستطيع أن ترد حكم الله (ﷻ) وهذه من عظمته وقدرته (ﷻ).
- **لا تمثله العقول بالتفكير ولا تتوهمه القلوب بالتصوير:** فالإنسان لا يستطيع أن يتخيل أو يتفكر في ذات الله (ﷻ) فنحن لا نعلم كيفية الله (ﷻ) كما في قوله (ﷻ):﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: 11] وكذلك في قوله (ﷺ): " تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذات الله" [1]

له الأسماء الحسنى والصفات العلى

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ﴾ [طه]

أحاط بكل شيء علماً وقهر كل مخلوق عزة وحكماً

ووسع كل شيء رحمة وعلماً

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠]

موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلى لسان نبيه الكريم

- **موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم وعلى لسان نبيه الكريم:** وهذه هي القاعدة التي تكلمنا عنها وهي إثبات الصفات التي أثبتها الله (ﷻ) لنفسه في كتابه وفي سنة نبيه (ﷺ) وننفي من الصفات التي نفاها الله (ﷻ) عن نفسه في كتابه أو سنة نبيه (ﷺ)
- كل الآيات التي تكلم عنها فيها أثبات لصفات الله (ﷻ) الحسنى ففيها صفة الرحمة المتضمنة في اسمه الرحمن وصفة الاستواء وهي صفة فعلية وفيها عموم ملك الله (ﷻ) وعموم علمه (ﷻ)

وكل ما جاء في القران أو صح عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن، وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل

- **وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن وجب الإيمان به وتلقيه بالتسليم والقبول:** هنا بيَّن المصنف (رحمه الله) أن الواجب على المسلم في باب الأسماء والصفات هو الاستسلام والإذعان والقبول التام في الصفات الواردة في الكتاب والسنة الصحيحة وهذا الانقياد مدح الله (ﷻ) بسببه نبيه إبراهيم (عليه السلام) في قوله (ﷻ):﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[البقرة: 131].

[1] أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) وهو أثر عنه وكل الآثار الواردة بألفاظ أخرى ومنها المرفوع ضعيفة لكنها ترتقي للحسن لغيره بمجموعها

- **وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل:** وهذه هي القاعدة التي تكلمنا عنها في الاسماء والصفات وهي أثبات الصفات بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه فالرد هو التعطيل والتأويل المقصود به هو التحريف وقد شرحنا أقسام التأويل الثلاثة من قبل. فالتحريف لا يكون تأويلاً كما ذكرنا فهو ليس له أصل من اللغة أو فيه إنقاص من حق الخالق (ﷻ) حتى لو كان له أصل من اللغة.وذكرنا الرد وهو قريب من التحريف وكذلك ذكرنا الفرق بين التشبيه والتمثيل.

وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظاً، وترك التعرض لمعناه، ونرد علمه على قائله، ونجعل عهدته على ناقله، اتباعاً لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين، بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[1] [آل عمران: ٧].

مشكلة التشبيه والتمثيل أنهما فيهما تنقيص في حق الخالق من باب تشبيه الخالق بمخلوقه الذي هو أدنى منه وهذا من باب الكفر لأن الله قال (ﷻ):﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: 11] فلو شبهت الخالق بالمخلوق فقد كذبت الله (ﷻ) ففي الآية ليس كمثله شيء (ﷻ)

- **وما أشكل من ذلك وجب إثباته لفظاً وترك التعرض لمعناه ونرد علمه على قائله:** بعضهم ظن أن المؤلف يقصد التفويض عند المبتدعة وهنا لابد أن نفرق بين تفويض أهل السنة وتفويض أهل البدع. فتفويض أهل البدع يفوضون فيه المعنى والكيفية أما أهل السنة يفوضون الكيفية فقط. فمثلاً اليد أهل السنة يقولون نحن نعلم ما هي اليد معناً وهي التي يبطش بها ولكننا لا نعلم لها كيفية. ومقصود المصنف (رحمه الله) هو الحروف المقطعة الموجودة في أوائل السور وليس أسماء الله وصفاته. ونحن صرفنا كلامه لهذا المعنى لأن الكتاب يوضح أن عقيدته هي عقيدة أهل السنة والجماعة وليس عقيدة المبتدعة
- وهنا ما ذكره المصنف (رحمه الله) هو التأويل المذموم الذي تحدثنا عنه

وقال في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تنزيله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم، ثم حجبهم عما أملوه، وقطع أطماعهم عما قصدوه بقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧].

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه في قول النبي ﷺ: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا» و«إن الله يُرى في القيامة» وما أشبه هذه الأحاديث نؤمن بها ونصدق بها لا كيف ولا معنى ولا نرد شيئاً منها ونعلم أن ما جاء به الرسول حق ولا نرد على رسول رسول الله ﷺ ولا نصف الله بأكثر مما وصفه به نفسه بلا حَدٍّ ولا غاية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ونقول كما قال ونصفه بما وصف به نفسه لا نتعدى ذلك ولا يبلغه وصف الواصفين نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شُنِّعت ولا نتعدى القرآن والحديث ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ وتثبيت القرآن

- **لا كيف:** وهنا بدأ المصنف (رحمه الله) ذكر أقوال السلف في الصفات وبدأ بقول الإمام أحمد بأن نؤمن ونصدق بما جاء عن الله (ﷻ) وجاء عن رسول الله (ﷺ) في الأسماء والصفات من غير زيادة ولا نقصان فنحن نثبت أن للصفة كيفية ولكننا لا نعلمها لأن الله (ﷻ) في حقنا غيب وأي شيء في عالم الغيب حتى تعلمه لك فيه ثلاثة أمور:
  1- يصلك وصف لهذا الغيب عن طريق الله (ﷻ) أو رسول الله (ﷺ).
  2- أن أحد يرى هذا الغيب فيصفه لك ولم يرى أحد الله (ﷻ) في الدنيا يقظة ولكن يُرى مناماً كما سيأتي.
  3- أن يكون له مثيل والله (ﷻ) ليس له مثيل.
- وهذه الثلاثة منفية في حق الله (ﷻ) ولهذا لا نستطيع أن نصف أي صفة من صفات الله (ﷻ)
- **ولا معنى:** أي لا نثبت معنى مخالف للظاهر لأن هذا من باب التحريف. فلا نقول الاستواء بمعنى الاستيلاء ولا اليد بمعنى النعمة

- **مُحكمه ومتشابهه:** المحكم ما أتضح معناه والمتشابه ما لم يتضح معناه فإن لم يتضح معناه وجب الإيمان به لفظاً مع تفويض معناه

قال الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه
آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله
وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم كلُّهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله

- **على مراد الله -على مراد رسول الله:** وهذا منهج أهل السنة والجماعة بالإيمان بالله (ﷻ) وما جاء عن الله (ﷻ) على مراد الله وكذلك في السنة فالصحابة (رضي الله عنهم) كان لا يسألونه (صلى الله عليه وسلم) ما اليد أو ما الاستواء بل كانوا يأخذون اللفظة على ظاهرها
- سؤال: ما الفرق بين الممكن والمستحيل في علم الله الذي ذكرناه وهو علم ما لم يكن لو كان كيف سيكون لأن كلاهما لن يحدث فكلاهما مستحيل في الحقيقية؟
- والرد أن الفرق بينهما يرجع لقدرة الله (ﷻ) وإرادته فالممكن قادر الله (ﷻ) على فعله والمستحيل لا يمكن فعله. فمثلاً قادر على إحياء البشر مرة أخرى ولكن هذا لن يحدث لأن الله (ﷻ) كتب أن البشر إذا ماتوا لن يعودوا إلى الدنيا مرة أخرى. أما في حالة وجود إلهين فهذا مستحيل فهو إله واحد (ﷻ)

الشريط الخامس

الترغيب في السنة والتحذير من البدعة وصفة الوجه

محتويات الشريط الخامس

1- مقدمة (التوقيت: 1 دقيقة و30 ثانية) 1
2- تعريف البدعة (التوقيت: 21 دقيقة و42 ثانية) 3
3- خطورة البدعة (التوقيت: 28 دقيقة و40 ثانية) 4
4- أنواع البدع (التوقيت: 31 دقيقة و7 ثانية) 4
5- قصة محمد بن عبد الرحمن الأذرمي (التوقيت: 36 دقيقة) 5
6- صفة وجه الله (ﷻ) (التوقيت: 38 دقيقة و20 ثانية) 5

1- مقدمة (التوقيت: 1 دقيقة و30 ثانية)

وقد أُمرنا باقتفاء آثارهم، والاهتداء بمنارهم وحُذرنا المحدثات وأخبرنا أنها الضلالات فقال النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم) وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كلاماً معناه قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا ولهم على كشفها كانوا أقوى وبالفضل لو كان فيها أحرى فلئن قلتم: حَدَثَ بعدهم؛ فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغب عن سنتهم ولقد وصفوا منه ما يشفي وتكلموا منه بما يكفي فما فوقهم محسِّر لقد قَصَّر عنهم قوم فجفوا وتجاوزهم آخرون فغلوا وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي رضي الله عنه: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي لرجل تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: هل علمها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أو لم يعلموها؟ فقال: لم يعلموها قال: فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلمته أنت؟ قال الرجل: فإني أقول: قد علموها قال: أفوسعهم أن لا يتكلموا به ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسعهم؟ قال: بل وسعهم. قال: فشيء وسع رسول الله ﷺ وخلفاءه لا يسعك أنت؟ فانقطع الرجل. فقال الخليفة - وكان حاضراً -: لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والأئمة من بعدهم والراسخين في العلم، من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها، وإمرارها كما جاءت فلا وسع الله عليه

- من دقة تأليف المصنف (رَحِمَهُ اللَّهُ) أنه قبل أن يدخل في شرح الأسماء والصفات أراد أن يؤسس للدارس أن الأصل الذي سيسير عليه هو ملازمة السنة وسننتهي عن بدع أهل البدع كما سيبين. فأراد أولاً أن يبين عِظم متابعة السنة وعِظم مخالفة السنة واتباع بدعة.
- فالأمر باتباع السنة والانتهاء عن البدع قد جاء من النبي (ﷺ) في الحديث الذي ذكره المصنف (رَحِمَهُ اللَّهُ) وهو حديث: " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عَضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة" [1] وكلمة "عليكم" هي أسم فعل أمر في اللغة وهو أصولياً تفيد الوجوب وكأنه (ﷺ) يقول وجب عليكم اتباع سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي.
- بل قد جاء في القرآن أن مخالفة سنة النبي (ﷺ) مهلكة عظيمة بل قد نُفِي الإيمان عمن يخالف سنة النبي (ﷺ) فقد قال (تَعَالَى):﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[النساء: 65]. فعلق الله (عَزَّ وَجَلَّ) على الالتزام بحكم النبي (ﷺ) وسنته في حياته أو بعد موته فنفي الإيمان هو نفي صحة الإيمان وذلك لأن النفي أما للوجود أو الصحة أو الكمال فالأصل أن النفي يؤخذ على نفي الوجود ثم الصحة ثم الكمال على الترتيب ولا ننتقل بينهم إلا بوجود قرينة. فالإيمان موجود لأنه يقول أنا مؤمن ولكن لا أُحكِّم الرسول (ﷺ) فننتقل إلى نفي الصحة. فمن لم يلتزم سنة النبي (ﷺ) أو رد السنة وهو يعلمها يُخشى عليه أنه يخرج من الإيمان. فلابد من التزام السنة بمراتبها الثلاثة المذكورة في الآية وهي: تحكيم النبي (ﷺ) وعدم وجود حرج من الحكم في الصدر والتسليم التام لحكمه (ﷺ) في حياته وبعد مماته باتباع سنته. فمن نواقض الإيمان كما قال العلماء رد السنة بعد استيفاء الشروط وزوال الموانع. فلابد من التحاكم للكتاب والسنة كما في الآية فحتى الشيخ عندما يحكم لابد أن يرجع للكتاب والسنة. ولابد للمرء في حياته أن يرجع في أمور حياته للكتاب والسنة كما في قوله (تَعَالَى):﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[الأحزاب: 36] فلابد للمؤمن أن يمتثل لأمر الله (تَعَالَى) وسنة النبي (ﷺ)
- السنة لغة: هي الطريقة. أما اصطلاحاً: هي ما كان عليه (ﷺ) وأصحابه (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) في زمنه من اعتقاد أو عمل. واضفنا الصحابة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) لأنهم ذُكروا في الحديث السابق في ذكره (ﷺ) للخلفاء الراشدين المهديين وكذلك لأن سكوته (ﷺ) على أفعالهم في عهده يُعَّد إقراراً منه (ﷺ). فأبو بكر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قد قضى بالسدس للجدة في الميراث لأن أحد الصحابة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) قد أخبره أنه (ﷺ) قد قضى بالسدس لها فهذه سنة لأبو بكر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) لكنها بناءاً على خبر منه (ﷺ).
- الخلفاء الراشدين المهديين الأربعة فقط أبو بكر وعمر وعثمان وعلى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) لأنه (ﷺ) قال في الحديث: " الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك " [2] وعند الحساب من بعده تجد أن الحسن (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) يدخل في آخر ستة أشهر في الثلاثين سنة ولكن الحسن (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) لم يجد وقتاً ليحكم ولهذا جعل العلماء الخلفاء الراشدين المهديين الأربعة فقط أبو بكر وعمر وعثمان وعلى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ)
- وقد بيَّن (ﷺ) في الحديث: " افترقت بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قيل: فمن هم يا رسول الله؟ قال: من كان على ما أنا عليه وأصحابي" [3]
- واتباع السنة ركن من أركان الدين. فالتوحيد أما توحيد عبادة أو توحيد اتباع. فتوحيد العبادة هو الإخلاص وهو إخلاص العبادة لله (تَعَالَى) كما في قوله (تَعَالَى):﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[البينة: 5] وهذا هو الركن الأول. أما الركن الثاني فهو الاتباع أي اتباع سنة النبي (ﷺ) كما في قوله (تَعَالَى):﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[الحشر: 8] وقوله (تَعَالَى):﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ

---

1 أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن أبي عاصم في السنة والحاكم وابن حبان عن العرباض بن سارية (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وقال الترمذي: حديث حسن صحيح وصححه الألباني.

2 أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي عن سفينة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وحسنه الترمذي

3 أخرجه الترمذي وقال: هذا حديث حسن مفسر غريب وانظر: جامع الأصول (المتن والحاشية) والبغوي في شرح السنة والحاكم في المستدرك عن عبد الله بن عمرو (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ). ولأصل الحديث شواهد كثيرة منها حديث معاوية بن أبي سفيان (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أخرجه أبو داود وحديث أبي هريرة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أخرجه أبو داود والترمذي وحديث أبي سعيد الخدري (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أخرجه البخاري ومسلم.

﴿حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء: 65] وقوله (ﷻ):﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[النساء: 80] فبين الله (ﷻ) أن طاعته (ﷺ) هي طاعة لله (ﷻ).وكل ما سبق من الآيات والأحاديث تدل على وجوب اتباع السنة.

- ومن الآثار المروية أن رجلاً ذهب ليستفتي النبي (ﷺ) في أمر فأفتى له ثم ذهب لعمر (رضي الله عنه) ليُفتيه فأفتاه عمر(رضي الله عنه) فقال الرجل: ولكن النبي (ﷺ) قال غير ذلك. فقال عمر(رضي الله عنه): أذهبت تستفتي النبي (ﷺ) ثم جاءتني؟ فنزل عليه عمر(رضي الله عنه) يضربه وفي بعض الروايات أراد أن يضرب عنقه عندما لم يرتضي حكم النبي (ﷺ) ثم أتى إليه ليحكم له بعد سماعه حكم النبي (ﷺ) [1].
- وقال الحسن البصري (رحمه الله) وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية فقال:﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[آل عمران: 31] [2]. فاتباع النبي (ﷺ) من علامات محبة الله (ﷻ)
- وكان السلف وأصحاب المذاهب أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد (رحمهم الله) فقد قال مالك (رحمه الله): " كلٌّ يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر" وأشار إلى قبره (ﷺ) [3]
- وقد قال (ﷺ) في الحديث: "كل أمتي يدخلون الجنة إلاّ من أبى قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى" [4]. فعلامة دخول الجنة متابعة النبي (ﷺ).
- والحديث الذي ذكره المؤلف في البداية هو من نبوءاته أنه سيكون من بعده خلاف كثير فأرشدنا إلى طريق النجاة وهو التمسك بالسنة. فما زاغت الأمة وتعرضت للفتن وغير ذلك وتخبطنا في كثير من القضايا إلا لتركنا لسنة النبي (ﷺ) وتركنا للعلماء ورثة الأنبياء الذين ورثوا العلم والفهم الصحيح عن النبي (ﷺ) ولهذا تقع الأمة في المهالك التي وقعت فيها.
- النبي (ﷺ) بيَّن في الحديث أنه لا يُكتفى فقط بكتاب الله (ﷻ) فتكون مثل القرآنيين الذين يتعلقون بالكتاب ويتركون سنة النبي (ﷺ)

2- تعريف البدعة (التوقيت: 21 دقيقة و42 ثانية)

- البدعة لغة الشيء المستحدث أو الشيء المخترع لقول الله (ﷻ):﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[البقرة: 117] أي خلقه على هيئة جديدة. أما المصنف (رحمه الله) ذكر تعريفاً للبدعة وهو ما أُحدث في الدين على خلاف ما كان عليه النبي (ﷺ) وأصحابه (رضي الله عنهم) عقيدة وعملاً.
- وهناك تعريف آخر أُشتهر عند أهل العلم وهو تعريف الشاطبي الذي ذكره في كتاب الموافقات: " طريقة في الدين مخترعة يُضاهى بها الشرعية يقصد من المثول عليها الاجتهاد في عبادة الله (عز وجل)". وهذا التعريف يؤخذ منه أن ما كان مخترعاً ولكن ليس في الدين فهو ليس بدعة فتجد أن بعضهم يسخر من الملتزمين ويقول إن النبي (ﷺ) لم يأكل كذا أو لم يلبس كذا أو يركب كذا فهذه بدعة. وهذا جهل لأن البدعة ليست في الأمور الدنيوية بل هي في الدين لقوله الله (ﷻ):﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: 3] وهذه الآية نزلت في عرفة. فالدين قد أكتمل وتم كما أتى في الآية. فمن يأتي بطريقة أخرى في الدين فهذه هي البدعة. وتجد غالباً أن من يأتي ببدعة يُضاهي بها سنة مثل اختراع ذكر من الأذكار مثل الألفية وهي التسبيح على ألف حصا ويخترعون ذكر عليها. فهناك ذكر ثابت وورد في السنة ولكنه يأتي ببدعة تضاهي الشرعية. فكل بدعة تنتشر تموت معها سنة. وهي عادة ما تكون في العبادات.
- وصاحب البدعة يدَّعي الاجتهاد فلو سألته فهو لا يظن أنه على بدعة بل هو حامي حمى السنة. روى الدارمي بسنده إلى عمر بن يحيي قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قبل صلاة الغداة فإذا

---

1 لم أقف على تخريج هذا الأثر.
2 راجع تفسير ابن كثير في هذه الآية.
3 راجع السخاوي في المقاصد الحسنة وقد قال حديث: كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر (ﷺ) هو من قول مالك (رحمه الله) بل في الطبراني من حديث ابن عباس (رضي الله عنه) رفعه: ما من أحد إلا يؤخذ من قوله ويدع، وأورده الغزالي في الإحياء بلفظ: ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله (ﷺ) ومعناه صحيح.
4 أخرجه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه)

خرج مشينا معه إلى المسجد فجاءنا أبو موسى الأشعري(ﷺ) فقال: " أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟" قلنا: "لا" فجلس معنا حتى خرج فلما خرج قمنا إليه جميعا. فقال له أبو موسى: " يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفا أمرا أنكرته ولم أر والحمد لله إلا خيراً" قال: "فما هو؟" فقال: " إن عشت فستراه" قال: " رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى فيقول: كبروا مائة فيكبرون مائة فيقول: هللوا مائة فيهللون مائة ويقول سبحوا مائة فيسبحون مائة". قال: " فماذا قلت لهم؟" قال: " ما قلت لهم شيئا. انتظار رأيك أو انتظار أمرك" قال: " أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم ألا يضيع من حسناتهم". ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فقال: "ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: " يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح" قال: " فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن ألا يضيع من حسناتكم شيء ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم هؤلاء صحابة نبيكم (ﷺ) متوافرون وهذه ثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة؟" قالوا: "والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير" قال: " **وكم من مريد للخير لن يصيبه**". إن رسول الله (ﷺ) حدثنا: "أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم [1] وايم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم" ثم تولى عنهم. قال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج [2].

- قال سفيان الثوري (رحمه الله): " البدعة أحب إلى إبليس من المعصية فإن المعصية يُتاب منها والبدعة لا يُتاب منها" [3] فصاحب البدعة يُدافع عن بدعته ويدعو إليها ويُنافح عنها.

3- خطورة البدعة (التوقيت: 28 دقيقة و40 ثانية)

- ومآل صاحب البدعة شديد قد بيَّنه النبي (ﷺ): " إن الله حجب (وفي لفظ احتجب وفي لفظ احتجر) التوبة عن كل صاحب بدعة" [4]. فالله (عز وجل) لا يُوفقه إلى التوبة عكس العاصي فقد يُوفقه الله (عز وجل) للتوبة فالجزاء من جنس العمل فكما أراد أن يُنافح عن الباطل ويصد عن سبيل الله (عز وجل) ويميت السنة فيحجب الله (عز وجل) عنه التوبة. وكذلك حديث النبي (ﷺ): " لعن الله من أوى مُحدِثا" [5]. فالإيواء يكون بتمكينه من إلقاء المحاضرات والدروس أو مساعدته بتوزيع الكتب التي فيها هذه البدع أو يدعو لبدعته بأي طريقة من الطرق أو يحميه ويناصره فتجد أن هناك كثير من الجهلة المقلدين الآن يقومون بتوزيع كلامه ونشره على الأنترنت مثلاً.

4- أنواع البدع (التوقيت: 31 دقيقة و7 ثانية)

- وهي إما بدعة أصلية أو فرعية. فالأصلية التي تكون في أصل الدين كبدعة الجهمية. فالجهمية ينفون الأسماء والصفات. والبدعة الأصلية تكون بدعة مُكفِّرة. وهناك بدع فرعية لا تكون في أصل الدين وهي تكون مُفسِّقة. وهي تنقسم إلى زمانية ومكانية وهيئات.
- زمانية مثل الاحتفال بالمولد النبوي فالنبي (ﷺ) لم يكن يحتفل بمولده ولا الصحابة (رضي الله عنهم) ولا التابعين (رحمهم الله) ولا تابعي التابعين (رحمهم الله). وكذلك الاحتفال بليلة النصف من شعبان وليلة الإسراء والمعراج.
- المكانية مثل أن يتمسح المرء في قبر النبي فالأصل أن الرحال لا تُشد إلا للمساجد فالأصل أن النية تكون لزيارة المسجد النبوي ولكنه يسلِّم على النبي (ﷺ) لأن هذا ورد. فهو يتمسح في القبر لأنه يظن أنه به بركة أو غير ذلك. وكذلك التمسُّح في مقام إبراهيم عند الكعبة
- وهذا كله يرجع لحديث النبي (ﷺ): " من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" [6]. فكل ما كان مُحدث في هذا الدين وليس من سنة النبي (ﷺ) يُرد على صاحبه ويعود عليه بالبطلان.

---

1 أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. والحديث له أصل في البخاري ومسلم. التراقي: جمع ترقوة: وهي عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق وهما ترقوتان.

2 أخرجه الدارامي عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة

3 راجع مسند ابن الجعد ومجموع الفتاوى لابن تيمية

4 أخرجه الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان وأبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان عن أنس (رضي الله عنه) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة واختلف في صحته مع بعض أهل العلم

5 أخرجه مسلم عن علي (رضي الله عنه).

6 أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها) والرواية لمسلم.

- من بدع الهيئات المنتشرة في بعض المذاهب رفع الصوت بالنية في الصلاة فتجد أحدهم يقول نويت أصلى الظهر أربع ركعات حاضراً اليوم الاثنين في مذهب كذا خلف الإمام كذا

5- قصة محمد بن عبد الرحمن الأذرمي (التوقيت: 36 دقيقة)

- وقد ذكر المصنف قول ابن مسعود (رضي الله عنه) وقول عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) ولكننا سنقف مع القصة [1] التي رواها عن محمد بن عبد الرحمن الأذرمي (رحمه الله) عندما جادل صاحب البدعة فقال له: " هل علمها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أو لم يعلموها؟" فلو قال نعم فقد جهَّل النبي (صلى الله عليه وسلم) فيكفر لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) هو الذي أتى بالوحي فكيف سيعلم من الشريعة ما لم يعلمه النبي (صلى الله عليه وسلم) فرجع عن قوله " لم يعلموها" فقال " فإني أقول: قد علموها" فقال له الأذرمي (رحمه الله): " أفوسعهم ألا يتكلموا به ولا يدعوا الناس إليه أم لم يسعهم؟" والمقصود أنه كان بوسعه (صلى الله عليه وسلم) أن يخبرنا به فهو إما أخبرنا بهذه البدعة فنقول له أين الدليل على ذلك وإما لم يخبرنا فقد كتمه (صلى الله عليه وسلم) وبهذا يكفر ولهذا قال المبتدع: " بلى وسعهم" فقال له الأذرمي (رحمه الله): " فشيء وسع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وخلفاؤه لا يسعك أنت؟!!" فبما أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يخبر به فأنت أيضاً لا تخبر به. فانقطع الرجل. فقال الخليفة -وكان حاضراً-: لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم.
- هدف المصنف من ذكر كل ما سبق قبل الدخول في التكلم عن صفة من صفات الله (عز وجل) للدلالة على أن الأمر كله دائر على اتباع السنة وترك البدعة. فإن ترك البدعة مطلوب في الدين كله فمن باب أولى في أسماء الله وصفاته

6- صفة وجه الله (عز وجل) (التوقيت: 38 دقيقة و20 ثانية)

- بدأ المصنف التكلَّم عن الصفات الواردة في الكتاب ثم الصفات الواردة من السنة وبدأ بصفة الوجه.

فمما جاء من آيات الصفات قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾[الرحمن: ٢٧]

---

[1] القصة أخرجها الخطيب في تاريخ بغداد ومن طريقه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ومن طريقه ابن قدامة في التوابين وأخرجها الذهبي في سير أعلام النبلاء والآجرى في الشريعة وأوردها ابن كثير في البداية والنهاية. وقد رويت القصة من طريقين أحدهما مطول والآخر مختصر وقال الحافظ الذهبي بعد ذكر الطريقة المختصرة للقصة: "هذه قصة مليحة وإن كان في طريقها من يجهل ولها شاهد" ثم ذكر لها الطريق المطول. ويظهر من كلام الشيخ العثيمين (رحمه الله) أن في هذه القصة مبهمات أربعة الأدرمي، والمناظر له، والخليفة الذي حضر المناظرة، والبدعة التي جرت المناظرة بسببها ومن خلال التعرف على شخصية المُنَاظِر تتبين لنا بقية المبهمات الأول: الأدرمي: والذي نستطيع تأكيده أنه مُصَحَّف من الأذرمي واسمه أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن إسحاق الآذرمي روى عن وكيع وابن عيينه وابن مهدي وغيرهم، وروى عنه أبو داود والنسائي ووثقه أبو حاتم والنسائي، ترجمته في التهذيب والأنساب للسمعاني وهو صاحب القصة المذكورة كما جاء في المصادر التي وردت بها القصة وكما رجح غير واحد من أهل العلم فروى الخطيب في تاريخه وابن الجوزي في المناقب أن الحافظ أبا بكر أحمد بن عبد الرحمن الشيرازي حدَّث بهذه المناظرة ثم قال: "الشيخ هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن إسحاق الأذرمي" وقال الخطيب في تاريخه: وكان هارون الواثق بالله أشخص شيخا من أهل أذنه للمحنة وناظر ابن أبي دُوَاد بحضرته واستعلى عليه الشيخ بحجته فأطلقه الواثق ورده إلى وطنه، ويقال: إنه كان أبا عبد الرحمن الأذرمي" وقال الحافظ في التهذيب بعد أن ذكر كلام الخطيب: قلت القصة مشهورة حكاها المسعودي وغيره، ورواها السياري في الألقاب بإسناد له قال فيه: إن الشيخ المناظر هو الأذرمي هذا وقال السمعاني في الأنساب في مادة: الأذرمي: بعد الألف وفتح الذال المعجمة وسكون الراء، وفي آخرها الميم، هذه النسبة إلى آذرم، وظني أنها من قرى أذنة بلدة من الثغر منها أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن إسحاق الآذرمي.... ثم ترجم له وذكر مثل كلام الخطيب.
الثاني: المناظر له وهو أحمد بن أبي دُوَاد: القاضي الكبير أبو عبد الله أحمد بن فرج بن حريز الإيادي البصري البغدادي الجهمي عدو أحمد بن حنبل. كان داعية إلى خلق القرآن كانت له منزلة ومشورة عند الخليفة المأمون والمعتصم والواثق وكان إلَبًا على الإمام أحمد يوم المحنة يقول يا أمير المؤمنين اقتله هو ضال مضل، راجع ترجمته في: وفيات الأعيان وسير أعلام النبلاء والبداية والنهاية وشذرات الذهب.
الثالث: الخليفة الذي حضر المناظرة هو الواثق بالله هارون بن محمد "المعتصم بالله" ابن هارون الرشيد العباسي أبو جعفر من خلفاء الدولة العباسية بالعراق ولد ببغداد وولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة 227هـ فامتحن الناس في خلق القرآن وسجن جماعة، والظاهر أن تاب عن ذلك في آخر عمره كما جاء في سياق روايات القصة التي نحن بصدد الكلام عليها ففي آخرها قال المهتدي بالله ابن الخليفة الواثق بالله: "فرجعت عن هذه المقالة، وأظن أن الواثق رجع عنها منذ ذلك الوقت".
وقد عنون الحافظ ابن قدامة في التوابين لهذه القصة بقوله: توبة الواثق بالله وابنه المهتدي بالله. وقال الحافظ ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد: وقد روي أن الواثق ترك امتحان الناس بسبب مناظرة جرت بين يديه رأى بها أن الأولى ترك الامتحان، ثم ساق القصة بطولها.
الرابع: البدعة التي جرت المناظرة بسببها: هي بدعة القول بخلق القرآن تلك الفتنة الكبرى التي امتحن بسببها أئمة أعلام على رأسهم الإمام الرباني والصديق الثاني أحمد بن حنبل رحمه الله. وراجع مقدمة الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في تعليقه على لمعة الاعتقاد حيث نبه على هذا التصويب أيضًا بإشارة لطيفة

- وصفة الوجه من الصفات الذاتية الخبرية التي مسماها عندنا أجزاء وأبعاض. ولقد أثبتها المصنف (رحمه الله) من الآية التي ذكرها:﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾[الرحمن: 27] والشاهد من الآية (أي الذي جعلك تقول بالصفة) كلمة وجه ووجه الاستدلال من الآية أن الوجه أُضيف إلى الله (عز وجل) والإضافة على قسمين كما ذكرنا من قبل: إضافة صفة لموصوف وإضافة تشريف وضابط إضافة التشريف أن تكون الإضافة لأعيان كناقة الله وعيسى روح الله وبيت الله فكل هذه الإضافات أعيان مستقلة بذاتها ولهذا الإضافة في الآية إضافة صفة لموصوف فنحن لم نرى الوجه كشيء ملموس يسير على قدميه ولهذا يتصف الله (عز وجل) بصفة الوجه.
- وهناك أدله أخرى على صفة الوجه مثل قوله (سبحانه وتعالى):﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[القصص: 88] ووجه الاستدلال أن الوجه أضيف إلى الضمير (الهاء) وكذلك قوله (صلى الله عليه وسلم): "وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك" [1] ووجه الاستدلال أن الوجه أضيف إلى الضمير (الكاف) وهذا أفضل نعم الله على خلقه يوم القيامة كما سنبين. فلا يُسأل بوجه الله سوى الجنة كما في الحديث فالوجه صفة عظيمة لله (عز وجل). وقد أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات صفة الوجه لله (عز وجل)
- ويكون إثبات الصفة بأن تعتقد بأن لله (عز وجل) وجه ولكن وجهه ليس كباقي المخلوقين كما في قوله(سبحانه وتعالى):﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: 11]
- بعد أن عرفنا كيف نؤمن بها لابد أن نتعلم كيف نتعبد بها فالمسألة ليست مجرد فرق وطوائف فعند تدبر هذه الأسماء والصفات التي ندرسها فعندما يقوم من الليل يريد أن يتعبد فيتعبد بهذه الصفة ويستشعر أن أفضل نعمة من نعم يوم القيامة هي رؤية وجهه (عز وجل) كما جاء في قوله (سبحانه وتعالى):﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾[يونس: 26] فقد قال ابن عباس في تفسير هذه الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله (عز وجل) [2]. فالله لا يُرى في الدنيا يقظة ولكنه (سبحانه وتعالى) يُرى مناماً كما سيأتي فالبصر لا يتحمل في الدنيا لقوله (صلى الله عليه وسلم): "حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه" [3] وقد جاء في قوله (سبحانه وتعالى) على لسان سيدنا موسى (عليه السلام):﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي ﴾[الأعراف: 143] فلابد للمرء أن يصون بصره في الدنيا مما يغضب الله (عز وجل) حتى يستطيع أن يرى الله (عز وجل) في الآخرة فالجزاء من جنس العمل
- أهل البدع لم يوافقونا على كيفية الإيمان بها كما ذكرناه فمنهم من رد الصفة بالكلية وقال ليس لله وجه ومنهم من أولوا وحرفوا الصفة. الطائفة الأولى الذين نفوا الأسماء والصفات هم الجهمية والذين أثبتوا الأسماء ولم يثبتوا الصفات هم المعتزلة. وحجتهم كما ذكرنا سابقاً أنهم قالوا إننا لو أثبتنا أن لله وجه فقد مثلنا الخالق بالمخلوق فأرادوا أن يفروا من التشبيه فوقعوا في التعطيل لأنهم نفوا الصفة فقالوا ليس لله (عز وجل) وجه. المعتزلة حرفوا صفة الوجه وقالوا إن المقصود به هو إرادة الثواب وقالوا إن المقصود من الآية التي ذكرها المصنف (رحمه الله) ويبقى ثواب ربك وحديثه (صلى الله عليه وسلم) عند دعاءه المقصود منه لذة النظر إلى ثوابك وهذا كلام باطل لا يقبله عقل ولا شرع فهل الثواب ينظر إليه؟ وهل الثواب لا يهلك وأين الزيادة في الآية سالفة الذكر؟ فالقرآن نزل بلسان عربي مبين كما جاء في قوله (سبحانه وتعالى):﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾[الشعراء: 195] وقوله (سبحانه وتعالى):﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[يوسف: 2] وفي لغة العرب نعرف ما هو المقصود بالوجه ولكن الكيفية غير معلومة وقد ذكرنا قول مالك " الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة" [4] فهم قد خالف ظاهر القرآن المفهوم من لغة العرب. الأمر الثاني أن الله (سبحانه وتعالى) قال:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل: 89] أي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) نزل عليه الكتاب ليُبين كل شيء فيه [5] وقد قال (سبحانه وتعالى):﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾[المائدة: 67] فالنبي (صلى الله عليه وسلم) أُمِر أن يُبلِّغ وقد قال (صلى الله عليه وسلم) في خطبة الوداع: " ألا هل بلغت" قالوا: "نعم" قال: "اللهم اشهد"[6]. والنبي (صلى الله عليه وسلم) لم يُبين لنا أن المقصود من الوجه الثواب وإنه لو بلغه (صلى الله عليه وسلم) ولم يصل إلينا فقد وسعنا ما وسع الصحابة (رضي الله عنهم) من ترك إيصاله للناس وإما أنه (صلى الله عليه وسلم) قد قصَّر في

---

1 أخرجه أبن أبي عاصم في السنة والنسائي في سننه في الصلاة باب الدعاة بعد الذكر والحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافق الذهبي من حديث عطاء عن أبيه عن عمار مرفوعاً وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير.

2 راجع تفسير ابن كثير في هذه الآية.

3 أخرجه مسلم عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه).

4 راجع تخريجه في الدرس الثالث.

5 الأصرح من ذلك قوله (سبحانه وتعالى):﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[النحل: 44]

6 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي بكرة (رضي الله عنه).

البلاغ (حاشا لله) ولو قالوا ذلك لوقعوا في مهلكة فكيف يُقال إنه (ﷺ) قصَّر في البلاغ أو تقولون إن النبي (ﷺ) لم يعلمه فيصبحوا هم أعلم منه (ﷺ) (حاشا لله)

- وبالتالي الرد عليهم من أكثر من جهة: الأولى أن القرآن نزل بلسان عربي مبين والأصل فيه أخذ الكلام على ظاهره والثانية أن النبي (ﷺ) لم يبين ما قالوه فهذا فيه قدح وانتقاص له (ﷺ) والثالثة لا نفهم ما معنى الدعاء بالنظر إلى ثواب الله (ﷻ) لو كان المقصود بالوجه الثواب كما تقولون (الجهة الأولى رد على الجهمية والجهات الثلاث ترد على المعتزلة)
- وأما حديث النبي (ﷺ):" إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها"[1]. فالمقصود منه رؤية وجه الله في الآخرة وليس الثواب كما يقولون.
- ولابد أن نبين أنا ما يُفَّرق بين أهل السنة والجماعة والأشاعرة أننا نثبت الصفة ولازم الصفة والأشاعرة يثبتون لازم الصفة فقط. فنحن نثبت صفة الوجه ولكي يرى العبد وجه الله (ﷻ) فيستلزم من ذلك أن يكون ذلك من باب الثواب. فالصدقة ثوابها رؤية وجه الله لأنك أنفقت الصدقة لأجل هذه النية أما الأشاعرة يقولون إن المقصود بالوجه هو إرادة الثواب. وهذا أيضاً سيأتي في الصفات الأخرى مثل الغضب فنحن نؤمن بصفة الغضب ولازمها (الانتقام) ولكن الأشاعرة يقولون إن الغضب هو إرادة الانتقام.
- سؤال: قد ذكر الشيخ في درس سابق أن الله يُرى في الدنيا مناماً فنريد توضيح لذلك.
- سيأتي فصل كامل عن رؤية الله (ﷻ) ولكن سريعاً إن الله إما يُرى في الدنيا أو في الآخرة. في الدنيا لن يرى أحد ربه يقظة حتى إن العلماء اختلفوا في رؤية النبي (ﷺ) لربه في الإسراء والمعراج حتى ولكن الصحيح أنه لم يره لقول عائشة (رضي الله عنها) قالت: " ومن زعم أن محمداً (ﷺ) رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية"[2] وعندما سأله أبو ذر(رضي الله عنه): "هل رأيت ربك (يعني في الدنيا)؟" فقال: " نور أنى أراه"[3] وبعضهم أثبت "**إني** أراه" ولكن الصحيح رواية " **أنى** أراه" فلا أحد يتحمل رؤية وجه الله يقظة في الدنيا. ولكن ورد أنه (ﷺ) **قد رأى ربه مناماً** لحديث معاذ: " فإذا أنا بربي عز وجل (يعني: في المنام ورؤى الأنبياء حق) في أحسن صورة فقال: يا محمد! فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري رب! قال: يا محمد! فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري رب! قال: يا محمد! فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري رب! **فرأيته** وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله في صدري ..."[4]. أما في الآخرة يُرى يقظة كما هو ثابت. والحديث فيه إثبات لصفة الأنامل.
- وهناك قصة شهيرة ذكرها الإمام ابن تيمية (رحمه الله) حكاية عن الشيخ عبد القادر الجيلاني (رحمه الله) أنه قال: " كنت مرة في العبادة فرأيت عرشاً عظيماً وعليه نور فقال لي: يا عبد القادر أنا ربك وقد حللت لك ما حرمت على غيرك فقلت له: اخسأ يا عدو الله. فتمزق ذلك النور وصار ظلمة وقال: يا عبد القادر نجوت مني بفقهك في دينك وعلمك. لقد فتنت بهذه لقضية سبعين رجلاً. فقيل للجيلاني: كيف علمت أنه الشيطان؟ قال بقوله لي: حللت لك ما حرمت على غيرك، وقد علمت أن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم لا تُنسخ ولا تُبدَّل ولأنه قال: أنا ربك ولم يقدر أن يقول: أنا الله الذي لا إله إلا أنا"[5]. ونحن لا نستدل بهذه القصة ولكنها من باب الاستئناس.

---

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه).
[2] أخرجه مسلم عن عائشة (رضي الله عنها).
[3] أخرجه مسلم عن أبي ذر (رضي الله عنه).
[4] أخرجه أحمد والترمذي وابن خزيمة وابن أبي عاصم عن معاذ بن جبل (رضي الله عنه). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح سألت محمد بن إسماعيل -يعني البخاري - عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن صحيح.
[5] راجع كتاب ابن تيمية "قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة".

الشريط السادس

صفات اليد والنفس والمجيء والرضا والمحبة والغضب والسخط والكره

محتويات الشريط السادس

1- صفة يد الله (ﷻ) (التوقيت: 0 دقيقة و0 ثانية) 1

2- صفة نفس الله (ﷻ) (التوقيت: 4 دقيقة و40 ثانية) 1

3- صفة مجيء الله (ﷻ) (التوقيت: 9 دقيقة و57 ثانية) 2

4- صفة رضا الله (ﷻ) (التوقيت: 27 دقيقة و43 ثانية) 4

5- صفة محبة الله (ﷻ) (التوقيت: 39 دقيقة و53 ثانية) 5

6- صفة غضب الله (ﷻ) (التوقيت: 49 دقيقة و14 ثانية) 6

7- صفة سخط الله (ﷻ) (التوقيت: 53 دقيقة و53 ثانية) 6

8- صفة كره الله (ﷻ) (التوقيت: 53 دقيقة و53 ثانية) 7

1- صفة يد الله (عَزَّ وَجَلَّ) (التوقيت: 0 دقيقة و0 ثانية)

وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]

- أهل البدع أولوا هذه الصفة وقالوا إن اليد هي القدرة والنعمة والوجه الأول في الرد عليهم أن نقول: خالفتم ظاهر القرآن فقد نزل القرآن بلسان عربي مبين والعرب عندما يقرأون قوله (ﷻ):﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾[المائدة: 64] أو قوله (ﷻ):﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[الفتح: 10] لا يفهمون إلا اليد التي نعرفها.
- والوجه الثاني أنكم تقدحون في بيان النبي (ﷺ) فإما أنه (ﷺ) قد قصر في هذا البلاغ أو إنكم تعلمون ما لم يعلمه (ﷺ) والصحابة (رضي الله عنهم) عندما سمعوا هذه الآيات لم يسألوه (ﷺ) هل المقصود النعمة أم القدرة أم اليد بل هم فهموا أصل الكلمة فالقرآن نزل واضحاً كما في قوله (ﷻ):﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾[النحل: 89] فهذا هو التبيان أنه الأصل أنه على اللغة العربية طالما لم يبينه (ﷺ) أو الصحابة (رضي الله عنهم) بغير ذلك. والنبي (ﷺ) قد بلغ كل شيء كما في قوله (ﷻ):﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[المائدة: 3] والمُبَلِّغ لنا هو النبي (ﷺ) وقد نقل لنا الدين بتمامه كما في الآية وقد أشهد الله (عَزَّ وَجَلَّ) على بلاغه في خطبة الوداع فقال: " ألا هل بلغت" قالوا: "نعم" قال: "اللهم اشهد"[1] ولو افترضنا أن النبي (ﷺ) لم يُكمل البلاغ لنزل الوحي لبيان ذلك.
- وحتى لو وافقناكم وقلنا إن اليد بمعنى النعمة أو القدرة لأنه له مسوَّغ في اللغة فهذا يلزم منه لوازم باطلة فمثلاً قوله (ﷻ) لإبليس:﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[ص: 75] فاليد لا تصلح هنا بمعنى النعمة. ولو قلنا إن معناها القدرة أو حتى النعمة فهل لله قدرتين أو نعمتين فقط (فاليد في الآية مثنى)؟ بل الله (عَزَّ وَجَلَّ) قدرته ونعمه لا تُعد كما في قوله (ﷻ):﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾[إبراهيم: 14] وهذا يدل على أن إبليس أفقه منكم فلو كان يفهم أن اليد بمعنى النعمة أو القدرة لما ردَّ بقوله الذي ذكره القرآن:﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾[ص: 75] لأنه لو كان اليد بمعنى القدرة أو النعمة فلا فرق أصلاً بين خلق آدم وخلق إبليس فكلاهما بقدرة ونعمة الله (عَزَّ وَجَلَّ) ولكن الحق خلق إبليس يدخل تحت في عموم خلق الأشياء في قوله (ﷻ):﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[النحل: 40] ولهذا خلق الله (عَزَّ وَجَلَّ) آدم (عليه السلام) بيديه فيه تشريف. بل إبليس فقه أن التشريف في خلق آدم (عليه السلام) أنه خُلِق بيد الله ولهذا استشكل بأن خلقه أفضل فهو خُلِق من طين.

2- صفة نفس الله (عَزَّ وَجَلَّ) (التوقيت: 4 دقيقة و40 ثانية)

وقوله تعالى إخباراً عن عيسى عليه السلام أنه قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] .

- أستدل المصنف (رحمه الله) بهذه الآية على صفة الوجه لله (عَزَّ وَجَلَّ) وكذلك نستدل عليها بدعاء النبي (ﷺ): " سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته" [2]. فالنفس في الآية والحديث أُضيفت إلى الله (عَزَّ وَجَلَّ) (بالضمير وهو الكاف في الآية والهاء في الحديث في الحديث وكلا الضميرين يعود على الله (عَزَّ وَجَلَّ)) وهي إضافة صفة لموصوف فيتصف الله بصفة النفس.
- بعضهم مثل الأشاعرة قال إن النفس المقصود بها الذات وهذا خطأ لأن صفة الذات غير النفس. والرد عليهم من الآية أن عيسى (عليه السلام) وهو نبي ومن أولي العزم من الرسل فعندما يخاطب الله بلفظ النفس فعيسى (عليه السلام) يعلم بأن لله (عَزَّ وَجَلَّ) نفس

---

[1] راجع تخريجه في المحاضرة السابقة

[2] أخرجه مسلم عن جويرية (رضي الله عنها).

ولو كان عيسى (عليه السلام) على خطأ لما أقرَّه الله (عز وجل) في القرآن وذكر دعاءه بل يرد الله (عز وجل) عليه أنه ليس له نفس. فالله (عز وجل) لم يُقر نوح (عليه السلام) عندما قال كما ورد في القرآن في قوله(تعالى):﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴾[هود: 45] بل رد عليه (تعالى):﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾[هود: 46] فالله (عز وجل) لا يُقر على خطأ

- ففي قصة أسرى بدر أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال لما أسروا الأسارى: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأبي بكر (رضي الله عنه):" ما ترون في هؤلاء الأسرى؟". فقال أبو بكر (رضي الله عنه): " يا رسول الله هم بنو العشيرة أي إن تأخذ منهم فدية يكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام". فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " ما ترى يا ابن الخطاب؟". قال: " قلت لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكن أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من العباس فيضرب عنقه وتمكني من فلان (نسيب لعمر) فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديده". فهوي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما قاله أبو بكر (رضي الله عنه) ولم يهو ما قلت. فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأبو بكر يبكيان. فقلت: " يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكا كما". فقال (صلى الله عليه وسلم): " أبكي على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله" [1] ونزلت الآية:﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[الأنفال: 68] فلم يقر الله (عز وجل) رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على الخطأ [2].
- فلو كان عيسى (عليه السلام) لا يعلم أن لله (عز وجل) نفس لما قالها ولو كان على خطأ لرد الوحي بتصحيحه
- فنحن نثبت صفة النفس كما أثبتها الله (عز وجل) ونثبت قوله (تعالى):﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: 11]. فنحن لا نعلم كيفيتها ولا يشترط مع إثبات صفة النفس لله (عز وجل) إثباتها للمخلوقين
- ثمرة هذه الصفة أن تعلم أن الله (عز وجل) يعلم ما في نفسك فلابد أن تراعي الله (عز وجل) وأن تتقي الله (عز وجل) في السر والعلن وإن كان من رحمته وفضله أنه لا يحاسبنا على ذلك (عز وجل)

3- صفة مجيء الله (عز وجل) (التوقيت: 9 دقيقة و57 ثانية)

وقوله سبحانه: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر: ٢٢]

وقوله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾[1] [البقرة: ٢١٠]

- وهذه صفة ثبوتية فعلية لأن ضابط الصفة الفعلية إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها وقد وردت في الآيتين السابقتين وكذلك القرآن في قوله (تعالى):﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾[الأنعام: 158] وقوله (تعالى):﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾[الفجر: 22] وقوله (صلى الله عليه وسلم): " فيأتيهم الله فيقول: " أنا ربكم". فيقولون: " أنت ربنا فيتبعونه" [3]. فمن كان يعبد الشمس فإنها تكور وترمى في جهنم وهو خلفها والعياذ بالله ومن كان يعبد القمر أيضاً يسقط خلف القمر فيلقى في النار ومن كان يعبد عيسى (عليه السلام) أيضاً فيتمثل جني في هيئة عيسى (عليه السلام) فيسقط خلفه فيلقى في النار وكذلك من كان يعبد عزير جزاء وفاقاً لأنهم عبدوه من دون الله.
- ففي الحديث قال (صلى الله عليه وسلم): " إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: " لتتبع كل أمة ما كانت تعبد". فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبَّر(بقايا) أهل الكتاب فيدعى اليهود فيُقال لهم: " ما كنتم تعبدون؟". قالوا: " كنا نعبد عزيز ابن الله". فيُقال: " كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فماذا تبغون؟". قالوا: " عطشنا يا ربنا فاسقنا". فيُشار إليهم: "ألا تَرِدُونَ؟". فيُحشرون إلى النار كأنها

---

1 أخرجه مسلم عن ابن عباس (رضي الله عنه).
2 الصحيح أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يخطأ ولكنه فعل خِلاف الأولى فنزل القرآن يعاتبه فكيف لو أخطأ؟
3 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.

سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار. ثم يُدعى النصارى فيُقال لهم: " ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله". فيقال لهم: " كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد" فيُقال لهم: " ما تبغون؟". فيقولون: " عطشنا يا ربنا فاسقنا". قال: فيُشار إليهم: " ألا تَرِدُونَ؟" فيحشرون إلى جهنم كأنهم سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين (ﷻ) في أدنى صورة التي رأوه فيها قال: " فماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد". قالوا: " يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم". فيقول: " أنا ربكم". فيقولون: " نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً" مرتين أو ثلاثاً حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول: " هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟". فيقولون: " نعم". فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خرَّ على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فقال: " أنا ربكم" فيقولون: " أنت ربنا". ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون: " اللهم سلم سلم". قيل: " يا رسول الله وما الجسر؟". قال: دحض مزلَّة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مُسَلَّم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم " [1]. والشاهد من الحديث أن الله يأتي إلى العباد

- ومعتقد أهل السنة في المجيء كما في بقية الصفات أن المجيء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة
- وكالعادة أهل البدع والطوائف لم يثبوا هذه الصفة فمنهم من عطلها أي ردها ومنهم من حرفها كالأشاعرة فيقول المقصود بالمجيء أمر الله (ﷻ) واستدلوا بقوله (ﷻ):﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾[النحل: 1] وهذه الآية عليهم لأن الله قد ذكر أنه يأتي وكذلك الملائكة وكذلك أمره ففصل بينهم مما يدل على اختلافهم فلو كان إتيان الله (ﷻ) معناه الأمر لكانت الآية أتى الله فلا تستعجلوه ولما كانت هناك فائدة من ذكر الأمر في الآية. وحتى الإنسان يأتي ولكن المخلوق السليم غير الذي به أذى مثل من عنده إصابة في قدمه مثلاً. فإن إتيان المخلوق يختلف من شخص إلى آخر فمن باب أولى أن إتيان الخالق (ﷻ) يختلف عن إتيان المخلوقين فلا يستلزم صفة الإتيان لله (ﷻ) التشابه مع المخلوق بل نرجع دائماً للقاعدة في قوله (ﷻ):﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: 11].
- ولو قالوا إن الآية﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾[الأنعام: 158] أتت مجمله والآية﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾[النحل: 1] أتت مُفصَّلة كما في قوله (ﷻ):﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾[البقرة: 43] أتت مجمله في أداء الصلاة ثم أتى التفصيل في فعله (ﷺ) فنقول إن إتيان الله (ﷻ) لم يأتي أصلاً مجملا حتى يحتاج إلى تفصيل بل قد جاء في هذه الآية إتيان الله (ﷻ) وإتيان الملائكة وإتيان آيات الله (ﷻ) مما يدل على أن كل واحد منهم منفصل مُفصَّل
- وقد قال (ﷺ): " لله الأولين والآخرين في صعيد واحد فينظرهم الناظر ويسمعهم الداع وتدنو منهم الشمس فبلغ ذلك الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس: ألا ترون إلى ما كنتم فيه ألا تنظرون من يشفع لكم؟ فيقول بعضهم لبعض: أبوكم بآدم فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسد لك ملائكته وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه وما بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحا فيقولون: أنت يا نوح أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك عبدا شكورا ألا ترى إلى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله ولن يغضب بعده مثله وإني كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم. فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات فذكرها نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي غضب اليوم غضبا

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري (ﷺ) والرواية لمسلم.

لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد (ﷺ) فيأتون محمدا (ﷺ) وفي رواية: فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق إلى تحت العرش فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي يا رب أمتي فيقول: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو: كما بين مكة وبصرى" وزاد في رواية في قصة إبراهيم: "وذكر قوله في الكواكب: هذا ربي وقوله لآلهتهم: بل فعله كبيرهم هذا وقوله: إني سقيم" [1]. وهذا الحديث يدل على مجيء الله (ﷻ) إلى السماء الدنيا للحكم بين العباد.

4- صفة رضا الله (ﷻ) (التوقيت: 27 دقيقة و43 ثانية)

وقول الله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[1] [المائدة: ١١٩]

- وهذه صفة ثبوتية فعلية أثبتها الله (ﷻ) وأثبتها (ﷺ) له وأجمعت عليها الأمة وقد جاءت في غير الآية السابقة في قوله (ﷻ):﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الفتح: 18] وقوله (ﷺ): " إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط" [2]. هذا الحديث غير صريح في وجه الدلالة لأن له الرضى قد تكون لله أو لغيره فهو ليس فيه إضافة صريحة لله (ﷻ) ولكنه يُجمع استئناساً مع الآيات. والأكثر صراحة منه قوله (ﷺ): " إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأَكْلَةَ فيحمده عليها ويشرب الشَّرْبَةَ فيحمده عليها " [3]. وقد أجمع أهل السنة الجماعة على إثباتها.
- وكباقي الصفات نحن نثبت الصفة من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تحريف. فرضا الله (ﷻ) رضا يليق بجلاله (ﷻ) وكماله (ﷻ).
- ثمرة هذه الصفة المسارعة في رضا الله (ﷻ) فلا هناك أفضل في الدنيا من رضى الله (ﷻ). فالمرء في الدنيا إذا أثنى عليه كبير أو شيخ أو له مكانة يطير فرحاً فما بالكم - ولله المثل الأعلى- إذا كان الرضى من الله (ﷻ) ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[المطففين: 26]. وتعلم الثمرة الهدف منه التعلم فيستخدمها في عباداته. فعندما يقوم المرء يصلي في صلاة الليل وتدبَّر هذه الأسماء والصفات فسيجعله يخلص في عبادته ابتغاء مرضاة الله (ﷻ). فإذا رضي الله (ﷻ) عن العبد فسيدخله الجنة لا محالة وإذا سخط عليه سيكون في النار
- وبالمناسبة هنا لابد أن نذكر أن الرضا غير المحبة وسيأتي شرح صفة المحبة لاحقاً.
- والرضا له لازم فإذا رضى الله (ﷻ) عن العبد فسيفتح له أبواب الخير فتجده يُفتح له أبواب الطاعة. والفتح في الدنيا ليس علامة على الرضا فالمؤمن والكافر يُفتح له في الدنيا كما سنبين ولكن الفتح الذي له دلالة على الرضا أن يُفتح له في الدين والشرع فقد قال (ﷺ): " ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما؛ سهل الله له به طريقا إلى الجنة" [4] فطالما أعطاك الله (ﷻ) طريقاً للعلم فهو تسهيل لطريق الجنة. فعلى كل طالب علم الحصر على طريق العلم فربما يكون هو طريقه لدخول الجنة
- وأما عن كيفية رضاء العبد عن ربه في قوله (ﷻ):﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾[البينة: 8] تجدها في حديثه (ﷺ): " إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا" [5]. فالرضا بأنهم رأوا نعم الله (ﷻ) تنزل عليهم وأنه وصلوا لحالة من

---

1 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).
2 أخرجه الترمذي عن أنس (رضي الله عنه) وقال: "حسن غريب" وابن ماجه والبغوي وإسناده حسن. انظر: "المشكاة" و"سلسلة الأحاديث الصحيحة".
3 أخرجه مسلم عن أنس (رضي الله عنه).
4 أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).
5 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه).

السعادة والاقتناع لا يحتاجون معها للمزيد. والرضى منحة من الله (ﷻ) يمنحها لمن يشاء وإن كنا مطالبين بالأخذ بالأسباب الشرعية لتحصيله.

- فمن أعلى المنازل الشكر في البلاء لأنك تعلم بالبلاء أن الله (ﷻ) يحبك فابتلاك فشكرت الله (ﷻ) على أنه أظهر لك هذا الحب وأن هذا البلاء تنقية من الذنوب.
- والشكر أفضل من الرضا والصبر عند البلاء. فالصبر أدناهم ثم الرضا ثم الشكر فقد تصبر ولا ترضى. والصبر ضدَّه الجزع الذي ورد في حديث المرأة التي مر النبي (ﷺ) بها وهي تبكي عند قبر فقال لها: " اتقي الله واصبري فقالت له: إليك عني; فإنك لم تصب بمثل مصيبتي فانصرف الرسول (ﷺ) عنها فقيل لها: هذا رسول الله (ﷺ) فجاءت إليه تعتذر; فلم يقبل عذرها وقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى" [1].
- فأتى أهل البدع وردوا هذه الصفة وقالوا إن الرضى فيه تشبيه بالمخلوق من تعلق القلب وميله. وهذا عجيب فالمرء يصوم ويصلي ويزكي ويفعل كل شيء ابتغاء مرضاة الله (ﷻ) فإن لم تكن لله (ﷻ) صفة الرضا فما الاستفادة من هذه العبادات؟ فالمخالفون لأهل السنة لا يستشعرون عبادة الله (ﷻ).

5- صفة محبة الله (ﷻ) (التوقيت: 39 دقيقة و53 ثانية)

وقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]

- وهذه صفة أثبتها الله (ﷻ) وقد جاءت في غير الآية السابقة في قوله (ﷻ):﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[التوبة: 4] وفي قوله (ﷻ):﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[آل عمران: 57] وقال (ﷺ): "إن الله تبارك وتعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن؛ يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه" [2]. وهذا الحديث يدل على أن الفرائض أحب إلى الله من النوافل فأحب في اللغة من باب التفضيل (على وزن أفعل) وللأسف تجد بعض الناس يترك الفرائض في المسجد ويقوم الليل وهناك قاعدة أنه " من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور" [3] فمثلاً صلاة الفرائض في المسجد أحب إلى الله (ﷻ) من النوافل والزكاة أحب إلى الله (ﷻ) من الصدقة وصيام رمضان أحب إلى الله (ﷻ) من صيام النافلة
- وقال (ﷺ): " إذا أحب الله عبدا قال: يا جبريل إني أحب فلانا فأحبوه. فينادي جبريل في السماوات: إن الله عز وجل يحب فلانا فأحبوه. فيُلقى حبه على أهل الأرض فيُحب وإذا أبغض عبدا قال: يا جبريل إني أبغض فلانا فأبغضوه. فينادي جبريل في السماوات إن الله عز وجل يبغض فلانا فأبغضوه. فيُوضع له البغض في أهل الأرض فيُبغض" [4]. فالله (ﷻ) بيَّن أن له صفة المحبة.
- وقال (ﷺ) في علي (رضي الله عنه): " لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله" [5] فالصحابة (رضي الله عنهم) باتوا كلهم ينتظرون من هو هذا الشخص حتى إن عمر(رضي الله عنه) قال: " فما أحببت الإمارة إلا يومئذ" [6]. وسبحان الله (ﷻ) فهذا الحديث يدل على أن قضاء الله (ﷻ) نافذ رغم مرض علي (رضي الله عنه) فإنهم " لما أصبحوا غدوا على رسول الله (ﷺ) كلهم يرجو أن يُعطاها (أي: الراية) حرصا منهم على الفضيلة فقال(ﷺ): "أين علي بن أبي طالب؟ " وكان قد تخلف عن رسول الله (ﷺ) فخرج فلحق بالنبي (ﷺ) في خيبر وكان به رمد فقيل: "هو يشتكي عينيه من رمد أصابه". فأرسلوا إليه فأتي به الذي أتى به سلمة بن الأكوع (رضي الله عنه) يقوده فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به

---

1 أخرجه البخاري ومسلم عن أنس (رضي الله عنه).
2 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.
3 ذكرها ابن حجر في فتح الباري
4 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).
5 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).
6 جزء من الحديث السابق

وجع" [1]. فالنبي (ﷺ) بيَّن أن له (ﷻ) صفة المحبة.

- الأشاعرة لم يثبتوا الصفة فقالوا لو قلنا إن الله (ﷻ) يحب فالمحبة معناها ميل القلب وهذا فيه هوى وهذه تشبيه الخالق بالمخلوق لأننا نكون أثبتنا للخالق (ﷻ) قلب وأنه يهوى فقالوا إن المقصود بالمحبة إرادة الثواب.
- فنقول لهم نحن نؤمن بأن المحبة صفة لله (ﷻ) وإرادة الثواب هو لازم هذه الصفة فالمؤمن يوفقه الله (ﷻ) للأعمال الصالحة من صلاة وزكاة وحج وغيرهم. ولكن لا يشترط أن الله (ﷻ) لو أثاب عبد أنه يحبه فهو يعطي الكافر في الدنيا من مال وولد وقد قال (ﷻ):﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[آل عمران: 57] فكلامكم خطأ وكذلك (ﷻ):﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾[الإسراء: 18] فمن الممكن أن يعجل الله (ﷻ) ولكنه يعذِّب في الاخرة
- وكذلك أنتم أثبتم سبع صفات ونفيتم باقي الصفات لأن بقية الصفات فيها تشبيه الخالق بالمخلوق فنقول لهم إن القول في بعض الصفات كالقول في باقي الصفات فبما أنكم أثبتم لله (ﷻ) السمع والقدرة والبصر و... فأثبتوا لله (ﷻ) بقية الصفات. فلو قلتم إن الله (ﷻ) له سمع فالمخلوق له سمع والله (ﷻ) له بصر فالمخلوق له بصر والله (ﷻ) له إرادة فالمخلوق له إرادة وهكذا. وهذا رد عام على الأشاعرة في كل الصفات

6- صفة غضب الله (ﷻ) (التوقيت: 49 دقيقة و14 ثانية)

وقوله في الكفار: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ [المجادلة: ١٤]

- وهذه صفة أثبتها الله (ﷻ) كما في الآية التي ذكرها المصنف (رحمه الله) وكذلك أتت في قوله (ﷻ):﴿ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[النور: 9] وقال (ﷺ): " إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق أن رحمتي سبقت غضبي فهو عنده فوق العرش" [2]. وقد أجمع السلف على أن الله يغضب.
- ونحن نثبت الغضب لله (ﷻ) غضباً يليق بجلاله وكماله (ﷻ). أما الأشاعرة خالفوا كالمعتاد وقالوا لو أن الله يغضب فهذا تشبيه للخالق بالمخلوق فمعنى الغضب هو غليان القلب وفوران الدم ويظهر على وجهه وجسده. قلنا لهم إن غضب الخالق (ﷻ) يختلف عن غضب المخلوق بل إن المخلوقين يتفاوتون في الغضب فغضب الإنسان يختلف عن غضب الحيوان وحتى غضب البشر يختلف فيما بينهم فنحن نطبق قاعدة الإمام مالك (رحمه الله) فنقول الغضب معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة
- وكعادة الأشاعرة حرفوا الصفة فقالوا إن الغضب المقصود به إرادة الانتقام. ولكن الله (ﷻ) فرَّق بين الغضب والانتقام في قوله (ﷻ):﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾[الزخرف: 55] أي لما أغضبونا انتقمنا منهم.
- فنحن نقول إن صفة الغضب صفة ثابته لله (ﷻ) ولازم الغضب الانتقام.
- والرد عليهم كما سبق أنهم خالفوا ظاهر القرآن وعدم بيانه (ﷺ) لما قلتم فيه قدح له (ﷺ)

7- صفة سخط الله (ﷻ) (التوقيت: 53 دقيقة و53 ثانية)

وقوله: ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ﴾[محمد: ٢٨]

- وهذه صفة أثبتها الله (ﷻ) كما في الآية التي ذكرها المصنف (رحمه الله) والشاهد كلمة أسخط ووجه الدلالة من الآية أن فيها إضافة صفة لموصوف وذُكِرت في قوله (ﷺ): " إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط" [3] وقوله (ﷺ): " من أسخط الله في رضى الناس سخط الله عليه وأسخط عليه

---

1 جزء من الحديث السابق
2 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).
3 سبق تخريجه في صـ 4

من أرضاه في سخطه ومن أرضى الله في سخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه من أسخطه في رضاه حتى يزينه ويزين قوله وعمله في عينه" [1]. فهذا الحديث أثبات لصفتي الرضا والسخط. وقد أجمع أهل السنة والجماعة على صفة السخط من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تحريف.

8- صفة كره الله (ﷻ) (التوقيت: 53 دقيقة و53 ثانية)

وقوله: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾[التوبة: ٤٦]

- وهذه صفة أثبتها الله (ﷻ) كما في الآية التي ذكرها المصنف (رحمه الله). وفي تفسير الآية أن الله (ﷻ) كره خروج المنافقين مع المؤمنين لأنهم سيثبطون المؤمنين ويُكدِّرون عليهم الطاعة ويُخذِّلون الصف كما حدث في غزوة الخندق وغيرها وذُكِرت في قوله (ﷺ): " إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال" [2].
- وهي صفة تليق بالله (ﷻ) لا تشابه صفات المخلوقين من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تحريف.
- أما أهل البدع قالوا إن الكره بمعنى الإبعاد وهذه مخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة

---

1 أخرجه الطبراني عن ابن عباس (رضي الله عنهما) وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة

2 أخرجه البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه) واللفظ لمسلم.

الشريط السابع

صفات العجب والضحك والاستواء والعلو

محتويات الشريط السابع

1- صفة عجب الله (ﷻ) (التوقيت: 1 دقيقة و40 ثانية)..... 1

2- صفة ضحك الله (ﷻ) (التوقيت: 7 دقيقة و30 ثانية)..... 1

3- منهج المصنف (رحمه الله) في الصفات (التوقيت: 14 دقيقة و22 ثانية)..... 2

4- صفة استواء الله (ﷻ) (التوقيت: 15 دقيقة و15 ثانية)..... 2

5- صفة علو الله (ﷻ) (التوقيت: 41 دقيقة و2 ثانية)..... 4

1- صفة عجب الله (ﷻ) (التوقيت: 1 دقيقة و40 ثانية)

وقوله: «يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة»

- هذا الحديث الذي استدل المصنف (رحمه الله) فيه ضعف [1] ولكن نستدل على صفة العجب من قوله (ﷻ): ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾[الصافات: 12] على قراءة الرفع عند غير حفص (عجبتُ) فتاء الفاعل تعود على الله (ﷻ) فتنسب إليه صفة العجب. وكذلك نستدل عليها من حديث الصحيحين أنه جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فقال: إني مجهود فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء فقال النبي (ﷺ): " من يُضيِّف هذا الليلة؟" فقال رجل من الأنصار: " أنا يا رسول الله". فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله (ﷺ)[وفي رواية قال لامرأته: هل عندك شيء؟ فقالت: لا إلا قوت صبياني. قال: علِّليهم بشيء وإذا أرادوا العشاء فنومِّيهم وإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنا نأكل] . فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين. فلما أصبح غدا على النبي (ﷺ) فقال: "لقد **عجب الله** من صنيعكما بضيفكما الليلة" [2]. ونستدل عليها من حديث النبي (ﷺ) فقال: " عجب ربنا من قنوط عباده وقرب غيره ينظر إليكم أزلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب" [3]
- العجب يكون على نوعين: إما من خفاء وعدم علم وفيه نسبة الجهل لمن يعجب من هذا الأمر وإما يكون لخروج الشيء عن نظائره أو المعتاد عليه. النوع الأول لا يكون في حق الله (ﷻ) ولكنه يكون في حق المخلوق. وأما النوع الثاني فهو المقصود من عجب الله (ﷻ). فمثلاً الحديث الضعيف الذي ذكره المصنف فمعناه صحيح وهو أن الشباب له الشهوات والنزوات فلو وُجِد الشاب وليس له هذا الأمر فكأن هذا خروج عن المألوف. ومثلاً تجد قوماً نياماً يقتصرون على الفرائض فقط فلو وُجِد في وسطهم من يقوم الليل فهذا يُخالف نظائره فكل هؤلاء القوم ليسوا مقبلين على الطاعة فتجد واحد منهم قد خرج عن المألوف.
- وهي صفة فعلية ضابطها المشيئة إن شاء الله (ﷻ) عجِب وإن لم يشأ لم يعجب.

2- صفة ضحك الله (ﷻ) (التوقيت: 7 دقيقة و30 ثانية)

وقوله: «يضحك الله إلى رجلين قتل أحدُهما الآخرَ ثم يدخلان الجنة»

- وهي صفة فعلية ضابطها المشيئة إن شاء الله (ﷻ) ضحِك وإن لم يشأ لم يضحك. ونص الحديث الذي ذكره المصنف أتى في قوله (ﷺ): " يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة: يُقاتل هذا في سبيل الله فيُقتل ثم يتوب الله على القاتل فيُستشهد" [4]
- وفي الحديث الفعل أُضيف إلى الله (ﷻ) ففيه إثبات صفة الضحك. أما أهل الأهواء والبدع لم يثبتوا هذه الصفة وقالوا لو أن الله (ﷻ) يضحك فهذا فيه ميل للقلب وهذا فيه تشبيه الخالق بالمخلوق. والرد عليهم كما سبق في قوله (ﷻ): ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ

---

[1] أخرجه أحمد وأبو يعلى عن عقبة بن عامر (رضي الله عنه) من حديث ابن لهيعة. قال الهيثمي: وإسناده حسن. وقال الحافظ السخاوي في " المقاصد الحسنة ": وضعفه شيخنا (أي الحافظ ابن حجر) في فتاويه لأجل ابن لهيعة والراجح ضعف الحديث. والصبوة: الميل إلى الهوى.

[2] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه). طاويين: أي بغير عشاء.

[3] أخرجه أحمد وابن ماجه وقال في "الزوائد": "وكيع ذكره ابن حبان في الثقات" وباقي رجاله احتج بهم مسلم والطيالسي والطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك واللالكائي وابن أبي عاصم في السنة عن أبي رزين العقيلي (رضي الله عنه) ورواه ابن خزيمة في التوحيد بنحوه من حديث عائشة (رضي الله عنها). ولكن الحديث أتى بلفظ " ضحك ربنا عز وجل من قنوط عباده وقرب غيره" قال: قلت: " أويضحك الرب (ﷻ)؟" قال: " نعم". قلت: " لن نعدم من رب يضحك خيرا " وقد ذكره بهذا اللفظ: (عجب ربنا) ابن كثير في تفسيره عند قوله (ﷻ) في سورة البقرة: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ...) وشيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية وقال: " حديث حسن "ويضعِّفه غيره من أهل العلم وحسَّنه الألباني في الصحيحة

[4] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

﴿شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: 11] فضحك الله (ﷻ) ليس كضحك المخلوق فلا يلزم من ضحكه (ﷻ) أن يميل القلب. وهم قد حرفوا صفة الضحك وقالوا إن المقصود هو إرادة الثواب. نقول هذا لازم الصفة ولكننا نثبت الصفة ولازمها.

- وكذلك قوله (ﷺ): " ضحك ربنا عز وجل من قنوط عباده وقرب غيره" قال: قلت: " أويضحك الرب (ﷻ)؟" قال: " نعم". قلت: " لن نعدم من رب يضحك خيرا " [1] ثم قال:" وكيف يضحك الله (ﷻ)؟" قال: " أن تلقي لامتك هذه ثم تدخل بين الصفَّين فتُقاتل مقبلاً غير مدبراً" [2]. فعندما يتبسم لك مخلوق ذو جاه تطير فرحاً فما بالك ولله (ﷻ) المثل الأعلى إذا علمت أن الله (ﷻ) يضحك.
- فلا نعرف كيف يحيي من ينكرون هذه الصفات ونحن نعيش على مثل هذه النعائم؟
- ونُضيف في الرد عليهم ما الفرق بين أنكم تثبتون لله صفة الحياة وبين إثبات صفة الضحك؟ فالحياة صفة والضحك صفة فالقول في بعض الصفات كالقول في باقي الصفات. فهم يثبتون أن لله (ﷻ) حياة وللمخلوق حياة ولكن حياه المخلوق غير الخالق (ﷻ). فلما لا تثبتون صفة الضحك وتقولون إن ضحك الخالق غير ضحك المخلوق؟

3- منهج المصنف (رحمه الله) في الصفات (التوقيت: 14 دقيقة و22 ثانية)

فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعُدلت رواته نؤمن به و لا نرده ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره ولا نشبهه بصفات المخلوقين ولا بسمات المُحْدَثين ونعلم أن الله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا نظير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]

- وهنا ذكر المصنَّف (رحمه الله) منهجه في الأسماء والصفات المُوافق لأهل السنة الجماعة ويختم به الصفات السابقة بأن الصفة طالما قد ثبتت بالكتاب أو السنة الصحيحة فنحن نثبت هذه الصفة بلا تأويل ولا تشبيه لصفات المخلوقين.

4- صفة استواء الله (ﷻ) (التوقيت: 15 دقيقة و15 ثانية)

وكل ما تخيل في الذهن أو خطر بالبال فإن الله تعالى بخلافه ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]

- وأراد أن يُأصَّل أن الله (ﷻ) ليس كمثله شيء فكل ما يتخيله المرء من تشابه أو تماثل في حق الله (ﷻ) فهو بخلاف ذلك.

---

[1] سبق تخريجه. راجع الحديث الثالث في الصفحة السابقة.

[2] من بداية قول الشيخ: ثم قال:" وكيف يضحك الله (ﷻ)؟" لم أقف عليه

- وأراد المصنف (رَحِمَهُ اللَّهُ) بعد ذلك إثبات صفة الاستواء من قوله (تَعَالَى):﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[طه: 5] وهي صفة فعلية لأنه (عَزَّ وَجَلَّ) إن أراد استوى وإذا أراد لم يستوي وهي نوع من صفة العلو كما سيأتي فالاستواء هو علو مقيَّد فهناك علو مطلق كما سيأتي وعلو مقيَّد بالعرش وهو صفة الاستواء.
- فمعنى الاستواء في اللغة العلو والاستقرار كما في قوله (تَعَالَى) في سفينة نوح:﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾[هود: 44]. فعندما نقول على الله (عَزَّ وَجَلَّ) أنه استوى على العرش أي علا واستقر عليه ولا يصح أن نقول جلس فهذه الكلمة لم ترِد فلا يمكن أن نقولها في حق الله (عَزَّ وَجَلَّ) والاستقرار بكيفية لا نعلمها ولكن نُثبت أن لهذا الاستقرار كيفية.
- والاستواء أحيانا يتعدى بحرف جر وأحيانا لا فعندما جاء منفرداً بدون حرف جر جاء في قوله (تَعَالَى):﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ﴾[القصص: 14] أو يأتي متعدي مع حرف جر كما في قوله (تَعَالَى):﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[طه: 5] وكقوله (تَعَالَى):﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾[البقرة: 29] وكقوله (تَعَالَى):﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ﴾[الزخرف: 13].
- وإثبات صفة الاستواء من الكتاب والسنة والإجماع. من الكتاب من الآية التي ذكرها المصنَّف (رَحِمَهُ اللَّهُ) وكذلك ورد في القرآن في قوله (تَعَالَى):﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾[الحديد: 4]. ومن السنة قوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق الخلق أن رحمتي سبقت غضبي **فهو عنده فوق العرش**" [1] فنريد أولاً بهذا الحديث إثبات أن الله (عَزَّ وَجَلَّ) فوق عرشه وقول ابن مسعود (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): " بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام وبين كل سماء خمسمائة عام وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم" [2]. فبيَّن ابن مسعود أن العرش فوق السماوات مما يدل على العلو أي على صفة الاستواء بجمعه مع حديث النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). وهذا الكلام له حكم الرفع فهذا الكلام غيب لا يمكن أن ابن مسعود (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) يرويه من نفسه فلابد أنه قد سمعه من النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).
- وأثبت أهل السنة والجماعة استواء الله (عَزَّ وَجَلَّ) العرش الذي هو من أعظم مخلوقات الله (عَزَّ وَجَلَّ).
- ولابد هنا أن نقول إن استواء الله (عَزَّ وَجَلَّ) على عرشه لا يدل على احتياجه (عَزَّ وَجَلَّ) لهذا العرش فالله (عَزَّ وَجَلَّ) لا يحتاج إلى أحد بل جميع المخلوقات تحتاج إلى الله (عَزَّ وَجَلَّ).
- ولابد كذلك أن نفرَّق بين استواء المخلوق واستواء الخالق (عَزَّ وَجَلَّ). فالمخلوق لو جلس على الكرسي فهو مستوٍ عليه فلو سُحِب الكرسي من أسفله سيقع لأن المخلوق يحتاج إليه. أما الله (عَزَّ وَجَلَّ) لا يحتاج إلى الكرسي أو غيره من مخلوقاته.
- نحن نتعبد بهذه الصفة بأن نستشعر بأن الله (عَزَّ وَجَلَّ) وهو مستوٍ على عرشه يعرف كل صغيرة وكبيرة عن مخلوقاته فهذا يدل على عِظم قدرة وعلم وإحاطة الله (عَزَّ وَجَلَّ) بكل شيء وكما ورد في الأثر إن الله (عَزَّ وَجَلَّ) يرى دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء [3].
- فنحن نقول كما قال مالك (رَحِمَهُ اللَّهُ)" الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة" [4] وطرد مالك (رَحِمَهُ اللَّهُ) لأنه استشعر أنه يريد فتنة الناس.
- ولكن الاشاعرة حرفوا صفة الاستواء إلى الاستيلاء وقالوا إننا لو أثبتنا أن الله (عَزَّ وَجَلَّ) مستوي على عرشه فهذا يقتضي أنه ملامس للعرش وهذا يجعل العرش يَحُد الله (عَزَّ وَجَلَّ) لأن العرش محدود. وقالوا كذلك إننا لو أثبتنا هذه الصفة فهذا معناه أن الله (عَزَّ وَجَلَّ) محتاج لهذا العرش. وقالوا إن الاستواء المقصود به الاستيلاء وجاءوا ببيت شعرٍ لشاعر نصراني قال:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق [5]

---

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).
[2] أخرجه ابن خزيمة والذهبي في العلو والبيهقي في الأسماء وإسناده حسن وصححه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية والذهبي في العلو أيضا. وقال الهيثمي في المجمع " رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح" عن عبد الله بن مسعود (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).
[3] ورد هذا الأثر عن كثير من العلماء (رَحِمَهُمُ اللَّهُ) مثل تفسير السمرقندي وتفسير السعدي وابن تيمية (رَحِمَهُ اللَّهُ) في مجموع الفتاوى وابن القيم (رَحِمَهُ اللَّهُ) في الوابل الصيِّب ولم يرد في ذلك حديث وإنما جاء ذكر النملة السوداء في حديثه (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الذي أخرجه الترمذي وأحمد وأبو يعلى نحوه وصححه الألباني في صحيح الجامع:" الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل"
[4] سبق تخريجه في الدرس الثالث صـ 1
[5] هذا البيت قد ورد عن الأخطل الشاعر النصراني وقد ذكره ابن كثير (رَحِمَهُ اللَّهُ) في البداية والنهاية وردَّ عليه ثم أيضاً قد روي هذا البيت بلفظ: قد **استولى** بشر على العراق من غير سيف أو دم مهراق وهذه الرواية مقدمة على الرواية الأولى. قال ابن القيم (رَحِمَهُ اللَّهُ) في مختصر الصواعق المرسلة:" أن البيت حرفوه ليطاوع مذهبهم وهو حجة عليهم"

- والرد عليهم من العقل واللغة. فمن العقل أنهم قالوا لو أثبتنا أن الله (ﷻ) مستوي على عرشه فهذا يقتضي أنه ملامس للعرش وهذا يجعل العرش يَحُد الله (ﷻ) لأن العرش محدود. فالرد عليهم أنهم لم يروا الله (ﷻ) أو مثل الله (ﷻ) أو النبي (ﷺ) قد أخبركم عن هذا. فلا أحد رأى الله (ﷻ) يقظة كما ذكرنا من قبل ولا يوجد أحد مثل الله (ﷻ) كما في قوله (ﷻ):﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[الشورى: 11] ولا النبي (ﷺ) قد أخبركم عن هذا فكيف تعرفتم على ملامسة الله (ﷻ) لعرشه وحدَّ العرش له الله (ﷻ)؟. والرد على أن الاستواء بمعنى الاستيلاء إن قولكم يقتضي أن الله (ﷻ) قد سُلِب العرش ثم استولى عليه مرة أخرى فمن الذي يستطيع أن يُنازع الله (ﷻ)!!!. وبما أن القرآن نزل بلسان عربي مبين فما الذي يمنع الله (ﷻ) أن يقول استولى على العرش بدلاً من استوى على العرش أم أن المقصود من استوى هو العلو والاستقرار؟؟.
- أما الرد من اللغة أنهم استدلوا ببيت شعر لشاعر نصراني أعجمي وليس عربي متقن للغة العربية فهو ليس عنده لغة العرب. وكذلك القاعدة عند أهل العلم أن المعنى إذا تردد بين المعنى الشرعي واللغوي فيُقدَّم المعنى الشرعي على اللغوي فمثل الصلاة في اللغة بمعنى الدعاء أما شرعاً أقوال وأفعال مخصوصة مُفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم من بيان فعل النبي (ﷺ) فلو قال لك أحدهم قم لتصلي فستقدَّم المعنى الشرعي على المعنى اللغوي إلا إذا أتت قرينة تصرف المعنى إلى المعنى اللغوي مثل قوله (ﷺ):"إذا دُعِي أحدكم وهو صائم فليجب فإن كان مفطرا فليطعم وإن كان صائما فليُصل" [1]. فليس المقصود من الحديث صلاة ركعتين لصاحب الدعوة ولكن المقصود الدعاء له فقد ورد في أحاديث أخرى أنه (ﷺ) دعا لصاحب الطعام. فأي كلام له ثلاث حقائق: حقيقة شرعية وحقيقة عرفية وحقيقة لغوية فأولاً نقدَّم الشرع ثم العرف ثم اللغة إلا في حالة وجود قرينة تصرف لأحدهم.
- وكذلك هذا البيت يُخالف الآيات والأحاديث التي جاءت معنا في السياق. فسياق البيت يدل على أنه هناك استيلاء على شيء معيَّن لأنه قال من غير سيف ولا دم مهراق فكأنه أخذ شيء من دون قتال. فلو قلنا معكم أن الاستواء بمعنى الاستيلاء تنزُّلاً نقول إن السياق قد يدل على أن الاستواء بمعنى الاستيلاء. ولكن أين هذه القرائن في قوله (ﷻ):﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** ﴾[طه: 5] ؟. فليس هناك قرينة تُبيِّن أن المقصود بالاستواء هو الاستيلاء.

5- صفة علو الله (ﷻ) (التوقيت: 41 دقيقة و2 ثانية)

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[طه: ٥] وقوله تعالى:

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[1] [الملك: ١٦]

وقول النبي ﷺ: «ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك»

وقال للجارية: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»(**). رواه مالك بن أنس ومسلم وغيرهما من الأئمة

وقال النبي ﷺ لحصين: «كم إلهاً تعبد؟» قال: سبعةً، ستةً في الأرض، وواحداً في السماء. قال: «ومن لرهبتك ورغبتك؟» قال: الذي في السماء. قال «فاترك الستَّة واعبد الذي في السماء وأنا أعلمك دعوتين» فأسلم وعلمه النبي ﷺ أن يقول: «اللهم ألهمني رُشدي وقني شرَّ نفسي»

[1] أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

وفيما نُقل من علامات النبي ﷺ وأصحابه في الكتب المتقدمة أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء

وروى أبو داود في «سننه»، أن النبي ﷺ قال: «إن ما بين سماء إلى سماء مسيرة كذا وكذا - وذكر الخبر إلى قوله -: وفوق ذلك العرش، والله سبحانه فوق ذلك»

فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف - رحمهم الله - على نقله وقبوله، ولم يتعرض لرده ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تمثيله

سئل مالك بن أنس الإمام رضي الله عنه فقيل: يا أبا عبدالله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ثم أمر بالرجل فأخرج(*)(١)

- وقد أتى المصنف (رحمه الله) فيها بأكثر من أثر ليُدلِّل على صفة العلو وهذه الصفة هي أصل صفة الاستواء كما ذكرنا. والعلو لله (عز وجل) هو علو شأن وقهر وذات. فعلو الشأن كما في قوله (تعالى):﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾[غافر: 15] وعلو القهر كما في قوله (تعالى):﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[الأنعام: 18] وكذلك وردت في قوله (تعالى):﴿ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾[آل عمران: 26] وهذا هو علو الربوبية الذي يقهر بها الله (عز وجل) جميع عباده. وعلو الذات هو الوارد في الآيات والأحاديث التي ذكرها المصنف (رحمه الله) مثل قوله (صلى الله عليه وسلم) للجارية السوداء:" أين الله؟". قالت: "في السماء". قال: "فمن أنا؟". قالت: "أنت رسول الله" فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) لمعاوية بن الحكم السلمي: أعتقها فإنها مؤمنة" [1].
- وقد ثبتت هذه الصفة بالفطرة والعقل والشرع حتى إن أكابر أصحاب الشافعي (رحمهم الله) قالوا: "في القرآن ألف دليل أو أزيد تدل على أن الله عال على الخلق وأنه فوق عباده" [2]. ولهذا جُلّ أهل العلم يُخرجون من الإسلام من لم يؤمن بصفة العلو لكثرة أدلتها بخلاف صفة الاستواء مثلاً فهي لا تأتي بالعقل أو الفطرة فهذا الصفة "الاستواء" تحتاج إلى دليل شرعي.
- جميع الطوائف اتفقوا على علو الشأن وعلو القهر ولكن الخلاف كله بين أهل السنة وغيرهم من الطوائف في إثبات علو الذات. فأهل السنة والجماعة يثبتون أن الله (عز وجل) فوق عرشه علو مطلق فوق السماوات السبع بذاته مع علمه وإحاطته بكل شيء. فهناك من الطوائف من لا يثبت علو ذاته (عز وجل) في السماء وهناك من يثبتون ذلك ويضيفون عليه علو ذاته (عز وجل) في كل مكان في الأرض وهم الحلولية كما نسميهم.
- ونحن نريد أن نثبت صفة العلو من الشرع فقد سمَّى الله (عز وجل) نفسه باسم العلِّي كما في قوله (تعالى):﴿ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ

---

[1] أخرجه مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي (رضي الله عنه).

[2] راجع مجموع الفتاوى لابن تيمية (رحمه الله) وقد جمع هذه الأدلة الحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب "العرش" والموفق ابن قدامة في كتاب "إثبات علو الله تعالى على عرشه" والحافظ الذهبي في كتاب "العلو" وأبو محمد الجويني في رسالة "إثبات الاستواء والفوقية" والحافظ ابن القيم في كتاب "اجتماع الجيوش الإسلامية" وغيرهم وقال ابن أبي العز الحنفي بعد ذكره ثمانية عشر نوعاً من أدلة إثبات علو الله بذاته على خلقه: "وهذه الأنواع من الأدلة لو بسطت أفرادها لبلغت نحو ألف دليل فعلى المتأول أن يجيب عن ذلك كله! وهيهات له بجواب صحيح عن بعض ذلك"

﴿الْكَبِيرُ﴾[الحج: 62] وهذا الاسم يتضمن صفة العلو. وكذلك من اسمه المُتعال كما في قوله (ﷻ):﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾[الرعد: 9] فمن الخطأ من يُسمَّى عبد العال فالوارد هو العلِّي والمتعال. وكذلك من اسمه الأعلى كما في قوله (ﷻ):﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾[الأعلى: 1].

- وكذلك من التصريح بالفوقية كما في قوله (ﷻ):﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[الأنعام: 18] وكما في قوله (ﷻ) عن الملائكة:﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾[النحل: 50] والملائكة كما هو معلوم في السماء وإن كانوا ينزلوا إلى الأرض ولكن مكانهم الأصلي في السماء وكما في قوله (ﷻ):﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾[الملك: 16] وإن كانت الطوائف يُشكلون علينا بحرف الجر "في" لأنه يدل على المحدودية لأن "في" تدل على الدخول داخل الشيء والصحيح أن "في" بمعنى "على".
- وكذلك من التصريح بالعندية كما في قوله (ﷻ):﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾[الأنبياء: 19] والملائكة هم المقصودون من الآية وكما هو معلوم مكانهم الأصلي في السماء.
- وكذلك من التصريح بالتجلي أو الرفع أو النزول أو الصعود تدل على علو الله (ﷻ) كما في قوله (ﷻ):﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾[الأعراف: 143] فالجبل موجود على الأرض فالتجلي لا يكون إلا من علو. وكما في قوله (ﷻ):﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[فاطر: 10] فالصعود يكون من أسفل إلى أعلى. وكذلك من حديثه (ﷺ): " إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلا يتتبعون مجالس الذكر. فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملئوا ما بينهم وبين السماء الدنيا. فإذا تفرقوا عرجوا **وصعدوا إلى السماء**. قال: فيسألهم الله (ﷻ) وهو أعلم بهم: " من أين جئتم؟" فيقولون: "جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك". قال: "وماذا يسألوني؟". قالوا: "يسألونك جنتك". قال: "وهل رأوا جنتي؟" قالوا: " لا أي رب". قال: " فكيف لو رأوا جنتي؟". قالوا: " ويستجيرونك". قال: " ومم يستجيرونني؟". قالوا: " من نارك يا رب". قال: " وهل رأوا ناري؟". قالوا: "لا". قال: " فكيف لو رأوا ناري؟". قالوا: " ويستغفرونك". قال: " فيقول: " قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا". قال: فيقولون: " رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم". قال: فيقول: " وله غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم " [1] وفيه صعود الملائكة من الأرض إلى السماء. وكذلك صعود النبي (ﷺ) إلى السماء في رحلة المعراج حتى كلَّم ربه (ﷻ) فوق السماوات وهذا فيه إثبات صفة العلو. وكذلك من صفة النزول كما بيَّنا من قبل والنزول لا يكون إلا من علو وكذلك من حديثه (ﷺ): " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم: " كيف تركتم عبادي؟". فيقولون: " تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون" [2] وفيه عروج الملائكة وهو صعود من الأرض إلى السماء. وحديث الجارية الذي قال فيه (ﷺ) للجارية السوداء:" أين الله؟". قالت: "في السماء". قال: "فمن أنا؟". قالت: "أنت رسول الله" فقال النبي (ﷺ) لمعاوية بن الحكم السلمي: أعتقها فإنها مؤمنة" [3].
- وكذلك حديثه (ﷺ) في حجة الوداع رفع أصبعه إلى السماء وقال للصحابة: " ألا هل بلغت" قالوا: "نعم" قال: "اللهم اشهد"[4]. والخطيب يرفع أصبعه بعد خطبة الجمعة وهو يدعو كما ورد عنه (ﷺ) [5].
- وكذلك من الفطرة أن المرء إذا أصابه شيء يرفع يده بالدعاء لله (ﷻ) وهو ينظر إلى السماء. فمن القصص المشهورة التي ذكرها محمد بن طاهر المقدسي (رحمه الله) أن الشيخ أبا جعفر الهمداني (رحمه الله) حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي الجويني (رحمه الله) المعروف بإمام الحرمين وهو يتكلم في نفي صفة العلو ويقول: " كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان" فقال الشيخ أبو جعفر: " أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا فإنه ما قال عارف قط يا الله إلا وجد في قلبه ضرورة طلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة كيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا؟". قال: " فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل

---

[1] أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه). وأما معنى "فضلاً" على جميع الروايات: أنهم ملائكة زائدون على الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق فهؤلاء السيارة لا وظيفة لهم وإنما مقصودهم حلق الذكر. راجع شرح النووي على صحيح مسلم

[2] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

[3] سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

[4] راجع تخريجه في الدرس الخامس صـ 6.

[5] فقد روى مسلم عن عمار بن رويبة (رضي الله عنه) قال: " رُؤي بشر بن مروان على المنبر رافعا يديه فقال: قبح الله هاتين اليدين. لقد رأيت رسول الله (ﷺ) ما يزيد على أن يقول بيده هكذا وأشار بأصبعه المسبحة".
وتقدم في فضائل الصحابة نصيحة سعد بن أبي وقاص وسهل بن سعد وغيرهم من الصحابة وعظته إياهم عن سب الصحابة

وأظنه قال: وبكى وقال: " حيرني الهمداني حيرني" [1].

- وقد ورد عن الصحابة (رضي الله عنهم) إثبات صفة العلو كما حدث مع أبو بكر (رضي الله عنه) عندما خرج على الناس بعد وفاته (صلى الله عليه وسلم) وقال: " من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي في السماء لا يموت" [2]. وكذلك ورد عن التابعين (رحمهم الله) والأئمة الأربعة (رحمهم الله).
- والكل يعرف أن العلو صفة كمال فمن كان يعبد إلهاً فلابد أن يتصف بجميع صفات الكمال ومن أجَّل صفات الكمال أن يكون الإله في علو مطلق ولا يكون في تنقُّص أو في سُفول.
- فمن الشبهات التي أثارها أهل البدع أننا لو قلنا بحرف الجر (في) فهذا يدل على أن الله (عز وجل) في السماء فهي إما تُظلَّه كالمظلة أو تُقله (تحمله) وليس معنى أن الله (عز وجل) في السماء أنه تُظلَّه أو تُقله ولكن المقصود أن الله (عز وجل) بائن عن السماوات أي فوق السماوات كما ذكرنا في صفة نزول الله (عز وجل) فهو نزول يليق بجلاله (تعالى) فالمقصود بحرف الجر (في) أنه بمعنى حرف الجر(على). وقد يسأل سائل كيف يأتي حرف الجر (في) أنه بمعنى حرف الجر(على) رغم أنه لا يجوز صرف اللفظ عن ظاهره إلا بدليل وكذلك كثير من أهل العلم (رحمهم الله) لا يقبلون تغيير معاني الحروف؟ والصحيح أن تغيير معاني الحروف له أدلة من الشرع وكما في قوله (تعالى):﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾[الملك: 16] فليس المقصود بحرف الجر (في) بمعنى (داخل) أو (بين) ولكن المقصود أنه بمعنى (على) وهذا له نظير في الشرع كما في قوله (تعالى) حاكياً عن فرعون عندما آمن السحرة بموسى:﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾[طه: 71] فهل فرعون فتح النخل ووضع داخله السحرة أم أن المقصود من في جذوع النخل أي على جذوع النخل؟ وكذلك قوله (تعالى):﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾[الملك: 15] فهل المطلوب شق الأرض والسير داخلها أم أن المقصود هو المشي فوق الأرض؟
- ومن الشبهات التي أثارها أهل البدع أننا لو قلنا بعلو الله (عز وجل) فهذا يُنافي قربه منا وعلمه بنا. والرد هو أن الله (عز وجل) وهو مستوٍ على عرشه يرى دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء [3] ويرى مخ سوقها ومناط عروقها. فالله (عز وجل) لا يُعجزه شيء فهو محيط (تعالى) بما نحن عليه كما ورد عن عائشة (رضي الله عنها) في المرأة التي جاءت تشتكي إلى الله (عز وجل) والتي ذكرها في قوله (تعالى):﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ﴾[المجادلة: 1]: " الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات. لقد جاءت المجادلة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله (عز وجل):﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ إلى آخر الآية" [4].
- فمن آثار صفة العلو أنه من علِم أن الله (عز وجل) في علو وهو العلي الكبير وهو المتعال الأعلى فيهفو قلبك أن تصل إلى هذا العلو فتعلو همته ويدعو الله (عز وجل) بأن يكون مثلاً من أعلم أهل الأرض ومن العبَّاد الزاهدين وأصحاب الطاعات الصدِّيقين (يصح للمرء أن يدعو أن يكون صديقاً ولا يصح أن يدعو أن يكون نبياً لقوله (صلى الله عليه وسلم) لعلي (رضي الله عنه): " أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" [5]. ومن دعا أن يكون نبياً فهذا يُسمَّى تعدِّي قدري في الدعاء أي تعدَّى على القدر وقد قدَّر الله (عز وجل) أنه لا نبي بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد قال (تعالى) في المُتعدِّين في الدعاء:﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾[الأعراف: 55]. وهناك أيضاً تعدِّي شرعي في الدعاء بأن يدعو بأمر يُخالف الشرع كأن يدعو بقطيعة الرحم أو يدعو بأمرٍ فيه معصية مثل أن يدعو بتذوُّق الخمر. أما الدعاء بأن يكون من الصدِّيقين فهذا من باب علو الهمة لأن الصدِّيقين بعد الأنبياء)
- ومن آثر من علِم أن الله (عز وجل) له علو القهر وعلو الشأن فالله (عز وجل) لا يُعجزه شيء فلا يقنط من الله (عز وجل) فهو يعلم أن الله (عز وجل) فوق عباده (تعالى) وقادر على أن يرُدَّ له هذا مظلمتة سواء في الدنيا أو الاخرة. ومعرفة علو شأن الله (عز وجل) يجعل الأنسان لا يصفه بما لا يليق به من نسب الولد له أو ينفون الصفات التي أثبتناها بالكتاب والسنة وقد قال (تعالى) في مثل

---

[1] ذكره الحافظ الذهبي (رحمه الله) في "العلو" وقال الألباني (رحمه الله) في "مختصر العلو": "إسناد هذه القصة صحيح مسلسل بالحفاظ". وقد ذكرها ابن تيمية (رحمه الله) في "مجموع الفتاوى" وفي "شرح العقيدة الطحاوية"

[2] أخرجه البخاري في تاريخه عن ابن عمر (رضي الله عنه).

[3] سبق تخريجه صـ 3

[4] اخرجه البخاري تعليقاً ووصله النسائي في النكاح (باب: الظهار) ووصله من طريقه الحافظ في (التعليق) وصحَّحه وأحمد في (المسند) وابن ماجه والحاكم في (المستدرك) عن عائشة (رضي الله عنها). وذكره ابن كثير في تفسير الآية

[5] اخرجه البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه)

هؤلاء:﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾[الزمر: 67] وحريٌّ به أن يثبت كل الصفات الثابتة عن الله (ﷻ)

- ومن ثمرات التعبُّد بهذه الصفة أنه من علِم أن الله (ﷻ) بذاته فوق السماوات السبع لا يكون من الحائرين الذين لا يعرفون أين الله (ﷻ) وقد يقول إن الله (ﷻ) تعالى الله (ﷻ) عما يقولون.
- هناك شبهات ألقاها أهل البدع على أهل السنة في صفة علو الله (ﷻ) فهناك منهم من يقول إن الله (ﷻ) ليس له علو ذات ولكنه في كل مكان وبعضهم يقول إن الله (ﷻ) في علو ذات وكذلك في كل مكان
- فذهب التعطيل وهم الجهمية الذين نفوا صفة علو الله (ﷻ) فهم لا يُثبتون أن الله (ﷻ) فوق السماوات السبع ويقولون إن الله (ﷻ) في كل مكان واستدلوا بآيات خاصة في مسألة المعيَّة مثل قوله (ﷻ):﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾[الحديد: 4] وكذلك قوله (ﷻ):﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾[المجادلة: 7] وكذلك قوله (ﷻ):﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ ﴾[الزخرف: 84] وكذلك قوله (ﷻ):﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾[الأنعام: 3] وكذلك قوله (ﷻ):﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾[البقرة: 186] فالله (ﷻ) موجود في السماء والأرض فكيف تقولون إنه على عرشه (ﷻ)؟
- والرد على مسألة المعيَّة " فهم يقولون إن المعيَّة تستدعي المخالطة أي أن الله (ﷻ) يُخالطنا في أي مكان نحن فيه (وهذا يلزم لوازم باطلة منها وجوده معنا الله (ﷻ) في الحمَّام وغيرها ولكننا لا نتطرق إليها هنا)" أن المعيَّة على قسمين: معيَّة تستلزم المخالطة أو معيَّة تستلزم المصاحبة. فهم أرادوا أن يستخدموا القسم الأول من المعيَّة ليقولون بقولهم الفاسد إن الله (ﷻ) يُخالطنا في أي مكان نحن فيه ولذلك هم يُسمَّون الحلولية لأنهم يقولون إن الله (ﷻ) قد حلَّ في كل شيء وقد اشتهر عن ابن عربي " وهذا يُخالف ابن العربي الفقيه المالكي" أنه يقول إن الله (ﷻ) حلَّ في البردة التي يلبسها [1].
- والصحيح أن المعيَّة تستلزم المصاحبة وهذا قد جاء من الشرع ومن اللغة ومن أقوال الصحابة.
- فمن الشرع نظرنا إلى كل الآيات والأحاديث التي ورد فيها حرف الجر (مع) فوجدنا أنه يأتي بمعنى معيَّة المصاحبة لا بمعنى معيَّة المخالطة كما في قوله (ﷻ):﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ﴾[الملك: 16] فليس المقصود بحرف الجر (في) بمعنى (داخل) أو (بين) ولكن المقصود أنه بمعنى (على) وكذلك قوله (ﷻ):﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾[طه: 71] فهل فرعون فتح النخل ووضع داخله السحرة أم أنه وضعهم على النخل؟ فالمقصود (في) جذوع النخل أي (على) جذوع النخل وكذلك من قوله (ﷻ):﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾[الملك: 15] فهل المطلوب شق الأرض والسير داخلها أم أن المقصود هو المشي فوق الأرض؟ وقوله (ﷺ) للجارية السوداء:" أين الله؟". قالت: "في السماء". قال: "فمن أنا؟". قالت: "أنت رسول الله" فقال النبي (ﷺ) لمعاوية بن الحكم السلمي: أعتقها فإنها مؤمنة" [2]. فهذه أدلة صريحة تدل على أن الله (ﷻ) في السماء مما يدل على أن المعيَّة المقصودة في الآيات التي ذكروها ليست معيَّة المخالطة بذاته بل معيَّة المصاحبة فهو معنا بعلمه المحيط وقدرته. فعندما يأتي نصَّان في الشرع أحدهما صريح والآخر يحتمل فنحن نحمل المعنى الذي يحتمل على المعنى الصريح المحكم. وكذلك أتى في قوله (ﷻ):﴿ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[البقرة: 43] فهل يستلزم ذلك مُخالطة جميع الراكعين لبعضهم؟ وكذلك أتى في قوله (ﷻ):﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[النساء: 46] فهل يستلزم ذلك مُخالطة جميع المؤمنين لبعضهم؟ وكذلك أتى في قوله (ﷻ):﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ﴾[الكهف: 28] فهل يستلزم ذلك مُخالطة النبي (ﷺ) لجميع المؤمنين؟ وكذلك من قوله (ﷻ):﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾[الفرقان: 27] فهل يستلزم ذلك مُخالطة النبي (ﷺ) له؟ وكذلك أتى في قوله (ﷻ):﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾[النساء: 46] فهل يستلزم ذلك مُخالطة جميع الخائضين لبعضهم؟ وكذلك أتى في قوله (ﷻ):﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ

---

[1] وقد نزغ بذلك بعض أهل الضلال من حلوليه الجهمية والصوفية كما جاء ذلك في "فصوص ابن عربي" و"فتوحاته المكية" وممن ذهب إلى ذلك -أيضا-: ابن سبعين والحلاج وغيرهم من أرباب أهل الحلول والاتحاد؛ ولهذا يروى عن بعضهم أنه قال: ما في الجبة إلا أنا وما في الجبة إلا الله -تعالى الله عن ذلك-. والتفت أحدهم إلى تلاميذه وقال: لا إله إلا أنا فاعبدون. -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا-؛ لأنه يزعم أن الله حال في ذاته ولذلك صرح ابن عربي بأن فرعون عندما قَالَ: " أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى" [النازعات:24] لم يكن مخطئاً ولم يقل إلا الحق لأنه ليس في الوجود إلا هو فهو تكلم عن ذات الحقيقة الكلية وعن ذات الوجود.

[2] سبق تخريجه صـ 5

﴿عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾[الأحزاب: 50] ومن المعلوم يقيناً أن النبي (ﷺ) هاجر فقط مع أبو بكر (رضي الله عنه) فهذا يدل على أنه هذه الهجرة لم تكن بالمخالطة. فكل الآيات السابقة تدل على أن المعيَّة المقصودة في الآيات التي ذكروها ليست معيَّة المخالطة بذاته بل معيَّة المصاحبة

- والردَّ عليهم من اللغة أن العرب كانت تقول:" سرت والقمر معي " [1] فالمقصود أن القمر كان يُصاحبهم بضوئه ليلاً. فالمعيَّة المقصودة في الآيات التي ذكروها ليست معيَّة المخالطة بذاته بل معيَّة المصاحبة.
- والردَّ عليهم من أقوال الصحابة ما ورد عن ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله:" ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كحبة خردل في يد أحدكم" [2] فحبة الخردل. وفي أيدنيا نحن في علو عنها. كذلك ولله المثل الأعلى الله (عز وجل) فوق كونه كله. ونحن نرى الحبة ونحيط بها ولا ينفي ذلك كونها معنا وهذا لا يستلزم المخالطة كذلك ولله المثل الأعلى الله (عز وجل) فهو فوق السماء دون مخالطة.
- فقد جاء حبر من أحبار اليهود إلى رسول الله (ﷺ) فقال له: " إذا كان يوم القيامة جعل الله السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع ثم يهزهن ثم يقول: أنا الملك أنا الملك ". قال: فلقد رأيت رسول الله (ﷺ) ضحك حتى بدت نواجذه تعجباً مما قال وتصديقاً له ثم قال رسول الله (ﷺ): {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}" [3]. فهذا الحديث وما سبق من قول ابن عباس يدل على أن عظم قدر الله (عز وجل) وأنه يحيط هذا الكون بعلمه وهذا رد على من قال إن الإحاطة تستلزم المخالطة.
- وهناك تقسيم آخر للمعيَّة وهي المعيَّة العامة والمعيَّة الخاصة. أما المعيَّة العامة وهي أن الله (عز وجل) مع المؤمن والكافر وإحاطته بأفعالهما وينجّيهم كما في قوله (تعالى):﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾[الإسراء: 67] وقوله (تعالى):﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[العنكبوت: 65] فلا أحد في هذا الكون إلا بمعيَّة الله (عز وجل). وأما المعيَّة الخاصة هي معيَّة النصرة والتأييد الواردة في قوله (تعالى):﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[النحل: 128] وهذه لا تكون إلا للمؤمنين كما في قوله (تعالى) لموسى وهارون (عليهما السلام):﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾[طه: 46] وهذه خاصة بالمؤمنين فقط.
- وبالمناسبة نرُّد على من قال بأن نزول الله (عز وجل) نزول علم وإحاطة بأن الله (عز وجل) يحيط بنا في كل وقت فهو يعلم بحالنا ويحيط بنا سواء في الثلث الأخير أو غيره من الأوقات وعندما خصَّ نزول الثلث الأخير فهذا يدل على صفة النزول نزول يليق بجلاله وكماله (تعالى). والأشاعرة قالوا نزول أمره ورحمته فنرد عليهم وهل نزول الأمر فيه قول الله (عز وجل) هل من سائل فأعطيه؟ وغيرها مما في الحديث الذي ذكرناه في صفة النزول
- والرد على استدلاهم بقوله (تعالى):﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾[الزخرف: 84] وقوله (تعالى):﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾[الأنعام: 3] وقوله (تعالى):﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[البقرة: 186] والرد على شبهة الأشاعرة إننا لو قلنا إن الله (عز وجل) في السماء فقد جعلنا لله (عز وجل) حيَّز وله حد وكأن لله (عز وجل) جهة نُرجئه للمحاضرة التالية.

---

[1] ذكره ابن تيمية (رحمه الله) في كتاب "العقيدة الواسطية"

[2] أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس (رضي الله عنهما) وذكره الشيخ السعدي في تفسيره في تفسير قوله تعالى: " وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" [البقرة:255]

[3] اخرجه البخاري ومسلم عن ابن مسعود (رضي الله عنه)

الشريط الثامن
تابع صفة العلو وصفة الكلام

محتويات الشريط الثامن

1- تابع شبهات الطوائف في صفة علو الله (ﷻ) (التوقيت: 26 دقيقة و33 ثانية)..... 1
2- صفة كلام الله (ﷻ) (التوقيت: 53 دقيقة و13 ثانية)..... 2
3- القرآن كلام الله (ﷻ) (التوقيت: 1ساعة و11 دقيقة و49 ثانية)..... 6

1- تابع شبهات الطوائف في صفة علو الله (ﷻ) (التوقيت: 26 دقيقة و33 ثانية)

- استدل أصحاب الطوائف إن الله (ﷻ) في كل مكان بقوله (ﷻ):﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾[الأنعام: 3] وكذلك قوله (ﷻ):﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾[الزخرف: 84] وبما أنه لا تعدد للآلهة فهذا معناه عندهم أن الله (ﷻ) في كل مكان والرد على من أكثر من وجه.
- فالوجه الأول إن المقصود من الآيتين أن الله (ﷻ) هو المعبود بحق في السماء وهو المعبود بحق في الأرض فاسم الله هو الذي يدل على ذكر لفظ الألوهية والعبودية في اسمه الله في الآية وهو اسم الله الأعظم. فالملائكة يعبدون الله (ﷻ) في السماء والمؤمنون يعبدون الله (ﷻ) في الأرض.
- والوجه الثاني إن المقصود من الآيتين أن الله (ﷻ) بذاته في السماء وشرعه وأوامره وعلمه محيط لما في الأرض وذلك من قوله (ﷻ):﴿ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾[الأنعام: 3] وقوله (ﷻ):﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾[الزخرف: 84] وكذلك من حديث أبو الدرداء (رضي الله عنه) قال: سمعت النبي (ﷺ) يقول: " ربنا الذي في السماء تقدس أسمك أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على الوجع فيبرأ إن شاء الله تعالى" [1].
- وعموماً الرد عليهم كذلك أن لازم قولهم إن الله (ﷻ) في كل مكان أن الله (ﷻ) في أماكن المراحيض تجده -أعاذكم الله - وفي أماكن المعاصي تجده فتعالى الله (ﷻ) عما يقولون علواً كبيراً.
- واستدل أصحاب الطوائف إن الله (ﷻ) في كل مكان بقوله (ﷻ):﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾[البقرة: 186] فالقرب المذكور في الآية يدل على إن الله (ﷻ) في كل مكان. والرد عليهم جاء من مما رواه أبو موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال: لما غزا رسول الله (ﷺ) خيبر أو قال: لما توجه رسول الله (ﷺ) أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله فقال رسول الله (ﷺ): " اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم" وأنا خلف دابة رسول الله (ﷺ) فسمعني وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله فقال لي: " يا عبد الله بن قيس". قلت: " لبيك يا رسول الله" قال: " ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة" قلت: " بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي" قال: "لا حول ولا قوة إلا بالله" [2]. فالمقصود من الحديث إن الله (ﷻ) حاضر بعلمه يسمعكم فلا تحتاجون لرفع أصواتكم ليصل الصوت إليه (ﷻ) فالقرب قرب علم وإحاطة وليس قرب ذات كما يتكلمون به.
- واستدل أصحاب الطوائف بقول النبي (ﷺ): " إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته **كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها** وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته" [3]. وهذه حجة للذين يقولون بالحُلوليَّة (الفرق بين الحُلوليَّة والاتحادية أن الحُلوليَّة يقولون إن الخالق هو المخلوق على عكس الاتحادية الذين يقولون إن الخالق غير المخلوق ولكن الخالق اتحد مع المخلوق تعالى الله عن قولهما علواً كبيراً). والرد عليهم إن قولكم يُخالف الصريح من الأدلة التي ذكرناها في علو الله (ﷻ) وكذلك المقصود من هذا الحديث إن هذا العبد لو أحبه الله (ﷻ) بعد تقربه إليه بالفرائض ثم النوافل فلا يسمع إلا ما يرضي الله (ﷻ) ولا يبصر إلا فيما يرضي الله (ﷻ) ولا يمشي إلا في الطاعات. وهذا يظهر في رواية أخرى لهذا الحديث " فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش..." [4] فالمقصود يسمع بقدرتي ما أردت له أن يسمعه فأصرفه عن المعازف والأغاني والأشياء المحرمة وهكذا.

---

[1] أخرجه أبو داود والنسائي والحاكم من حديث أبي الدرداء (رضي الله عنه) وقال الحاكم: قد احتج الشيخان بجميع رواة هذا الحديث غير زيادة بن محمد وهو شيخ من أهل مصر قليل الحديث وتعقبه الذهبي: قلت: قال البخاري وغيره: منكر الحديث وضعفه ابن عدي في الكامل وابن حبان في المجروحين وقال الذهبي في الميزان - بعد ذكر من ضعف زيادة -: وقد انفرد بحديث الرقية: "ربنا الذي في السماء .. " بالإسناد

[2] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. واربعوا على أنفسكم أي: أرفقوا بأنفسكم

[3] أخرجه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه)

[4] قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة: ولم أر هذه الزيادة عند البخاري ولا عند غيره ممن ذكرنا من المخرجين وقد ذكرها الحافظ في أثناء شرحه للحديث نقلا عن الطوفي ولم يعزها لأحد

- نختم بالأشاعرة الذين ينكرون علو ذات الله (ﷻ) وقالوا: لو أنكم قلتم إن الله (ﷻ) في السماء فقد جعلتم لله (ﷻ) حيَّز وجهة. فلو قلتم إن الله (ﷻ) له حيَّز فهذا معناه أنه يحوزوه (يحيطه) شيء والشيء الذي له حيَّز فيه نقص. ولو قلتم إن الله (ﷻ) له جهة فهذه الجهة إما أن تكون قديمة بقِدم الله (ﷻ) فيكون هناك قديم مع الله (ﷻ) أو تكون حديثة فالله (ﷻ) مُحدَّث معها.
- والرد عليهم أن معنى حيَّز وجهة تحتمل معنى باطل وتحتمل معنى صحيح ولم يرد في الكتاب أو السنة معنى الحيَّز والجهة. فالمعنى الصحيح أن الله (ﷻ) في حيَّز وجهة بحيث أنه (ﷻ) يكون بائن عن خلقه. والمعنى الباطل أن الله (ﷻ) في حيَّز وجهة بحيث أنه (ﷻ) يحدُّه أحد والجهة التي نتكلم عنها مُحدثة.

2- صفة كلام الله (ﷻ) (التوقيت: 53 دقيقة و13 ثانية)

ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة وسمعه جبريل عليه السلام ومن أذن له من ملائكته ورسله

وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة ويكلمونه ويأذن لهم فيزورونه . قال الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾[٣] [النساء: ١٦٤] وقال سبحانه: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقال سبحانه: ﴿ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقال سبحانه: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ [الشورى: ٥١]

كلام الله بحرف وصوت مسموع. وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا رَبُّكَ ﴾ [طه: ١١-١٢]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾ [طه: ١٤] وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء» وروي ذلك عن النبي ﷺ .

وروى عبد الله بن أنيس عن النبي ﷺ أنه قال: «يحشر الله الخلائق يوم القيامة حفاة عراة غُرْلاً بُهْماً، فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُد، كما يسمعه من قَرُبَ: أنا الملك، أنا الديان». رواه الأئمة واستشهد به البخاري

وفي بعض الآثار: أن موسى عليه السلام ليلة رأى النار فهالته وفزع منها، ناداه ربه: «يا موسى» فأجاب سريعاً استئناساً بالصوت فقال: لبيك لبيك أسمع صوتك ولا أرى مكانك، فأين أنت؟ فقال: «أنا فوقك، ووراءك، وعن يمينك، وعن شمالك» فعلم أن هذه صفة لا تنبغي إلا لله تعالى، قال: «كذلك أنت يا إلهي فكلامك أسمع أم كلام رسولك؟ قال: «بل كلامي يا موسي»[1]

- أولاً لابد أن نأصل أن كلام الله (ﷻ) كلام حقيقي بصوت مسموع وبحروف واضحة فقد تكلم الله (ﷻ) مع عدة أنواع من الخلائق فقد تكلم الله (ﷻ) مع الملائكة وجبريل (عليه السلام) وآدم وحواء وإبليس وبعض رسله منهم موسى (عليه السلام) والنبي (ﷺ) ومع الجمادات مثل السماوات والأرض ومع الجنة والنار وسيتكلم الله (ﷻ) مع أهل الجنة وأهل النار.
- فكلامه مع الملائكة من قوله (ﷻ):﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[البقرة: 30] ومن قول النبي (ﷺ): " إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان ... الحديث"[1]
- وكلامه مع جبريل (عليه السلام) كما في الحديث القدسي: " إذا أحب الله العبد **نادى** جبريل: إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ... الحديث "[2]
- وكلامه مع آدم وحواء من قوله (ﷻ):﴿ نَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ ﴾[الأعراف: 22] وكلامه مع إبليس من قوله (ﷻ):﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾[الأعراف: 12] وقوله (ﷺ): " **يقول الله تعالى**: " يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول: أخرج بعث النار قال: وما بعث النار؟ ...الحديث "[3]
- وكلامه مع بعض رسله (عليهم السلام) من قوله (ﷻ):﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ﴾[البقرة: 253]
- وكلامه مع موسى (عليه السلام) من قوله (ﷻ):﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾[النساء: 164] وكذلك من قوله (ﷻ):﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾[الأعراف: 143] وقوله (ﷺ): " احتج آدم وموسى فقال له موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا

---

[1] أخرجه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه)
[2] أخرجه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه)
[3] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه).

وأخرجتنا من الجنة قال له آدم: يا موسى **اصطفاك الله بكلامه** وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى فحج آدم موسى " [1]

- وتكلم مع (ﷺ) كما في الحديث: " ..حتى جاء سدرة المنتهى ودنا للجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله فيما أوحى إليه: خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال: يا محمد ماذا عهد إليك ربك؟ قال: عهد إلي خمسين صلاة كل يوم وليلة قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي (ﷺ) إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك فأشار إليه جبريل: أن نعم إن شئت فعلا به إلى الجبار فقال وهو مكانه: يا رب خفف عنا فإن أمتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال: يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فأمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وأبصارا وأسماعا فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي (ﷺ) إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال: يا رب إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وأبدانهم فخفف عنا **فقال الجبار: يا محمد قال: لبيك وسعديك قال: إنه لا يبدل القول لدي كما فرضته عليك في أم الكتاب قال: فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك** فرجع إلى موسى فقال: كيف فعلت؟ فقال: خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها قال موسى: والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا موسى قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه قال: فاهبط باسم الله قال: واستيقظ وهو في مسجد الحرام " [2]
- وتكلم مع السماوات والأرض كما في قوله (ﷻ):﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[فصلت: 11]
- وتكلم مع الجنة والنار كما في قوله (ﷻ):﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾[ق: 30]. وفي حديثه (ﷺ): " اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فهو أشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير" [3]. وفي حديثه (ﷺ): " تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم **قال الله تبارك وتعالى** للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منهما ملؤها فأما النار: فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا وأما الجنة: فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقا" [4]
- وتكلم مع أهل الجنة والنار كما في قوله (ﷻ):﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾[ق: 28]. وكما حديثه (ﷺ): " إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة؟ فيقولون: لبيك ربنا وسعديك **فيقول**: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك **فيقول**: أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ **فيقول**: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا" [5].
- والكلام في كل ما سبق بصوت مسموع وحروف مسموعة ونستدل على ذلك من آيات كثيرة منها قوله (ﷻ):﴿ نَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾[الأعراف: 22] و﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾[مريم: 52] و﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[الشعراء: 10] و﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾[القصص: 46] و﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾[الصافات: 104] فالمُناداة في اللغة لابد أن تكون بصوت مرتفع.
- والله (ﷻ) يتكلم وقتما شاء كيفما شاء وهذا يدل على أن صفة الكلام ذاتية فعلية. ذاتية لأن أصل صفة الكلام متصف بها أبداً وفعلية لأنه إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها. قال ابن تيمية (رحمه الله) في هذه الصفة أنها قديمة النوع حادثة الآحاد [6] وقديمة

---

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.
[2] أخرجه البخاري ومسلم عن أنس (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.
[3] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. وهذا الحديث من باب الاستئناس لأنه لم يُذكر فيه كلام الله (عز وجل) للنار صراحة
[4] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.
[5] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.
[6] راجع كلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ودرء تعارض العقل والنقل

النوع أي أن الله (ﷻ) متصف بهذه الصفة أزلاً فلم يكن يوماً غير متكلم لأن هذا نقص فمن النقص أن تقول إنه (ﷻ) متكلم دائماً كأنه يقول يا موسى يا موسى من القديم إلى الآن. وحادثة الآحاد أي أن الله (ﷻ) يتكلم بهذا الكلام وقتما شاء. والدليل على ذلك قوله (ﷻ):﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾[الأنبياء: 2] وقوله (ﷻ):﴿ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴾[الشعراء: 5]

- وكلام الله (ﷻ) لا يُحصى والدليل من قوله (ﷻ):﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾[الكهف: 109] ومن قوله (ﷻ):﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[لقمان: 27].
- وعدم الكلام صفة نقص كما أوضح قوله (ﷻ) في قوله:﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾[الأعراف: 148] وقوله:﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾[طه: 89].
- والقرآن صفة من صفات الله (ﷻ) فالقرآن كلام الله (ﷻ) والكلام صفة من صفاته (ﷻ) فيكون القرآن صفة من صفات الله (ﷻ) وأن كلام الله (ﷻ) غير مخلوق. وكما اتفقنا أننا نعرف صفات الله (ﷻ) بإضافة صفة لموصوف وقد أضاف (ﷻ) الكلام إليه في قوله:﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ ﴾[البقرة: 75] وقوله:﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾[التوبة: 6] وقوله:﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ﴾[الفتح: 15].
- وفتنة الإمام أحمد في السؤال هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق. فنقول إنه غير مخلوق لأنه كلام الله (ﷻ)
- ومن الأدلة على أن القرآن كلام الله (ﷻ) قوله (ﷻ):﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[الأعراف: 54].
فهنا في الآية عطف الله (ﷻ) الخلق على الأمر وفي اللغة العطف يقتضي المغايرة فيكون الخلق غير الآمر والقرآن من أوامره ونواهيه فيكون القرآن غير مخلوق
- ومن الأدلة على أن القرآن كلام الله (ﷻ) قوله (ﷻ):﴿ الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴾[الرحمن: 1-3].
فهنا الله (ﷻ) عندما تكلم عن الإنسان تكلم عنه بلفظ الخلق وعندما تكلم عن القرآن تكلم عنه بلفظ العلم ولم يقل خلق القرآن مع أنه أوضح ذلك مع الإنسان.
- ولا يُشكل علينا أن القرآن أُضيف في بعض الآيات لغير الله (ﷻ) مثل قوله (ﷻ):﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾[الحاقة: 40 & التكوير: 19] فهذه الإضافة ليست إضافة ابتداء بل إضافة تبليغ فالقرآن كلام الله (ﷻ) منه بدأ ولكن الذي بلَّغه هو جبريل (عليه السلام) والنبي (ﷺ) كما قال (ﷻ):﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾[الإسراء: 106] والقراءة في الآية هي تبليغه للناس وقوله (ﷻ):﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾[القدر: 1] فالنزول من عند الله (ﷻ) والتبليغ عن طريق جبريل (عليه السلام).
- ومن قال إن القرآن كلام البشر توعَّده الله (ﷻ) وعيد شديد مثل قوله (ﷻ) في الوليد بن المغيرة:﴿ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾[المدثر: 24-26]. والاشاعرة يقولون إن القرآن علمه جبريل (عليه السلام) من الله (ﷻ) فتكلَّم به حتى يحرفوا صفة الكلام. والفرق بين الوليد بن المغيرة والاشاعرة أن الوليد كان منكر ظاهراً لكنه في باطنه يعلم أنه كلام الله (ﷻ) كما قال عندما سمع القرآن من النبي (ﷺ): " وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيدته مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته" [1] على عكس الأشاعرة الذين ينكرون أن القرآن كلام الله (ﷻ). وهم وإن كانوا يدَّعون أنهم يثبتون صفة الكلام مثلنا من ضمن الصفات السبع التي يثبتونها ولكن الحقيقة أنهم لا يثبتون كلام الله (ﷻ) ويقولون إن القرآن تكلم به جبريل (عليه السلام).
- فالقرآن جاء مُعجز لقريش لأنهم أهل اللغة كما في قوله (ﷻ):﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ

[1] الخبر عند الحاكم والبيهقي في "الدلائل" عن ابن عباس (رضي الله عنهما) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

مِثْلِهِ﴾[البقرة: 23] بل مُعجز للأنس والجن كما في قوله (ﷻ):﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[الإسراء: 88]. وهاتين الآيتين وغيرهما يدل على أن الإعجاز في الآيات لأنه ليس ينتمي إلى البشر بل هو كلام الله (ﷻ).

- والأدلة من السنة كثيرة على أن القرآن كلام الله (ﷻ) أنه منها قوله (ﷺ) في بداية خُطَبه: " فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ...الحديث" [1].
- وكذلك قوله (ﷺ): " أعوذ **بكلمات الله** التامات من شر ما خلق" [2]. والله (ﷻ) نهى عن الشرك في قوله (ﷻ):﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾[الزمر: 65] فكيف يستعيذ (ﷺ) بمخلوق؟. ولكن يجوز الاستعاذة بالصفة فالصفة تأخذ حكم الموصوف.
- بل أجمع الصحابة (رضي الله عنهم) على ذلك ومن ذلك رهان أبو بكر (رضي الله عنه) قريش على أن الروم سيغلبون الفرس. وهذا يظهر من قول ابن عباس (رضي الله عنهما): "كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أصحاب أوثان وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب فذكر ذلك لأبي بكر فذكره أبو بكر لرسول الله (ﷺ) فقال رسول الله (ﷺ): "أما إنهم سيغلبون" فذكره أبو بكر لهم فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلا فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا. فجعل أجلا خمس سنين فلم يظهروا فذكر ذلك أبو بكر للنبي (ﷺ) فقال: "ألا جعلتها إلى دون" أراه قال: "العشر". "قال سعيد بن جبير: البضع ما دون العشر. ثم ظهرت الروم بعد. قال: فذلك قوله: {الم. غلبت الروم. في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم}" [3]. والشاهد هو الرواية الأخرى التي قال فيها أبو بكرٍ الصديق (رضي الله عنه) حين قرأ على قريش {الم * غُلِبَتِ الرُّومُ} [الروم: 1-2] أنه لما قرأ سورة الروم على مشركي مكة فقالوا: " هذا ما أتى به صاحبك". قال: " **لا ولكنه كلام الله عز وجل** " وقوله: وفي رواية أخرى: " **ليس بكلامي ولا كلام صاحبي ولكنه كلام الله (ﷻ)**[4].
- الرهان حرام لقوله (ﷺ): " من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله ومن قال لصاحبه: تعال أُقامرك فليتصدق" [5] ولكنه يجوز على أمر يقيني وتَحقُّق وقوع الآية من اليقين ولهذا جاز لأبي بكر (رضي الله عنه) الرهان عليه [6].
- وورد عن عمر (رضي الله عنه): " إن هذا القرآن كلام الله فضعوه على مواضعه" [7]
- وورد عن عائشة (رضي الله عنها) بعد نزول الآيات التي تبرأها من حادثة الإفك: " ولشأني في نفسي كان أحقر من أن **يتكلم الله** في بأمر يتلى... الحديث " [8]. ومن يتهم عائشة (رضي الله عنها) في عرضها يكفر لأن يُكذِّب الله (ﷻ) في القرآن.
- وورد عن عثمان (رضي الله عنه): " لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام الله (ﷻ) " [9].

3- القرآن كلام الله (ﷻ) (التوقيت: 1ساعة و11 دقيقة و49 ثانية)

---

1 أخرجه مسلم عن جابر (رضي الله عنه).
2 أخرجه مسلم عن خولة بنت حكيم (رضي الله عنها).
3 أخرجه النسائي والترمذي وأحمد والحاكم عن ابن عباس (رضي الله عنهما) والرواية لأحمد. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب. وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في حاشية المسند والألباني في صحيح سنن الترمذي ولهذا الحديث طرق متعددة مستفيضة عن ابن مسعود والبراء بن عازب وينار بن مكرم الأسلمي (رضي الله عنهم)
4 أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن جابر (رضي الله عنه) وابن خزيمة عن نيار بن مكرم الأسلمي (رضي الله عنه) بنحوه. وذكره ابن حجر في الفتح وابن تيمية في مجموع الفتاوى
5 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).
6 وكذلك هناك رواية عند الترمذي فيها أن قصة أبي بكر مع المشركين كانت قبل تحريم الرهان.
7 أخرجه عبد الله في السنة والآجرى في الشريعة والبيهقي في الأسماء والصفات وفي سنده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف.
8 أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها).
9 أخرجه أحمد في الزهد وفي فضائل الصحابة وأبو نعيم في الحلية عن عثمان (رضي الله عنه) وسنده ضعيف للانقطاع.

ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم وهو كتاب الله المبين
وحبله المتين وصراطه المستقيم وتنزيل رب العالمين

نزل به الروح الامين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين منزل غير مخلوق. منه بدأ وإليه يعود.
وهو سور محكمات وآيات بينات
وحروف وكلمات من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات
له أول وآخر وأجزاء وأبعاض متلو بالألسنة محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان، مكتوب في المصاحف
فيه محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام
وأمر ونهي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] وقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]
وهذا هو الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا ﴿لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [سبأ: ٣١] وقال بعضهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] فقال سبحانه: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦]، وقال بعضهم: هو شعر، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩] فلما نفي الله عنه أنه شعر وأثبته قرآناً لم يبق شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو كلمات وحروف وآيات لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد: إنه شعر، وقال الله عز وجل: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]

ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يُدرَىٰ ما هو ولا يُعقل .

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ﴾ [يونس: ١٥]. فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم

وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩] وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الواقعة]. بعد أن أقسم على ذلك

وقال الله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١] وقال تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾﴾[الشورى] وافتتح تسعاً وعشرون سورة بالحروف المقطعة

وقال النبي ﷺ: «من قرأ القرآن فأعربه، فله بكل حرف منه عشر حسنات، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة»(*).

حديث صحيح .

وقال عليه السلام: «اقرؤوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم، لا يُجاوز تراقِيَهم، يتعجلون أجره ولا يتأجَّلونه»

وقال أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما -: إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه .

وقال علي رضي الله عنه: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله .

واتفق المسلمون على عد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافر، وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف .

- وفتنة أن القرآن مخلوق جاءت عن طريق الجهمية في زمن الإمام أحمد (رحمه الله) وثبت فيها حتى إن المزني (رحمه الله) يقول في الثبات على هذا الدين:" أحمد بن حنبل يوم المحنة وأبو بكر يوم الردة وعمر يوم السقيفة وعثمان يوم الدار وعلي يوم الجمل وصفين" [1] وقال عليُّ بنُ المَديني (رحمه الله): " قد أيد الله هذا الدين برجلين لا ثالثَ لهما: أبو بكر يومَ الردة وأحمدُ يوم المحنة" [2].
- وورد عن كثير من أهل العلم أنهم يكفرون من قال إن القرآن مخلوق كالإمام أحمد (رحمه الله) وعبد الله بن المبارك (رحمه الله) وسفيان بن عيينه (رحمه الله) وغيرهم من التابعين وأئمة هذا الدين
- قال يحيى بن خلف المقرئ (رحمه الله): كنت عند مالك بن أنس (رحمه الله) فجاءه رجل فقال: " ما تقول فيمن يقول: القرآن مخلوق؟ ". فقال: " هو عندي كافر فاقتلوه" [3].
- وهناك طوائف خالفت في ذلك من الاتحادية كأمثال ابن عربي وابن فارض وابن سينا ومعتقد هذه الفرقة إن كلام البشر هو كلام الخالق لأنهم يقول إن الخالق أتحد مع المخلوق حتى إن ابن عربي يقول: "وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه" [4]. ولازم هذا القول نسب الفحش وغيره إلى الله (عز وجل).
- وكذلك الحلولية وهم يقولون كقول النصارى في التثليث فهم يقولون إن الخالق حلَّ في المخلوق وقولهم كالاتحادية.
- وكذلك الفلاسفة فهم لا يؤمنون أصلاً بوجود إله فالإله عندهم يسمى العقل الفعَّال وهو عندما يفيض يأتي بكلام وهم يقولون إن النبوة مكتسبة فلو جلس الإنسان بمفرده في خلوة وصفا ذهنه قد يأتي إليه وحي عن طريق إفاضة العقل الفعَّال.
- وكذلك الجهمية والمعتزلة يقولون إن القرآن مخلوق فهم يقولون لو أننا أثبتنا لله (عز وجل) الكلام فقد أثبتنا له مخرج لأن المخلوق له مخرج فمشكلتهم الأساسية كما ذكرنا من قبل إنهم يشبِّهون الخالق بالمخلوق. والرد عليهم من الأثر كما سبق.

---

1 رواه ابن كثير في "البداية والنهاية" وابن عساكر في "تاريخ دمشق" والذهبي في " سير أعلام النبلاء".
2 رواه الخطيب في "تاريخ بغداد" ومن طريقه ابن عساكر في "تاريخ دمشق".
3 رواه البيهقي في "الأسماء والصفات" ورواه البغوي في "شرح السنة"
4 راجع مجموع الفتاوى لابن تيمية.

- والرد عليهم من النظر إنهم يقولون لو أننا أثبتنا لله (ﷻ) الكلام فقد أثبتنا له مخرج لأن المخلوق له مخرج أن الجمادات ليس لها مخرج وتكلمت مثل السماء والأرض وجذع النخل بكى لفراق النبي (ﷺ) [1]. وكذلك الدواب تخرج أصوات ولها مخرج والأطفال لهم مخرج والمخرج يختلف بين هؤلاء والرجل والمرأة والشيخ فمن باب أولى بأن الله (ﷻ) تكلم وليس لازم هذا التكلم أنه له مخرج.
- فنحن نثبت أن الله (ﷻ) تكلم كلاماً يليق بجلاله ولا نعلم كيفية لكلامه
- ومن هذه الطوائف في مسألة الصفات هم الأشاعرة والكُلَّابية وهؤلاء ظاهرهم أنهم مع أهل السنة والجماعة وباطنهم أنهم يخالفوننا فهم يقولون إنهم يثبتون أن الله (ﷻ) يتكلم وإن القرآن كلام الله (ﷻ) ولكن يقولون إن القرآن الذي معنا ليس هو الكلام الذي تكلم به الله (ﷻ) بل إن جبريل (عليه السلام) علِم من الله (ﷻ) ما يريده فكتب جبريل هذا الكلام وتكلم به ونزل به على النبي (ﷺ). وهم قالوا ذلك حتى يفروا من التشبيه ولكن الذي حدث أنهم وصفوا الله (ﷻ) بالنقائص فكأن الله (ﷻ) لم يستطع أن يتكلم بهذا الكلام فجعل جبريل (عليه السلام) يتكلم به.
- وآخر طائفة الكرَّامية فهم وافقونا في جزء وخالفونا في جزء فهم قالوا إن القرآن كلام الله (ﷻ) غير مخلوق لكن الكلام صفة لله (ﷻ) لم يكن متصفاً بها أي إن الله (ﷻ) لم يكن متكلماً ثم أصبح متكلماً. وهم أيضاً كباقي الطوائف أرادوا تنزيه الله (ﷻ) ولكن قولهم بأن الله (ﷻ) لم يكن متكلماً يلزم منه أن الله (ﷻ) كان في نقص. فلو وجدت رجل لم يتكلم فهذا لا يعني أنه غير متكلم فعندما يتكلم تعرف أنه يتكلم ولكن ليس معنى سكوته أنه لا يستطيع الكلام ولكنه قد يكون لا يريد أن يتكلم الآن. فالله (ﷻ) المثل الأعلى هو متصف بصفة الكلام ولكنه يتكلم وقتما شاء.
- فقول الجهمية والمعتزلة كفر على عكس بقيَّة الأقوال الذين عندهم تأويل خطأ فالمسألة على درجات فمنهم الكفر الصريح ومنهم الفسق.
- أما قول أهل السنة والجماعة الفصل في هذه المسألة إن القرآن كلام الله (ﷻ) غير مخلوق منه بدأ ثم بلَّغه جبريل (عليه السلام) للنبي (ﷺ) ومنه إلى الأمة وهو صفة من صفات الله (ﷻ) قديمة النوع حادثة الآحاد وهي صفة ذاتية فعلية وأهل السنة يكفرون من قال إن كلام الله (ﷻ) مخلوق.
- وهناك ملحوظة هامة إن تقسيم الصفات إلى ذاتية وفعلية ومسماها عندنا أجزاء وأبعاض هذا فقط من باب التعلم فلم يكن السلف يقسِّمون هذه الصفات لأنهم لم يكونوا يحتاجون لهذا التقسيم لأنهم كانوا يثبتون كل الصفات ولكننا اضطر أهل السنة لهذا التقسيم للرد على الطوائف المُبتدعة. فهذا التقسيم ليس تعبدياً ولكنه من باب الاصطلاح للتعلم.

---

[1] وهذا من الحديث الذي أخرجه ابن ماجه وأحمد والشافعي والدارمي وابن سعد وأبو نعيم في الدلائل والشاشي في مسنده والبيهقي في الدلائل عن أبى بن كعب قال: "كان رسول الله (ﷺ) يصلى إلى جذع إذ كان المسجد عريشا وكان يخطب إلى ذلك الجذع فقال رجل من أصحابه: هل لك أن نجعل لك شيئًا تقوم عليه يوم الجمعة حتى يراك الناس وتسمعهم خطبتك؟ قال: "نعم" فصنع له ثلاث درجات فهي التي أعلى المنبر فلما وضع المنبر وضعوه في موضعه الذي هو فيه فلما أراد رسول الله (ﷺ) أن يقوم إلى المنبر مر إلى الجذع الذي كان يخطب إليه. فلما جاوز الجذع خار حتى تصدع وانشق فنزل رسول الله (ﷺ) لما سمع صوت الجذع. فمسحه بيده حتى سكن ثم رجع إلى المنبر فكان إذا صلى صلى إليه فلما هدم المسجد وغير أخذ ذلك الجذع أبى بن كعب وكان عنده في بيته حتى بلى فأكلته الأرضة وعاد رفاتًا" والسياق لابن ماجه. والحديث ضعيف ابن عقيل ضعيف وقد وقع في إسناده اختلاف على عبيد الله بن عمرو الرقى راويه عن ابن عقيل فساقه عنه إسماعيل بن عبد الله الرقى وزكريا بن على وعبد الله بن جعفر الرقى كما تقدم. ورواه عيسى بن عبد الله الشاشي كما في مسند أحمد زوائد ابنه عبد الله فقال عن عبيد الله بن عمرو عن ابن عقيل عن ابن أبى بن كعب وأبهم إلا أن هذا الإبهام يفسر برواية من بين ممن تقدم ذكره. وقد حسنه الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجة.

الشريط التاسع

رؤية المؤمنين لربهم (ﷻ) يوم القيامة والقضاء والقدر

محتويات الشريط التاسع

1- رؤية المؤمنين لربهم (ﷻ) يوم القيامة (التوقيت: 1 دقيقة و21 ثانية) 1

2- تعريف القضاء والقدر (التوقيت: 29 دقيقة و18 ثانية)..... 4

3- تقسيم القدر (التوقيت: 53 دقيقة و1 ثانية)..... 8

4- مراتب القضاء والقدر (التوقيت: 57 دقيقة و21 ثانية) 8

4.1 العلم (التوقيت: 58 دقيقة و20 ثانية)..... 8

4.2 الكتابة (التوقيت: 1 ساعة و1 دقيقة و48 ثانية)..... 9

4.2.1 الكتابة في اللوح المحفوظ: 9

4.2.2 الكتابة العُمريَّة: 9

4.2.3 الكتابة الحولية: 10

4.2.4 الكتابة اليومية: 10

4.3 الإرادة والمشيئة (التوقيت: 1 ساعة و8 دقيقة و50 ثانية) 10

4.3.1 الإرادة الكونية: 10

4.3.2 الإرادة الشرعية: 11

4.3.3 الهدف من التمييز بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية: 12

4.4 الخلق (التوقيت: 1 ساعة و27 دقيقة و5 ثانية)..... 12

1- رؤية المؤمنين لربهم (ﷻ) يوم القيامة (التوقيت: 1 دقيقة و21 ثانية)

والمؤمنون يرون الله تعالى بأبصارهم ويزورونه ويكلمهم ويكلمونه قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة]، وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فلما حجب أولئك في حال السخط دل على أن المؤمنين يرونه في حال الرضا وإلا لم يكن بينهما فرق.

وقال النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تُضامُون في رؤيته». حديث صحيح متفق عليه.

وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي فإن الله لا شبيه له ولا نظير.

- رؤية المؤمنين الله (ﷻ) يوم القيامة نعمة بل هي أفضل النعم على الإطلاق يوم القيامة وأجلها وأرفعها مكانة. وهذه الرؤيا ليس بعدها نعمة ولا لذة كما فقد كان يدعو (ﷺ): " اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضى وأسألك القصد في الغنى والفقر وأسألك نعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع وأسألك الرضى بعد القضاء وأسألك برد العيش بعد الموت **وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم** والشوق إلى لقائك غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين " [1].
- ومناسبة هذا الفصل أن المصنف (رحمه الله) أراد أن يذكر منقبة للمؤمنين وهي رؤية الله (ﷻ) فأهل البدع من الطوائف أنكروا هذه الرؤيا.
- ورؤية المؤمنين الله (ﷻ) يوم القيامة ثبتت بالكتاب وبالسنة.
- فمن الكتاب قوله (ﷻ):﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[القيامة: 22-23]. قال فقد روى عطاء عن ابن عباس (رضي الله عنهما) في تفسير هذه الآية: " نظرت إلى الخالق (ﷻ)" [2].
- فعل نظر في اللغة قد يأتي متعدي إلى مفعول به بنفسه دون الحاجة لحرف جر أو يأتي متعدي بحرف الجر "في" أو يأتي متعدي بحرف الجر "إلى". فلو جاء متعدي بدون حروف جر يكون بمعنى الانتظار كما في قوله (ﷻ):﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾[الحديد: 13] فانظرونا في الآية بمعنى انتظرونا. فأهل

---

[1] أخرجه أحمد والنسائي والبزار وابن حبان وابن أبي عاصم في السنة وابن خزيمة في التوحيد عن عمار بن ياسر (رضي الله عنه) وصححه ابن خزيمة وأخرجه الحاكم عن زيد بن ثابت (رضي الله عنه) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي.

[2] أخرجه الآجري في الشريعة واللالكائي في أصول الاعتقاد وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة. وقال البيهقي: هذا تفسير قد استفاض واشتهر فيما بين الصحابة والتابعين ومثله لا يقال إلا بتوقيف. قال اللالكائي: "وقال عكرمة: {وجوه يومئذ ناضرة} قال: من النعيم: {إلى ربها ناظرة} قال: تنظر إلى ربها نظرا ثم حكى عن ابن عباس مثله. وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث"

البدع يحاولون استغلال هذا المعنى لصرف الرؤية إلى الانتظار في الآية:﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[القيامة: 23]. ولو جاء متعدي بحرف الجر "في" يكون بمعنى التفكر والتدبر كما في قوله (ﷻ):﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾[الأعراف: 185] فينظروا في الآية بمعنى يتفكروا. ولو جاء فعل النظر متعدي بحرف الجر "إلى" يكون بمعنى النظر كما في قوله (ﷻ):﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[القيامة: 23] ناظرة في الآية بمعنى الرؤية وكذلك قوله (ﷻ):﴿ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾[الأنعام: 99].

- ومن الأدلة قوله (ﷻ):﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾[يونس: 26]. وهنا نحتاج إلى أن نأصل قاعدة عند أهل التفسير أن تفسير القرآن له مراتب فأعلى مراتب التفسير تفسير القرآن بالقرآن ثم تفسير القرآن بالسنة ثم تفسير القرآن بالصحابة (رضي الله عنهم) الذي تعلموا التفسير من النبي (ﷺ) ثم التابعين (رحمهم الله) لأنهم أخذوا من الصحابة (رضي الله عنهم) فهم أقرب الناس إلى مشكاة النبوة ثم أي تفسير بعد ذلك نتوقف فيه ويكون هذا اجتهاد فالأمة لا يخلو منها مجتهد ولكن لا يُقبل هذا الاجتهاد إلا أن يكون له أثر من القرآن أو السنة أو تفسير الصحابة أو التابعين. فلكي تأتي بتفسير ليس له أصل فعلى أي أساس تفسره؟ وهذا خلاف الأحكام الفقهية فهي أمور ترجع لنظرة الفقيه للدليل ولهذا فالاجتهاد موجود إلى قيام الساعة لتجدد حوائج الناس. وتفسير هذه الآية من السنة قوله (ﷺ): " إذا دخل أهل الجنة الجنة قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم (ﷻ) ثم تلا هذه الآية: {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة}" [1]. فتلاوة النبي (ﷺ) لهذا الآية بعد الحديث يدل على أن هذا الحديث هو تفسير هذه الآية وهي الدرجة الثانية في التفسير كما ذكرنا فالزيادة هنا رؤية وجه الله (ﷻ).
- ومن الأدلة قوله (ﷻ):﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[ق: 35]. وفسَّر كلمة "مزيد" في الآية علي وأنس وأبو هريرة وابن مسعود (رضي الله عنهم) بأنها رؤية الله (ﷻ) [2] وهذا ما لا يستطيع الصحابة أن يقوله من عند أنفسهم فلابد أن النبي (ﷺ) هو الذي أخبرهم به.
- ومن الأدلة على رؤية وجه الله (ﷻ) يوم القيامة قوله (ﷻ):﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (22) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (23) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾[المطففين: 22-24]. ووجه الدلالة من الآية من اللغة. ففي كلمة ينظرون حُذف المفعول به ومن اللغة أن حذف المعمول (المفعول به) يأذن بالعموم فهم ينظرون إلى أنهار الجنة وشجر الجنة ومن هذا النظر رؤية وجه الله (ﷻ).
- ومن الأدلة قوله (ﷻ):﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾[المطففين: 15]. وهذا الآية أصالة في الكفَّار. فاستدل بها الشافعي (رحمه الله) بمفهوم المخالفة كما قال ابن هرم القرشي: "سمعت الشافعي يقول في قول الله (ﷻ): {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون} قال: "لما حجبهم في السخط كان هذا دليلا على أنهم يرونه في الرضا" [3].
- وهناك أدلة من السنة مثل الحديث الذي ذكره المؤلف عن جرير (رضي الله عنه) قال: كنا جلوسا عند رسول الله (ﷺ) إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» -يعني العصر والفجر -ثم قرأ جرير {وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها} [طه: 130]" [4]. والتشبيه في الحديث ليس تشبيه الله (ﷻ) بالقمر ولكنه تشبيه وضوح رؤية القمر بوضوح رؤية الله (ﷻ). وهذا الحديث يستدل منه جواز تمثيل آيات القرآن للأطفال لتقريب المفهوم إلى ذهنه وذلك لأنه (ﷺ) شبه

---

1 أخرجه مسلم عن صهيب (رضي الله عنه).

2 لم أقف عليه. ولكن بالنسبة لأنس (رضي الله عنه) قال ابن كثير في تفسير الآية:" وقوله: {ولدينا مزيد} كقوله تعالى: {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} [يونس: 26]. وقد تقدم في صحيح مسلم عن صهيب بن سنان الرومي: أنها النظر إلى وجه الله الكريم. وقد روى البزار وابن أبي حاتم من حديث شريك القاضي عن عثمان بن عمير أبي اليقظان عن أنس بن مالك في قوله عز وجل: {ولدينا مزيد} قال: يظهر لهم الرب عز وجل في كل جمعة"

3 أخرجه البيهقي عن ابن هرم القرشي (رحمه الله). وهناك رواية أخرجها الحاكم عن الربيع بن سليمان أنه قال: "حضرت محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله عز وجل: {كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ}؟ فقال الشافعي: لما حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى" قال الربيع: فقلت للشافعي: "يا أبا عبد الله! وبه تقول؟" قال: " نعم وبه أدين الله. ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى أنه يرى الله لما عبد الله (ﷻ) "وكذلك أخرج الإمام اللالكائي (رحمه الله) في أصول اعتقاد أهل السنة بسنده إلى أشهب عبد العزيز (رحمه الله) صاحب مالك (رحمه الله) قال "قال رجل لمالك يا أبا عبد الله هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ قال: " لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب فقال: {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون}".

4 أخرجه البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله (رضي الله عنه) والرواية لمسلم. وفي رواية عند البخاري عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه): " قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا؟» قلنا: لا قال: «فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما"

وضوح رؤية الله (ﷻ) بوضوح رؤية القمر.

- وكذلك من دعاءه (ﷺ): " وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم " [1]. وهذا تصريحاً منه (ﷺ).
- وكذلك من حديثه (ﷺ): " جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن **ينظروا إلى ربهم** إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن " [2].
- ومن الأدلة قوله (ﷻ):﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأعراف: 143]. فقد اشتاق موسى (عليه السلام) لرؤية الله (ﷻ) ويُقال إن موسى (عليه السلام) عافى أن يسمع كلام الناس شهراً لما كان من لذة سماع الله (ﷻ) [3]. فطلب موسى (عليه السلام) من الله (ﷻ) أن يراه فقال له الله (ﷻ) أنه لن يراه ولكن لو تحمَّل الجبل رؤية الله (ﷻ) فسوف يراه. وهنا لنا عدة وقفات مع هذه الآية. أولاً أن موسى (عليه السلام) طلب رؤية الله (ﷻ) وهو من أولي العزم الخمسة من الرسل فهو من أعلم الرسل وهو أعلم من كان في قومه. فلو كان هذا الطلب فيه تجرأ أو عدم جواز لما كان موسى (عليه السلام) طلبه. فبعض يُشكل ويقول إنه لم يكن يعلم. والرد عليهم إنه حتى لو لم يكن يعلم لم يكن الله (ﷻ) ليُقرَّه على هذا الطلب كما لم يُقرَّ نوح (عليه السلام) كما في قوله (ﷻ):﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (45) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾[هود: 45-46]. والله (ﷻ) أحاله على شيء ممكن وهو أن الجبل لو استقر بعد رؤية الله (ﷻ) فسوف يراه ولو كانت هذه الرؤية غير ممكنة لما علقها الله (ﷻ) على شيء ممكن. والسبب لعدم إجابة طلب موسى (عليه السلام) إن البشر غير مؤهلين لهذه الرؤية ولكن النظر في الآخرة يختلف كما في قوله (ﷻ):﴿ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾[ق: 22] وحتى الجسد يختلف في الآخرة عما كان عليه الجسد في الدنيا كما في قوله (ﷺ): " ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث" [4] وقوله (ﷺ): " يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا من الجماع ". قيل: يا رسول الله أو يطيق ذلك؟ قال: " يعطى قوة مائة رجل" [5].
- ولكننا أصحاب الطوائف المبتدعة استدلوا بأدلة للرد علينا منها قوله (ﷻ):﴿ قَالَ لَنْ تَرَانِي ﴾[الأعراف: 143] و" لن" في اللغة تفيد النفي مع التأبيد فهذا يكون في الدنيا والآخرة. واستدلوا بدليل آخر وهو قوله (ﷻ):﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[الأنعام: 103].
- والرد عليهم في استدلالهم بقوله (ﷻ):﴿ قَالَ لَنْ تَرَانِي ﴾[الأعراف: 143] و" لن" في اللغة تفيد النفي مع التأبيد بأن " لن" في اللغة لا تفيد التأبيد وإن كانت تفيد النفي فبعض علماء اللغة لم يرتضوا بأن " لن" تفيد التأبيد. وكذلك عندنا أدلة من الشرع إن " لن" لا تفيد التأبيد والشرع مقدم على اللغة كما في قوله (ﷻ):﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾[البقرة: 95] فالآية تنص على أنهم لن يتمنَّوا الموت إلا أنهم تمنَّوا الموت كما في قوله (ﷻ):﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴾[الزخرف: 77] وقوله (ﷻ):﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾[النبأ: 40] فمجموع الآيات يدل على أن " لن" لا تفيد التأبيد. ولقد رددنا سابقاً أن المقصود أن الرؤية لن تكون في الدنيا لأن الله (ﷻ) أحاله على شيء ممكن.
- والرد عليهم في استدلالهم بقوله (ﷻ):﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[الأنعام: 103] إن الإدراك غير الرؤيا في اللغة فالإدراك أن تحيط بالشيء كله فلكي أقول أنا أدرك المسجد لابد أن أقول إني أحيط بجوانبه الأربع كاملة بخلاف الرؤيا فلو جئت في أي زاوية من الزوايا وقلت أنا أرى المسجد فأنت تراه ولكن لم تُحط به. فالأدراك أخص والرؤيا أعم وهناك قاعدة أن نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم.

---

1 سبق تخريجه صـ 1

2 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.

3 لم أقف عليه.

4 أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه)

5 أخرجه أبو داود الطيالسي والترمذي من طريقه وابن حبان في "صحيحه" عن أنس (رضي الله عنه) وقال الترمذي: "هذا حديث صحيح غريب". قال: "وفي الباب عن زيد بن أرقم ". وترجم عليه الترمذي بقوله: "باب ما جاء في صفة جماع أهل الجنة وحسنه الألباني في صحيح الترمذي.

2- تعريف القضاء والقدر (التوقيت: 29 دقيقة و18 ثانية)

ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته .

ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن تقديره ولا يصدر إلا بتدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر والمقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور .

أراد ما العالم فاعلوه ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه خلق الخلائق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم ، يهدي من يشاء برحمته،

ويضل من يشاء بحكمته ، قال الله تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢]، وقال الله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ [الحديد: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾[1] [الأنعام: ١٢٥].

وروى ابن عمر [عن أبيه] - رضي الله عنهما - أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: ما الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره». فقال جبريل: صدقت. انفرد مسلم بإخراجه

وقال النبى ﷺ : «امنت بالقدر خيره وشرِّه، وحلوه ومرِّه»

ومن دعاء النبي ﷺ الذي علمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر: «وقني شر ما قضيت»

- باب القضاء والقدر هو باب عظيم جداً وهو من أهم الأبواب التي لابد لجميع المسلمين أن يهم بهذا الباب فهو ركن ركين من أركان الإيمان فهو أحد أركان الإيمان الستة ولا يصح الإيمان إلا بهذه الأركان وهي الإيمان بالله (ﷻ) وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. وقد وقع في هذا الباب كثير من الطوائف فهو كما قال كثير من العلماء: " هو دحض مزلة" [1] ولكن من أتقنه سيجد فيه لذة ما بعدها لذة وقد قال أحدهم: " ما اجتهدت في العبادة إلا بعد أن علمت القضاء والقدر" [2] لأن الإنسان إذا تعلم هذا الباب ارتاح قلبه وعلت همته وأزداد شوقه لرضا الله (ﷻ) وتحمَّل المضائب والابتلاءات التي يُصاب بها. والحديث في الكتاب عن القضاء والقدر مجمل وليس مبسوط في الحديث عنه فسنذكر أهم النقاط في موضوع القضاء والقدر.
- القدر لغة بمعنى التقدير كما في قوله (ﷻ):﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر: 49] وقوله (ﷻ):﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴾[المرسلات: 23].
- أما شرعاً هو قدرة الله (ﷻ) أو ما قدره الله (ﷻ) في الأزل أن يكون في خلقه.أما القضاء هو ما قضى الله (ﷻ) من أمر أو نهي أو إيجاد أو عدم أو تغيير.فالقدر سابق على القضاء.
- والقضاء أتى بأكثر من معنى في القرآن. فجاء القضاء بمعنى الحكم بين المتنازعين كما في قوله (ﷻ):﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[يونس: 93 & الجاثية: 17] وبمعنى النبأ كما قوله (ﷻ) عندما جاءت الرسل للوط (عليه السلام):﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾[الحجر: 66] فالمقصود أن الله (ﷻ) أنبأه أن هذا الأمر واقع ومنتهي وبمعنى أوجب كما في قوله (ﷻ):﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[الإسراء: 23] وبمعنى الإرادة كما في قوله (ﷻ):﴿ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[البقرة: 117] [3].
- والقدر أتى بأكثر من معنى في القرآن. فجاء القدر بمعنى القدرة أي الاستطاعه على فعل الشيء كما في قوله (ﷻ):﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾[يس: 81] و قوله (ﷻ):﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة: 20] وبمعنى التضييق والتقليل كما قوله (ﷻ):﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾[الرعد: 26] وبمعنى التمهَّل كما في قوله (ﷻ):﴿ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾[سبأ: 11] وبمعنى المقدار والكمية سواء في المكان أو الزمان كما في قوله (ﷻ):﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾[الرعد: 21] وبمعنى قضاءه المحكم النافذ الذي سيقع لا محالة كما في قوله (ﷻ):﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾[الأحزاب: 38] وبمعنى الحكم كما في قوله (ﷻ):﴿ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾[النمل: 57] أي حكمنا بذلك.
- والقضاء والقدر إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا. فإذا جاء ذكر القضاء والقدر في آية واحدة أو حديث واحد افترقا في المعنى فيكون القدر بمعنى تقدير الشيء والقضاء هو الإيجاد أو العدم أو التغيير. وإذا جاء القضاء منفرداً أو القدر منفرداً جمع القضاء (أو القدر) بين معني القضاء والقدر فأصبح يجمع المعنيين. وهذا مثل الإيمان والإسلام ففي حديث جبريل (عليه السلام) [4] كان المقصود بالإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة في القلب وقوله (ﷻ):﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾[الحجرات: 14]. ولكن إذا افترقا يأتي الأيمان (أو الإسلام) بمعنى الإيمان والإسلام. وكذلك الفقير والمسكين فلو اجتمعا كان الفقير أشد فقراً من المسكين فالمسكين عنده بعض الأشياء أما الفقير فليس عنده وأما إذا افترقا كان الفقير (أو المسكين) بمعنى المسكين والفقير. وكذلك البر والتقوى فلواجتمعا كان البر بمعنى فعل الأوامر والتقوى بمعنى الانتهاء عن النواهي وأما إذا افترقا كان البر (أو التقوى) بمعنى البر والتقوى. وكذلك الربوبية و الألوهية (الرب والإله) فلواجتمعا كان الرب بمعنى الخالق الرازق المُدبَّر للكون والإله بمعنى المألوه الذي

---

1 لم أقف على هذا القول من العلماء ولكن "دحض مزلة" وردت في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) "... قيل: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: دحض مزلة...". دحض: زلق ومزلة: الموضع الذي تزل فيه الأقدام

2 لم أقف على هذا القول.

3 من الأخطاء الشائعة عند بعض الدعاة قولهم إن أمر الله (ﷻ) بين الكاف والنون فليس هناك شيء بين الكاف والنون فالصحيح أن يُقال إن أمره "كن"

4 يشير الشيخ إلى الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) ومسلم عن عمر (رضي الله عنه) والرواية لمسلم: ".... وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا" قال: صدقت قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه قال: فأخبرني عن الإيمان قال: " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره.... الحديث" .

يستحق العبادة كما في الحديث عندما يأتي الملكان في القبر للميت" كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا النبي (ﷺ) فقعد وقعدنا حوله كأن على رءوسنا الطير وهو يلحد له فقال: "أعوذ بالله من عذاب القبر" ثلاث مرات ثم قال: "إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت إليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة فجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: يا أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان" قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال: فيصعدون بها فلا يمرون بها يعني على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال: فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: **من ربك؟** فيقول ربي الله فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله فيقولان له: ما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير فيقول: أنا عملك الصالح فيقول: يا رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب قال: فتتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح خبيثة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح بيث؟ 1 فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له" ثم قرأ رسول الله (ﷺ): {لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط} [الأعراف: 40] فيقول الله (ﷻ): "اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا" ثم قرأ: {ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق} [الحج: 31] فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: **من ربك؟** فيقول: هاه هاه لا أدري فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول: هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء: أن كذب فأفرشوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول: من أنت فوجهك الوجه "الذي" يجيء بالشر فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول رب لا تُقم الساعة" [1] فليس المقصود من السؤال من ربك أي من خالقك ولكن المقصود من هو الإله الذي كنت تعبده وكذلك قوله (ﷻ):﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾[الفاتحة: 2] وقوله (ﷻ):﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ** ﴾[الناس: 3] وهذه الآيات الثلاث تحتوي على أنواع التوحيد الثلاثة (ربوبية وأسماء وصفات و ألوهية على الترتيب في الآيات) وأما إذا افترقا كان الرب (أو الإله) بمعنى الرب والإله كما في قوله (ﷻ):﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾[محمد: 13] فالمقصود أن تؤمن بربوبية الله (ﷻ) وأن تُفرده بالعبادة.

- فالقدر سابق على القضاء كما ذكرنا فالله (ﷻ) قدَّر كل شيء في خلقه ثم قضى والقضاء هنا هو الفعل نفسه. ولكن جاءت بعض الآيات تُتشكل علينا هذا المعنى محالة كما في قوله (ﷻ):﴿ **وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا** ﴾[الفرقان: 2] رغم أن الخلق من القضاء فقد يُشكل علينا أن مفهوم الآية أن القضاء قبل القدر. والرد على ذلك أن الترتيب ينقسم إلى قسمين معنوي وذكري. فالترتيب الذكري هو ذكر شيء قبل شيء لفظاً ففي الآية ذُكِر القضاء قبل القدر ولكن الترتيب المعنوي (من حيث المعنى وترتب القضاء على القدر) قد يُخالف والدليل على ذلك قوله (ﷻ):﴿ **فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى** ﴾[طه: 70]. فبالرغم من أن موسى (عليه السلام) أفضل من هارون (عليه السلام) إلا أنه سبقه في الذكر وهذا من باب مناسبة

---

[1] أخرجه الإمام أحمد وأبو داود وروى النسائي وابن ماجه أوله ورواه الحاكم وأبو عوانة الإسفرائيني في صحيحيهما وابن حبان عن البراء بن عازب (رضي الله عنه). قال الحاكم:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجا جميعا بالمنهال بن عمرو وزاذان أبي عمر الكندي" ووافقه الذهبي وقد أطال الإمام الحافظ ابن القيم القول في تصحيحه والرد على من أعلّه في تهذيب السنن.

لخواتيم الآيات فهذا ترتيب في الذكر وليس المعنى. وبعضهم قال إن المقصود بالتقدير في الآية هو التسوية أي خلق الله (ﷻ) ثم سوَّى على هيئته.

- فالإيمان لا يصح إلا بالإيمان بالقضاء والقدر ولا نقول لا يكتمل فمن لم يؤمن بالأركان الستة المذكورة في حديث جبريل (عليه السلام) ليس بمسلم. فهناك فرق بين الصحة والكمال. فالإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي ولكن هذا ليس في الأركان الستة التي هي أصل الإيمان. فمن لم يؤمن بالله (ﷻ) فليس بمسلم. وتؤمن بالملائكة وأنهم مخلوقات من نور تسكن في السماء و منهم مالك خازن النار وجبريل أمين الوحي وميكائيل و إسرافيل فهؤلاء ذُكِر أسمائهم فمن يستهزأ بالملائكة يكفر. و من لم يؤمن بكل الكتب المذكورة في القرآن مثل القرآن والتوراة والأنجيل والزبور وصحف إبراهيم كافر. ومن آمن بالله (ﷻ) ولم يؤمن بكل الرسل المذكورة في القرآن فليس بمسلم. فلو أنكر رسول واحد مثل موسى (عليه السلام) أو عيسى (عليه السلام) أو داود (عليه السلام) فهو كافر ليس بمسلم. فالنصارى يؤمنون بكل الأنبياء إلى عيسى (عليه السلام).. ومن لم يؤمن بأن هناك يوم آخِر وأنكره وأن هناك بعث وأن هناك حساب وأن هناك جنة ونار فهذا كافر. وكذلك الإيمان بالقضاء والقدر فهو ركن من أركان الإيمان الستة فلابد أن يؤمن المرء بهذا الركن.
- ومن تمام الإيمان بالقدر أن يشعر المرء أن هذا من تمام ربوبية الله (ﷻ). فالمصنف (رحمه الله) أتى بهذا الفصل ليُبين صفة الإرادة لله (ﷻ) فقد قال (ﷻ):﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾[هود: 107] وهذا هو القدر أن الله (ﷻ) أراد ففعل ما يريده. فالقدر صفة من صفات ربوبية لله (ﷻ).
- والإنسان عندما يؤمن بالقدر يعرف أنه مخلوق ضعيف ليس له من الأمر شيء لأن الأمر كله لله (ﷻ) فعليه أن يمتثل لأمره.
- وأما حديث الرجل الذي طلب من أهله أن يحرقوه [1]. فهو أنكر صفة من صفات الله (ﷻ) وليس في القدر وهي قدرة الله (ﷻ) فليس فيه إنكار للبعث فالإيمان بالبعث ركن فقد قال :" فوالله لئن قدر علي ربي " ولكنه ودَّ أنه لا يُبعث وظنَّ أن الله (ﷻ) لن يجمعه إذا تفرَّق جسمه ويسحق رماداً. وهذا الرجل عذره الله (ﷻ) بجهله لأن الله (ﷻ) سأله :" ما حملك على ما صنعت؟ " فقال: " يا رب خشيتك حملتني " فهذا عنده إيمان ولكنه وقع في إنكار صفة. ولهذا بعض أهل العلم استدلوا بهذا الحديث على أنه من ينكر صفة من صفات الله (ﷻ) يُعذر فيها بالجهل (وهذا الكلام ليس على عمومه ويحتاج إلى تفصيل).
- من ثمرات الإيمان بالقدر أن المرء لو نزلت عليه المصائب أو أبتلي بالأبتلاءات تهون عليه لأن يعلم أن هذا من قدر الله (ﷻ) خاصة إذا كانت من باب المصيبة وليست من باب المعصية كما سنبين فيصبر ويحتسب ويرضى فيرتقي بذلك الدرجات عند الله (ﷻ) كما في قوله (ﷻ):﴿ مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[التغابن: 11] قال علقمة: " هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويُسلِّم" [2].
- فيكون الإيمان بالقدر منجاه له فلا يُفتن ولا يسخط. فتجد وللأسف كثير من الناس عندما يُبتلى بأمر يقول : "لماذا أنا. ألا يوجد غيري؟؟". فقد يسخط ويأتي بأقوال كُفرية وهو لا يدري وهذا من ضعف الإيمان بالقدر
- من ثمرات الإيمان بالقدر إضافة النعم إلى مسببها فعندما يُصاب الإنسان بنعمة يعلم أن هذا من قدر الله (ﷻ) عليه فلا يتعلق بالسبب ولكن يتعلق بمسبب الأسباب فإذا جاءته زيادة في أمواله من وظيفة أو تجارة لا يتعلق بالزيادة ولكن يتعلق بخالق هذا السبب. ولا يتعلق بالسبب حتى لو كان سبب شرعي فرجل أخذ الدواء مثلاً فشُفِي فلو كان مؤمن بالقدر فسيشكر الله (ﷻ) على أن جعل هذا الدواء سبباً في الشفاء. فبعضهم يجعل الدواء هو نفسه سبب الشفاء وهذا شرك. ومن قضى له رجل معروف فلو كان مؤمن بالقدر عرِف أن الله (ﷻ) جعل هذا الرجل سبباً لقضاء حاجته. فمن لم يؤمن بالقدر خلَّط المُسبَّب على السبب فوقع في الشركيات.
- من ثمرات الإيمان بالقدر معرفة حكمة الله (ﷻ) فمن لم يؤمن بالقدر لا يستطيع أن يتدبر حِكَم الله (ﷻ) فيما يحدث فعندما تؤمن بالقضاء والقدر تعرف أن الله (ﷻ) لم يفعل ذلك إلا لحكمة كما في قوله (ﷻ):﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الروم: 41] فالله (ﷻ) بيَّن الحكمة أن الفساد يظهر بسبب ما يعمله الناس لكي نرجع إلى الله (ﷻ).

---

[1] يشير الشيخ إلى الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) الذي قال فيه (صلى الله عليه وسلم): " كان رجل يسرف على نفسه فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا. فلما مات فعل به ذلك فأمر الله تعالى الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه ففعلت فإذا هو قائم فقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: يا رب خشيتك حملتني فغفر له وقال غيره: مخافتك يا رب" .

[2] أخرجه الطبري وعزاه السيوطي لعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في "شعب الإيمان" و ابن جرير في التفسير و عبد الرزاق في التفسير. كما عزاه ابن كثير لابن أبي حاتم ورُوي أيضا عن ابن مسعود (رضي الله عنه) وهذا التفسير منهم للإيمان المذكور في الآية باللازم.

3- تقسيم القدر (التوقيت: 53 دقيقة و1 ثانية)

القدر ينقسم إلى تقدير ومقدور والتقدير هو الفعل والمقدور هو الشيء المفعول مثل خلق (الفعل) ومخلوق (الشيء المفعول) وهذا التقسيم مهم لأن القدر كما في حديث جبريل السالف الذكر فيه خير وشر فهل الله (ﷻ) يُقدِّر الشر؟. والرد على ذلك من التقسيم الذي قسمناه فالقدر كفعل هو كله خير فالله (ﷻ) لا يُقدِّر إلا الخير ففعل الله (ﷻ) كله خير ولكن الشيء المقدور (المفعول) قد يكون خيراً أو شراً حسب الحكمة المُرادة بهذا القدر وهذا يظهر من دعاءه (ﷺ) إذا قام إلى الصلاة: " وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله في يديك **والشر ليس إليك** أنا بك وإليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك " [1] فمقصود الحديث أن الشر لا يُنسب إلى الله (ﷻ) فعلاً فالله (ﷻ) عندما يُقدِّر يُقدِّر الخير بخلاف دعاءه (ﷺ): " اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت **وقني شر ما قضيت** فإنك تقضي ولا يقضى عليك إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت وتعاليت" [2] فهذا في الشيء المقدور.

- فالفعل قد يكون خيراً ظاهراً وقد يكون ظاهره شراً ولكن في باطنه خير كما في قوله (ﷻ):﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾[الروم: 41] فقد ظهر الفساد وهذا ظاهره الشرولكن باطنه خير فالهدف من الفساد أن يتوبوا ويندموا ويرجعوا فالشر الموجود له حكمة باطنها خير
- فليس هناك ما يُسمَّى شرٌ محض (خالص أي شر فقط). فالقتال ظاهره شر ولكن باطنه فيه خير فهو إما شهادة يُجزى عنها المقتول حور العين وجنات ويُؤمَّن عذاب القبر وغيره من المناقب أو يكون نصر ولهذا قال (ﷻ) لتوضيح هذا:﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[البقرة: 216] فالقتال يكرهه الإنسان فهو لا يريد الدماء والقتل ولكن الله (ﷻ) بيَّن أن فيه خير

4- مراتب القضاء والقدر (التوقيت: 57 دقيقة و21 ثانية)

- الإيمان بالقدر له أربع مراتب ولا يصح إيمان عبد بالقدر إلا على هذه المراتب مُلخَّصها في جملة : **عَلِم فكتب فأراد وشاء فخلق**. وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة مع الاختلاف مع الطوائف الأخرى كما سيأتي.

4.1 العلم (التوقيت: 58 دقيقة و20 ثانية)

- وهو علم الله (ﷻ) لكل شيء وكما بيَّنا في مقدمة الكتاب [3] وقلنا إن الله (ﷻ) علمه علم ما كان وعلم ما سيكون وعلم ما لم يكن لو كان كيف سيكون. فالله (ﷻ) علم كل شيء وقد قال (ﷻ):﴿ **رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا** ﴾[غافر: 7] و قوله (ﷻ):﴿ **وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾[البقرة: 282 والنساء: 176 والنور: 35 والنور: 64 والحجرات: 16 و التغابن: 11] فكلمة شيء نكرة في سياق الإثبات فهي تُفيد العموم فمقصود الآية إن الله (ﷻ) يعلم كل العلم وقوله (ﷻ):﴿ **وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا** ﴾[الطلاق: 12] وكذلك قوله (ﷻ):﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾[الملك: 14] و قوله (ﷻ):﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ**﴾[الأنعام: 59]. فكل الآيات السابقة تُبيِّن سعة علم الله (ﷻ) وإحاطته بكل شيء في القرون الماضية وما سيحدث إلى يوم القيامة حتى بعثة الناس وعَلِم ما لم يكن لو كان كيف سيكون على القسمين المستحيل والممكن وهو الشيء الذي لم يحدث لو حدث كيف ستكون نتائجه وقد ذكرنا من قبل الدليل على القسمين فالدليل على قسم الممكن "وهو الذي يمكن أن يحدث لكنه لم يحدث " كما يظهر هذا المعنى في قوله (ﷻ):﴿ **وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ** ﴾[الأنعام: 28] والدليل على قسم المستحيل "وهو الذي من المستحيل أن يحدث" ويظهر هذا في قوله (ﷻ):﴿ **لَوْ كَانَ**

---

1 أخرجه مسلم عن علي (رضي الله عنه).

2 أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن الحسن بن علي (رضي الله عنهما) وقد صححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على سنن الترمذي.

3 راجع صـ 3 في المحاضرة الرابعة .

فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء: 22] وهذا يُسمَّى دليل التمانع والمقصود أنه لو كان هناك إلهين وأراد أحدهما شيء والآخر لم يُرده فمن الذي سوف تنفُذُ إرادته؟. فكل أفعال الخلق من طاعات وذنوب ومعاصي يعلمها الله (ﷻ) وهذا مهم فلا يخفى على الله (ﷻ) شيء في الأرض ولا في السماء

4.2 الكتابة (التوقيت: 1 ساعة و1 دقيقة و48 ثانية)

- فالله (ﷻ) كتب كل شيء فما كان وما سيكون مكتوب عند الله (ﷻ) قبل أن يخلق المخلوقات إي قبل خلق السماوات والأرض وآدم (عليه السلام). والكتابة على ثلاثة أنواع (وبعضهم يقول أربعة):

4.2.1 الكتابة في اللوح المحفوظ:

- والدليل على هذه الكتابة [1] قوله (ﷻ):﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[الحديد: 22]. وهذه الآية تبين أن كل شيء كتبه قبل خلق السماوات والأرض وهو اللوح المحفوظ كما في حديثه (ﷺ): " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات الأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء" [2]. و حديثه (ﷺ): " ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة. قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل؟ قال: اعملوا، فكل ميسر لما خلق له. أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة. ثم قرأ: {فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى}" [3]
- ومن خصائص اللوح المحفوظ أن ما كُتِب فيه لا يُمحى أبداً ولا يتغير ولا يتبدل وأنه مكتوب فيه كل شيء.

4.2.2 الكتابة العُمريّة:

- وهذه الكتابة تنزل من اللوح المحفوظ على الملائكة فتنزل عليهم الكتب تحدد من الذي سيُرزق ومن الذي سيُعطى وهؤلاء الملائكة لا يعلمون كل ما في اللوح المحفوظ.
- والدليل على هذه الكتابة قوله (ﷺ): " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات ويُقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة " [4].
- ومن خصائص الكتابة [5] التي مع الملائكة أن ما كُتِب فيه قد يُمحى ويتغير ويتبدل وهذا كما في قوله (ﷻ):﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[الرعد: 39] فالكتابة التي مع الملائكة قد تتغير وتتبدل ولكن ما في اللوح المحفوظ (أم الكتاب) لا يُمحى أبداً ولا يتغير ولا يتبدل. فقد يأتي للملائكة إن هذا العبد سيُذنب ذنباً الساعة الرابعة مثلاً ثم يأتيه من عند الله (ﷻ) أن يمحو هذا ولا يفعله العبد. وهذا يظهر في دعاء عمر (رضي الله عنه) : " اللهم إن كنت كتبتني عندك شقيا فامحني واكتبني سعيدا فإنك تقول: {يمحوا الله} الآية" [6]. فلو كُتِب عبد عند الملائكة أنه من الأشقياء ثم دعا الله (ﷻ) أن يرفع عنه الشقاء فاستجاب الله (ﷻ) له فأمر الملائكة أن يرفعوه من الشقاوة فكل هذا الترتيب مكتوب في اللوح المحفوظ ولكن ما يُمحى ويثبت في صحف الملائكة.
- والحديث الضعيف "لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وأن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم

---

1 وتُسمَّى الكتابة الأزلية.
2 أخرجه مسلم عن عمرو بن العاص (رضي الله عنه).
3 أخرجه البخاري ومسلم عن علي (رضي الله عنه).
4 أخرجه البخاري ومسلم عن ابن مسعود (رضي الله عنه).
5 وهذا أيضاً في في الكتابة اليومية التي ستأتي.
6 رواه الطبري في "تفسيره" وابن بطة في "الإبانة" واللالكائي في "شرح الأصول".وقد سئل شيخ الإسلام: هل شرع في الدعاء أن يقول: اللهم إن كنت كتبتني كذا فامحني واكتبني كذا فإنك قلت: {يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب (39)}؟ وهل صح أن عمر (رضي الله عنه) كان يدعو بمثل هذا؟ وهل الصحيح عندكم أن العمر يزيد بصلة الرحم كما جاء في الحديث؟ أفتونا مأجورين.فأجاب (رضي الله عنه) بما يفهم منه صحة هذا الأثر عن عمر (رضي الله عنه) وأن ذلك في أجل الموت الذي يعرفه الملائكة. أما الأجل المسمى فهو وقت الساعة الذي لا يعرفه إلا الله. انظر: "مجموع الفتاوى". وأخرجه الإسماعيلي في مستخرجه بإسناد جيد كما ذكر ذلك ابن كثير في كتابه " مسند الفاروق". وقد ورد عن ابن مسعود في المعجم الكبير للطبراني أنّه قال: " اللهم إن كنت كتبتني في أهل الشقاء فامحني واثبتني في أهل السعادة" قال الهيثمي في "مجمع الزوائد": رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أنَّ أبا قِلَابة لم يُدرك ابن مسعود.

القيامة" [1] معناه صحيح لكن المقصود منه هو الكتابة التي عند الملائكة.

4.2.3 الكتابة الحولية:

وهذه الكتابة تُكتب كل حَول وهذه تكون في ليلة القدرفي كل حول قوله (ﷻ):﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾[القدر: 4] وقوله (ﷻ):﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[الدخان: 4] وينزل فيها كل شيء في العام القادم.

4.2.4 الكتابة اليومية:

- وهذه الكتابة اليومية دليلها قوله (ﷺ): " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم: " كيف تركتم عبادي؟". فيقولون: " تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون" [2]. فهذا يومياً ويختلف عن الكتابة العمرية سالفة الذكر. وهذه مَنقبة لطلبة العلم أن يُذكروا عند الله (ﷻ).

4.3 الإرادة والمشيئة (التوقيت: 1 ساعة و8 دقيقة و50 ثانية)

- والإرادة والمشيئة تنقسم إلى نوعين: إرادة ومشيئة كونية وإرادة ومشيئة شرعية وأحياناً تسمى الإرادة الكونية والإرادة الشرعية وأحياناً تسمى المشيئة الكونية والمشيئة الشرعية.
- وهذه المرتبة التي ضلت فيها الطوائف التي خالفت أهل السنة. فإما أنهم جعلوها إرادة ومشيئة واحدة فاتجهوا ناحية الجبر بأن جعلوا الإرادة والمشيئة كلها كونية أو العكس فجعلوا الإرادة والمشيئة كلها شرعية فجعل كل شيء عند المخلوق فابتعدوا عن الله (ﷻ) فكانت القدرية المحضة. فمن لم يؤمن بالإرادة الكونية والشرعية إما يتسخط من الإرادة الكونية أو يفعل الذنوب والمعاصي ويقول هذا قدَّره الله (ﷻ) عزوجل عليَّ لأنه يؤمن فقط بالإرادة الشرعية. فالله (ﷻ) لم يُقدِّر عليك الذنوب والمعاصي بل أنت فعلتها بنفسك فقد يظن أن عدم هدايته أمر ليس بيده

4.3.1 الإرادة الكونية:

- وهي حتمية الوقوع فإذا كتب الله (ﷻ) شيئاً كوناً لابد أن يقع ولكن ما كُتِب قد يكون مما يحبه الله (ﷻ) أو ما لا يحبه الله (ﷻ) فهي لها ضابطان:
  - أ. حتمية وقوعها
  - ب. تقع فيما يحبه الله (ﷻ) وفيما لا يحبه (وعندما يقع فيما لا يحبه الله (ﷻ) يكون لحِكمَة)
- والدليل عليها قوله (ﷻ):﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾[النحل: 40] وقوله (ﷻ):﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[التغابن: 11]. فالمصيبة فيما لا يحبه الله (ﷻ) ولكن إذا قدَّر الله (ﷻ) أن تقع المصيبة فلابد أن تقع. وكذلك قوله (ﷻ):﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا ﴾[البقرة: 253].فالقتال مما لا يحبه الله (ﷻ) ولكن قدَّر الله (ﷻ) وشاء كوناً أنهم سيقتتلوا وقد اقتتلوا. وكذلك قوله (ﷻ):﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[الروم: 41]. ورغم إن الفساد لا يحبه الله (ﷻ) ولكن الحكمة بيَّنها الله (ﷻ) في نهاية الآية (لعلهم يرجعون) فالناس عندما تصيبهم المصائب يعودون ويستغفرون.
- وهذه تظهر لك في المؤمن والكافر. فالله (ﷻ) أراد أن يخلق المؤمن والكافر ولكن الله (ﷻ) لا يريد الكفر ولكن أراده كوناً.
- والمعصية مُرادة كوناً لكن لا يحبها الله (ﷻ)
- وكما هناك إرادة كونية هناك أمر كوني وإذن كوني كما في قوله (ﷻ):﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾[الأعراف: 167] فهذا إذن كوني وقد ظهر ذلك في حديثه (ﷺ): " لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون ليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم هذا يهودي

---

1 أخرجه البزار والطبراني والحاكم عن عائشة (رضي الله عنها) وصححه الحاكم وقال الذهبي في التلخيص: زكريا مجمع على ضعفه. وفي إسناده زكريا بن منظور ضعيف وعطاف الشامي مجهول.والحديث ضعيف. ومعنى يعتلجان: يتصارعان ويتدافعان

2 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

خلفي فاقتله إلا الغرقد فإنه شجر اليهود" [1] فهذا إذن كوني حتماً سيقع. وكذلك قوله (ﷻ):﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[الرعد: 31] فهذه مشيئة كونية فهناك بعض الناس اهتدوا وبعضهم لم يهتدوا رغم أن غير الهداية غير محببة إلى الله (ﷻ).

4.3.2 الإرادة الشرعية:

- وهي قد تقع وقد لا تقع ولا تكون إلا فيما يحبه الله (ﷻ) فقط. وهذا يظهركما في قوله (ﷻ):﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾[الإسراء: 27] فهذا القضاء قضاء شرعي فعبادة الله (ﷻ) فيما يحبه ولكن هذا لم يقع فليس كل الناس عبدوا الله (ﷻ). وبالتالي هذه الأرادة لها ضابطان:

أ. إحتمالية وقوعها (في حين أن الإرادة الكونية لابد أن تقع وهذا هو ضابط التفرقة بين الإرادة الكونية والشرعية)

ب. لا تكون إلا فيما يحبه الله (ﷻ) (والإرادة الكونية قد تقع فيما يحبه الله (ﷻ) وفيما لا يحبه فلو وقع أمر فيما يحبه الله (ﷻ) فلا نستطيع أن نُفرق إذا كان الأمر كوني أم شرعي إلا من خلال الضابط "أ").

- فالإرادة الشرعية هي المحبة (أي لا تكون إلا فيما يحبه الله (ﷻ)). وتظهر في قوله (ﷻ):﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[البقرة: 185] وقالت عائشة (رضي الله عنها) في ذلك : " ما خُيِّر رسول الله (ﷺ) بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله (ﷺ) لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها" [2]. فمقصود هذه الآية أن الله (ﷻ) يحب لنا اليسر ولا يحب لنا العسر فالإرادة هنا شرعية فقد تقع وقد لا تقع فبعض الناس لا يأخذون باليسر ويُعسِّرون على أنفسهم.
- وكذلك قوله (ﷻ):﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[النساء: 26]. فهذا فيما يحبه الله (ﷻ) فبالتالي قد تكون إرادة كونية أو شرعية ولكن الذي يُفرَّق هو إن هذه الإرادة قد تقع وقد لا تقع فبالتالي تكون إرادة شرعية فالكونية لابد أن تقع ولكن ليس كل الناس تبيَّنوا الطريق و اهتدوا وتابوا فمنهم من تبيَّن واهتدى وتاب ومنهم لا.
- ومنها قوله (ﷺ): " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" [3]. فهنا الإرادة شرعية فهي تقع فيما يحبه الله (ﷻ) ولكن قد تقع وقد لا تقع فليس كل الناس فقهاء في الدين ولكنه اصطفى بعض الناس وفقههم في الدين. فمن آمن بهذا الحديث لم يترك أبداً طلب العلم لأنه علِم بأن تعلُّم الدين من محبة الله (ﷻ) وكذلك قوله (ﷺ): " من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسَّر على مُعسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه **ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة** وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه" [4]. وهذه طبيعة من علِم أن الله (ﷻ) يحبه أن يزيد في عبادته فقد قال (ﷺ): " أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين لا تخبرهما يا علي" [5] والنبي (ﷺ) طلب ذلك منه لأنه يعلم صاحبيه أنهما لو علِما إن الله (ﷻ) راضي عنهما ويحبهما سيجتهدون في العبادة فهما من أصحاب الهمم العالية فخاف (ﷺ) عليهما من هذا. فمن منَّ الله (ﷻ) عليه بنعمة فلا يتركها بل يزيد.
- المؤمن هو فقط من حقَّق الإرادة الكونية والشرعية على عكس الكافر الذي وقع تحت الإرادة الكونية لأنه لم يُطع الله (ﷻ) فعصى فلم يفعل ما يحبه الله (ﷻ) فلم يقع تحت الإرادة الشرعية.

---

[1] أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).والغرقد: نوعٌ من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس

[2] أخرجه البخاري و مسلم عن عائشة (رضي الله عنها).

[3] أخرجه البخاري و مسلم عن معاوية (رضي الله عنه).

[4] أخرجه البخاري و مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

[5] أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن أبي هريرة وعلي و جابر وأبي سعيد (رضي الله عنهم) وهو حديث صحيح بمجموع طرقه كما في السلسلة الصحيحة. والمقصود من كهول على اعتبار ما كانوا عليه في الدنيا وإلا فليس في الجنة كهل.

4.3.3 الهدف من التمييز بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية:

- الهدف من التمييز بين الإرادة الكونية والشرعية أنه لو وقع عليك أمر من الإرادة الكونية تقول قدَّر الله (ﷻ) عليَّ ذلك وأنا اصبر واحتسب وأحمد الله (ﷻ) لأنك تعلم إن هذا أمر كوني أنت لم تُقصِّر فيه سواء كان امر محبب إلى نفسك أو أمر فيه بلاء فحتى لو كان فيه بلاء فهو من باب التكفير عن الذنوب. وإن كان من الإرادة الشرعية فإن كان خيراً تحمد الله (ﷻ) وإن كان غير ذلك تعلم إن هذا تقصير فترجع وتتوب وتحاسب نفسك. فمن لا يُفرق بين الكوني والشرعي قد يسخط. فلو أخذ الإنسان بالأسباب الشرعية في أمر يريده ولم يحصل له ما يريد يقول قدَّر الله (ﷻ) عليَّ ذلك فقد فعلت ما بوسعي.
- ومن فوائد التمييز بين الإرادة الكونية والشرعية أنك لو علمت ذلك تسارع في التنفيذ لأنه يحبه الله (ﷻ) فأنت تسارع فيما يحبه لتفعله فقد ولهذا قال (ﷻ) في ذلك:﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: 33].
- ومن فوائد التمييز بين الإرادة الكونية والشرعية أن هذا يظهر في مسألة الهداية فهناك هداية كونية وهداية شرعية كما قال (ﷻ):﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾[القصص: 56] فهذه الآية من باب الهداية الكونية التي لا تكون إلا من عند الله (ﷻ) وهذه الآية نزلت في أبي طالب عندما أراد (ﷺ) أن يُدخله الإسلام ومات على الكفر فحزن (ﷺ) فواساه الله (ﷻ) بهذه الآية [1] فقد كان أبو طالب ينصره فهو يحبه.والهداية الشرعية كما في قوله (ﷻ):﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[الشورى: 52].فالهداية الأولى (الهداية الكونية) هداية السداد والتوفيق وهي لا تكون إلا من عند الله (ﷻ). أما هداية البيان والإرشاد (الهداية الشرعية) فتكون للرسل ومن يعمل بعملهم. فنحن مطالبون بالهداية الشرعية أن تدل الناس على الخير ولكن يتبقى أمر الهداية الكونية فهي ليست بيدك وحتى ليست بيد النبي (ﷺ) فلو كانت بيده لأسلم أبو طالب ولكان أسلم عمه أبو لهب. فعنده أعمام في جهنم وأعمام في الدرجات العلى.
- وبهذه الهداية نفهم حديث النبي (ﷺ): " أن رجلا قال: والله لا يغفر الله لفلان وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك" [2].وشاهد الحديث أنه لا أحد يتدخل في الهداية الكونية فنحن مطالبون فقط بهداية الناس فليس عليك إجبارهم أو النظر للنتيجة من دعوتك الناس.

4.4 الخلق (التوقيت: 1 ساعة و27 دقيقة و5 ثانية)

- وهذه المرتبة تُبيَّن أن الله (ﷻ) خلق كل شيء كما قال (ﷻ):﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الزمر: 62] وقوله (ﷻ):﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[الصافات: 96] وقوله (ﷻ):﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾[الفرقان: 2] وقوله (ﷻ):﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾[الأعراف: 54]. فهذه الآيات تُبيَّن عموم خلق الله (ﷻ)
- ولا يُشكل علينا قوله (ﷻ):﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[المؤمنون: 14] وقد جاءت كلمة الخالقين في الآية على صورة الجمع مما يدل على وجود أكثر من خالق؟ والجواب أن الخلق على نوعين: خلق إيجاد من عدم وهذا النوع لا يكون إلا لله وخلق تحويل الشيء من صورة إلى صورة وهذا يكون لآحاد الناس كما في الحديث القدسي: " من أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؟ فليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة" [3]. فالنجار يحول الخسب إلى غرفة نوم والحداد يحول الحدي إلى آلات فهذا يصح أن تقول خلق فهو تحويل من صورة إلى صورة وهذا هو المقصود من الآية.
- هناك مسائل أخرى في القدر تأتي في المحاضرة القادمة.

---

[1] أخرجه البخاري و مسلم عن المسيب بن حزن (رضي الله عنه) قال :" لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله (ﷺ) وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل فقال له: " يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله" فقالا له: " أترغب عن ملة عبد المطلب فأعاد عليه النبي (ﷺ) فأعادا فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال له النبي (ﷺ) لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله (ﷻ) {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى} وأنزل الله في أبي طالب: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}".

[2] أخرجه مسلم عن جندب (رضي الله عنه).

[3] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).راجع صـ1 في المحاضرة الثانية

الشريط العاشر
تابع القضاء والقدر

محتويات الشريط العاشر

1- تابع القضاء والقدر (التوقيت: 29 دقيقة و18 ثانية) 1

1.1 هل يُحتَّج بالقدر على المعايب؟ (التوقيت: 1 ساعة و 0 دقيقة و 50 ثانية).....1

1.2 نظر الإنسان لحاله مع الله (ﷻ) (التوقيت: 1 ساعة و 13 دقيقة و 48 ثانية).....2

1.3 الفرق التي خالفت أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر (التوقيت: 1 ساعة و 19 دقيقة و 28 ثانية).....3

1- تابع القضاء والقدر (التوقيت: 29 دقيقة و18 ثانية)

ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره، واجتناب نواهيه بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل، قال الله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، ونعلم أن الله سبحانه وتعالى ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك، وأنه لم يجبر أحداً على معصية ولا اضطره إلى ترك طاعة .

قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ، وقال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧] فدل على أن للعبد فعلاً وكسباً، يجزى على حسنه بالثواب، وعلى سيئه بالعقاب . وهو واقع بقضاء الله وقدره .

1.1 هل يُحتَّج بالقدر على المعايب؟ (التوقيت: 1 ساعة و 0 دقيقة و 50 ثانية)

- إنما يُحتَّج بالقدر على المصائب ولا يُحتَّج بالقدر على المعايب وسيأتي التفصيل.
- أولاً نُأصِّل إن أفعال العباد كلها مخلوقة لله (ﷻ) سواء كانت طاعات أو معاصي أو ذنوب. فهل للعاصي أن يقول: ما عصيت إلا بقدر الله (ﷻ)؟. مثلاً رجل أكل الربا أو شرب الخمر أو زنا أو أفطر في نهار رمضان أو ترك الصلاة ثم يقول: أنا مؤمن بالقدر وهذا من قدر الله (ﷻ) والله (ﷻ) خلقني وخلق أفعالي وما فعلت هذه المعاصي إلا بقدر من الله (ﷻ). وما سبق أن ذكرناه يُسمَّى المعايب أو المعاصي فهل له أن يحتج بالقدر على فعلها أم لا؟.
- هذه المسألة خالفت فيها الفرق أهل السنة والجماعة وتحديداً الجبرية الذين يقولون إن العبد كالريشة في الهواء فللعبد أن يحتج بالقدر في كل شيء سواؤ كانت مصائب أو معاصي فإذا فعل المعاصي فله أن يقول قدَّر الله (ﷻ) عليَّ ذلك وما فعلت ذلك إلا بقدر من الله (ﷻ). وهذا يظهر كثيراً في العوام أنك عندما تكلمه في معصية يفعلها يحتج عليك بالقدر.
- فأهل السنة يُفرقون بين المصائب التي تنزل على المرء وبين الذنوب والمعاصي والمعايب التي يقترفها العبد. فنقول له أن يحتج بالقدر على المصائب وليس له أن يحتج بالقدر على المعايب.
- فالله (ﷻ) جعل للعبد كسب وإرادة ومشيئة وذلك من خلال قوله (ﷻ):﴿ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾[غافر: 17] فقد أثبت الله (ﷻ) في الآية للعبد الكسب وقوله (ﷻ):﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾[الإنسان: 30 & التكوير: 29] و قوله (ﷻ):﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴾[التكوير: 28] فقد أثبت الله (ﷻ) في الآيتين أن للعبد مشيئة وإرادة.
- والله (ﷻ) لم يُكلِّف الخلق إلا بما يستطيعون وذلك من خلال قوله (ﷻ):﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: 286] و

قوله (ﷻ):﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن: 16]. فإذا كلَّفك بالعبادة والطاعة مثل الصلاة والزكاة والصيام أو نهاك عن أكل الربا وشرب الخمر والزنا فكل هذا تكليف تستطيع أن تفعله فليس له (ﷻ) أن يُكلفك ما لا تستطيع ولا تقدر عليه كما في قوله (ﷻ):﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[آل عمران: 286].

- والله (ﷻ) لم يُجبر أحد على المعصية بل خيَّره فجعل له طريق للهدى وطريق للمعاصي والعبد هو الذي اختار طريقه. ويُمكن أن نُمثلها أن أحد يريد أن يدرك ميعاد في مدينة نصر فله طريقان فإما أن يسلك الطريق الدائري أو يسلك طريقه من داخل شوارع القاهرة فإذا قال له أحدهم أن الطريق من داخل شوارع القاهرة مزدحم فالأفضل أن تسلك الطريق الدائري فصممت وأخذت الطريق من داخل شوارع القاهرة وجلست فيه ست ساعات ولم أدرك موعدي فهل أقول قدَّر الله (ﷻ) عليَّ ذلك؟. لا بل هذا حدث بسبب اختياري فقد علمت الطريق الأسرع ولكن اخترت الآخر. كذلك هذا طريق الحسنات وهذا طريق السيئات فأنت ترك طريق الطاعات فلم تصم رمضان وتركت الصلاة وجلست على المقاهي وتركت الزواج الحلال وذهبت إلى الزنا وتركت الرزق الحلال وذهبت لأكل الربا. فطالما اخترت هذا الطريق فلا تلومن إلا نفسك ولا تقول أنا فعلت هذا بقدر من الله (ﷻ).
- فطالما جعل الله (ﷻ) للعبد كسب ومشيئة ولم يُكلِّفه إلا بما يُطيق فليس للعبد أن يحتج بالقدر على المعصية بل عليه أن يتوب ويستغفر ويعلم أن ما فعله من نفسه.
- بعضهم أُستشكل عليه حديث آدم وموسى (عليهما السلام) الذي رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) أنه قال: " احتج آدم وموسى فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق " فقال رسول الله (ﷺ): فحج آدم موسى مرتين" [1]
- فالذي فهموا الحديث خطأ أخذوه على ظاهره فظنوا أن موسى (عليه السلام) أراد أن يلوم آدم (عليه السلام) على المعصية التي اخرجته واخرجتنا من الجنة فاحتج آدم (عليه السلام) بالقدر.
- وهذا الكلام خطأ من أكثر من وجه فأحد هذه الأوجه أن موسى (عليه السلام) من أولي العزم من الرسل وكان من أعلم الرسل فليس له أن يلوم آدم (عليه السلام) على أمر قد تاب منه وأقر الله (ﷻ) هذه التوبة كما في قوله (ﷻ):﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾[البقرة: 37]. فالمرء لو فعل المعصية في وقت من الأوقات ثم منَّ الله (ﷻ) عليه بالتوبة فوقت أن فعل المعصية ليس له أن يحتج بالقدر. ولكن بعد أن تاب وتذكَّر هذه المعصية فله أن يقول قدّر الله (ﷻ) وقدَّر ليَّ التوبة. ولكن المقصود أن موسى (عليه السلام) أراد أن يحتج بالمصيبة التي أصابتنا بنزولنا من الجنة إلى الأرض فرَّد آدم بالاحتجاج بالقدر على هذه المصيبة.
- ولنا أيضاً أن نحتج بالقدر فيما لا نقدر عليه ولم نُقصّر في عمله وآداءه كما جاء في حديثه علي (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) طرقه وفاطمة بنت النبي (ﷺ) ليلة فقال: "ألا تصليان؟" فقلت: " يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا" فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إلي شيئا ثم سمعته وهو مولٍ يضرب فخذه وهو يقول: {وكان الإنسان أكثر شيء جدلا} [الكهف: 54]" [2]. فالنائم ليس عليه شيء فالنائم عن الصلاه يُصليها حين يذكرها [3] فاحتج علي (رضي الله عنه) بالقدر لأنهما نائمين والقلوب ليست معهم بل عند الله (ﷻ) إن شاء أرسلها عليهما فقاما فصلَّيا.
- والخلاصة أن الاحتجاج بالقدر على المصائب يجوز وأما الاحتجاج على المعائب لا يجوز.

1.2 نظر الإنسان لحاله مع الله (ﷻ) (التوقيت: 1 ساعة و 13 دقيقة و 48 ثانية)

- ومن ثمرات الإيمان بالقدر قوله (ﷺ) للصحابة : " ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة. قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له. أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة. ثم قرأ: {فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره

---

1 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري والحديث له روايات كثيرة.
2 أخرجه البخاري ومسلم عن علي (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.
3 هذا من الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أنس (رضي الله عنه). أما رواية مسلم قال (ﷺ) : " إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها فإن الله يقول: {أقم الصلاة لذكري} [طه: 14]"ورواية البخاري قال (ﷺ): " من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك {وأقم الصلاة لذكري} [طه: 14]".

لليسرى}" [1].

- وهذا الحديث ضابط مهم جداً لأن المرء إذا علِم أن الله (ﷻ) يسَّره وجعله من أهل الطاعات فيُسارع لأنه علِم أن هذا تقديره خير من الله (ﷻ) له فيشكر الله (ﷻ) على ما قدَّره له ويُسارع في ذلك بل يجتهد.
- وهذا جاء في حديثه (ﷺ) لعلي (رضي الله عنه): " أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين لا تخبرهما يا علي" [2].والنبي (ﷺ) كما قال أهل العلم طلب ذلك منه لأنه يعلم صاحبيه أنهما لو علِما إن الله (ﷻ) راضي عنهما ويحبهما سيجتهدون في العبادة فهما من أصحاب الهمم العالية فخاف (ﷺ) عليهما من هذا. فمن منَّ الله (ﷻ) عليه بنعمة فلا يتركها بل يزيد وأنه عند الله (ﷻ) محبوباً مختاراً فيُسارع ولا ينتكس بل هذه عاجل بُشرى المؤمن.
- ومن وجد نفسه في طريق الشر فلابد أن يتوب وينوب ويرجع فالله (ﷻ) يقبله ويُدخله في طريق الخير فباب التوبة مفتوح إلى أن تخرج الشمس من مغربها [3].
- وهذا وضَّحه الله (ﷻ) في قوله (ﷻ):﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾[الليل: 5-10]. ولهذا ترى كثير من الناس يريدون أن يُسارعوا في الخيرات فيُصد عنه الباب وهذا واقع مُشاهد فتجده يريد العمره أو الحج أو طلب العلم فلا يستطيع فهذا لابد أن يُراجع نيته. وتجد آخر يريد أن يعصي الله (ﷻ) فيُصد عن باب المعصية وهذا واقع فتجده يريد فعل الفاحشة فيذهب فلا يستطيع فعلها لأي سبب [4].

1.3 الفرق التى خالفت أهل السنة والجماعة فى القضاء والقدر (التوقيت: 1 ساعة و 19 دقيقة و 28 ثانية)

- الإيمان بالقضاء والقدر له أربعة مراتب والتي ذكرناها في المحاضرة السابقة وهي العلم والكتابة والخلق والإرادة.
- والفرق على قسمين: القسم الأول غلاة الجبرية (الجهمية والصوفية) الذين يقولون إن العبد مجبور فالعبد كالريشة في الهواء ليس له شيء والله (ﷻ) يُحرَّكه يُمنة ويُسره وأنه مجبور على كل شيء سواء كانت طاعات أو معاصي فهو ليس بيده شيء ولا إرادة فأنكروا الإرادة والمشيئة للعبد. فأنكروا كسب العبد ونسبوا كل أفعال المخلوقين إلى الله (ﷻ). فوقعوا في خطأ شنيع وهو أنهم نسبوا المعاصي والذنوب إلى الله (ﷻ) تعالى الله (ﷻ) عما يقولون.
- القسم الثاني هم الأشاعرة وهم جبرية وعند بعض أهل العلم يُسمونه الجبر المؤدب فهم لا يقولون تصريحاً إن العبد مجبور فهم كلامهم في الظاهر إن المكلف له اختيار ولكن في الباطن هو مجبور. فهم اخترعوا مُسمَّى يُسمَّى الكسب ثم اختلفوا فيه على أكثر من قول (حوالي 12 أو 13 قول) فهم لم يستطيعوا أن يحددوا هل العبد يكسب بإرادته أم لا. ولتوضيح الفرق بينهم وبين غلاة الجبرية نُوضَّحه بالمثال: إمرار السكين على الشيء لا يقطعه ولكن صادف إمرار السكين القطع من الله (ﷻ).فهم يرون الإنسان كالآلة تُستخدم دون تدخل منها حسب مستخدمها. فكذلك العبد يستخدمه الله (ﷻ) -على قولهم- دون إرادة منه

---

1 أخرجه البخاري ومسلم عن علي (رضي الله عنه).

2 أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن أبي هريرة وعلي و جابر وأبي سعيد (رضي الله عنهم) وهو حديث صحيح بمجموع طرقه كما في السلسلة الصحيحة. والمقصود من كهول على اعتبار ما كانوا عليه في الدنيا وإلا فليس في الجنة كهل.

3 هذا من الحديث الذي أخرجه مسلم عن إبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال(ﷺ) : " إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها".

4 هذا كما في الحديث الذي أخرجه ابن الأثير و الحاكم عن علي (رضي الله عنه) وقال عنه صحيح على شرط مسلم وأخرجه الطبراني من حديث عمار بن ياسر (رضي الله عنه) وصححه الذهبي قال(ﷺ) : " ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملونه غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد ثم ما هممت بعدها بسوء حتى أكرمني الله عز وجل برسالته فإني قد قلت ليلا لغلام من قريش كان يرعى معي بأعلى مكة: لو أنك أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر كما يسمر الشباب فقال: افعل " قال: " فخرجت أريد ذلك حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفا بغرابيل ومزامير فقلت: ما هذا؟ فقالوا: هذا فلان بن فلان تزوج فلانة بنت فلان " قال: " فجلست أنظر وضرب الله على أذني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس فجئت صاحبي فقال: ما صنعت؟ " قال: قلت: " ما صنعت شيئا ثم أخبرته الخبر ثم بت ليلة أخرى مثل ذلك فقال: افعل فخرجت حتى جئت مكة وسمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة فجلست أنظر وضرب الله على أذني فما أيقظني إلا حر الشمس فرجعت إلى صاحبي فأخبرته الخبر ثم ما هممت بعدها بسوء حتى أكرمني الله عز وجل برسالته". والصحيح أن الحديث ضعيف فتصحيح الذهبي والحاكم وهم منهما معا لأمرين: الأول: أن ابن إسحاق إنما يروي له مسلم مقرونا بغيره كما ذكر ذلك الذهبي نفسه في الميزان والحاكم لم يروه عنه مقرونا بغيره كما ترى فليس هو على شرط مسلم. الثاني: أن محمد بن عبد الله بن قيس ليس مشهور العدالة فلم يوثّقه غير ابن حبان. وتوثيقه عند ما ينفرد به لا يوثق به لأن من قاعدته أن يوثق المجهولين كما أفاده المحققون كالحافظ ابن حجر في (اللسان) ولهذا لما أورد الحافظ ابن قيس هذا في (التقريب) لم يوثقه بل قال فيه: مقبول: يعني: أنه لين الحديث حيث لا يتابع كما نص على هذا في مقدمة الكتاب. ثم هو ليس من رجال مسلم خلافا لمن وهم. وقد ضعف هذا الحديث الحافظ ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية بعد أن ساقه بالسند المذكور من رواية البيهقي حيث قال: «وهذا حديث غريب جدا» وقد يكون عن علي نفسه (يعني: موقوفا عليه) ويكون قول: «حتى أكرمني الله عز وجلّ بنبوته» مقحما والله أعلم. وشيخ ابن إسحاق هذا ذكره ابن حبان في الثقات وزعم بعضهم أنه من رجال الصحيح قال شيخنا في تهذيبه: «ولم أقف على ذلك. والله أعلم» . والحديث في تاريخ مكة للفاكهي وتاريخ ابن جريرمن الطريق المذكور. ورواه الطبراني في المعجم الصغير من حديث عمار بن ياسر (رضي الله عنه) وفي سنده جماعة لم أعرفهم وذكر نحو هذا الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد.

ومثال آخر إنك لو قمت إلى الصلاة فقد صادف قيامك وقت الصلاة., فأنت لم تصلي بنفسك.

فهم يقولون إن فعل الإنسان ليس سبب لحدوث الشيء بل الله (ﷻ) هو سبب حدوثه.

وبعضهم استدل بقوله (ﷻ):﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾[الأنفال: 17]. والرد عليهم أن الله (ﷻ) له مشيئة والعبد له مشيئة فالعبد رمى لكن الإصابة بمشيئة الله (ﷻ). فالاية تُثبت أن العبد رمى فهذا الآية دليل ضدهم لأن هناك فعل للعبد والمقصود بـ "الله رمى" أن الله (ﷻ) سدَّد هذه الرمية فلم تكن تُسدَّد إلا من الله (ﷻ).فأنت السبب والله (ﷻ) هو المُسبب وهذا هو مفهوم التوكل في قوله (ﷻ):﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[المائدة: 23] فالتوكل الحقيقي أن تأتي بالسبب وتجعل إعتمادك على الله (ﷻ) في النتيجة.

فالاعتماد على السبب شرك فمن ظنَّ أن الدواء هو الشافي أو أن المدير هو من يأتيه بالرزق أو الولي هو من يغفر له ويتوب عليه وترك الأسباب قدح في العقل فلو رجل لم يتزوج ويدعو الله (ﷻ) أن يرزقه ذرية من ستة أولاد وعشر بنات ويقوم الليل كل يوم يدعو بذلك.

والرد عليهم أن الله (ﷻ) قد جعل للعبد كسب وعمل ومشيئة وإرادة. فالله (ﷻ) ليس بظلَّام للعبيد. فلو أخذت بقولهم فقد نسبت الظلم إلى الله (ﷻ) فلماذا يُدخلك النار ويُدخل الآخر الجنة؟.

فمشكلة الجبرية أنهم نسبوا الظلم إلى الله (ﷻ) فأحدهم يدخل الجنة والآخر يدخل النار وهو لم يعمل شيء فهذا لازم قولهم.

وأيضاً نفوا الحكمة والمصلحة فما الحكمة من خلق الله (ﷻ) للعباد فما نفعله من طاعات أو معاصي ليس فيه جزاء ولا ثواب فكل أفعالنا - على قولهم – لم نفعلها بأنفسنا.

الطائفة الثانية القدرية المحضة وهم عكس الجبرية وهما على قسمين أحدهما انقرض وهم غلاة القدرية الذين نفوا أن الله (ﷻ) يعلم أفعال العباد فعندهم الله (ﷻ) لا يعلم أن العبد فعل طاعة أو معصية. وغلاة القدرية كفار بإجماع أهل السنة والجماعة لأنهم أشركوا في ربوبية الله (ﷻ). والقسم الثاني منهم قالوا إن العبد مستقل يخلق أفعاله بنفسه فهم أثبتوا مرتبتين من مراتب القدر الأربعة (العلم والكتابة والخلق والإرادة) وهما العلم والكتابة ونفوا الخلق و الإرادة فجعلوا الإرادة والخلق للعبد فإرادة العبد مستقلة عن إرادة الله (ﷻ) ويخلق أفعاله بنفسه.

والرد عليهم بقوله (ﷻ):﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[الصافات: 96] فهذه الآية صريحة في أن الله (ﷻ) خلق العباد وخلق أفعال العباد.

فكل ما في السماوات والأرض ملك لله (ﷻ) ولا يخرج شيء عن مشيئة الله (ﷻ) والله (ﷻ) بيَّن ذلك في قوله (ﷻ):﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾[الإنسان: 30 & التكوير: 29]. فالعبد له إرادة ومشيئة مستقلة لكنها واقعة تحت إرادة ومشيئة الله (ﷻ).

بعض أهل العلم يسمُّون الجبرية بالشِركية لأنهم وافقوا قول أهل الشرك الذي وضَّحه الله (ﷻ) في قوله (ﷻ):﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾[الأنعام: 148].

بعض أهل العلم يسمُّون القدرية المحضة بالمجوسية لأنهم القدرية قالوا إن الله (ﷻ) يخلق أفعال والعبد يخلق أفعال فالعبد يخلق أفعال نفسه والله (ﷻ) يخلق أفعال باقي الخلق من السماوات والأرض وغيرهما. فكأنهم جعلوا مثل المجوس إلهين إله النور وإله الظلمة فلازم قول القدرية أنه هناك إلهين.

الجهمية والأشاعرة جبرية والمعتزلة قدرية محضة.

الكسب عند أهل السنة يختلف عن الأشاعرة بأن تعريف الكسب عند أهل السنة واضح وهو أن العبد له إرادة ومشيئة فأهل السنة يقولون إن الأفعال تُنسب إلى الله (ﷻ) خلقاً وإيجاداً وإلى العبد كسباً ومباشرة على عكس الأشاعرة الذين ليس عندهم تعريف واضح للكسب لأنهم أصلاً لا يرون أن العبد له إرادة أو مشيئة. فهم يقولون بالكسب ولكنهم لا يرون أن هذا الكسب هو الذي أدَّى لحدوث الفعل ولكن الله (ﷻ) هو فاعله. فالإنسان قام للصلاة هذا كسب وقطع بالسكين هذا كسب ولكن السكينة لم تقطع والعبد لم يصلي لكن الفعال الحقيقي في النهاية عندهم هو الله (ﷻ). فهم يحاولون التشويش على أهل السنة بأن يُوحوا أن قولهم موافق لأهل السنة في أن للعبد كسب لكن الحقيقية أنهم لا يقولون إن العبد هو الفاعل بل إن الفاعل عندهم هو الله (ﷻ). فهم لم يقولوا بالجبر تصريحاً مثل غلاة الجبرية ولكن هذا هو لازم كلامهم. فلا تنظر لإيمانهم بالفرعيات فقط مثل إيمانهم بالكسب ولكن أنظر إلى مجمل كلامهم.

ليس معنى أن نقول إن الأشاعرة يخالفون أهل السنة والجماعة أنهم كفار.نعم هناك فرق خرجت من الإسلام مثل الباطنية والدروز والنُصيريون العلويون والقديانيون والبهائيون والجهمية لأن هؤلاء أتوا بنواقض مباشرة تُخرج من الإسلام فالجهمية نفوا أسماء الله (ﷻ) وصفاته فشبهوا الله (ﷻ) بالمعدومات. أما الأشاعرة يثبتون لله (ﷻ) أسماء وصفات والقدر والإيمان

لكن عندهم بعض الضلالات في هذه الأبواب ولكنهم يقعوا تحت الثلاث وسبعين فرقة الضالة [1] فيما خالفوا فيه.

- الرد على القدرية يكون من وجهين الأول أن تناقشه في المسألة علمياً فإن أصرَّ ولم يستجيب فهو قد يكون مُقلِّد أو من طلبة علمهم فلو كان مُقلِّداً وعنده بعض الشبه تزيلها من عنده. أما لو أصر وعاند أو كان من طلبة العلم عندهم فهذا تكون قد ألقيت عليه الحجة وبيَّنت له.

[1] هذا كما في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه في الفتن باب افتراق الأمم وابن أبي عاصم في السنة واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة كلهم من طريق عبَّاد بن يوسف عن صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد عن عوف بن مالك (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: ""افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وإحدى وسبعون في النار والذي نفسي بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة فواحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار" قيل: يا رسول من هم؟ قال: "الجماعة".وسنده صحيح. وفي رواية أخرجها أبو داود وابن ماجه والترمذي: "تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة" وقال الترمذي: حديث حسن صحيح. وفي رواية أخرجها أبو داود والترمذي: افترقت اليهود على أحدي وسبعين فرقة وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة, وستفرق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة, كلها في النار إلا واحدة. قلنا من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي " وقال الترمذي: حديث صحيح و قال الألباني: حسن صحيح. والحديث له روايات متعددة. وقوله (ﷺ) "كلها في النار" من أحاديث الوعيد باتفاق السلف ولا يدل على خروجهم من الملة.

الشريط الحادي عشر
الإيمان

محتويات الشريط الحادى عشر

1- الإيمان (التوقيت: 1 دقيقة و40 ثانية) 1
1.1 تعريف الإيمان لغة (التوقيت: 4 دقيقة و 7 ثانية).....1
1.2 تعريف الإيمان شرعاً (التوقيت: 12 دقيقة و 5 ثانية).....2
1.3 علاقة الإيمان بالإسلام (التوقيت: 16 دقيقة و 44 ثانية).....2
1.4 هل الإيمان يزيد وينقص؟ (التوقيت: 20 دقيقة و 55 ثانية).....3
1.5 الاستثناء في الإيمان (التوقيت: 33 دقيقة و 22 ثانية).....4
1.6 الطوائف التي خالفت في الإيمان (التوقيت: 40 دقيقة و 15 ثانية).....5

1- الإيمان (التوقيت: 1 دقيقة و40 ثانية)

والإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، وعقد بالجَنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، فجعل عبادة الله وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين. وقال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» فجعل القول والعمل من الإيمان. وقال تعالى: ﴿ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [التوبة: ١٢٤]، وقال: ﴿ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ [الفتح: ٤]

وقال رسول الله ﷺ: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه مثقال برة أو خردلة أو ذرة من الإيمان» فجعله متفاضلاً.

- فصل الإيمان من أهم الفصول في كتب العقيدة والتوحيد فيُبيَّن فيه المصنف (رحمه الله) عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان ولم يتعرض للفرق التي خالفت لأن الكتاب يختص بالمبتدئين ولكن سنبين معنى الإيمان لغة وشرعاً وعقيدة أهل السنة في تعريف الإيمان ونلمح قليلاً على الفرق التي خالفت ويظهر ذلك من التعريف مع التعرض لبعض المسائل التي تعرض لها المصنف (رحمه الله) مثل هل الإيمان يزيد أو ينقص ومسألة الاستثناء في الإيمان وبعض المسائل الفرعية التي نتعرض لها في حينها.

1.1 تعريف الإيمان لغة (التوقيت: 4 دقيقة و 7 ثانية)

- تعريف الإيمان لغة هو التصديق كما في قوله (تعالى) حاكياً عن إخوة يوسف (عليه السلام): ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[يوسف: 17] أي وما أنت بمصدِّق لنا ولو كنا صادقين وهذا عند جمهور أهل العلم وسنبين أن هناك بعض الخلافات في هذا التعريف.
- الإيمان قد يأتي غير متعدّي بحروف جر أو متعدّي بحرف الجر مثل الباء (آمنت بـ) أو اللام (آمنت لـ).فلو جاء الإيمان دون التعدّي بأي حرف من الحروف فيكون الإيمان بمعنى الأمن والأمان كما في قوله (تعالى): ﴿آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾[قريش: 4] و قوله (تعالى): ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾[الأنعام: 82] و قوله (تعالى): ﴿ وَهَذَا

﴿الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾[التين: 3]. وأما لو جاء متعدّي بالباء فيكون الإيمان بمعنى التصديق كما في قوله (ﷻ):﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[البقرة: 3] و قوله (ﷻ):﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ﴾[البقرة: 285] وقوله (ﷻ):﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[آل عمران: 114]. وأما لو جاء متعدّي باللام فيكون الإيمان بمعنى الاتباع والانقياد كما في قوله (ﷻ):﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾[العنكبوت: 26] أي اتبعه وانقاد له لوط أوالاستسلام والإذعان كما في قوله (ﷻ) حاكياً عن قول فرعون للسحرة عندما سجدوا:﴿ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُم﴾[طه: 71].

- بعض أهل العلم ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) يرى أن معنى الإيمان في اللغة يكون بمعنى الإقرار وليس التصديق فالإيمان معناه أن يُصدِّق بقلبه ثم ينقاد وقال ابن تيمية (رحمه الله) إن التصديق عكسه لغة التكذيب والإيمان عكسه لغة الكفر وليس التكذيب. وقال إن التصديق يكون إخبار عن شيء مُشاهد والإيمان يكون عن شيء غائب فلا يكون عن شيء مُشاهد فلو قلت مثلاً طلعت الشمس فلا أقول لك آمنا. وذكر أدلة أخرى كثيرة في هذا وكلامه كلام وجيه.

1.2 تعريف الإيمان شرعاً (التوقيت: 12 دقيقة و 5 ثانية)

- تعريف الإيمان شرعاً هو التصديق الجازم (وبعضهم يُضيف المستلزم للقبول والإذعان) والإقرار الكامل والاعتراف التام بأركان الإيمان الستة (الإيمان بالله (ﷻ) أي بربوبية وألوهية وأسماء وصفات الله (ﷻ) والإيمان بالملائكة والكتب والرسل كلهم واليوم الآخر من بعث وحشر وعلامات يوم القيامة والقدر خيره وشره).
- هناك تعريف اصطلاحي آخر وهو: الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان. وهذا التعريف هو الذي يُوضّح الفرق بين أهل السنة وغيرهم. فعند أهل السنة لا يصح الإيمان حتى ينطق بالشهادتين وتصديق بالجنان هو تصديق القلب والقلب له قول وعمل فقول القلب أن تصدق وتعتقد بقلبك أنه لا إله إلا الله محمداً رسول الله فالمنافق يقولها ظاهراً ولكنه يبطن الكفر بخلاف المسلم الذي يقولها ظاهراً وباطناً. أما عمل القلب مثل التوكل والإنابة والخشية والرهبة والرجاء.وعمل الجوارح والأركان يسمى الأعمال الظاهرة مثل الصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة والذبح والنذر.
- فلو تخلَّف ركن من الأركان السابقة لا يصح الإيمان. وهذا سيظهر في الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة.

1.3 علاقة الإيمان بالإسلام (التوقيت: 16 دقيقة و 44 ثانية)

- الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا. فإذا ذُكِر الإيمان (أو الإسلام) في نصٍ منفرداً يقصد به الدين كله وإذا ذُكِر الإيمان و الإسلام معاً في نصٍ واحد كان المقصود بالإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة في القلب ففي حديث جبريل (عليه السلام)" قال: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله (ﷺ): "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله (ﷺ) وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا" قال: صدقت قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه قال: فأخبرني عن الإيمان قال: " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره.... الحديث"[1] فلما ذُكِر الإسلام و الإيمان في نصٍ واحد كان المقصود بالإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة في القلب وكذلك في قوله (ﷻ):﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[الحجرات: 14]. ولكن إذا افترقا يأتي الأيمان (أو الإسلام) بمعنى الإيمان والإسلام فيكونا بمعنى العبادات الظاهرة والباطنة كما في قوله (ﷻ):﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[الأنفال: 2-4] فجاء في الآية عندما تكلم (ﷻ) عن المؤمنين فذكر أعمال باطنة (وجل القلب والتوكل) وأعمال ظاهرة (الصلاة والإنفاق) وكذلك قوله (ﷺ) لوفد عبد القيس: "هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟ " قالوا: "الله ورسوله أعلم" قال:" شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وتعطوا الخمس من المغنم"[2] وهذه كلها أعمال ظاهرة. وكذلك الإسلام إذا أتى منفرداً شمل الأعمال الظاهرة والباطنة كما في قوله (ﷻ):﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[آل عمران: 19]. وطبعاً الإيمان من الدين فالمقصود بالإسلام هنا الأعمال الظاهرة والباطنة.

---

1 أخرجه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) ومسلم عن عمر (رضي الله عنه) والرواية لمسلم.

2 أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس (رضي الله عنهما) والرواية للبخاري.

1.4 هل الإيمان يزيد وينقص؟ (التوقيت: 20 دقيقة و 55 ثانية)

- استدل المصنف (رحمه الله) بأكثر من دليل على أن الإيمان يزيد وينقص منه قوله (تعالى):﴿ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾[التوبة: 124] وقوله (تعالى):﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾[الفتح: 4] ونزيد قوله (تعالى):﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾[المدثر: 31] وقوله (تعالى):﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾[الأنفال: 2] وقوله (تعالى) حاكياً عن سيدنا إبراهيم (عليه السلام):﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾[البقرة: 260] وقد فسَّر المفسرون الآية أن المقصود بـ (يطمئن قلبي) أي يزداد قلبي إيماناً وقصة عمار بن ياسر (رضي الله عنه) التي رواها محمد بن عمار بن ياسر قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى نال من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وذكر آلهتهم بخير. فلما أتى النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: ما وراءك؟ قال: شر يا رسول الله والله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير قال: فكيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان قال: " فإن عادوا فعد" [1] وفي رواية قال (صلى الله عليه وسلم) : "مُلِأ قلب عمار بشاشة بالإيمان" [2]. كل ما سبق من آيات وقصة عمار (رضي الله عنه) تدل على أن الإيمان يزداد فهل هناك ما يدل على نقصان الإيمان؟. الإمام مالك (رحمه الله) أثبت زيادة الإيمان وتوقف فلم يثبت النقص وإن كان هناك قول آخر له أنه قال بنقصان الإيمان. والصحيح أن الإيمان ينقص كما في حديثه (صلى الله عليه وسلم): "ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن" قلن: " وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟" قال: " أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل " قلن: بلى قال: " فذلك من نقصان عقلها أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم" قلن: بلى قال: "فذلك من نقصان دينها"[3] وإن كان لا شيء تحاسب عليه المرأة في نقصان دينها فهذه جبلَّة فطرها الله (عز وجل) عليها لكنه نقصان في الدين. وحديثه (صلى الله عليه وسلم):" من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[4] فالنبي (صلى الله عليه وسلم) بيَّن في الحديث أن الإيمان يضعف أي يقل وينقص. وحديثه (صلى الله عليه وسلم):" يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير" قال أبو عبد الله: قال أبان حدثنا قتادة حدثنا أنس عن النبي (صلى الله عليه وسلم): (من إيمان) مكان (من خير)"[5]
- وورد كذلك من آثار الصحابة (رضي الله عنهم) أن الإيمان يزيد وينقص كما ورد عن ابن أبي مليكة قال : " أدركت ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل "[6] والنفاق لا يأتي إلا بأن يقل الإيمان في القلب وهذا فيه دلالة على أن الإيمان ينقص.
- وقال ابن مسعود (رضي الله عنه): "اللهم زدني إيماناً ويقيناً وفقهاً"[7].
- وقال أبو هريرة (رضي الله عنه): "الإيمان يزداد وينقص" [8].
- وأهمية أن الإيمان يزيد وينقص أن هذه المسألة هي سبب نشأة المرجئة والخوارج التكفيريين فقد جعلوا الإيمان مُركبَّ لا يزيد ولا ينقص فلو نقُص منه شيء تلاشى كله. ولهذا يقول الخوارج من فعل المعصية ذهب إيمانه فيُكفِّرون بالمعاصي والكبائرفالقاتل والزاني وغيرهم من العصاة عندهم كافر. وعند أهل السنة القتل كبيرة وعليه القصاص أو الدية ولكنه ليس بكفر إلا إذا كان مثلاً يقتل استحلالاً أو يقتل رجل ليصدَّه عن الإسلام وبعض المسائل الأخرى ولكن هذه استثناءات وليست

---

1 أخرجه ابن سعد في " الطبقات" والطبري في " جامع البيان " وأبو نعيم في " الحلية "من طريق عبد الكريم الجزري عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر. وأخرجه الحاكم من طريق الجروي عن أبي عبيدة عن أبيه محمد بن عمار وصححه ووافقه الذهبي مع أنه مرسل وقال الذهبي:على شرط البخاري ومسلم. ومحمد بن عمار لم يوثقه غير ابن حبان وقال الحافظ في " التقريب ": مقبول يريد: أنه يقبل حديثه في المتابعة أما إذا انفرد فهو ضعيف

2 لم أقف على هذه الرواية

3 أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) ومسلم عن ابن عمر (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.

4 أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه).

5 أخرجه البخاري ومسلم عن أنس (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.

6 أخرجه البخاري في صحيحه تعليقا ووصله ابن أبي خيثمة في تاريخه وكذا محمد بن نصر المروزي في كتاب الإيمان له وأبو زرعة الدمشقي في تاريخه كما قال الحافظ في الفتح.

7 أخرجه عبد الله في السنة والخلال في السنة والآجري في الشريعة وابن بطة في الإبانة واللالكائي في شرح الاعتقاد والبيهقي في الشعب من طرق عن شريك عن هلال بن حميد عن عبد الله بن عكيم عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه). قال الحافظ في الفتح :"وإسناده صحيح".

8 أخرجه عبد الله في السنة والآجري في الشريعة. أخرج هذه الكلام عن عبدُ الله بن عباس وأبو هريرة وأبو الدرداء (رضي الله عنهم) بأسانيد صحيحة الإمام اللالكائي في كتابه القيم: " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة إجماع الصحابة والتابعين

الأصل ولكنه يُغسَّل ويُكفَّن ويُصلَّى عليه حتى ولو قتل مئة نفس ولكن طبعاً عليه عذاب شديد. والعكس المرجئة فحتى يفروا من هذه المسألة قالوا إن الأعمال لا تدخل في الإيمان فجعلوا الإيمان بالقلب فقط فإن لم يفعل أعمال يظل على إيمانه.فعندهم صاحب الكبائر إيمانه كإيمان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم) كما يقول الصوفية وبعض العوام: "أنا قلبي عامر بالإيمان" فلا يصلِّي ولا يصوم ولا يفعل شيء.

فالإيمان ممكن أن ينقص حتى يتلاشى فإذا تلاشى خرج الإنسان من الإسلام إلى الكفر عندما ويزيد حتى يصل يُوقن بأصل الإيمان وهو الأركان ثم يزيد حتى يصل لإيمان الكمال أو الإيمان الواجب ثم الإحسان كما جاء في حديث جبريل [1] وهو درجات.

لذلك إذا علم المرء أن الإيمان يزيد وينقص فيزيد في طاعاته ليزداد إيمانه فيفعل كما كان يفعل الصحابة (رضي الله عنهم) فيقولون هيا بنا نؤمن ساعة [2]. فلا يتوقف لأن إيمانه يزيد وهذه الزيادة ليس لها حد لقوله (صلى الله عليه وسلم): "الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان"[3] فالطاعات المذكورة لا تتوقف ولهذا نزيد من الطاعات حتى يرتقي عند ربه ويصل لدرجة الصدِّيقين والشهداء والصالحين. وكذلك قوله (صلى الله عليه وسلم): "إن الله تبارك وتعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن؛ يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه" [4].فالفريضة أهم شيء فكثير من الناس يفرطون في الفرائض ويحرصون على النوافل فالأصل الحرص على الفرائض ثم الزيادة بالنوافل.فالعبد الصالح لا يسمع ولا يرى ولا يمشي إلا فيما يرضي الله (عز وجل) ولا يبطش إلا في حق الله (عز وجل).

1.5 الاستثناء في الإيمان (التوقيت: 33 دقيقة و 22 ثانية)

والاستثناء في الإيمان أن تقول أنا مؤمن إن شاء الله (عز وجل) فهل يصح ذلك؟. هذا القول اختلف فيه أهل العلم على ثلاثة أقوال:

1- الأحناف قالوا يحرم هذا القول وعندهم من قال أنا مؤمن إن شاء الله (عز وجل) يكفر لأنه قول فيه شك ويُسمُّون قائل هذا القول "شكَّاك". فمن شروط لا إله إلا الله اليقين المنافي للشك كما جاء في قوله (تعالى):﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾[الحجرات: 15] أي لم يشكُّوا وكذلك قوله (صلى الله عليه وسلم): " أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة" [5].

2- الشافعية قالوا يصح قول أنا مؤمن إن شاء الله (عز وجل) فقالوا بالجواز بالإطلاق بدون تفصيل لأن المرء لا يعمل ما الذي سيُختم له عند موته فلو قال أنا مؤمن فقط وسكت فكأنه جزم على نفسه بالإيمان والنبي (صلى الله عليه وسلم) قال: " بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا" [6].
وقالوا أيضاً الجزم معناه أنك أتيت بكل أركان الإيمان فمعنى ذلك أنك حققت الإيمان الواجب وكمال الإيمان فكأنك تزكي نفسك وقد قال (تعالى):﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾[النجم: 32]. فمن منا أتى بكل درجات الإيمان وحققها؟.فعندهم لا يمكن أن تقول أنا مؤمن فقط بل لابد أن تقول أنا مؤمن إن شاء الله (عز وجل) فلا يصح أن تُقال بغير

---

1 سبق تخريجه صـ2.

2 أخرج البخاري في صحيحه تعليقا وأخرجه أبو عبيد في الإيمان وابن أبي شيبة عن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) :" اجلسوا بنا نؤمن ساعة " و قال الألباني: " إسناده صحيح على شرط الشيخين.وأخرج ابن أبي شيبة في الإيمان قول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لأصحابه :" هلموا نزداد إيمانا وفي لفظ تعالوا نزداد إيمانا". وروى ابن أبي شيبة في المصنف وفي الإيمان من طريق موسى بن مسلم عن ابن سابط قال"عبد الله بن رواحة (رضي الله عنه) يأخذ بيد النفر من أصحابه فيقول:"تعالوا نؤمن ساعة تعالوا فلنذكر الله ونزدد إيماناً بطاعته لعله يذكرنا بمغفرته" وإسناده ضعيف لأن سابط هذا لم يدرك عبد الله بن رواحة (رضي الله عنه) وله طريق أخرى من رواية أحمد بن يونس عن شيخ من أهل المدينة عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار أن عبد الله بن رواحة (رضي الله عنه) قال لصاحب له: فذكره بنحوه. أخرجه البيهقي في الشعب . وإسناده ضعيف لإبهام شيخ أحمد بن يونس ولأن عطاء لم يدرك عبد الله بن رواحة

3 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية لمسلم.

4 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.

5 أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

6 أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

الاستثناء. وقال (ﷺ): " إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء" [1] .

وهذا يُضاد قول الحنفية الذين يقولون بكفر قائلها ولا يرون جواز مناكحته ولهذا يقولوا يجوز للحنفي أن يتزوج الشافعية قياساً على أهل الكتاب [2]

3- رأي جمهور أهل السنة وسط فيقولون إن الأمر يحتاج لتفصيل. فننظر للقائل فإذا كان يقولها من باب الشك فهذا يحرم لأنه وقوع في ناقض من نواقض لا إله إلا الله ويخرج من الإسلام. ولو قالها خوفاً من تزكية النفس وأنه لا يمكن أن يكون قد حقق الإيمان الكامل أو لا يعلم على ماذا سيُختم له فله قول ذلك. فالأمر عندهم يرجع لنية القائل.

1.6 الطوائف التى خالفت فى الإيمان (التوقيت: 40 دقيقة و 15 ثانية)

- من الذين خالفوا في مسألة الإيمان المرجئة الذين قالوا إن الإيمان عندهم هو قول باللسان وتصديق بالجنان (تصديق القلب) فقط ولم يُدخلوا الأعمال في الإيمان وقالوا إن الأعمال شرط كمال ولا تدخل في صحة الأعمال. وهذا كلام باطل لأن ههذا معناه أن إيمان آحاد الأمة كإيمان غيره ولو جلس المرء طوال عمره لم يعمل أعمالاً فهو عندهم مؤمن حتى ولو لم يصلي ويصوم ويُزكّي.
- وكذلك الكرَّامية الذين قالوا إن الإيمان قول باللسان فقط. وعلى قولهم فلا فرق بين المنافق والمسلم ولكن المنافق يقول بلسانه ولا يُقر بقلبه.
- الخوارج وافقوا أهل السنة في أن االإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالجوارح والأركان ولكن جعلوا الإيمان كُل مُركَّب واحد فلا يزيد ولا ينقص فإذا قلَّ الإيمان في القلب أو العمل انتقض الإيمان ككل فأصبح عندهم المسلم كافر.
- وهناك طائفة أخرى قالت إن الإيمان معرفة بالقلب [3] ولا تحتاج لنطق اللسان ولا عمل الجوارح والرد حديث أبي طالب الذي أخرجه البخاري و مسلم عن المسيب بن حزن (رضي الله عنه) قال :" لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله (ﷺ) وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل فقال له: " يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله" فقالا له: " أترغب عن ملة عبد المطلب فأعاد عليه النبي (ﷺ) فأعادا فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال له النبي (ﷺ) لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله (ﷻ): {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى} وأنزل الله في أبي طالب: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}". فرغم تصديقه للنبي (ﷺ) إلا أنه لم يقل كلمة التوحيد بلسانه بل إن فرعون كان يصدق موسى (عليه السلام) بقلبه ولكنه كان كافراً كما في قوله (ﷻ):﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[النمل: 14]. بل إن كثير من المشركين يصدقون النبي (ﷺ) كما روى محمد بن إسحاق في السيرة: " حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالليل في بيته فأخذ كل واحد منهم مجلسا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا حتى إذا جمعتهم الطريق تلاوموا وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا وجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قاله أول مرة ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا. فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد. قال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها قال الأخنس: وأنا والذي حلفت به. قال: ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: ماذا سمعت؟ قال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه

---

[1] أخرجه مسلم عن عمرو بن العاص (رضي الله عنه)

[2] في "البزازية" في كتاب النكاح عن الإمام أبي بكر محمد بن الفضل: " من قال: أنا مؤمن إن شاء الله فهو كافرلا تجوز المناكحة معه". قال الشيخ أبو حفص في "فوائده": " لا ينبغي للحنفي أن يزوج بنته من رجل شفعوي المذهب. وهكذا قال بعض مشايخنا ولكن يتزوج بنتهم. زاد "في البزازية" تنزيلا لهم منزلة أهل الكتاب. كذا في "البحر الرائق".

[3] الجهمية كانوا يقولون إن الإيمان مجرد المعرفة في القلب والأشاعرة قالوا إن الإيمان مجرد التصديق بالقلب.

الوحي من السماء فمتى ندرك هذه والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه. قال: فقام عنه الأخنس وتركه" [1].

- وللأسف بعض أهل العلم المشهورين المنتسبين إلى أهل العلم في زمننا هذا يتبنى أن الأعمال ليست من الإيمان وآلف في هذا كتاباً ويحضر له طلبة من طلبة العلم ويقولون إن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب وأن الأعمال ليست من الإيمان. وقد نقل الشافعي إجماع الصحابة (رضي الله عنهم) والتابعين أن الإيمان قول وعمل واعتقاد وبعضهم يقول قول وعمل ونية واعتقاد وكل هذا يصح [2].
- ولكن نستدرك هنا أنه ليس من الصواب أن نقول أن من وقع في خطأ علمي لا يُسمع له طالما هو على عقيدة أهل السنة والجماعة حتى لو خالف في مسألة فينصح فإن أصر على هذه المسألة يُحذَّر منها الناس ولا يُسمع له في هذا الباب فقط. فمثلاً ابن حجر والنووي يقولون بكلام للأشاعرة فهل نطرح كتب النووي وابن حجر؟. وللأسف قال بعض الناس إن النووي وابن حجر لا يُسمع لهما. ورغم أن ابن تيمية شديد في محاربة أهل البدع إلا أنه قال في خطأ النووي يُغفر له في بحر حسناته [3]. أما إذا كان من أهل البدع فنقول لا يُسمع له.فتجد من المعاصرين عندما تسأله في مسألة يُعطيك جميع الأقوال فيها ولا يُرجِّح ويترك لك الاختيار فكأن الفتوى كالصنف في محل البقالة يعرض عليك البائع كل الأصناف التي عنده. وهذا أصلاً من الزندقة فلن تجد مسألة في الفقه ليس فيها خلاف بين الفقهاء لكن هناك راجح ومرجوح وهناك حق وباطل فلا يصح أن تأتي للعامي من الناس بكل الأقوال ثم تتركه فهذه ليست فتوى فلا تقول أن الدين يسر ونحن لا نُلزمك بشيء فهذا يجعل العامي يتتبع الرخص في كل الأقوال فجعل لنفسه دين خاص به. وهذا أيضاً يجب التحذير من أمثاله.
- سؤال: حديث سيدنا موسى (عليه السلام) عندما جاءه ملك الموت ففقا عينه هل هذا صحيح؟. والإجابة هذا حديث صحيح سيأتي ذكره لاحقاً في الكتاب [4] وسبب ذلك أن سيدنا موسى (عليه السلام) لم يكن يعلم أنه ملك الموت فقد جاء له في صورة بشر ودخل عليه بيته بدون استئذان أيضاً. ولهذا عندما جاءه في المرة التالية لم يفعل معه ذلك بل صدَّق. وهذا من باب السمعيات التي في الفصل التالي إن شاء الله (عز وجل).

---

1 راجع سيرة ابن هشام.

2 قال ابن تيمية (رحمه الله) في مجموع الفتاوى في الإيمان : " قال الشافعي (رحمه الله) في كتاب " الأم" في باب "النية في الصلاة" : يحتج بألا تجزئ صلاة إلا بنية بحديث عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم): " إنما الأعمال بالنيات " ثم قال: وكان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم، ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر". ولم يرد هذا النقل في كتاب الأم المطبوع فليُستدرك من هنا.

3 لم أقف عليه

4 وهذا الحديث أخرجه الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: " أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكة ففقأ عينه"

الشريط الثاني عشر

السمعيات

محتويات الشريط الثاني عشر

1- الإيمان بكل ما أخبر به النبي (ﷺ) (التوقيت: 12 دقيقة و33 ثانية)..... 1
1.1 الإسراء والمعراج (التوقيت: 16 دقيقة و56 ثانية)..... 2
1.2 قصة سيدنا موسى (عليه السلام) وملك الموت (التوقيت: 20 دقيقة و13 ثانية)..... 3
1.3 أشراط الساعة (التوقيت: 22 دقيقة و50 ثانية)..... 3
1.3.1 المسيح الدجّال (التوقيت: 23 دقيقة و53 ثانية):..... 4
1.3.2 يأجوج ومأجوج (التوقيت: 37 دقيقة و40 ثانية):..... 7
1.3.3 خروج الدابة (التوقيت: 41 دقيقة و23 ثانية):..... 8
1.3.4 طلوع الشمس من مغربها (التوقيت: 42 دقيقة و17 ثانية):..... 8
1.4 عذاب القبر ونعيمه (التوقيت: 48 دقيقة و13 ثانية)..... 9
1.5 النفخ في الصور (التوقيت: 1 ساعة و10 دقيقة و10 ثانية)..... 13

1- الإيمان بكل ما أخبر به النبي (ﷺ) (التوقيت: 12 دقيقة و33 ثانية)

ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ
صح به النقل عنه فيما شاهدناه او غاب عنا، نعلم أنه حق وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه أو جهلناه. ولم نطلع على حقيقة معناه مثل حديث الإسراء والمعراج
وكان يقظة لا مناماً فإن قريشاً أنكرته، وأكبرته، ولم تكن تنكر المنامات .

- وهذا يُسمَّى عند العلماء الغيبيات أو السمعيات وهو أحد أركان الإيمان الستة والمذكورة في حديث جبريل (عليه السلام)"قال: فأخبرني عن الإيمان قال: " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره.... الحديث"[1]. وهو الإيمان بالغيب الذي أثنى الله (عز وجل) على المؤمنين فيه في بداية سورة البقرة في قوله (تعالى):﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾ [البقرة: 3] وهذه الآية تدل على أن الإيمان منه الإيمان بالغيب.
- والإيمان بالغيب هو أن تؤمن بكل ما أخبر به الله (عز وجل) أو أخبر به النبي (ﷺ) ولم تشاهده سواء أخبرك بما حدث في القرون الماضية أو ما سيحدث بعد ذلك إلى قيام الساعة وبعد ذلك من الحشر والميزان وغير ذلك إلى أن يدخل المسلمون الجنان ويدخل أهل الكفر النار.
- فلا صح إيمان العبد حتى يؤمن بالغيب. والإيمان بالغيب هو الفارق بين أهل الإيمان وأهل النفاق فأهل الإيمان يؤمنون بكل ما أخبر به الله (عز وجل) أو أخبر به النبي (ﷺ) وأهل النفاق يشكُّون لأنهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر. وقد ظهر ذلك جلياً في غزوة الخندق عندما كان النبي (ﷺ) يحفر مع الصحابة (رضي الله عنهم) فعن عبد الله بن عمرو(رضي الله عنه) قال: " لما أمر النبي (ﷺ) بالخندق فخندق على المدينة قالوا: " يا رسول الله إنا وجدنا صفاة لا نستطيع حفرها". فقام النبي (ﷺ) وقمنا معه فلما أتى أخذ المعول فضرب به ضربة وكبر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال: " فتحت فارس" ثم ضرب أخرى وكبر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال: " فتحت الروم" ثم ضرب أخرى وكبر فسمعت هدة لم أسمع مثلها قط فقال: " جاء الله بحمير أعوانا وأنصارا" [2]. فهذه البشريات التي بشَّر بها النبي (ﷺ) وهو في الخندق وهم في موقف عصيب والكفار يحيطون بهم. فقال المنافقون " ألا تعجبون من محمد يعدكم ويمنيكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تَبَرَّزُوا ؟" [3]. فمن صفات المنافقين أنهم

---

1 أخرجه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) ومسلم عن عمر (رضي الله عنه) والرواية لمسلم.

2 أخرجه الطبراني وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" وقال " رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما حيي بن عبد الله وثقه ابن معين وضعفه جماعة وبقية رجاله رجال الصحيح" . قال ابن كثير في البداية والنهاية : "وهذا أيضا غريب من هذا الوجه وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي فيه ضعف. فالله أعلم"

3 وهذه الرواية ذكرها البغوي فقال: " أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرنا عبد الله بن حامد الأصبهاني أخبرنا محمد بن جعفر الطبري حدثنا حماد بن الحسن حدثنا محمد بن خالد بن عثمة حدثنا كثير بن عبد الله عن عمرو بن عوف حدثني أبي عن أبيه قال: خط رسول الله (ﷺ) الخندق عام الأحزاب ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعا قال: فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون: سلمان منا وقال الأنصار: سلمان منا فقال النبي (ﷺ): "سلمان منا أهل البيت". قال عمرو بن عوف: كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المازني وستة من الأنصار في أربعين ذراعا فحفرنا حتى إذا كنا تحت ذي ناب أخرج الله في بطن الخندق صخرة مرورة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا: يا سلمان ارق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره خبر هذه الصخرة فإما أن يعدل عنها فإن المعدل قريب وإما أن يأمرنا فيه بأمره فإنا لا نحب أن نجاوز خطه قال: فرقي سلمان إلى رسول الله (ﷺ) وهو ضارب عليه قبة تركية فقال: يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحيك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمرك فإنا لا نحب أن نجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الخندق والتسعة على شق الخندق فأخذ رسول الله (ﷺ)المعول من سلمان فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها -يعني المدينة-حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله (ﷺ) تكبيرا فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول الله (ﷺ) وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله (ﷺ) تكبير فتح وكبر المسلمون ثم ضربها رسول (ﷺ) فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله (ﷺ) تكبير فتح وكبر المسلمون فأخذ بيد سلمان ورقي فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت مثله قط فالتفت رسول الله (ﷺ) إلى القوم فقال: "أرأيتم ما يقول سلمان"؟ قالوا: نعم يا رسول الله قال: "ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت

يُشكِّكون في الغيب وكل ما هو غير مُشاهد لأنهم غير مُستيقنيين بكتاب الله (ﷻ) ولا بسنة النبي (ﷺ).

- بدأ المصنف (رحمه الله) في ذكر أشياء كثيرة في الغيبيات والسمعيات. وسُميَّت بالسمعيات لأنها تثبت بالسمع فنحن لم نشاهدها ولم نكن لنعلم عنها شيء مثل الإسراء والمعراج وعلامات الساعة التي سيذكرها المصنف (رحمه الله) لولا أن أتى بها الوحي والسمع والسمع أي الكتاب والسنة فلو لم نسمع هذه الأمور لما كنا تخيلناها.

1.1 الإسراء والمعراج (التوقيت: 16 دقيقة و56 ثانية)

- بدأ المصنف (رحمه الله) بالإسراء والمعراج وبما أن هذا كتاب للمبتدئين فلن نتكلم عنها بالتطويل كما في كتب السير ولكن سنُبين ما يذكره المصنف (رحمه الله).
- الإسراء لغة: هو سير الشخص ليلاً وشرعاً هو إسراء جبريل (عليه السلام) بالنبي (ﷺ) من المسجد الحرام إلى بيت المقدس.
- والمعراج لغة: الآلة التي يُصعد بها وشرعاً هو السلم الذي صعد به النبي (ﷺ) إلى السموات السبع في يوم الإسراء والمعراج كما جاء في قوله (ﷻ): ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (6) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (7) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (9) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (10) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى (12) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (14) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (15) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (16) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى** ﴾[النجم: 1-18] .
- اختلف العلماء في يوم الإسراء والمعراج والحق أنه لم يصح تاريخ محدد لهذه الليلة وتاريخ 27 رجب الذي يحتفل به الناس هو أضعف الأقوال.
- ومفهوم الإيمان بالإسراء والمعراج هو أن تؤمن بأن النبي (ﷺ) أُسري به من مكة إلى بيت المقدس وصلى بالانبياء كما ورد في الحديث [1] ومرَّ بالأنبياء في السماوات وفرض الصلوات الخمس كما أتى في الحديث[2]. وكل هذا حدث في اليقظة

ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل (عليه السلام) أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا" فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال المنافقون: " ألا تعجبون من محمد يعدكم ويمنيكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا؟" قال فنزل القرآن: {وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا} وأنزل الله هذه القصة: "قل اللهم مالك الملك" الآية (آل عمران:26). أخرجه الحاكم في المستدرك وقال الذهبي سنده ضعيف. كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني قال فيه الدارقطني وغيره: متروك. وقال ابن معين: ليس بشئ. قال الشافعي وأبو داود: ركن من أركان الكذب وضرب أحمد على حديثه. قال ابن حبان: له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة. قال ابن كثير في البداية والنهاية: " وهذا حديث غريب "

[1] يشير الشيخ إلى الحديث الذي رواه مسلم قال: "وحدثني زهير بن حرب حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز وهو ابن أبي سلمة عن عبد الله بن الفضل عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): " لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها فكربت كربة ما كربت مثله قط" قال: " فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى ابن مريم (عليه السلام) قائم يصلي أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي وإذا إبراهيم (عليه السلام) قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم (يعني نفسه) **فحانت الصلاة فأممتهم** فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت إليه فبدأني بالسلام "

[2] أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما والرواية للبخاري قال: "حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة (رضي الله عنه) أن نبي الله (ﷺ) حدثهم عن ليلة أسري به: " بينما أنا في الحطيم - وربما قال: في الحجر - مضطجعا إذ أتاني آت فقد: قال: وسمعته يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه - فقلت للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته وسمعته يقول: من قصه إلى شعرته - فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض - فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس: نعم - يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال: مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال: هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء فتح فلما خلصت إذا يوسف قال: هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت إلى إدريس قال: هذا إدريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا هارون قال: هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: من معك؟ قال: محمد قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم قال: مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا موسى قال: هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: وقد بعث إليه؟ قال: نعم قال: مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا أبوك فسلم عليه قال: فسلمت عليه فرد السلام قال: مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت إلي سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال: هذه سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع لي البيت المعمور ثم أتيت بإناء من خمر

ونقول هذا للرد على الطوائف التي خالفت وأخذت بالعقل وقالوا هذا مناماً وقالوا إن كل ما حدث هو رؤيا للنبي (ﷺ). ونحن نرد عليهم أن هذه الرحلة لو كانت مناماً لما أنكر مشركوا قريش ما سمعوا بل أتوا أبا بكر (رضي الله عنه) لينكروا ما سمعوه من النبي (ﷺ) [1]. وهذا يرد على ما قال إنه مناماً فهذا حتى خالف عقول مشركوا قريش فمشركوا قريش لم ينكروا المنامات.

1.2 قصة سيدنا موسى (عليه السلام) وملك الموت (التوقيت: 20 دقيقة و13 ثانية)

ومن ذلك أن ملك الموت لما جاء إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه فرد عليه عينه .

ثم ذكر المصنف (رحمه الله) قصة سيدنا موسى (عليه السلام) مع ملك الموت والتي رواها أبو هريرة (رضي الله عنه) قال: "أرسل ملك الموت إلى موسى (عليه السلام) فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع إلى ربه فقال: " أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت" قال: " فرد الله إليه عينه وقال: " ارجع إليه فقل له: يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة " قال: " أي رب ثم مه؟" قال: " ثم الموت" قال: " فالآن" فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر فقال رسول الله (ﷺ):" فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر" [2].

بعض الطوائف أنكروا الحديث وقالوا موسى (عليه السلام) من أولي العزم من الرسل فكيف يفقأ عين ملك الموت ويرفض لقاء ربه. والرد عليهم أنه (عليه السلام) لم يكن يعلم أنه ملك الموت وقد ظنَّه موسى رجل دخل عليه بيته دون استئذان فهو أتى له في صورة بشر فلم يعرفه فمن غيرة موسى (عليه السلام) على أهل بيته أنه فقأ عينه [3]. ولكن لما جاءه ببيِّنه من عند الله (عز وجل) أنه ملك استسلم له موسى (عليه السلام) ودعا الله (عز وجل) أن يُدنيه من بيت المقدس.

1.3 أشراط الساعة (التوقيت: 22 دقيقة و50 ثانية)

ومن ذلك أشراط الساعة مثل: خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام فيقتله وخروج يأجوج ومأجوج وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها وأشباه ذلك مما صح به النقل

وإناء من لبن وإناء من عسل فأخذت اللبن فقال: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك ثم فرضت علي الصلوات خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى فقال: بما أمرت؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت فقال مثله فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال: بم أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال: سألت ربي حتى استحييت ولكني أرضى وأسلم قال: فلما جاوزت نادى مناد: أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ". (الحطيم) هو الحجر. (ثغرة نحره) الفجوة التي بين الترقوتين أعلى الصدر وأسفل العنق. (شعرته) شعر العانة. (الفطرة) أصل الخلقة التي يكون عليها كل مولود إذ يكون اللبن أول ما يدخل جوفه ويشق أمعاءه.

[1] يشير الشيخ إلى الحديث الذي أخرج الحاكم في مستدركه من حديث عائشة (رضي الله عنها) قالت: " لما أسري بالنبي (ﷺ) إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كان آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك إلى أبي بكر (رضي الله عنه) فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أوقال ذلك؟ ! قالوا: نعم. قال: لئن كان قال ذلك لقد صدق. قالوا: أوتصدقه إنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ ! قال: نعم إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة. فلذلك سمي أبو بكر الصديق " قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

[2] أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه). (صكه) بمعنى لطمه (متن ثور) أي ظهره (مه) هي هاء السكت وهو استفهام أي ثم ماذا يكون؟ أحياة أم موت؟ (رمية بحجر) أي قدر ما يبلغه (الكثيب) الرمل المستطيل المحدودب.

[3] والدليل الحديث الذي أخرجه أحمد والبزار والحاكم وصححه عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: " كان ملك الموت يأتي الناس **عيانا** فأتى موسى فلطمه ففقأ عينه فأتى ربه فقال: " يا رب عبدك موسى ففأ عيني ولولا كرامته عليك لشققت عليه" قال: " له إذهب إلى عبدي فقل له فليضع يده على جلد ثور أو مسك ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة" فأتاه فقال: "ما بعد هذا؟" قال: "الموت" قال:" فالآن" قال:" فشمه شمة فقبض روحه" قال يونس: "فرد الله إليه عينه فكان يأتي بعد الناس خفية ".

أشراط جمع شرط وهو العلامة في اللغة. الساعة لغة هو الوقت والحاضر وشرعاً هو يوم القيامة أو القيامة.فأشراط الساعة هي علامات يوم القيامة. قال (ﷻ):﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾[محمد: 18] فبيَّن الله (ﷻ) أن هناك علامات تسبق يوم القيامة.

1.3.1 المسيح الدجَّال (التوقيت: 23 دقيقة و53 ثانية):

قال أهل العلم إن العلامات تنقسم إلى صغرى وكبرى وهذا يحتاج إلى تفصيل لكن المصنف (رحمه الله) ذكر خمس علامات فقط أولها خروج الدجَّال.

الدجَّال أتت من الدجل لغة وهو الكذب والتمويه فهو يكذب على الناس ويُموِّه على الناس. وشرعاً هو رجل سيخرج بمواصفات بينها النبي (ﷺ) منها أنه أعور العين ومكتوب على جبينه (كـ فـ ر) أي كافر.

وخروجه ثابت بالسنة والإجماع. قال رسول الله (ﷺ) في دعاء مهم جداً بعد الانتهاء من التشهد أن نقول:" اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال" [1]. وكان (ﷺ) حريصاً عليها فهذا الدعاء من السنن المؤكدة فلابد أن يحرص عليه المرء.

والمسيح الدجَّال موجود ومُسلسل إلى الآن كما جاء في حديث عن فاطمة بنت قيس (رضي الله عنها) قالت: قدم على رسول الله (ﷺ) تميم الداري فأخبر رسول الله (ﷺ) أنه ركب البحر فتاهت به سفينته فسقط إلى جزيرة فخرج إليها يلتمس الماء فلقي إنسانا يجر شعره واقتص الحديث وقال فيه: ثم قال: أما إنه لو قد أذن لي في الخروج قد وطئت البلاد كلها غير طيبة فأخرجه رسول الله (ﷺ) إلى الناس فحدثهم قال: " هذه طيبة وذاك الدجال" [2] . وهذا الحديث فيه لفتة أن كل الناس يَرْوُون إلا هذا الحديث الذي رواه (ﷺ) بنفسه عن تميم الداري (رضي الله عنه).

بعض أهل العلم أثبت المسيح الدجَّال ولكنه لم يُثبت أنه موجود ولكن الحق بأن الحديث صحيح كما بيَّنا فهو مُختبأ في مكان ما سيخرج عندما يأذن الله (ﷻ) فيدعو الناس إلى عبادته. فمن ثبت على الإيمان والحق عندما سينظر إليه سيرى العلامات سالفة الذكر.

فلا أحد يستغرب من الفتن التي نحن فيها ويتسائل الناس رغم إن الحق واضح فكيف هؤلاء الناس لا يرون الحق والباطل واضح فكيف هؤلاء الناس يتبعون الباطل؟. فعلى الرغم من أن المسيح الدجَّال مكتوب على جبينه (كـ فـ ر) أي كافر يتبعه الناس. وهذا يبين بأن الحق واضح لمن أراد الله (ﷻ) أن يكون الحق له واضحاً والباطل لمن أراد الله (ﷻ) أن يسلك طريق الباطل وهذه إرادة كونية لأنها تقع فيما لا يحبه الله (ﷻ) فالله (ﷻ) لا يحب للناس أن يسلكوا طريق الباطل وذلك لأنهم

---

1 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.

2 أخرجه مسلم عن فاطمة بنت قيس (رضي الله عنها). وفي رواية أخرى لمسلم قال (ﷺ): " أيها الناس حدثني تميم الداري أن أناسا من قومه كانوا في البحر في سفينة لهم فانكسرت بهم فركب بعضهم على لوح من ألواح السفينة فخرجوا إلى جزيرة في البحر" وساق الحديث. وفي روايات أخرى عند الترمذي وأحمد والحاكم عن فاطمة بنت قيس (رضي الله عنها) وهذه تجميع الروايات كلها قالت: " سمعت نداء منادي رسول الله (ﷺ) ينادي: الصلاة جامعة فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله (ﷺ) فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم. فلما قضى رسول الله (ﷺ) صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال: " ليلزم كل إنسان مصلاه ثم قال: هل تدرون لم جمعتكم؟" . قالوا: " الله ورسوله أعلم" قال: " إني ما والله ما جمعتكم لرهبة ولا رغبة ولكن جمعتكم لأن تميما الداري كان رجلا نصرانيا فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثا وافق الذي كنت حدثتكم عن المسيح الدجال حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرا في البحر (وفي رواية: حدثني أن ناسا من أهل فلسطين ركبوا سفينة في البحر فجالت بهم) ثم أرفئوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة يلتمسون الماء (فإذا بامرأة تجر شعرها) وفي رواية: (فلقيتهم دابة أهلب كثيرة الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر) وفي رواية: (لا يدرى ذكر هو أم أنثى لكثرة شعره) ففرقوا منها أن تكون شيطانة فقالوا: " ويلك ما أنت؟" قالت: " أنا الجساسة" فقالوا: " وما الجساسة؟" قالت: " أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في هذا الدير وفي رواية: (ذلك القصر) فإنه إلى خبركم بالأشواق" قال: " فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه خلقا قط وفي رواية: (ينزو فيما بين السماء والأرض) وأشده وثاقا) (يجر شعره مسلسل في الأغلال) (ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد مجموعة يداه إلى عنقه فقلنا: "من أنت؟" قال: " قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم؟" فقلنا: "نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهرا ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه". فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب كثيرة الشعر لا يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا: " ويلك ما أنت؟" فقالت: " أنا الجساسة". فقلنا: " وما الجساسة؟" فقالت: " اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق". فأقبلنا إليك سراعا وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة" فقال: " أخبروني عن نخل بيسان الذي بين الأردن وفلسطين؟" فقلنا: " عن أي شأنها تستخبر؟". قال: " أسألكم عن نخلها هل يثمر؟". فقلنا له: " نعم" قال: " أما إنه يوشك أن لا يثمر". ثم قال: " أخبروني عن بحيرة الطبرية؟". قلنا: " عن أي شأنها تستخبر؟". قال: " هل فيها ماء؟" فقلنا له: " نعم هي كثيرة الماء". قال: " أما إن ماءها يوشك أن يذهب". ثم قال: " أخبروني عن عين زغر؟" قلنا: " عن أي شأنها تستخبر؟" قال: " هل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين؟". فقلنا له: " نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها". قال: " هل خرج نبي الأميين؟". فقلنا: " نعم". قال: " ما فعل؟". فقلنا له: " قد خرج من مكة ونزل يثرب". قال: " أقاتله العرب؟". فقلنا: " نعم". قال: " كيف صنع بهم؟". فأخبرناه " أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه". فقال لنا: " قد كان ذلك؟". قلنا: " نعم". قال: " أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه وإني مخبركم عني إني أنا المسيح (وفي رواية: أنا الدجال) وإنه يوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان علي كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها". قالت فاطمة: " فقال رسول الله (ﷺ) وطعن بمخصرته في المنبر: " أبشروا يا معشر المسلمين هذه طيبة هذه طيبة - يعني المدينة - ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟ ". فقال الناس: " نعم". قال: " فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق لا بل من قبل المشرق - وأومأ بيده قبل المشرق - "

حادوا ولم يتبعوا الشرع.

- وأكثر من يتبعه اليهود من أصفهان كما في قوله (ﷺ):" يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة" [1].
- يمكث في الأرض أربعون يوم كما في حديث النواس بن سمعان قال: " ذكر رسول الله (ﷺ) الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظننناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: " ما شأنكم؟" قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظننناه في طائفة النخل فقال: " غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم. إنه شاب قطط عينه طافئة كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا" **قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: " أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم"** قلنا: " يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟" قال: " لا اقدروا له قدره" قلنا: " يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟" قال: " كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعا وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة " [2].

---

[1] أخرجه مسلم عن أنس بن مالك (رضي الله عنه). (الطيالسة) جمع طيلسان والطيلسان أعجمي معرب قال في معيار اللغة: " ثوب يلبس على الكتف يحيط بالبدن ينسج للبس خال من التفصيل والخياطة"

[2] أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنه) ومسلم عن النواس بن سمعان (رضي الله عنه) والرواية لمسلم .(فخفض فيه ورفع) بتشديد الفاء فيهما وفي معناه قولان أحدهما أن خفض بمعنى حقر وقوله رفع أي عظمه وفخمه فمن تحقيره وهوانه على الله تعالى عوره ومنه قوله (ﷺ) هو أهون على الله من ذلك وأنه لا يقدر على قتل أحد إلا ذلك الرجل ثم يعجز عنه وأنه يضمحل أمره ويقتل بعد ذلك هو وأتباعه ومن تفخيمه وتعظيم فتنته والمحنة به هذه الأمور الخارقة للعادة وأنه ما من نبي إلا وقد أنذره قومه والوجه الثاني أنه خفض من صوته في حال الكثرة فيما تكلم فيه فخفض بعد طول الكلام والتعب ليستريح ثم رفع ليبلغ صوته كل أحد بلاغا كاملا مفخما (غير الدجال أخوفني عليكم) هكذا هو في جميع نسخ بلادنا أخوفني بنون بعد الفاء وكذا نقله القاضي عن رواية الأكثرين قال ورواه بعضهم بحذف النون وهما لغتان صحيحتان ومعناهما واحد قال شيخنا الإمام أبو عبد الله ابن مالك (رحمه الله): الحاجة داعية إلى الكلام في لفظ الحديث ومعناه فأما لفظه فلكونه تضمن ما لا يعتاد من إضافة أخوف إلى ياء المتكلم مقرونة بنون الوقاية وهذا الاستعمال إنما يكون مع الأفعال المتعدية والجواب إنه كان الأصل إثباتها ولكنه أصل متروك فنبه عليه في قليل من كلامهم وأنشد فيه أبياتا منها ما أنشده الفراء

فما أدري فظني كل ظن أمسلمني إلى قومي شراحي
يعني شراحيل فرخمه في غير النداء للضرورة وأنشد غيره
وليس الموافيني ليرفد خائبا فإن له أضعاف ما كان أملا

ولأفعل التفضيل أيضا شبه بالفعل خصوصا بفعل التعجب فجاز أن تلحقه النون المذكورة في الحديث كما لحقت في الأبيات المذكورة هذا هو الأظهر في هذه النون هنا. وأما معنى الحديث ففيه أوجه أظهرها أنه من أفعل التفضيل وتقديره غير الدجال أخوف مخوفاتي عليكم ثم حذف المضاف إلى الياء ومنه أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون معناه أن الأشياء التي أخافها على أمتي أحقها بأن تخاف الأئمة المضلون الثاني أن يكون أخوف من أخاف بمعنى خوف ومعناه غير الدجال أشد موجبات خوفي عليكم والثالث أن يكون من باب وصف المعاني بما يوصف به الأعيان على سبيل المبالغة كقولهم في الشعر الفصيح شعر شاعر وخوف فلان أخوف من خوفك وتقديره خوف غير الدجال أخوف خوفي عليكم ثم حذف المضاف الأول ثم الثاني هذا آخر كلام الشيخ (رحمه الله) (قطط) أي شديد جعودة الشعر مباعد للجعودة المحبوبة (إنه خارج خلة بين الشام والعراق) هكذا هو في نسخ بلادنا خلة وقال القاضي المشهور فيه خلة قيل معناه سمت ذلك وقبالته وفي كتاب العين الخلة موضع حزن وصخور قال وذكره الهروي وفسره بأنه ما بين البلدين هذا آخر ما ذكره القاضي وهذا الذي ذكره عن الهروي هو الموجود في نسخ بلادنا وفي الجمع بين الصحيحين ببلادنا وهو الذي رجحه صاحب نهاية الغريب وفسره بالطريق بينهما (فعاث يمينا وعاث شمالا) العيث الفساد أو أشد الفساد والإسراع فيه وحكى القاضي أنه رواه بعضهم فعاث اسم فاعل وهو بمعنى الأول (اقدروا له قدره) قال القاضي وغيره هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب الشرع قالوا ولولا هذا الحديث ووكلنا إلى اجتهادنا لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام ومعنى اقدروا له قدره أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلوا الظهر ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر وإذا مضى بعد هذا قدر

وقصة الشاب الذي سيقف للدجال كما أخبر (ﷺ):" يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين فتلقاه المسالح - مسالح الدجال - فيقولون له: " أين تعمد؟" فيقول: " أعمد إلى هذا الذي خرج" قال: فيقولون له: " أو ما تؤمن بربنا؟" فيقول: " ما بربنا خفاء" فيقولون: " اقتلوه" فيقول بعضهم لبعض: " أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدا دونه؟" قال: فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال: " يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله (ﷺ)". قال: فيأمر الدجال به فيشبح فيقول: " خذوه وشجوه" فيوسع ظهره وبطنه ضربا قال: فيقول: " أو ما تؤمن بي؟" قال: فيقول: " أنت المسيح الكذاب" قال: فيؤمر به فيؤشر بالمئشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له: " قم" فيستوي قائما قال: ثم يقول له: " أتؤمن بي؟" فيقول: " ما ازددت فيك إلا بصيرة" قال: ثم يقول: " يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس" قال: فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسا فلا يستطيع إليه سبيلا قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار وإنما ألقي في الجنة " فقال رسول الله (ﷺ): " هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين" [1].

ولهذا حثنا النبي (ﷺ) أن نستعيذ منها. نسأل الله (ﷻ) ألا ندركها وإذا أدركناها أن يُثبتنا. وقد قال (ﷺ) في هذه الفتنة العظيمة : " ليفرن الناس من الدجال في الجبال". قالت أم شريك: يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال: "هم قليل " [2].

ولهذا الإنسان لا يُعرِّض نفسه للفتن لأنه لا يعلم هل سيثبت أم لا فالأولى له أن ينأى عنها.

ومن مناقب سورة الكهف أنها تحمي من فتنة المسيح الدجال [3].

ثم ينزل بعد المسيح الدجَّال عيسى بن مريم (عليه السلام) المسيح الحق كما جاء في قوله (ﷻ):﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[النساء: 159]. وقال (ﷺ) في نزوله: " والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها". ثم يقول أبو هريرة: " واقرءوا إن شئتم: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل

ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب وكذا العشاء والصبح ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم وقد وقع فيه صلوات سنة فرائض كلها مؤداة في وقتها أما الثاني الذي كشهر والثالث الذي كجمعة فقياس اليوم الأول أن يقدر لهما كاليوم الأول على ما ذكرناه (فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا الخ) أما تروح فمعناه ترجع آخر النهار والسارحة هي الماشية التي تسرح أي تذهب أول النهار إلى المرعى والذرا الأعالي والأسنمة جمع ذروة بالضم والكسر وأسبغه أي أطوله لكثرة اللبن وكذا أمده خواصر لكثرة امتلائها من الشبع (فيصبحون ممحلين) قال القاضي أي أصابهم المحل من قلة المطر ويبس الأرض من الكلأ وفي القاموس المحل على وزن فحل الجدب والقحط والإمحال كون الأرض ذات جدب وقحط يقال أمحل البلد إذا أجدب (كيعاسيب النحل) هي ذكور النحل هكذا فسره ابن قتيبة وآخرون قال القاضي المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها (فيقطعه جزلتين رمية الغرض) الجزلة بالفتح على المشهور وحكى ابن دريد كسرها أي قطعتين ومعنى رمية الغرض أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رمية هذا هو الظاهر المشهور وحكى القاضي هذا ثم قال وعندي أن فيه تقديما وتأخيرا وتقديره فيصيب إصابة رمية الغرض فيقطعه جزلتين والصحيح الأول

(فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين) هذه المنارة موجودة اليوم شرقي دمشق والمهرودتان روي بالدال المهملة والذال المعجمة والمهملة أكثر والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة والغريب وغيرهم وأكثر ما يقع في النسخ بالمهملة كما هو المشهور ومعناه لابس مهرودتين أي ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران وقيل هما شقتان والشقة نصف الملاءة (تحدر منه جمان كاللؤلؤ) الجمان حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار والمراد يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه فسمي الماء جمانا لشبهه به في الصفاء والحسن (فلا يحل) معنى لا يحل لا يمكن ولا يقع وقال القاضي معناه عندي حق واجب (بباب لد) مصروف بلدة قريبة من بيت المقدس (فيمسح عن وجوههم) قال القاضي يحتمل أن هذا المسح حقيقة على ظاهره فيمسح على وجوههم تبركا وبرا ويحتمل أنه إشارة إلى كشف ما هم فيه من الشدة والخوف (لا يدان لأحد بقتالهم) يدان تثنية يد قال العلماء معناه لا قدرة ولا طاقة يقال ما لي بهذا الأمر يد وما لي به يدان لأن المباشرة والدفع إنما يكون باليد وكأنه يديه معدومتان لعجزه عن دفعه (فحرز عبادي إلى الطور) أي ضمهم واجعله لهم حرزا يقال أحرزت الشيء أحرزه إحرازا إذا حفظته وضممته إليك وصنته عن الأخذ (وهم من كل حدب ينسلون) الحدب النشز قال الفراء من كل أكمة من كل موضع مرتفع وينسلون يمشون مسرعين (فيرغب نبي الله) أي إلى الله أو يدعو (النغف) هو دود يكون في أنوف الإبل والغنم الواحدة نغفة (فرسى) أي قتلى واحدهم فريس كقتيل وقتلى (زهمهم) أي دسمهم (البخت) قال في اللسان البخت والبختية دخيل في العربية أعجمي معرب وهي الإبل الخراسانية تنتج من عربية وفالج وهي جمال طوال الأعناق (لا يكن) أي لا يمنع من نزول الماء (مدر) هو الطين الصلب (كالزلفة) روى الزلقة وروى الزلفة وروى الزلفة قال القاضي وكلها صحيحة واختلفوا في معناه فقال ثعلب وأبو زيد وآخرون معناه كالمرآة وحكى صاحب المشارق هذا عن ابن عباس أيضا شبهها بالمرآة في صفائها ونظافتها وقيل كمصانع الماء أي أن الماء يستنقع فيها حتى تصير كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء وقال أبو عبيد معناه كالإجانة الخضراء وقيل كالصفحة وقيل كالروضة (العصابة) هي الجماعة (بقحفها) بكسر القاف هو مقعر قشرها شبهها بقحف الرأس وهو الذي فوق الدماغ وقيل ما انفلق من جمجمته وانفصل (الرسل) هو اللبن (اللقحة) بكسر اللام وفتحها لغتان مشهورتان الكسر أشهر وهي القريبة العهد بالولادة وجمعها لقح كبركة وبرك واللقوح ذات اللبن وجمعها لقاح (الفئام) هي الجماعة الكثيرة هذا هو المشهور والمعروف في اللغة وكتب الغريب (الفخذ من الناس) قال أهل اللغة الفخذ الجماعة من الأقارب وهم دون البطن والبطن دون القبيلة قال القاضي قال ابن فارس الفخذ هنا بإسكان الخاء لا غير فلا يقال إلا بإسكانها بخلاف الفخذ التي هي العضو فإنها تكسر وتسكن (وكل مسلم) هكذا هو في جميع نسخ مسلم وكل مسلم بالواو (يتهارجون فيها تهارج الحمر) أي يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس كما يفعل الحمير ولا يكترثون لذلك والهرج بإسكان الراء الجماع يقال هرج زوجته أي جامعها يهرجها بفتح الراء وضمها وكسرها]

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) والرواية لمسلم. (المسالح) المسالح قوم معهم سلاح يرقبون في المراكز كالخفراء سموا بذلك لحملهم السلاح (فيشبح) أي يمد على بطنه ويروى فيشج (شجوه) من الشج وهو الجرح في الرأس والوجه ويروى واشبحوه (فيؤشر بالمئشار) هكذا الرواية بالهمزة فيهما وهو الأفصح ويجوز تخفيف الهمزة فيهما فتجعل في الأول واوا وفي الثاني ياء ويجوز المنشار بالنون يقال نشرت الخشبة وعلى الأول يقال أشرتها (مفرقه) مفرق الرأس وسطه (ترقوته) هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق]

[2] أخرجه البخاري عن أم شريك (رضي الله عنها).

[3] راجع رقم (2) صـ 5. وكذلك يشير الشيخ إلى الحديث الذي أخرج مسلم من حديث أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال: قال (ﷺ): " من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من الدجال". وفي رواية الترمذي " من حفظ ثلاث آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من فتنة الدجال ". قال الترمذي: " حديث حسن صحيح".

موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا} [النساء: 159] " [1].

- وأجمع المسلمون على نزوله وسينزل في دمشق عند المنارة البيضاء على أجنحة ملكين ويقتل المسيح الدجال عند باب لد[2] ويكسر الصليب وتُرفع الجزية ولا يُقبل من أحد إلا الإسلام فإما مسلم أو كافر[3]. وهو لا ينزل بشريعة جديدة بل هو متبع للنبي (ﷺ).
- ويبقى عيسى بن مريم (عليه السلام) بعد قتله الدجَّال أربعين سنة ثم يموت بعد ذلك [4]. بعضهم ذكر أنه يُدفن عند النبي (ﷺ) إلا إن هذا لم يصح [5].
- وعيسى بن مريم (عليه السلام) سينزل بعد المهدي والمهدي يصلي بالناس ويأمه المهدي [6].

1.3.2 يأجوج ومأجوج (التوقيت: 37 دقيقة و40 ثانية):

- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) من علامات الساعة خروج يأجوج ومأجوج. وهذا ثابت بالكتاب والسنة كما جاء في قوله (تعالى) في قصة ذي القرنين: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾[الكهف: 94]. وجاء في قول زينب بنت جحش (رضي الله عنها) أن النبي (ﷺ) دخل عليها فزعا يقول: " لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق بإصبعه وبالتي تليها". فقالت زينب: " فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟" قال: " نعم إذا كثر الخبث" [7]. وهذا السد كلما يُفتح يُغلق كما جاء في حديث النبي (ﷺ) قال: " إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً فيعودون إليه كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله عز وجل أن يبعثهم إلى الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله ويستثني فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم...." [8].
- ويأكل ويشربون كل شيء حتى إنهم يمرُّون على بحيرة طبرية فيشربونها كأنها لم تكن موجودة [9].

---

1 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.

2 راجع رقم (2) صـ 5.

3 راجع رقم (2) صـ 5.

4 يشير الشيخ إلى حديث عائشة (رضي الله عنها) قالت: " دخل علي رسول الله (ﷺ) وأنا أبكي فقال: " ما يبكيك؟" قالت: يا رسول الله ذكرت الدجال قال: " فلا تبكين فإن يخرج وأنا حي أكفيكموه وإن مت فإن ربكم ليس بأعور وإنه يخرج معه اليهود فيسير حتى ينزل بناحية المدينة وهي يومئذ لها سبعة أبواب على كل باب ملكان فيخرج إليه شرار أهلها فينطلق حتى يأتي لد فينزل عيسى ابن مريم فيقتله ثم يلبث عيسى في الأرض أربعين سنة أو قريبا من أربعين سنة إماما عدلا وحكما مقسطا". قال الألباني حسن صحيح. عثمان بن أبي شيبة تابعه أخوه أبو بكر بن أبي شيبة في "المصنف" وعنه: أبو عمرو الداني في "الفتن" وأخرجه أحمد من طريق أخرى عن حرب بن شداد عن يحيى بن أبي كثير قال: " حدثني الحضرمي بن لاحق ... به". وهذا إسناد صحيح متصل إلى الحضرمي وهو لا بأس به كما قال الحافظ في «التقريب» فالسند حسن - إن شاء الله -. وله شواهد كثيرة فراجع كتابي: "قصة المسيح الدجال ... ".

5 لم يَرد في السنة النبوية ما يدلُّ على مكان دفن المسيح عيسى (عليه السلام) في آخر الزمان وأما الحديث الذي يُروى في ذلك فضعيف جدا لا يثبت وهذا بيانه : عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ): " ينزل عيسى ابن مريم إلى الأرض فيتزوج ويولد له ويمكث خمسا وأربعين سنة ثم يموت فيدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى ابن مريم من قبر واحد بين أبي بكر وعمر " رواه ابن أبي الدنيا – كما عزاه إليه الذهبي في "ميزان الاعتدال" وابن الجوزي في "العلل المتناهية" وفي "المنتظم" وفي "الوفا" أيضا : من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي . قال ابن الجوزي : " هذا حديث لا يصح والإفريقي ضعيف بمرة " انتهى . وأورده الذهبي في "ميزان الاعتدال" في سياق المناكير التي رواها هذا الراوي وقال: " فهذه مناكير غير محتملة " انتهى. وقال الشيخ الألباني في "السلسلة الضعيفة: " منكر " انتهى. ووردت بعض الآثار في هذا الشأن عن علماء الصحابة ممن قرؤوا التوراة وعرفوا ما فيها: أولاً ما قاله عبد الله بن سلام (رضي الله عنه): " مكتوب في التوراة صفة محمد وصفة عيسى بن مريم يدفن معه" رواه البخاري في "التاريخ الكبير" والترمذي في "السنن" والطبراني في "المعجم الكبير" والآجري في كتاب "الشريعة" بألفاظ متقاربة ولكني اخترت اللفظ الذي عند الترمذي لتصريحه بنقل الكلام عن التوراة. كلهم رووه من طريق عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده. وهذا إسناد ضعيف فيه عثمان بن الضحاك: قال أبو داود: ضعيف. انظر "تهذيب التهذيب". وفيه محمد بن يوسف لم يوثقه أحد وإنما ذكره ابن حبان في "الثقات" انظر ترجمته في "تهذيب التهذيب". لذلك قال البخاري (رحمه الله) بعد إخراجه الحديث في التاريخ الكبير في ترجمته : " هذا لا يصح عندي ولا يتابع عليه " انتهى . وقال الشيخ الألباني في "السلسلة الضعيفة": " موقوف ضعيف " انتهى. الثاني عن سعيد بن المسيب قال: " إن قبور الثلاثة في صُفَّة بيت عائشة وهناك موضع قبر يدفن فيه عيسى عليه السلام". قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " من وجه ضعيف " انتهى. كما ذكر ذلك بعض العلماء والمؤرخين كمت قال الإمام القرطبي (رحمه الله): " ثم يقبض الله روح عيسى (عليه السلام) ويذوق الموت ويدفن إلى جانب النبي (ﷺ) في الحجرة ... وقد قيل إنه يدفن بالأرض المقدسة مدفن الأنبياء " انتهى. وذكر نحوه ابن عساكر وغيره. والذي يتحصل مما سبق أنه لم يثبت في حوادث آخر الزمان دفن عيسى (عليه السلام) في الحجرة النبوية وما ورد في ذلك إنما هي آثار ضعيفة السند ومأخوذة عن غير الكتاب والسنة والله أعلم.

6 أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قوله: قال رسول الله (ﷺ): "كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم". وأخرج مسلم جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي (ﷺ) يقول: " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة" قال: " فينزل عيسى ابن مريم (عليه السلام) فيقول أميرهم: " تعال صل لنا" فيقول: " لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة "

7 أخرجه البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش (رضي الله عنها) والرواية للبخاري.

8 أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم في مستدركه عن أبي هريرة (رضي الله عنه) وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

9 راجع رقم (2) صـ 5.

ومن فتنتهم أنهم بعد أن يقتلوا أهل الأرض إلا قليلاً يرفعون حرابهم إلى السماء كما جاء في حديثه (ﷺ) في رواية أخرى للحديث السابق [1]: " ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخَمَر وهو جبل ببيت المقدس فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما " [2]

بعضهم قال إن يأجوج ومأجوج هم أهل الصين أو ظهروا في روسيا لأن شكلهم مثل المغول وهذا كله ليس عليه دليل ولكننا نؤمن بأنهم موجودن وأن بيننا وبينهم ردم وأن الله (ﷻ) سيخرجهم في وقت ما يشاء في وقت خروج عيسى بن مريم (عليه السلام).

الجزء من السد الذي يفتحه يأجوج ومأجوج يردمه قراءة سورة الكهف [3].

1.3.3 خروج الدابة (التوقيت: 41 دقيقة و23 ثانية):

ثم ذكر المصنف (رحمه الله) من علامات الساعة خروج الدابة. وهذا ثابت من قوله (ﷻ):﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾[النمل: 82]. وهي واحدة من العلامات العشرة التي ذكرها (ﷺ) في حديثه: " إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات - فذكر - الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم (عليه السلام) ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم " [4].

لسنا نعلم عنها مكانها ولا وقت خروجها تحديداً ولا تخرج على من ولا أي شيء آخر. فقط ثبت أنها من علامات الساعة الكبرى كما في الحديث السابق. فنحن نؤمن أنها ستخرج كما جاء في الآية والحديث السابقين.

1.3.4 طلوع الشمس من مغربها (التوقيت: 42 دقيقة و17 ثانية):

آخر العلامات التي ذكرها المصنف (رحمه الله) هي طلوع الشمس من مغربها. وهذا ثابت بالكتاب كما في قوله (ﷻ):﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾[الأنعام: 158]. وهذا هو وقت طلوع الشمس من مغربها [5]. فمن كان كافراً أراد أن يؤمن لا ينفع الإيمان وانتهى قبول الإيمان وانتهت التوبة. وقال (ﷺ) في طلوع الشمس من مغربها: " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين: {لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا} [الأنعام: 158] ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلى فيه فلا يطعمها" [6].

وهذه من أواخر علامات الساعة الكبرى لأن بعدها تخرج النار التي ستحشر الناس إلى أرض المحشر ثم تقوم الساعة [7].

فمن كان مع المهدي أو عيسى (عليه السلام) وآمن يُقبل إيمانه حتى طلوع الشمس من مغربها.

وكل علامة مما سبق تُزيد المؤمن يقيناً في الله (ﷻ) ولكنها ليست هيِّنة وخصوصاً العلامات الآخيرة فالساعة لن تقوم إلا

---

1 راجع رقم (2) صـ 5.

2 أخرجه مسلم عن النواس بن سمعان (رضي الله عنه). (إلى جبل الخمر): الخمر هو الشجر الملتف الذي يستر من فيه وقد فسره في الحديث بأنه جبل بيت المقدس لكثرة شجره (نشابهم): سهامهم. مخضوبة دماً: مُلَّونة بلون الدم.

3 لم أقف على أثر يدل على ذلك.

4 أخرجه مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري (رضي الله عنه).

5 قال ابن كثير (رحمه الله) في تفسيره: " يقول تعالى متوعدا للكافرين به والمخالفين رسله والمكذبين بآياته والصادين عن سبيله: {هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك} وذلك كائن يوم القيامة. {أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك} الآية وذلك قبل يوم القيامة كائن من أمارات الساعة وأشراطها كما قال البخاري في تفسير هذه الآية: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا عمارة حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا رآها الناس آمن من عليها. فذلك حين {لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل}. حدثنا إسحاق حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها" ثم قرأ هذه الآية. هكذا روي هذا الحديث من هذين الوجهين ومن الوجه الأول أخرجه بقية الجماعة في كتبهم إلا الترمذي من طرق عن عمارة بن القعقاع بن شبرمة عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة به. وأما الطريق الثاني: فرواه عن إسحاق غير منسوب فقيل: هو ابن منصور الكوسج وقيل: إسحاق بن نصر والله أعلم. وقد رواه مسلم عن محمد بن رافع النيسابوري كلاهما عن عبد الرزاق به. وقد ورد هذا الحديث من طرق أخر عن أبي هريرة كما انفرد مسلم بروايته من حديث العلاء ابن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة به. وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): "ثلاث إذا خرجن {لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا} طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض". انتهى كلامه (رحمه الله)

6 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.

7 راجع رقم (3) صـ 8.

على شرار الخلق [1].

- وهناك علامات أخرى مثل قتال المسلمين لليهود كما في (ﷺ): " لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود" [2]. وهذا مصداقاً لقوله (ﷻ):﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾[الإسراء: 104] وقوله (ﷻ):﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[الأعراف: 167].

1.4 عذاب القبر ونعيمه (التوقيت: 48 دقيقة و13 ثانية)

وعذاب القبر ونعيمه حق وقد استعاذ النبي ﷺ منه وأمر به في كل صلاة وفتنة القبر حق وسؤال منكر ونكير حق والبعث بعد الموت حق

وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور : ﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [يس: ٥١]

- بعد أن انتهى المصنف (رحمه الله) من علامات الساعة بدأ يتكلم في أول منازل الآخرة وهي فتنة القبركما ورد عن عثمان (رضي الله عنه) أنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته؟ فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا؟ فقال: إن رسول الله (ﷺ) قال: "القبر أول منازل الآخرة فإن ينج منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه" قال: وقال رسول الله (ﷺ): "والله ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه" [3].
- الكلام سيكون عن موضعين في القبر. الأول: هل فتنة القبر ثابتة أم لا؟. فهناك من يريد أن يشوش على المسلمين في مسألة فتنة القبر وعذاب القبر. وهذا كلام قديم قاله المعتزلة فهم ينكرون عذاب القبر ونعيمه وهم عموماً يردُّون كثيراً من الغيبيات فمذهبهم في هذه المسائل العقل فكل ما لا يقبله عقلهم يردُّوه حتى وإن صادم ذلك ما جاء في الكتاب والسنة.
- فتنة القبر ثابتة بالكتاب والسنة. أما الكتاب فمن قوله (ﷻ):﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾[إبراهيم: 27] والتثبيت لا يكون إلا في الفتن.
- وجاء في حديث البراء بن عازب (رضي الله عنه) قال: "خرجنا مع رسول الله (ﷺ) في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله (ﷺ) وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير وبيده عود ينكت به الرض ثم رفع رأسه وقال: "استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال: إن المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يقعدوا منه مد النظر ثم يجيء ملك الموت فيقعد عند رأسه فيقول: "أيتها النفس المطمئنة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان" فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفه عين حتى يأخذوها ويجعلونها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط فتخرج منه كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: " ما هذا الروح الطيب؟" فيقولون: "هذا فلان بن فلان" بأحسن أسمائه الذي كان يسمى بها في الدنيا حتى يصعد إلى سماء

---

1 راجع رقم (2) صـ 5. وكذلك يشير الشيخ إلى الحديث الذي أخرج البخاري عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: " سمعت النبي (ﷺ) يقول: " من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء". وهنا رواية عند مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ): " ثم يبعث الله ريحا كريح المسك مسها مس الحرير فلا تترك نفسا في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة".

2 أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

3 أخرجه الترمذي والحاكم في المستدرك وابن ماجة واحمد عن عثمان (رضي الله عنه). وهذا الحديث من زيادات عبد الله بن أحمد. وقال الترمذي: - "حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث هشام بن يوسف" ولكن إسناده صحيح كما قال الشيخ أحمد شاكر في التعليق على مسند أحمد فهشام بن يوسف: هو الصنعاني الأبناوي قاضى صنعاء وهو ثقة متقن وعند عبد الله بن أحمد "هشام بن يونس" وهو خطأ صححناه من رواية الحاكم وابن ماجة. وعبد الله بن بحير بفتح الباء وكسر الحاء بن ريسان بفتح الراء وسكون الياء وبالسين المهملة المرادي القاص اليماني الصنعاني: وثقه ابن معين وغيره. وهانئ البربري مولى عثمان: ثقة.

الدنيا فيستفتح له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى تنتهي إلى السماء السابعة فيقول الله: " اكتبوا كتاب عبدي في عليين في السماء السابعة واعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى" فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان ويقولان له: "من ربك؟" فيقول: "ربي الله" ويقولان له: " ما دينك؟" فيقول: " ديني الإسلام" فيقولان له: "ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟" فيقول: "هو رسول الله" فيقولان له: "ما علمك؟" فيقول: " قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت". فينادي مناد في السماء: " صدق عبدي فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة" فيأتيه من طيبها وروحها ويفسح له في قبره مد بصره ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: " ابشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد" فيقول: " من أنت فوجهك وجه يجيء بالخير؟" فيقول: " أنا عملك الصالح" فيقول: " يا رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي". وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: " أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب" فتتفرق في جسده فيخرجها تتقطع معها العروق والعصب كما ينزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يدها طرفة عين حتى يأخذوها يجعلوها في تلك المسوح فتخرج كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: " ما هذا الروح الخبيث؟" فيقولون: " هذا فلان بن فلان" بأقبح أسمائه الذي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها إلى سماء الدنيا فيستفتحون له فلا يفتح له ثم قرأ النبي (ﷺ): {لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط} قال: فيقول الله: " اكتبوا كتاب عبدي في سجين في الأرض السفلى وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدوهم ومنها نخرجهم تارة أخرى" قال: " فتطرح روحه ثم قرأ رسول الله (ﷺ): {ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق} فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: " من ربك؟" فيقول: ها لا أدري" فيقولان:" له ما دينك؟" فيقول: " هاها لا أدري" فينادي مناد من السماء: " افرشوا له من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار" فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه في قبره حتى تختلف عليه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب نتن الريح فيقول: " أبشر بالذي يسؤوك هذا يومك الذي كنت توعد" فيقول له: " من أنت فوجهك وجه يجيء بالشر؟" فيقول: " أنا عملك الخبيث" فيقول: "رب لا تقم الساعة" [1].

- وقال ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: مر النبي (ﷺ) بحائط من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال النبي (ﷺ): " يعذبان وما يعذبان في كبير" ثم قال: " بلى كان أحدهما لا يستتر من بوله وكان الآخر يمشي بالنميمة". ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة فقيل له: " يا رسول الله لم فعلت هذا؟" قال: " لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا" أو: "إلى أن ييبسا" [2].
- والسؤال هل كل الناس يفتنون في قبورهم (يُسألون في قبورهم)؟. والجواب أنه ليس كل الناس يفتنون في قبورهم بل هناك درجات لن يُسألوا في قبورهم أولهم الأنبياء فكيف يُفتنون وهم الذين جاءوا يدعون الناس إلى الدين فكيف يُقال له من ربك وما دينك وهو المبعوث إلى الناس؟.
- أيضاً الشهداء لا يُفتنون في قبورهم كما جاء في حديثه (ﷺ): " للشهيد عند الله ست خصال: يُغفر له في أول دفعة ويُرى مقعده في الجنة ويُجار من عذاب القبر ويُأمن من الفزع الأكبر ويُوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها ويُزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويُشفع في سبعين من أقربائه" [3]. والمقصود بالشهيد الذي له هذه المناقب هو الذي قُتِل في المعركة. نعم هناك حالات أخرى أُطلق عليها لفظ الشهيد ويأخذ أجر الشهيد ولكن هذه المناقب خاصة بشهيد المعركة الذي يموت في القتال لرفع راية لا إله إلا الله وهو يُقاتل اهل الكفر. وسبب هذه المناقب الخاصة بشهيد المعركة وضَّحه (ﷺ) في حديثه عندما رجال من أصحابه قال: " يا رسول الله: ما بال المؤمنين يُفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟

---

1 أخرجه أبو داود في السنة باب في المسئلة في القبر مختصرا وأخرجه بطوله أحمد والحاكم في المستدرك كتاب الإيمان وقال: "حديث صحيح على شرط الشيخين" ووافقه الذهبي وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه والآجري في الشريعة عن البراء بن عازب (رضي الله عنه). وصحح الحديث ابن القيم ورد على من ضعفه ونقل عن أبي نعيم تصحيحه وعن أبي موسى الأصبهاني أنه حسنه. انظر: تهذيب سنن أبي داود بهامش مختصر السنن وصححه الألباني في تعليقه على شرح الطحاوية. (الحنوط): ما يطيب به الميت (المسوح) جمع مسح بكسر الميم وهو ما يلبس من الشعر. (السفود): الحديدة كثيرة الشعب والجمع سفافيد وقيل هو الحديدة التي يشوى عليها اللحم إذا أدخلت في صوف مبلول وهي محماة يلتف عليها الصوف فينتزعها ويخرج معها ما يخرج من شدة التشبث والتمسك.

2 أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس (رضي الله عنهما) والرواية للبخاري.

3 أخرجه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد باب ثواب الشهيد عن المقدام بن معدي كرب (رضي الله عنه) وقال الترمذي: "حديث صحيح غريب" ومثله أخرجه ابن ماجة في كتاب الجهاد باب فضائل الشهادة وصححه الألباني في مشكاة المصابيح. وأخرجه الآجري في الشريعة بلفظ آخر:" للشهيد عند الله تسع خصال يُغفر له بأول دفعة من دمه ويُرى مقعده من الجنة ويُحلى بحلية الإيمان ويُزوج من الحور العين ويُجار من عذاب القبر ويُأمن من الفزع الأكبر ويُوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويُزوج باثنتين وسبعين من الحور العين ويشفع في سبعين إنسانا من أقاربه" ورجال إسناده ثقات وقد أخرجه من طريقين الطريق الأول عن خالد بن معدان عن المقدام وخالد ثقة عابد إلا أن روايته عن المقدام مرسلة ذكر ابن حجر كما في التهذيب. أما الطريق الأخرى فهي عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة عن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) وهذا إسناد جيد موصول.

قال: "كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة" [1]. فهو يُقاتل في الدنيا والطائرات فوقه والصواريخ تضربه. النبي (ﷺ) بيَّن السيوف لأنه يقصد أنها ملحمة وثبت في هذا الموقف لأنه يُدافع عن دين الله (ﷻ). فلما ثبت في فتنة القتال فكان جزاءاً وفاقاً فثبَّته الله (ﷻ) في فتنة أشد من ذلك وهي فتنة القبر. فالشهيد ترك ماله وأهله وزوجته وترك كل متاع الدنيا فذهب ليُعلي كلمة لا إله إلا الله وينشر دين الله (ﷻ) ولينصر الحق ويرد أهل الباطل.

ولا شك أن المعركة لا يثبت فيها كل الناس ولا يثبت إلا من أراد الله (ﷻ) له الثبات.

وكذلك الطفل الذي مات لا يُفتن في قبره لأنه ليس من أهل التكليف.

كذلك المرابط في سبيل الله (ﷻ) الذي يحمى الثغر (حدود بيننا وبين العدو) من أعداء المسلمين حتى لا يدخلون لبلادنا فقال (ﷺ): " رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتان" [2].

واختلف أهل العلم في الصديِّق الذي هو أعلى درجة من الشهيد وأقل من النبي هل يُؤمَّن من عذاب القبر أم لا؟. بعضهم قال هو أعلى درجة من الشهيد فيأمن وبعضهم قال إن النص جاء في الشهيد ولم يأتي في غيره فنتوقف عند النص.

من ضمن مسائل القبر مسألة عذاب القبر ونعيمه فهل في القبر عذاب ونعيم أم لا وهل العذاب والنعيم في القبر على الروح أم البدن أم الروح والبدن؟.

أولاً نتكلم عن عذاب القبر فهو ثابت في الكتاب كما في قوله (ﷻ):﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[السجدة: 21] فالعذاب الأدنى يكون في القبر والعذاب الأكبر يكون يوم القيامة [3]. وبمفهوم وكذلك من قوله (ﷻ):﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾[غافر: 46].

ومن السنة قوله (ﷺ) في حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) الذي سبق ذكره الذي ذكر فيه (ﷺ) عذاب الرجلين في قبرهما [4].

وهناك حديث آخر لابن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي (ﷺ) أنه قال: " بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة" [5].

وكذلك حديث الإسراء والمعراج عندما رأى النبي (ﷺ) أناس يُعذَّبون في قبورهم [6].

والمعتزلة يُثيرون مجموعة من الشبهات حول عذاب القبر منها النبي الذي مات في البحر [7] والرجل الذي قُطِّع خمسون قطعة والذي حُرق كيف يُعذَّب وهو ليس له قبر؟. والرد عليهم إن الله (ﷻ) قادر على كل شيء كما جاء في حديث الرجل الذي قال لأهله أن يحرقوه ويذروه [8].

ندخل بعد ذلك في نقطة أخرى وهي هل العذاب والنعيم في القبر على الروح أم البدن أم الروح والبدن؟. اختلف العلماء في هذا فبعضهم قال على الروح فقط وبعضهم قال على البدن فقط وبعضهم قال عليهما معاً.

---

1 أخرجه النسائي عن رجل من الصحابة (رضي الله عنه) وقال الألباني في أحكام الجنائز:" وسنده صحيح". (بارقة السيوف): أي لمعانها.

2 أخرجه مسلم عن سلمان (رضي الله عنه). (رباط) أصل الرباط ما تربط به الخيل ثم قيل لكل أهل ثغر يدفع عمن خلفه رباط. (وأمن الفتان) ضبطوا أمن بوجهين أحدهما أمن بفتح الهمزة وكسر الميم من غير واو والثاني أومن بضم الهمزة وبواو وأما الفتان فقال القاضي: " رواية الأكثرين بضم الفاء جمع فاتن قال ورواية الطبري بالفتح"

3 قال ابن كثير (رحمه الله) في تفسيره: " قوله: {ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون [لعلهم يرجعون] }. قال ابن عباس: يعني بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتها وما يحل بأهلها مما يبتلي الله به عباده ليتوبوا إليه. وروي مثله عن أبي بن كعب وأبي العالية والحسن وإبراهيم النخعي والضحاك وعلقمة وعطية ومجاهد وقتادة وعبد الكريم الجزري وخصيف. وقال ابن عباس -في رواية عنه -: يعني به إقامة الحدود عليهم. **وقال البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة: يعني به عذاب القبر**. ". انتهى كلامه (رحمه الله)

4 راجع رقم (2) صـ 10. قال الحافظ ابن رجب (رحمه الله) في كتابه أهوال القبور: " وقد روي هذا عن النبي (ﷺ) بهذا المعنى من وجوه متعددة من حديث أبي بكر وعائشة وأبي هريرة وأنس وابن عمر وأبي أمامة وغيرهم من الصحابة (رضي الله عنهم)". انتهى كلامه (رحمه الله).

5 أخرجه البخاري عن ابن عمر (رضي الله عنهما).

6 وهذا فيه حديثين واضحين أن هناك من يُعذَّب وقد مات ولم يُبعث بعد وهذا لا يكون إلا في القبر. الأول عند أحمد وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن سمرة بن جندب (رضي الله عنه) قال: " قال نبي الله (ﷺ): " رأيت ليلة أسري بي رجلا يسبح في نهر ويلقم الحجارة فسألت ما هذا؟. فقيل لي: " آكل الربا". وهذا حديث صحيح وهذا إسناد قوي رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الوهاب- وهو ابن عطاء الخفاف- فمن رجال مسلم وهو صدوق لا بأس به. عوف: هو ابن أبي جميلة الأعرابي وأبو رجاء: هو عمران بن ملحان العطاردي. والحديث الثاني الذي أخرجه أحمد والبغوي وحسنه البغوي وابن حبان وصححه وصححه الألباني عن أنس (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) أنه قال: " رأيت ليلة أسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون".

7 الشيخ يقصد الذي قُبِض في السماء فيُشير الشيخ إلى ما رواه الطبري أن كعبا قال لابن عباس في قوله تعالى {وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً}: " أن إدريس سأل صديقا له من الملائكة فحمله بين جناحيه ثم صعد به فلما كان في السماء الرابعة تلقاه ملك الموت فقال: " له أريد أن تعلمني كم بقي من أجل إدريس؟" قال: " وأين إدريس؟" قال: " هو معي" فقال: " إن هذا لشيء عجيب أمرت بأن أقبض روحه في السماء الرابعة فقلت: كيف ذلك وهو في الأرض؟" فقبض روحه فذلك قوله تعالى {وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً}" وقد ذكره ابن حجر (رحمه الله) في فتح الباري و قال عقبه: " وهذا من الإسرائيليات والله أعلم بصحة ذلك". انتهى كلامه (رحمه الله).

8 راجع الدرس التاسع رقم (1) صـ7.

والدليل على أن الروح لها نعيم ما ورد عن مسروق قال: " سألنا عبد الله عن هذه الآية: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون} [آل عمران: 169] قال: " أما إنا قد سألنا عن ذلك [1] فقال: " أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: " هل تشتهون شيئا؟" قالوا: " أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا" ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: " يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى" فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة" [2]. وهذا فيه نعيم لأن هذه الأرواح تسرح في الجنة.

والدليل على أن الروح والبدن عليهما عذاب قوله (ﷺ): "عبد إذا وضع في قبره وتولي وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: " ما كنت تقول في هذا الرجل محمد (ﷺ)؟" فيقول: " أشهد أنه عبد الله ورسوله" فيُقال: " انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة" قال النبي (ﷺ): " فيراهما جميعا وأما الكافر - أو المنافق - فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس" فيُقال: " لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين" [3]. وهذا فيه عذاب لأنه يصرخ من شدة ضربة المطرقة.

والدليل على البدن فقط عليه عذاب هو الدود والسموم الذي جاء في حديث النبي (ﷺ) [4] يكون على البدن فقط.

وقد رجَّح ابن تيمية (رحمه الله) أن العذاب والنعيم هو أساساً على الروح ولكن قد يكون تارة على الروح وتارة على البدن وتارة عليهما معاً [5].

العلة من عدم سماع عذاب القبر قوله (ﷺ): ".... إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه". ثم أقبل علينا بوجهه فقال: " تعوذوا بالله من عذاب النار". قالوا: " نعوذ بالله من عذاب النار" فقال: " تعوذوا بالله من عذاب القبر" قالوا: " نعوذ بالله من عذاب القبر" قال: " تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن" قالوا: " نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن" قال: "تعوذوا بالله من فتنة الدجال" قالوا: " نعوذ بالله من فتنة الدجال" [6]. فعدم قدرة تحمُّل الإنسان سماع هذا العذاب جعلت الله (عز وجل) يرحمه بألا يسمع عذاب القبر.

ومن حِكَم عدم سماع عذاب القبر أن فيه ستر للميت لو كان يُعذَّب في قبره. وكذلك فيه ترضية لأهل الميت ولا يكون هناك خجل عندهم فلو علموا أن ميتهم يُعذَّب سيصيبهم الهم والغم ويجعلهم في موضع كلام عند الناس.

وإخبار النبي (ﷺ) هذا العذاب حتى نخشى هذا العذاب فهناك أناس لا يأتون إلا بالترهيب.

ولو سمعنا عذاب القبر لم يكن هذا إيمان بالغيب ولكن سيكون إيمان بالشهادة (المُشاهد أمامنا). ونحن لا نرى عذاب القبر ولكن نصدق وجوده من الكتاب والسنة.

وعذاب القبر على كل الأمم فلا يُفهم من كلمة (هذه الأمة) في الحديث السابق على أنه فقط على أمتنا. والدليل على ذلك ن النبي (ﷺ) دخل نخلا لبني النجار فسمع صوتا ففزع فقال: " من أصحاب هذه القبور؟" قالوا: " يا نبي الله: ناس ماتوا في الجاهلية" قال: " تعوذوا بالله من عذاب القبر وعذاب النار وفتنة الدجال" قالوا: " وما ذاك يا رسول الله؟ قال: " إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فإن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك فسأله: ما كنت تعبد؟ فإن الله هداه قال: كنت أعبد الله فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ قال: فيقول هو عبد الله ورسوله قال: فما يسأل عن شيء غيرها فينطلق به إلى بيت كان له في النار فيقال له: هذا بيتك كان في النار ولكن الله عصمك ورحمك فأبدلك به بيتا في الجنة فيقول: دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي فيقال له: اسكن. وإن الكافر إذا وضع في قبره أتاه ملك فيقول له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: كنت أقول ما يقول الناس فيضربه بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة فيسمعها الخلق غير الثقلين " [7].

وعموماً إذا كان عذاب القبر مكتوب على هذه الأمة وهي خير الأمم فمن باب أولى على غيرها كما قال (ﷺ)" نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له - قال: يوم الجمعة - فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد

---

1 أي إن الصحابة (رضي الله عنهم) سألوا النبي (ﷺ) عن ذلك

2 أخرجه مسلم عن ابن مسعود (رضي الله عنه).

3 أخرجه البخاري ومسلم عن أنس (رضي الله عنه).

4 لم أقف عليه.

5 قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) في مجموع الفتاوى: " مذهب سلف الأمة وأئمتها أن العذاب أو النعيم يحصل لروح الميت وبدنه وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحيانًا فيحصل له معها النعيم أو العذاب". انتهى كلامه (رحمه الله).

6 أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري عن زيد بن ثابت (رضي الله عنه).

7 أخرجه أحمد وأبو داود عن أنس (رضي الله عنه) وصححه الألباني.

للنصارى" [1]. فنحن السابقون في دخول الجنات والحساب والعرض وغير ذلك رغم أننا -زمنياً- آخر الأمم إلا أننا سنسبق الأمم في الآخرة.

- ونحن كذلك أكثر أهل الجنة كما قال (ﷺ)" يقول الله تعالى: " يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول: أخرج بعث النار" قال: " وما بعث النار؟" قال: " من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد " قالوا: " يا رسول الله وأينا ذلك الواحد؟" قال: " أبشروا فإن منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألفا". ثم قال: " والذي نفسي بيده إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة " فكبرنا فقال: " أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة" فكبرنا فقال: " أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة" فكبرنا فقال: " ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود" [2].
- من يُعذَّب في قبره هو يوم القيامة في مشيئة الله (ﷻ) إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له وهذا الكلام لمن مات على التوحيد ولكن من مات على غير التوحيد فهذا من أهل جهنم وسيذوق ما هو أشد من ذلك.
- يُخفَّف الله (ﷻ) على الكافر الذي كان يفعل أعمال البر في الدنيا ولكنه مازال مُخلَّد في النار كما جاء في أبي طالب لنصرته النبي (ﷺ) [3]. فالكفر دركات [4] كما وضَّح الله (ﷻ) أن المنافقين هم أشد الناس عذاباً يوم القيامة من الكافر كما في (ﷻ):﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[النساء: 145]. والسبب إنهم أشد كيداً على أهل الإسلام فالكافر معروف ممكن أن تتقيه أما المنافق يُظهر الإسلام ويُبطن الكفر.

ومن مات على التوحيد يأمن هذه الفتنة حتى لو عنده سيئات. وكما ورد في حديثه (ﷺ)" إذا وضع الرجل في قبره أتاه منكر ونكير وهما ملكان فظان غليظان أسودان أزرقان ألوانهما كالليل الدامس أصواتهما كالرعد القاصف عيونهما كالشهب الثواقب أسنانهما كالرماح يسحبان بشعورهما على الأرض بيد كل واحد منهما مطرقة لو اجتمع الثقلان الجن والإنس لم يقدروا على حملها يسألان الرجل عن ربه وعن نبيه وعن دينه" فقال عمر بن الخطاب: " أيأتياني وأنا ثابت كما أنا" قال: "نعم" قال: " فسأكفيكهما يا رسول الله فقال (ﷺ): " والذي بعثني بالحق نبيًّا لقد أخبرني جبريل أنهما يأتيانك فتقول أنت: الله ربي فمن ربكما؟ ومحمد نبيي فمن نبيكما؟ والإسلام ديني فما دينكما؟ فيقولان: " واعجباه!! ما ندري نحن أرسلنا إليك أم أنت أرسلت إلينا؟" [5]. فعمر (رضي الله عنه) لا يخشى منها فهو يعلم أنه مُوحَّد توحيداً كاملاً. وقيل أن أبي بكر (رضي الله عنه) قال: " لا آمن مكر ربي حتى ولو كانت إحدى قدمي في الجنة" [6]. فلابد أن تكون ثابت في دينك كما كان عمر (رضي الله عنه) وتخشى ألا يتقبل الله (ﷻ) منك كما كان أبو بكر (رضي الله عنه).

1.5 النفخ في الصور (التوقيت: 1 ساعة و10 دقيقة و10 ثانية)

والبعث بعد الموت حق وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور: ﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [يس: ٥١]

---

1 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية لمسلم.

2 أخرجه البخاري عن ابن مسعود (رضي الله عنه) والبخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) والرواية للبخاري عن ابن مسعود (رضي الله عنه). (لبيك) أنا ملازم طاعتك لزوما بعد لزوم. (سعديك) أي ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة وإسعادا بعد إسعاد. (بعث النار) حزبها وأهلها. (فعنده) أي عند قول الله (ﷻ) لآدم (عليه السلام). (سكارى) جمع سكران وهو الذي غطى أثر الشراب عقله أي هم أشبه بالسكارى من شدة الأهوال وليسوا سكارى حقيقة.

3 وهذا للحديث الذي أخرجه مسلم عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال: " أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه".

4 الدركة: المنزلة السفلى وهي ضد الدرجة وهي المنزلة العليا فالدركات منازل بعضها **تحت** بعض والدرجات منازل بعضها **فوق** بعض.

5 أخرجه عبد الواحد بن محمد بن علي المقدسي في كتابه التبصير وخرج الحافظ أبو عبد الله القاسم الثقفي عن جابر من أوله إلى ذكر السؤال وقال: فقال عمر: " يا رسول الله أية حال أنا يومئذ؟" قال: "على حالك" قال: " إذن أكفيكهما" ولم يذكر ما بعده. وأخرج سعيد بن منصور معناه ولفظه: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أنا محمد بن علوان بن علقمة قال: حدثني أصحابنا قالوا: قال رسول الله (ﷺ) لعمر: " كيف بك إذا جاءك منكر ونكير يسألانك؟ صوتهما مثل الرعد القاصم وأبصارهما مثل البرق الخاطف يطئان في أشعارهما ويبحثان بأنيابهما" فقال: " يا رسول الله أنبعث على ما متنا عليه؟" قال: "نعم إن شاء الله تعالى" قال: "إذن أكفيكهما". وأخرج عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن عمرو بن دينار أن النبي (ﷺ) قال لعمر: " كيف بك يا عمر بفتاني القبر إذا أتياك يحفران بأنيابهما ويطآن في أشعارهما أعينهما كالبرق الخاطف وأصواتهما كالرعد القاصف معهما مزربة لو اجتمع عليها أهل منى لم يقلوها؟" قال عمر: " وأنا على ما أنا عليه اليوم؟" قال: "وأنت على ما أنت عليه اليوم" قال: " إذا أكفيهما إن شاء الله" قال: وكان عبيد بن عمير يقول: " نعم ذلك منكر ونكير". قال العراقي في تخريج الإحياء: " أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا مرسلا ورجاله ثقات". قال البيهقي في الاعتقاد: " رويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسلا". ووصله ابن بطة في الإبانة من حديث ابن عباس ورواه البيهقي في الاعتقاد من حديث عمر وقال غريب بهذا الإسناد تفرد به مفضل. ولأحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمر فقال عمر: " أترد إلينا عقولنا؟" فقال " نعم كهيئتكم اليوم " فقال عمر: بفيه الحجر "وهذا الحديث حسنه الألباني في الترغيب والترهيب. (بفيه الحجر): معناها له الخيبة عند العرب

6 وهذا أثر موضوع باطل لا أصل له. والله (ﷻ) أكرم من أن يُدخل أحد الجنة بجزء من جسده ثم يردُّه عنها ويُخرجه منها.

- الصور لغة هو القرن (البوق). وأما شرعاً هو أن إسرافيل مُلتقم القرن ومنتظر منذ زمن لا نعرفه الأذن من الله (ﷻ) لكي ينفخ في الصور.
- النفخ نفختان على الراجح فبعض أهل العلم قالوا ثلاث نفخات كما جاء في قوله (ﷻ):﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾[الزمر: 68]. ففي النفخة الأولى كل الخلق يموتون ثم في النفخة الثانية يُبعثوا مرة أخرى وهي نفخة الاستعداد للحشر.
- بعد النفخة الأولى يُنزل الله (ﷻ) مطر تنبت به الأجساد مرة أخرى من عَجب الذنب [1] فتقوم الأجساد مرة أخرى تنتظر البعث والحشر.
- الاستثناء في الآية:﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾[الزمر: 68] هذا استثناء منقطع فالاستثناء في اللغة إما حقيقي وإما منقطع والاستثناء المنقطع المقصود منه أن كل شيء بمشيئة الله (ﷻ) وليس أخراج مخلوق في السماوات أو الأرض من الصعق المذكور في الآية. وبعضهم قال إن موسى (عليه السلام) لن يُصعق لحديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: " جاء رجل من اليهود إلى النبي (ﷺ) قد لطم وجهه فقال: " يا محمد إن رجلا من أصحابك من الأنصار قد لطم في وجهي". قال: " ادعوه". فدعوه قال: " لم لطمت وجهه؟". قال: " يا رسول الله إني مررت باليهود فسمعته يقول: والذي اصطفى موسى على البشر". قال: " قلت: وعلى محمد (ﷺ)". قال: " فأخذتني غضبة فلطمته". قال: " لا تخيروني من بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق **فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جُوزِيَ بصعقة الطور**" [2].

والصعق في الحديث هو المذكور في في قوله (ﷻ):﴿ لَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأعراف: 143].

---

1 وهذا للحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: " قال رسول الله (ﷺ): " ما بين النفختين أربعون" قال: " أربعون يوما؟" قال: " أبيت" قال: " أربعون شهرا؟" قال: " أبيت" قال: " أربعون سنة؟" قال: " أبيت" قال: " ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يُرَّكب الخلق يوم القيامة"

2 أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.

الشريط الثالث عشر
تابع السمعيات

محتويات الشريط الثالث عشر

1- تابع الإيمان بكل ما أخبر به النبي (ﷺ) (التوقيت: 1 دقيقة و16 ثانية)..... 1
1.6 البعث والحشر والحساب (التوقيت: 1 دقيقة و30 ثانية) 1
1.7 الحوض (التوقيت: 23 دقيقة و28 ثانية).....6
1.8 الصراط (التوقيت: 26 دقيقة و50 ثانية) 7
1.9 الشفاعة (التوقيت: 33 دقيقة و55 ثانية) 9
1.10 الجنة والنار (التوقيت: 46 دقيقة و29 ثانية).....12

1- تابع الإيمان بكل ما أخبر به النبي (ﷺ) (التوقيت: 1 دقيقة و16 ثانية)

1.6 البعث والحشر والحساب (التوقيت: 1 دقيقة و30 ثانية)

ويحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بُهْماً فيقفون في موقف القيامة، حتى يشفع فيهم نبينا محمد ﷺ ويحاسبهم الله تبارك وتعالى وتنصب الموازين وتنشر الدواوين وتتطاير صحائف الأعمال إلى الأيمان والشمائل ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ ﴾ [الانشقاق].

والميزان: له كفتان ولسان، توزن به الأعمال ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۝١٠٣ ﴾ [المؤمنون].

- فبعث الناس هو إحياء الموتى يوم القيامة. والحشر لغة الجمع وشرعاً جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم.
- والبعث والحشر ثابت من الكتاب والسنة. أما الكتاب من قوله (ﷻ): ﴿ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾[التغابن: 7] و قوله (ﷻ): ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (49) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾[الواقعة: 49-50] ومجموعون أي محشورون إلى الميقات المعلوم وهو ميقات يوم القيامة.
- وأما السنة فمن الحديث الذي ذكره المصنف (رحمه الله) وهو قوله عائشة (رضي الله عنها):" سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: " يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرلاً" قلت: يا رسول الله النساء والرجال جميعا ينظر بعضهم إلى بعض قال (ﷺ): " يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض" [1]. عائشة (رضي الله عنها) الطاهرة العفيفة أم المؤمنين رغم أنه يوم القيامة والحشر ولا أحد ينظر إلى أمه ولا صاحبته ولا بنيه فحتى الرسل تقول نفسي نفسي [2] ولكنها العفيفة الطاهرة لم يمر عليها هذه الألفاظ فحفاة أي لا يلبسون شيئاً في أقدامهم وعراة أي ليس عليهم ثياب وغرلاً أي غير مختونين. فما بال نساء هذه الأيَّام

---

[1] أخرجه البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنهما) ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها) والرواية لمسلم. (غُرلاً) معناه غير مختونين جمع أغرل وهو الذي لم يختن وبقيت معه غرلته وهي قلفته وهي الجلدة التي تقطع في الختان والمقصود أنهم يحشرون كما خلقوا لا شيء معهم ولا يفقد منهم شئ حتى الغرلة تكون معهم. وأما رواية البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قام فينا النبي (ﷺ) يخطب فقال: " إنكم محشورون حفاة عراة غرلا: {كما بدأنا أول خلق نعيده} [الأنبياء: 104] الآية وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصحابي فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح: {وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم} [المائدة: 117] - إلى قوله - {الحكيم} [البقرة: 32] قال: فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم ". وكلمة بهماً جاء في الحديث الذي أخرجه أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك وقال: " هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" والطبراني في المعجم الأوسط وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب والهيثمي في وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب عن عبد الله بن أُنيس (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال:" يحشر الله الخلائق يوم القيامة حفاة عراة غُرلا بهماً فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وله عند رجل من أهل النار حق حتى أقضيه منه حتى اللطمة قال: قلنا كيف وإنما نأتي الله عز وجل حفاة عراة غرلا بهما؟ قال: " بالحسنات والسيئات" وهذا الحديث رواه الأئمة واستشهد به البخاري. (بهما): جمع بهيم. وهو في الأصل الذي لا يخالط لونه لون سواه يعني ليس فيهم شيء من العاهات والأعراض التي تكون في الدنيا من العمى والعور والعرج وغير ذلك وإنما هي أجساد مصححة لخلود الأبد في الجنة.

[2] راجع المحاضرة السادسة رقم (1) صـ 4.

الذين خرجن متبرجات سافرات وتركن الحشمة يفتنون الناس ويُفتنون أيضاً فهذه الطاهرة العفيفة التي برَّئها الله (ﷻ) من فوق سبع سماوات. فحريٌّ بكل أمراة في هذا الزمان أن تكون قدوتها عائشة (رضي الله عنها) وأن تعود لهذا الطهر وهذا الخلق الحميد الذي كان على عهد الصحابيات (رضي الله عنهن).

- ثم بعد البعث والحشر يأتي الحساب. فالحساب لغة العدد وشرعاً هو إطلاع الله (ﷻ) العباد على أعمالهم ثم يحاسبهم على ما عملوه وأقترفوه في دنياهم قبل أن يرجعوا إليه. قال: " وكان النبي (ﷺ) يقول في بعض صلاته: "اللهم حاسبني حسابًا يسيرًا" فقالت عائشة (رضي الله عنها): " ما الحساب اليسير؟" قال: "أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه" [1]

- والحساب يختلف فيه المؤمن عن الكافر فالمؤمن لا يُحاسبه الله (ﷻ) على رؤوس الخلائق بل يستره الله (ﷻ) فيختلى به ويُقرُّه بذنوبه ومعاصيه ثم يقول له سترتها عليك في الدنيا وأنا استرها عليك اليوم في الآخرة [2]. فنسأل الله (ﷻ) أن يستر علينا في الدنيا والآخرة. أما الكافر والمنافق يُحاسب على رؤوس الخلائق فيُفضح يوم القيامة فالمنافق يُفضح بأنه كان يُظهر الإيمان في الدنيا ويُبطن الكفر[3] نعوذ بالله (ﷻ) من الخذلان.

- هناك أصناف لا يُحاسبون فيدخلون الجنة من غير سابقة عذاب ولا عقاب كما جاء في حديثه (ﷺ): "عُرضت عليَّ الأمم فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط والنبي ليس معه أحد حتى رفع لي سواد عظيم قلت: "ما هذا؟ أمتي هذه؟" قيل: " بل هذا موسى وقومه" قيل: " انظر إلى الأفق" فإذا سواد يملأ الأفق ثم قيل لي: " انظر ها هنا وها هنا في آفاق السماء" فإذا سواد قد ملأ الأفق قيل: هذه أمتك ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفا بغير حساب " ثم دخل ولم يبين لهم فأفاض القوم وقالوا: " نحن الذين آمنا بالله واتبعنا رسوله فنحن هم أو أولادنا الذين ولدوا في الإسلام فإنا ولدنا في الجاهلية" فبلغ النبي (ﷺ) فخرج فقال: " هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون" فقال عكاشة بن محصن: " أمنهم أنا يا رسول الله؟" قال: " نعم" فقام آخر فقال: " أمنهم أنا؟" قال: " سبقك بها عكاشة" [4]. والتطير من التشاؤم مثل أن يقول أحدهم أنه رأى قطة سوداء فلم يذهب إلى الجامعة من باب التشاؤم من رؤيتها. ويكتوون أي يُعالجوا بالكي ويكره العلاج بالكي [5]. لا يسترقون أي لا يطلبون الرقيا لأن طلب الرقيا فيه قلة توكل ولكن ليس معنى هذا أنه ممنوع أن يرقيك أحد فقد رقى ملكين النبي (ﷺ)[6] وكثير كان يرقي النبي (ﷺ) [7]. ويتوكلون أي يتوكلون على الله (ﷻ) في كل أمورهم. فمن توافرت فيه هذه الصفات فيكون من السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير سابقة حساب ولا عقاب.ونسأل الله (ﷻ) أن نلحق بمثل

---

[1] أخرجه أحمد وابن أبي عاصم في كتاب السنة واللفظ لأحمد وقال الألباني في تخريج السنة: " إسناده صحيح". وله شاهد من حديث عائشة (رضي الله عنها) عند البخاري ومسلم والرواية للبخاري أنها كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه وأن النبي (ﷺ) قال: " من حوسب عذب". قالت عائشة: " فقلت أوليس يقول الله تعالى: {فسوف يحاسب حسابا يسيرا} [الانشقاق: 8]" قالت: فقال: " إنما ذلك العرض ولكن: من نوقش الحساب يهلك "

[2] وهذا كما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر (رضي الله عنهما) والرواية للبخاري عن صفوان بن محرز المازني قال: " بينما أنا أمشي مع ابن عمر (رضي الله عنهما) آخذ بيده إذ عرض رجل فقال: " كيف سمعت رسول الله (ﷺ) يقول في النجوى؟" فقال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: " إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته وأما الكافر والمنافقون فيقول الأشهاد: {هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين} [هود: 18] ". وروى مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: " لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة". نسأل الله (ﷻ) أن نكون منهم.

[3] وهذا كما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر (رضي الله عنهما) والرواية لمسلم قوله (ﷺ): " يُدنى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول: " هل تعرف؟" فيقول: " أي رب أعرف" قال: " فإني قد سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم فيعطى صحيفة حسناته وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على الله".

[4] أخرجه البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنهما) ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.

[5] أخرجه البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنهما) ومسلم عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) والرواية للبخاري أنه (ﷺ) قال: " الشفاء في ثلاثة: شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وأنهى أمتي عن الكي " رفع الحديث ورواه القمي عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي (ﷺ): " في العسل والحجم". (في ثلاثة) يتسبب عن استعمال أحد علاجات أساسية ثلاثة (شرطة) ضربة تقطع العرق وتشقه. (محجم) اسم للآلة التي يشرط بها موضع الحجامة ويطلق أيضا على الآلة التي تمص الدم وتجمعه (كية نار) أن تحمى حديدة بالنار ويمس بها موضع الألم من الجسم (أنهى) نهي كراهة لا نهي تحريم لرواية مسلم: " وما أحب أن أكتوي" وحكمة النهي عنه ما فيه من التعذيب والألم الشديد لمظنة الشفاء.

[6] أتى في رقي الملكين للنبي (ﷺ) ما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عائشة (رضي الله عنها) والرواية للبخاري قالت: " سُحِرَ النبي (ﷺ) حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله حتى كان ذات يوم دعا ودعا ثم قال: " أشعرت أن الله أفتاني فيما فيه شفائي أتاني رجلان: فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما للآخر ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب قال: ومن طبه؟ قال لبيد بن الأعصم قال: فيما ذا قال: في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر قال فأين هو؟ قال: في بئر ذروان " فخرج إليها النبي (ﷺ) ثم رجع فقال لعائشة حين رجع: " نخلها كأنه رءوس الشياطين" فقلت استخرجته؟ فقال: " لا أما أنا فقد شفاني الله وخشيت أن يثير ذلك على الناس شرا ثم دفنت البئر". (وعاه) حفظه. (أفتاني) أخبرني. (أتاني) أي في المنام. (رجلان) أي ملكان في صورة رجلين. (مطبوب) مسحور. (مشاقة) ما يخرج من الكتان حين يمشق والمشق جذب الشيء ليمتد ويطول. وقيل المشاقة ما يغزل من الكتان. (جف الطلعة) وعاء الطلع وغشاؤه إذا جف. (بئر ذروان) بئر في المدينة في بستان لأحد اليهود. (رؤوس الشياطين) أي شبيه لها لقبح منظره. (شرا) أي في إظهاره كتذكر السحر وتعلمه. (دفنت البئر) طمت بالتراب حتى استوت مع الأرض.

[7] ورد في رقيته (ﷺ) للصحابة (رضي الله عنهم) ما أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عائشة (رضي الله عنها) والرواية للبخاري قالت: " أن رسول الله (ﷺ) كان إذا أتى مريضا أو أتي به قال: " أذهب الباس رب الناس اشف وأنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما" قال عمرو بن أبي قيس وإبراهيم بن طهمان: عن منصور عن إبراهيم وأبي الضحى: " إذا أتي بالمريض" وقال جرير: عن منصور عن أبي الضحى وحده وقال: " إذا أتى مريضاً"

هؤلاء. وليس معنى ذلك ترك التداوي فعن أسامة بن شريك (رضي الله عنه) قال: " كنت عند النبي (صلى الله عليه وسلم) وجاءت الأعراب فقالوا: " يا رسول الله أنتداوى؟" قال: " نعم. يا عباد الله تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد". قالوا: " وما هو" قال: "الهرم " [1]. وترك التداوي كما في حديث المرأة [2] جائز بشرط فعل الأوامر واجتناب النواهي مع الصبر على المرض أي عدم التفريط في حقوق الله (عز وجل). والنبي (صلى الله عليه وسلم) تداوى والصحابة (رضي الله عنهم) تداووا.

ووردت رواية عند الإمام أحمد (رحمه الله) أن كل واحد منهم يُشفَّع في سبعين ألف [3].

وأول أمة تُحاسب يوم القيامة هي أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) كما في قوله (صلى الله عليه وسلم): " نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له - قال: يوم الجمعة - فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى" [4]. وهذه منقبة لأمة محمد (صلى الله عليه وسلم).

وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة كما في قوله (صلى الله عليه وسلم): " إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر فإن انتقص من فريضته شيئاً. قال الرب تبارك وتعالى: " انظروا هل لعبدي من تطوع؟" فيُكمَّل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك" [5]. فالصلاة عمود هذا الدين [6] وهي الصلة بين المرء وربه عندما يقف بين يديه خاشعاً مُتذللاً مُتدبَّراً. فإن قُبِلت الصلاة فما بعدها يسير فحرِّيٌ بنا

---

1 أخرجه أحمد عن أسامة بن شريك (رضي الله عنه) من طرق وصححها الألباني في الصحيحة.

2 وهذا في إشارة للحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عطاء بن أبي رباح والرواية للبخاري قال: قال لي ابن عباس: " ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟" قلت: " بلى" قال: " هذه المرأة السوداء أتت النبي (صلى الله عليه وسلم) فقالت: " إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي" قال: " إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك" فقالت: " أصبر" فقالت: " إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف" فدعا لها حدثنا محمد أخبرنا مخلد عن ابن جريج أخبرني عطاء أنه رأى أم زفر تلك امرأة طويلة سوداء على ستر الكعبة".(امرأة) قيل اسمها سعيرة الأسدية وقيل شقيرة (أصرع) يصيبني الصرع وهو علة في الجهاز العصبي تصحبها غيبوبة في العضلات وقد يكون هذا بسبب احتباس الريح في منافذ الدماغ وقد يكون بسبب إيذاء الكفرة من الجن (أتكشف) أي فأخشى أن تظهر عورتي وأنا لا أشعر
(صبرت) على هذا الابتلاء (ولك الجنة) أي درجة عالية فيها بمقابل صبرك
(على ستر الكعبة) متعلقة بأستار الكعبة وقيل كانت تفعل ذلك إذا خشيت أن يأتيها الصرع]

3 وهذا كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي وحسنه وأحمد وابن ماجة عن أبي أمامة (رضي الله عنه) قال:" سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول " وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا وثلاثة حثيات من حثيات ربي" ". ويُروى " حَفنات " بالفتح وهو الغرف ملء اليدين وقيل الحثية باليد والحفنة باليدين. وأخرج الإمام أحمد والطبراني عن أبي أيوب (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خرج ذات يوم إليهم فقال: " إن ربي خيرني بين سبعين ألفا يدخلون الجنة عفوا بغير حساب وبين الخبيئة عنده لأمتي " فقال له بعض أصحابه: " أيخبأ ذلك ربك؟" فدخل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم خرج وهو يكبر فقال: " إن ربي زادني مع كل ألف سبعين ألفا والخبيئة عنده ". فقيل: " يا أبا أيوب وما نظن خبيئة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟" فأكله الناس بأفواههم فقالوا:" ما أنت وخبيئة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ فقال أبو أيوب:" دعوه أخبركم عن خبيئة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إن خبيئة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يقول رب من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله مصدقا لسانه قلبه فأدخله الجنة" الخبيئة بخاء معجمة فموحدة وهمزة بوزن خطيئة. وأخرج البيهقي من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) مرفوعا: " سألت ربي فوعدني أن يدخل من أمتي سبعين ألفا على صورة القمر ليلة البدر فاستزدته فزادني مع كل ألف سبعين ألفا فقلت: " أي رب أرأيت إن لم يكن هؤلاء مهاجري أمتي؟" قال:" إذن أكملهم لك من الأعراب". وأخرج الطبراني والبيهقي عن عمرو بن حزم الأنصاري (رضي الله عنه) قال: تغيب عنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثلاثة لا يخرج إلا لصلاة مكتوبة ثم يرجع فلما كان يوم الرابع خرج إلينا فقلنا:" يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا أنه قد حدث حدث" قال: " لم يحدث إلا خير إن ربي وعدني وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا لا حساب عليهم وإني سألت ربي في هذه الثلاثة أيام المزيد فوجدت ربي ماجدا كريما فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا" قلت:" يا رب وتبلغ أمتي هذا؟" قال: " أكمل لك العدد من الأعراب". وأخرج الإمام أحمد وأبو يعلى عن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) قال: " قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " أعطيت سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر وقلوبهم على قلب رجل واحد واستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين ألفا ". قال أبو بكر:" فرأيت أن ذلك يأتي على أهل القرى ويصيب من حافات البوادي". وأخرج الإمام أحمد والطبراني عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال:" إن ربي أعطاني سبعين ألفا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب " وقال عمرو:" يا رسول الله فهلا استزدته؟" قال: " قد استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفا ". قال عمرو: " فهلا استزدته؟" قال: " قد استزدته فأعطاني هكذا وفرج بين يديه وبسط باعيه وحثا " قال هشام: هذا من الله ما يُدرى ما عدده". وأخرج البزار عن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب " فقال أبو بكر:" يا رسول الله زدنا" قال: " وهكذا " فقال عمر: " يا أبا بكر إن شاء الله أدخلهم الجنة بحفنة واحدة". وأخرج الإمام أحمد بسند حسن عن حذيفة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " إن ربي استشارني في أمتي ماذا أفعل بهم؟" فقلت:" ما شئت يا رب هم خلقك" فقال:" لا نخزيك في أمتك وأخبرني أن أول من يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم حساب" وأخرج هناد عن أسماء بنت يزيد (رضي الله عنها) قالت: " قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " يجمع الله يوم القيامة الناس في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد ينادي:" أين الذين كانوا يحمدون الله على السراء والضراء؟" فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يعود فينادي: " أين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟" فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يعود فينادي:" ليقم الذين كانوا لا تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله" فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يقوم سائر الناس فيُحاسبون" ورواه ابن أبي الدنيا وغيره

4 راجع المحاضرة الثانية عشر رقم (1) صـ 13.

5 أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة (رضي الله عنه) وصححه الألباني في صحيح الجامع. وقال الترمذي: " حديث أبي هريرة حديث حسن غريب من هذا الوجه". وقال النووي في " المجموع": " إسناده صحيح بمعناه". وفي روايه الطبراني التي صححها الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة: " أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت - أي قُبلت - صلح سائر عمله وإن فسدت - أي لم تُقبل - فسد سائر عمله".

6 ذكره المتقي الهندي في "كنز العمال" وعزاه لأبي نعيم الفضل بن دكين في الصلاة. وقد ضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع. قال النووي في التنقيح: " هو منكر باطل وتعقبه ابن حجر في التلخيص قائلاً: " قلت: وليس كذلك بل رواه أبو نعيم شيخ البخاري في كتاب الصلاة عن حبيب بن سليم عن بلال بن يحيى قال: جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فسأله فقال: "الصلاة عمود الدين" وهو مرسل رجاله ثقات". والحديث رواه البيهقي في الجامع لشعب الإيمان عن عمر مرفوعاً بسند ضعّفه السخاوي في المقاصد الحسنة قال: وهو عند الطبراني أيضاً وكذا الديلمي عن علي مرفوعاً". انتهى كلامه (رحمه الله).

ألا نترك الفرائض فهي أجَل العبادات والطاعات. فكثير من الناس يهتمون بالنوافل ويتركون الفرائض في المساجد أو جماعة أو حتى يتركون تدبر الصلاة. نعم فعل الخير والنوافل مطلوب ولكن لابد أن يهتم بالأهم فالمهم فقد قال (ﷻ) في الحديث القدسي: " وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه " [1]. فلا نكون مثل المنافقين الذين يقلبون الصلاة قلباً حتى ينتهوا منها سريعاً وهم باطنهم أنهم ليس عندهم إيمان بالله (ﷻ). ومثال ذلك كما قال (ﷻ) في صبر أيوب (عليه السلام) على المرض:﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[ص:44]

- فالصلاة أو ما يُقضى به بين العبد وربه. ولكن أول ما يُقضى به بين العباد الدماء كما في قوله (ﷺ): " أول ما يُقضى بين الناس بالدماء " [2]. فالدماء لها حُرمة شديدة عند الله (ﷻ) كما قال (ﷺ): " لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق" [3]. وقد بيَّن النبي (ﷺ) أنه لا يجوز قتل النفس إلا في ثلاث كما في الحديث : " لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس والثيب الزاني والمارق من الدين التارك للجماعة" [4]. فما دون ذلك لا يجوز لأحد أن يقتل مسلماً فقد استفحل الأمر وهانت الدماء على كثير من الناس. فسيأتي كل من قُتِل يوم القيامة يُمسك بالقاتل ويقول لله (ﷻ) سله فيما قتلني [5]. فالتهاون في الدماء يؤدي إلى مفاسد عظيمة فلابد أن يتحرى المرء القول والفعل الذي قد يؤدي إلى إراقة الدماء.
- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) الميزان. فبعد أن يجمع الله (ﷻ) الخلائق وتُخرج الكتب تُوزن الأعمال. واراد المصنف (رحمه الله) عندما قال إن الميزان له كفتان ولسان أنه ميزان حقيقي وليس كما قالت المعتزلة الميزان ليس حقيقي وأن الميزان معنوي فالله (ﷻ) لا يحتاج أن يُوزن أعمال العباد والمقصود بالميزان العدل فقط. وهذا كلام لا يصح لأن النبي (ﷺ) بيَّن أنه ميزان حقيقي له كفتان ولسان [6].
- الميزان لغة هو ما تُقدَّر به الأشياء خفَّة أو ثِقلاً. أما شرعاً فهو ما يضعه الله (ﷻ) يوم القيامة لوزن الأعمال أو الصحائف أو العباد.
- والدليل على الميزان من قوله (ﷻ):﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (8) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾[الأعراف: 8-9] وقوله (ﷻ):﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[الأنبياء: 47]

وقوله (ﷺ) في الميزان: " كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم" [7]. وقوله (ﷺ) في حديث البطاقة المشهور: " إن الله عز وجل يستخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتي الحافظون قال لا يا رب قال أفلك عذر أو حسنة قال فبهت الرجل فيقول لا يا رب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله (ﷺ) فيقول أحضروه فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه

---

1 راجع المحاضرة السادسة رقم (2) صـ 5.

2 أخرجه البخاري ومسلم عن ابن مسعود (رضي الله عنه). (يُقضى) يُحكم ويُفصل. (بالدماء) أي النفوس التي قتلت ظلما في الدنيا.

3 أخرجه ابن ماجه عن البراء بن عازب (رضي الله عنه). قال المنذري: "وإسناده حسن" وقال البوصيري في "الزوائد": "وإسناده صحيح ورجاله موثقون". قال السخاوي في المقاصد الحسنة: " حديث: لهدم الكعبة حجرا حجرا أهون من قتل المسلم لم أقف عليه بهذا اللفظ ولكن في معناه ما عند الطبراني في الصغير عن أنس رفعه: " من آذى مسلما بغير حق فكأنما هدم بيت الله" ونحوه من غير واحد من الصحابة أنه (ﷺ) نظر إلى الكعبة فقال:" لقد شرفك الله وكرمك وعظمك والمؤمن أعظم حرمة منك" وسيأتي في: المؤمن وكذا حديث: " ليس شيء أكرم على الله من المؤمن" وقد أشبعت الكلام عليه فيما كتبته على الترمذي في: باب ما جاء في تعظيم المؤمن قبيل الطب. وفي الباب مما رواه النسائي من حديث بريدة مرفوعا: " قدر المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا" وابن ماجه من حديث البراء مرفوعا: " لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن بغير حق" والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو رفعه مثله لكن قال: "من قتل رجل مسلم". انتهى كلامه (رحمه الله).

4 أخرجه البخاري ومسلم عن ابن مسعود (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (لا يحل دم امرئ) لا يباح قتله (النفس بالنفس) تزهق نفس القاتل عمدا بغير حق بمقابلة النفس التي أزهقها (الثيب الزاني) الثيب من سبق له زواج ذكرا أم أنثى فيباح دمه إذا زنى (المفارق) التارك المبتعد وهو المرتد. وفي رواية (والمارق من الدين) وهو الخارج منه خروجا سريعا (التارك للجماعة) المفارق لجماعة المسلمين.

5 وهذا كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي وأبي داود وابن ماجة عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: " قال رسول الله (ﷺ): " يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دماً فيقول: يا رب سل هذا فيم قتلني؟ حتى يدنيه من العرش". قال الترمذي: " هذا حديث حسن غريب". وقال ابن حجر في " موافقة الخبر الخبر": صحيح. وقال الألباني في " صحيح سنن الترمذي": صحيح.

6 لم يأتي ذكر اللسان في حديث مرفوع ولكن أحاديث الميزان متواترة والقرآن مليء بالآيات عن الميزان. ولكن نقل ابن حجر (رحمه الله) في " فتح الباري" قول أبو إسحاق الزجاج (رحمه الله): " أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان وأنّ أعمال العباد توزن يوم القيامة وأنّ الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال". وقالوا هذا للآثار التي ذكرها الثعلبي وابن جرير في تفسيره وابن أبي الدنيا عن حذيفة (رضي الله عنه) أنه قال: " صاحب الميزان يوم القيامة جبريل (عليه السلام)". وقال الحسن: " هو ميزان له كفتان ولسان وهو بيد جبريل (عليه السلام)" وأخرج أبو الشيخ بن حيان في تفسيره من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال:" الميزان له لسان وكفتان"

7 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

السجلات فيقول إنك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة قال ولا يثقل شيء مع بسم الله الرحمن الرحيم" [1]. فكلمة التوحيد لا يُدانيها عمل وإن وزنت بالمعاصي فالتوحيد يعصم المرء من الخلود في النار ولكن المسلم قد يدخل الجنة بغير حساب أو يُحاسب في النار ثم يدخل الجنة.

- فكل ما سبق من أدلة تدل على أن الميزان ميزان حقيقي وليس كما قالت المعتزلة الميزان ليس حقيقي وأن الميزان معنوي. فهم أدخلوا عقولهم في الغيبيات فلا يصح أن يدخل العقل فيها.
- وبعد ذلك نتكلم عن الذي يُوزن في هذا الميزان فهل يُوزن الأعمال أم الصحائف أم المرء نفسه؟. والصحيح أن كلهم يُوزنوا.
- فأما الدليل على الوزن للصحائف كما جاء في حديث البطاقة [2]. والدليل على أن الأعمال توزن حديثه (ﷺ): " كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم" [3] وقوله (ﷻ):﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[الزلزلة: 7-8]. والدليل على أن العبد يُوزن ما جاء أنه (ﷺ) أمر ابن مسعود فصعد على شجرة أمره أن يأتيه منها بشيء فنظر أصحابه إلى ساق عبد الله بن مسعود حين صعد الشجرة فضحكوا من حموشة ساقيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما تضحكون لرجل؟ عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد" [4] وقوله (ﷻ):﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾[الكهف: 105].
- ونتكلم بعد ذلك عن نشر الدوواوين. النشر لغة هو الفتح وشرعاً هو إظهار صحائف الأعمال يوم القيامة. الديوان في لغة العرب يُطلق على الدفتر الذي يُسجَّل فيه الجند الذين يخرجون للجهاد والقتال حتى يُعطوا من الأموال.
- والدليل على نشر الدوواوين من قوله (ﷻ):﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (13) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[الإسراء: 13-14] وقوله (ﷻ):﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (9) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (10) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (11) وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴾[الإسراء: 7-12].
- فالكتاب إما يأتي في اليمين أو الشمال أو وراء الظهر نسأل الله (ﷻ) أن نكون ممن يستلمه باليمين فهؤلاء هم أهل الفوز والجنان. وأما من يُؤتى كتابه بشماله فهو من أهل النار والعياذ بالله.

---

1 أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم في مستدركه عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما). وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط مسلم ووافقه الذهبي وصححه الألباني في "الصحيحة".

2 راجع رقم (5) في هذه الصفحة.

3 راجع رقم (5) في الصفحة السابقة.

4 أخرجه أحمد عن علي (رضي الله عنه). قال الأستاذ عبد القادر عطا والدكتور محمد عاشور: " أخرجه الهيثمي وعزاه إلى أبي يعلى الطبراني وقال: " رجاله رجال الصحيح غير أم موسى وهي ثقة". وروى الحاكم وذكره البغدادي في " تاريخ بغداد" عن معاوية بن قرة عن أبيه أن ابن مسعود كان يجني لهم نخلة فهبت الريح فكشفت عن ساقيه قال: " فضحكوا من دقة ساقيه" فقال النبي (ﷺ): " أتضحكون من دقة ساقيه؟ والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من جبل أحد ". (الحموشة): الدقة. وفي رواية أخرى أخرجها أحمد عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أنه كان يجتني سواكاً من أراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه فقال رسول الله (ﷺ): " مم تضحكون؟!" قالوا:" يا نبي الله من دقة ساقيه" فقال: " والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد". وهذا حديث صحيح لغيره وهذا إسناد حسن من أجل عاصم وهو ابن أبي النجود وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد - وهو ابن سلمة - فمن رجال مسلم. عبد الصمد: هو ابن عبد الوارث. وأخرجه الطيالسي وابن سعد والبزار وأبو يعلى والشاشي والطبراني في "الكبير" وأبو نعيم في "الحلية" من طرق عن حماد بن سلمة بهذا الإسناد. وأخرجه ابن أبي شيبة من طريق زائدة بن قدامة عن عاصم به. وأخرجه بنحوه الطبراني في "الكبير" من طريق جعفر بن عون عن المعلى بن عرفان عن أبي وائل عن ابن مسعود به مرفوعا. وأخرجه ابن سعد والشاشي من طريق العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي مرسلا. وأخرجه بنحوه الطبراني في "الكبير" من طريق جعفر بن مسافر عن ابن أبي فديك عن موسى بن يعقوب عن ابن أبي حرملة مولى حويطب أن سارة بنت عبد الله بن مسعود عن عبد الله بن مسعود به. وأورده الهيثمي في "المجمع " وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني من طرق ... وأمثل طرقها فيه عاصم بن أبي النجود وهو حسن الحديث على ضعفه وبقية رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح. وله شاهد من حديث قرة بن إياس عند البزار والطبراني في " الكبير" والفسوي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وأورده الهيثمي في "المجمع " وقال: " رواه البزار والطبراني ورجالهما رجال الصحيح". (حموشة) دقة (تكفؤه) تميله.

1.7 الحوض (التوقيت: 23 دقيقة و28 ثانية)

ولنبينا محمد ﷺ حوض في القيامة ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأباريقه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً

- الحوض لغة الجمع الذي يُجمع فيه الماء. وشرعاً هو الماء النازل من الكوثر فنهر الكوثر في أعلى الجنة [1] له ميزبان [2] يصبان في حوض. وكل نبي له حوض [3] لكن حوضه (ﷺ) أوسعهم وأعظمهم [4] وهو مسيرة شهر [5] وعلى هيئة دائرة[6].
- أُختُلِف في الحوض هل هو قبل أم بعد الصراط؟. فبعض أهل العلم ومنهم الغزالي قال قبل الصراط والقرطبي في تفسيره. والبخاري رجَّح أنه بعد الصراط. ولكن الصحيح أنه قبل الصراط لأن من يشرب من الحوض يرتوي بعد ما رآه من أهوال حتى يستطيع أن يعبر على الصراط.
- فهو أبيض من اللبن وريحاه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبداً [7] نسأل الله (ﷻ) ألا يحرمنا من الشرب منه.
- والنبي (ﷺ) يدعو أتباعه ليشربوا من الحوض حتى إنه بعض من الناس يُصدُّون عن الحوض فالملائكة يدفعونه عن الحوض فيقول أصحابي أصحابي فيُقال له إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فيقول سحقاً سحقاً وفي رواية بعداً بعداً [8].فهؤلاء الذين ابتدعوا في دين الله (ﷻ) وليسوا من أهل السنة. فالنبي (ﷺ) يدعو من كان يتبعه في الدين ليشرب من الحوض شربة لا يظمأ بعدها أبداً فمن أهمية الشرب من هذا الحوض أن بعده عبور الصراط.

---

1 لم أقف عليه.

2 وهذا للحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: قلت: " يا رسول الله ما آنية الحوض؟" قال: " والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل".(ألا في الليلة المظلمة) بتخفيف ألا وهي التي للاستفتاح وخص الليلة المظلمة المصحية لأن النجوم ترى فيها أكثر والمراد بالمظلمة التي لا قمر فيها مع أن النجوم طالعة فإن وجود القمر يستر كثيرا من النجوم (آنية الجنة) ضبطه بعضهم برفع آنية وبعضهم بنصبها وهما صحيحان فمن رفع فخبر مبتدأ محذوف أي هي آنية الجنة ومن نصب فبإضمار أعني أو نحوه (يشخب) الخاء مضمومة ومفتوحة والشخب السيلان وأصله ما خرج من تحت يد الحالب عند كل غمزة وعصرة لضرع الشاة (ميزابان) قال في اللسان وزب الشيء يزب وزوبا إذا سال الجوهري الميزاب المثعب فارسي معرب قال وقد عرب بالهمز وربما لم يهمز والجمع مآزيب إذا همزت وميازيب إذا لم تهمز (عمان) هي بلدة بالبلقاء من الشام قال الحازمي قال ابن الأعرابي يجوز أن يكون فعلان من عم يعم فلا ينصرف معرفة وينصرف نكرة قال ويجوز أن يكون فعالا من عمن فينصرف معرفة ونكرة إذا عنى بها البلد هذا كلامه والمعروف في روايات الحديث وغيرها ترك صرفها]

3 وهذا للحديث الذي أخرجه الترمذي عن حديث سمرة بن جندب (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): " إن لكل نبي حوضا ترده أمته وإنهم يتباهون أيهم أكثر وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة". وقال الترمذي: "غريب" والحديث حسنه لغيره الشيخ الألباني في الصحيحة.

4 لم أقف عليه لكن يشهد له حديث سمرة بن جندب (رضي الله عنه) السالف الذكر في رقم (1)

5 وهذا للحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) والرواية للبخاري قال: قال النبي (ﷺ): " حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحاه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبداً". (مسيرة) أي طول حافته تحتاج إلى السير هذه المدة. (كيزانه) جمع كوز والتشبيه بالنجوم من حيث الكثرة والضياء. (يظمأ) يعطش

6 لم أقف عليه.

7 راجع رقم (3) في هذه الصفحة.

8 وهذا للحديث الذي أخرجه البخاري عن سهل بن سعد (رضي الله عنه) ومسلم عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) والرواية للبخاري قال: قال النبي (ﷺ): " إني فرطكم على الحوض من مر على شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم". قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال: " هكذا سمعت من سهل؟" فقلت: " نعم" فقال: " أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها: " فأقول إنهم مني فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول: سحقا سحقا لمن غير بعدي " وقال ابن عباس: سحقا: بعدا يقال: {سحيق} [الحج: 31]: بعيد سحقه وأسحقه أبعده". (فرطكم) الفرط الذي يتقدم الواردين ليصلح لهم حياض المياه ونحو ذلك (يحال..) يمنعون من الورود والشرب. وأما رواية مسلم:" ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رأيتهم ورفعوا إلي اختلجوا دوني فلأقولن: أي رب أصيحابي أصيحابي فليقالن لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك". (اختلجوا دوني) معناه اقتطعوا (أصيحابي) وقع في الروايات مصغرا مكررا وفي بعض النسخ أصحابي أصحابي مكبرا مكررا قال القاضي: " هذا دليل لصحة تأويل من تأول أنهم أهل الردة ولهذا قال فيهم سحقا سحقا لا يقول ذلك في مذنبي الأمة بل يشفع لهم ويهتم لأمرهم قال وقيل هؤلاء صنفان أحدهما عصاة مرتدون عن الاستقامة لا عن الإسلام وهؤلاء مبدلون للأعمال الصالحة بالسيئة والثاني مرتدون إلى الكفر حقيقة ناكصون على أعقابهم واسم التبديل يشمل الصنفين".

1.8 الصراط (التوقيت: 26 دقيقة و50 ثانية)

والصراط حق، يجوزه الأبرار، ويزل عنه الفجار

- الصراط في اللغة هو الطريق وشرعاً هو الجسر الممدود على جهنم ليعبر الناس عليه إلى الجنة. فالذي سيعبر فسيعبر إلى الجنة ومن سيقع سيقع في جهنم. نسأل الله (عز وجل) أن يجعلنا ممن يعبرون الصراط كلمح البصر.
- فعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: " قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟" قال (صلى الله عليه وسلم): " هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا" قلنا: " لا" قال: " فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما" ثم قال: " ينادي مناد: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم" حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر وغبرات من أهل الكتاب ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب فيُقال لليهود: " ما كنتم تعبدون؟" قالوا: " كنا نعبد عزير ابن الله" فيُقال:" كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون؟" قالوا: " نريد أن تسقينا" فيقال: " اشربوا" فيتساقطون في جهنم" ثم يُقال للنصارى: " ما كنتم تعبدون؟" فيقولون: " كنا نعبد المسيح ابن الله" فيُقال: " كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون؟" فيقولون: " نريد أن تسقينا" فيُقال: " اشربوا" فيتساقطون في جهنم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر فيقال لهم: " ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟" فيقولون: " فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم" وإنا سمعنا مناديا ينادي: " ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا" قال: " فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم" فيقولون: " أنت ربنا" فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول: " هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟" فيقولون: " الساق" فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا **ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم " قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟" قال: " مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يُقال لها: السعدان المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مُسلّم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم" حتى يمر آخرهم يُسحب سحبا فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار** وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون: " ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا" فيقول الله تعالى: " اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه" ويحرم الله صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيُخرجون من عرفوا ثم يعودون فيقول: " اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه" فيُخرجون من عرفوا ثم يعودون فيقول: " اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه" فيُخرجون من عرفوا". قال أبو سعيد: " فإن لم تصدقوني فاقرءوا: {إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها} [النساء: 40] " فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار: " بقيت شفاعتي" فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواما قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له: ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة وإلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر وما كان منها إلى الظل كان أبيض فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة: " هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه " [1]. فالناس يمرون على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كلمح البصر ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من

---

[1] أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) والبخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه). (ما يحبسكم) ما يمنعكم من الذهاب ويقعدكم عنه. (الجبار) الله سبحانه وتعالى والجبار العالي العظيم الذي لا يقهره أحد ويقهر كل من عداه (آية) علامة. (مدحضة) من دحضت رجله إذا زلقت ومالت. (مزلة) موضع تزلق فيه الأقدام. (خطاطيف) جمع خطاف وهو حديدة معوجة يختطف بها الشيء. وفي معناها (الكلاليب) فهي جمع كلوب وهو حديدة معطوفة الرأس يعلق عليها اللحم وقيل هي ما يتناول به الحداد الحديد من النار. (حسكة) شوكة صلبة. (مفلطحة) عريضة. (عقيفة) منعطفة معوجة وفي نسخة (عقيفاء). (بنجد) مكان مرتفع. (مخدوش) مخموش ممزوق. (مكدوس) مصروع أو مدفوع مطرود. (بأشد) بأكثر. (مناشدة. .) مطالبة في حق ظهر لكم في الدنيا. (من المؤمن. .) من طلب المؤمنين من الله في الآخرة. (في إخوانهم) في شأن نجاة إخوانهم من النار وفي نسخة (وبقي إخوانهم). (مثقال) وزن. (صورهم) معالم خلقتهم فلا تغيرها النار. (ذرة) مثل للقلة في الوزن وقيل غير ذلك. (امتشحوا) من المحش وهو احتراق الجلد وظهور العظم. (حميل السيل) ما يحمله ويجئ به السيل من طين ونحوه فإنه إذا جاءت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل نبتت في يوم وليلة فشبه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها]. أما رواية مسلم فقد قال أبو هريرة (رضي الله عنه): أن ناسا قالوا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم): " يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟" فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم):" هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟" قالوا: " لا يا رسول الله" قال: " هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟" قالوا: " لا يا رسول الله" قال: " فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول: " أنا ربكم" فيقولون: " نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا" فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون فيقول: " أنا ربكم" فيقولون: " أنت ربنا" فيتبعونه **ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ: " اللهم سلم سلم" وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان؟ " قالوا: " نعم يا رسول الله" قال: " فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم المؤمن بقي بعمله ومنهم المجازى حتى ينجى** حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يقول: لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار يعرفونهم بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود

يمر كالريح المرسلة ومنهم من يمر كالفرس الجواد ومنهم من يمر كركب الإبل ومنهم من يعدو عدواً ومنهم من يمشي مشياً ومنهم من يزحف زحفاً. وكل هذا من درجات الناس حسب أعمالهم في الدنيا يكون عبورهم في الصراط.

- صفة الصراط وردت عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: " بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحدُّ من السيف" [1]. ولكنه يتسع لمن أراد الله (عز وجل) ذلك فيمر كلمح البصر أو البرق أو الريح أو الجواد أو غير ذلك. ولكن من يشعر أنه أدق من الشعرة وأحدُّ من السيف لمن عليه من الله (عز وجل) ما عليه.
- أول من يعبر الصراط هم الأنبياء والرسل ومن الأمم أمة النبي (صلى الله عليه وسلم) كما قال (صلى الله عليه وسلم): "... فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم... الحديث" [2].
- فمن كان يعبد إلها غير الله (عز وجل) يُكوَّر ثم يُلقى في جهنم فيُؤتى بمن يتمثل في هيئة عيسى أوعُزير أو الملائكة أو غيرهم فيُلقى في جهنم [3].و بعض من يسير على الصراط يكون له نور فبعضهم على مد البصر وبعضهم على حسب قد الأصبع فكلٌ حسب عمله [4]. نسأل الله (عز وجل) أن يُنوَّر لنا الطريق كله.

فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون منه كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولا الجنة فيقول: أي رب اصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها فيدعو الله ما شاء الله أن يدعوه ثم يقول الله تبارك وتعالى: " هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره؟" فيقول: " لا أسألك غيره" ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول: " أي رب قدمني إلى باب الجنة" فيقول الله له: " أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك ويلك يا ابن آدم ما أغدرك" فيقول: " أي رب" يدعو الله حتى يقول له: " فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره؟" فيقول: " لا وعزتك" فيعطي ربه ما شاء الله من عهود ومواثيق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول: " أي رب أدخلني الجنة" فيقول الله تبارك وتعالى له: " أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك" فيقول: " أي رب لا أكون أشقى خلقك" فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه فإذا ضحك الله منه قال: " ادخل الجنة" فإذا دخلها قال الله له: " تمنه" فيسأل ربه ويتمنى حتى إن الله ليذكره من كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله تعالى: " ذلك لك ومثله معه " قال عطاء بن يزيد وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئا حتى إذا حدث أبو هريرة أن الله قال لذلك الرجل: " ومثله معه" قال أبو سعيد: " وعشرة أمثاله معه" يا أبا هريرة قال أبو هريرة: ما حفظت إلا قوله: " ذلك لك ومثله معه" قال أبو سعيد: " أشهد أني حفظت من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قوله: " ذلك لك وعشرة أمثاله" قال أبو هريرة: " وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولا الجنة".(هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر وفي الرواية الأخرى هل تضامون) وروى تضارون بتشديد الراء وبتخفيفها والتاء مضمومة فيهما ومعنى المشدد هل تضارون غيركم في حالة الرؤية بزحمة أو مخالفة في الرؤية أو غيرها لخفائه كما تفعلون أول ليلة من الشهر ومعنى المخفف هل يلحقكم في رؤيته ضير وهو الضرر وروى أيضا تضامون بتشديد الميم وتخفيفها فمن شددها فتح التاء ومن خففها ضم التاء ومعنى المشدد هل تتضامون وتتلطفون في التوصل إلى رؤيته ومعنى المخفف هل يلحقكم ضيم وهو المشقة والتعب ومعناه لا يشتبه عليكم وترتابون فيه فيعارض بعضكم بعضا في رؤيته (فإنكم ترونه كذلك) معناه تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك والمشقة والاختلاف (الطواغيت) هو جمع طاغوت قال الليث وأبو عبيدة والكسائي وجماهير أهل اللغة الطاغوت كل ما عبد من دون الله تعالى قال الواحدي الطاغوت يكون واحدا وجمعا ويؤنث ويذكر قال الله تعالى يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به فهذا في الواحد وقال تعالى في الجمع والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وقال في المؤنث والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها قال في المصباح وهو في تقدير فعلوت بفتح العين لكن قدمت اللام موضع العين واللام واو محركة مفتوح ما قبلها فقلبت ألفا فبقي في تقدير فلعوت وهو من الطغيان قاله الزمخشري (ويضرب الصراط بين ظهري جهنم) معناه يمد الصراط عليها (فأكون أنا وأمتي أول من يجيز) معناه يكون أول من يمضي عليه ويقطعه يقال أجزت الوادي وجزته لغتان بمعنى واحد وقال الأصمعي أجزته قطعته وجزته مشيت فيه (وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان) أما الكلاليب فجمع كلوب وهي حديدة معطوفة الرأس يعلق فيها اللحم وترسل فيها التنور قال صاحب المطالع هي خشبة في رأسها عقافة حديد وقد تكون حديدا كلها ويقال لها أيضا كلاب وأما السعدان فهو نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب (بقي بعمله) ذكر القاضي أنه روي على ثلاثة أوجه أحدها المؤمن بقي والثاني والثالث الموبق يعني بعمله قال القاضي هذا أصحها وكذا قال صاحب المطالع هذا الثالث هو الصواب قال وفي يقي على الوجه الأول ضبطان أحدهما بالباء الموحدة والثاني بالياء المثناة قال النووي والموجود في معظم الأصول ببلادنا هو الوجه الأول (قد امتحشوا) معناه احترقوا (فينبتون منه) معناه ينبتون بسببه (كما تنبت الحبة في حميل السيل) الحبة هي بزر البقول والعشب تنبت في البراري وجوانب السيول وجمعها حبب وحميل السيل ما جاء به السيل من طين أو غثاء ومعناه محمول السيل والمراد التشبيه في سرعة النبات وحسنه وطراوته (قشبني ريحها وأحرقني ذكاؤها) قشبني معناه سمني وآذاني وأهلكني كذا قاله الجماهير من أهل اللغة والغريب وقال الداودي معناه غير جلدي وصورتي وأما ذكاؤها فمعناه لهبها واشتعالها وشدة وهجها والأشهر في اللغة ذكاها مقصور وذكر جماعات أن المد والقصر لغتان (هل عسيت) لغتان بفتح السين وكسرها قال في الكشاف عند قوله تعالى (هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا) وخبر عسيتم أن لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم أن لا تقاتلوا يعني هل الأمر كما أتوقعه أنكم لا تقاتلون أراد أن يقول عسيتم أن لا تقاتلوا بمعنى أتوقع جبنكم عن القتال فأدخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون وأراد بالاستفهام التقرير وتثبيت أن المتوقع كائن وأنه صائب في توقعه (انفهقت) معناه انفتحت واتسعت (ليذكره من كذا وكذا) معناه يقول له تمن من الشيء الفلاني ومن الشيء الآخر يسمى له أجناس ما يتمني]

1 أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه).

2 أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

3 راجع رقم (1) في الصفحة السابقة.

4 وهذا للحديث الذي أخرجه مسلم عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: " نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا انظر أي ذلك فوق الناس؟ قال: " فتُدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: " من تنظرون؟" فيقولون: " ننظر ربنا" فيقول: " أنا ربكم" فيقولون: " حتى ننظر إليك" فيتجلى لهم يضحك قال: " فينطلق بهم ويتبعونه **ويُعطى كل إنسان منهم منافقا أو مؤمنا نورا ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله ثم يطفأ نور المنافقين ثم ينجو المؤمنون فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفا لا يحاسبون ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء** ثم كذلك ثم تحل الشفاعة ويشفعون حتى يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة فيجعلون بفناء الجنة ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشيء في السيل ويذهب حراقه ثم يسأل حتى تجعل له الدنيا وعشرة أمثالها معها ".(يوم القيامة عن كذا وكذا انظر أي ذلك فوق الناس) كذا وقع هذا اللفظ في جميع الأصول من صحيح مسلم واتفق المتقدمون والمتأخرون على أنه تصحيف وتغيير واختلاط في اللفظ قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين هذا الذي وقع في كتاب مسلم تخليط من أحد الناسخين أو كيف كان وقال القاضي عياض هذه صورة الحديث في جميع النسخ وفيه تغيير كثير وتصحيف قال وصوابه نجئ يوم

1.9 الشفاعة (التوقيت: 33 دقيقة و55 ثانية)

ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات من أمته من أهل قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨] ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين .

- الشفع لغة هو التثنية واصطلاحاً هي التوسط لدى الغير لجلب منفعة أو دفع مضرة.
- والشفاعة نوعان: شفاعة صحيحة وشفاعة باطلة. الشفاعة الباطلة التي تكون في حق أهل الكفر أو من أهل الكفر كما في قوله (ﷻ):﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[يونس: 18] فهم يشركون بالله (ﷻ) ويظنون أنهم يشفعون بالأله التي تُعبد من دون الله (ﷻ) ويقولون كما بيَّن الله (ﷻ) في قوله (ﷻ):﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾[الزمر: 3]. فهذه شفاعة منفية لا تصح لأن الله (ﷻ) لا يحتاج لهذه الشفاعة فالله (ﷻ) لا يحتاج بينه وبين عباده وسيط فالله (ﷻ) يطلب من عباده أن يدعوه مخلصين له الدين فهو يسمعهم ويُثيبهم ويجزيهم. والله (ﷻ) بيَّن أنها شفاعة باطلة فقال (ﷻ):﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[المدثر: 48] و قال (ﷻ):﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[البقرة: 48] و قال (ﷻ):﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ (100) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[الشعراء: 100-101] فحقيقة شفاعتهم بغير الله (ﷻ) شرك به ولهذا لخم عذاب جهنم.
- أما الشفاعة الصحيحة التي فيها أنواع فهناك شفاعة خاصة بالنبي (ﷺ) وشفاعة لعموم المؤمنين.فالنبي (ﷺ) له ثلاث شفاعات خاصة به ليست لأحد غيره. أولها الشفاعة العظمى وهي شفاعة النبي (ﷺ) يوم الموقف عندما يأتي الناس إلى الرسل كما في الحديث المعروف [1]. وهذه التي أتى فيها قوله (ﷻ):﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[الإسراء: 79] فالمقصود بالمقام المحمود هو الشفاعة العظمى [2]. ولهذا قال النبي (ﷺ):" من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة" [3].

القيامة على كوم هكذا رواه بعض أهل الحديث وفي كتاب ابن أبي خيثمة من طريق كعب بن مالك يحشر الناس يوم القيامة على تل وأمتي على تل وذكر الطبري في التفسير من حديث ابن عمر فيرقى هو يعني محمدا (ﷺ) وأمته على كوم فوق الناس وذكر من حديث كعب بن مالك يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل قال القاضي فهذا كله يبين ما تغير من الحديث وأنه كان أظلم هذا الحرف على الراوي أو امحى فعبر عنه بكذا وكذا وفسره بقوله أي فوق الناس وكتب عليه انظر تنبيها فجمع النقلة الكل ونسقوه على أنه من متن الحديث كما تراه (حراقه) معناه أثر النار والضمير في حراقه يعود على المخرج من النار]. وفي رواية عند البيهقي والحاكم عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: " يجمع الناس يوم القيامة قال: فينادي مناد يا أيها الناس: ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وصوركم أن يولي كل إنسان منكم إلى من كان يتولى في الدنيا؟ قال: ويمثل لمن كان يعبد عزيراً شيطان عزير حتى يمثل لهم الشجرة والعود والحجر ويبقى أهل الإسلام جثوماً فيقال لهم: مالكم لا تنطلقون كما ينطلق الناس؟ فيقولون: إن لنا ربا ما رأيناه بعد قال: فيقال فبم تعرفون ربكم إن رأيتموه؟ قالوا: بيننا وبينه علامة إن رأيناه عرفناه قيل: وما هي؟ قالوا: يكشف عن ساق قال: فيكشف عند ذلك عن ساق قال: فيخر من كان لظهره طبقا ساجدا ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون ثم يؤمرون فيرفعون رؤسهم **فيُعطون نورهم على قدر أعمالهم قال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه حتى يكون آخر ذلك من يعطى نوره على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفئ مرة فإذا أضاء قدمه وإذا طفئ قام فيمر ويمرون على الصراط والصراط كحد السيف دحض مزلة فيقال: انجوا على قدر نوركم فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالطرف ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الرجل ويرمل رملا فيمرون على قدر أعمالهم حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه قال: يجر يدا ويعلق يدا ويجر رجلا ويعلق رجلا وتضرب جوانبه النار قال: فيخلصوا فإذا خلصوا قالوا: الحمد لله لذي نجانا منك بعد الذي أراناك لقد أعطانا الله ما لم يعط أحدا"** وصححه الحاكم على شرط البخاري ومسلم ووافقه الذهبي وفي إسناده اختلاف إلا أن له شاهداً عن سلمان (رضي الله عنه) وقد صححه الشيخ الألباني في الصحيحة.

[1] راجع المحاضرة السادسة رقم (1) صـ 4.

[2] قال ابن كثير (رحمه الله): "قال ابن جرير: قال أكثر أهل التأويل: ذلك هو المقام الذي يقومه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم. ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن صلة بن زفر عن حذيفة قال: يجمع الناس في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا قياما لا تكلم نفس إلا بإذنه ينادى: يا محمد فيقول: "لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك وإليك لا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت". فهذا المقام المحمود الذي ذكره الله (ﷻ)".

[3] أخرجه البخاري عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه). (الدعوة التامة) المراد ألفاظ الأذان يدعى بها إلى عبادة الله تعالى ووصفت بالتمام وهو الكمال لأنها دعوة التوحيد المحكمة التي لا يدخلها نقص بشرك أو نسخ أو تغيير أو تبديل. (الوسيلة) ما يتقرب به إلى غيره. (الفضيلة) المرتبة الزائدة على سائر الخلائق والمراد هنا منزلة

- والشفاعة العظمى يشفع فيها النبي (ﷺ) لأمته ومن كان على التوحيد من أي أمة أخرى مثل المُوحِّدين من أمة عيسى (عليه السلام). وهؤلاء المُوحِّدين من الأمم السابقة من غير أمة النبي (ﷺ) تنطبق عليهم الأحاديث التي تتكلم عن المسلمين من السجود لله (عز وجل) عندما يكشف عن ساقه وغيرها من الأحاديث. فالدين عند الله (عز وجل) هو الإسلام كما في قوله (تعالى):﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾[آل عمران: 19] وما أتى نبي إلا بالإسلام ومثال على ذلك قول إبراهيم (عليه السلام) الذي وضحه القرآن كما في قوله (تعالى):﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾[البقرة: 132]. ولكن الاختلاف بين أمة النبي (ﷺ) وغيرها من الأمم في الملل أي الشرائع والأحكام فشريعة عيسى (عليه السلام) غير شريعة موسى (عليه السلام) غير شريعة النبي (ﷺ) وغير ذلك ولكن أصل العقيدة واحد كما جاء في حديثه (ﷺ):" أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد" [1]. فقد حُرِّم على اليهود والنصارى أشياء وأُحلَّت للمسلمين وحتى هناك أشياء حُرِّمت على اليهود وأُحلَّت للنصارى كما في قول عيسى ابن مريم (عليه السلام) الذي وضحه القرآن في قوله (تعالى):﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾[آل عمران: 50] . فمن مات على عهد موسى (عليه السلام) مثلاً وكان من أتباعه فقد مات مسلماً وتسميته باليهودي من باب أنه هذا كان اسم أتباع سيدنا موسى (عليه السلام) ولكن دينه الإسلام. ويُسمى غير دين الإسلام دين ولكنه ليس دين حق كما في قوله (تعالى):﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[الكافرون: 6] فغير المسلم يدين بغير دين الإسلام وهذا من باب اللغة فقط. ولكن من الأخطاء الشائعة (من الناحية الشرعية) أن يقول أحدهم الأديان الثلاثة فما جاء به النبي (ﷺ) وعيسى (عليه السلام) وموسى (عليه السلام) هو دين واحد وهو الإسلام فلا يُقبل أن يقول أحد الأديان الثلاثة لأن هذا فيه اعتراف وإقرار بذلك وقد قال (ﷺ): " والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار" [2].
- الشفاعة الثانية الخاصة بالنبي (ﷺ) هي شفاعته في استفتاح باب الجنة كما في حديثه (ﷺ):" آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك" [3]. فيسجد عند العرش كما بيَّن (ﷺ) في حديثه: " ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع " [4]. والمحامد هي أسماء الله (عز وجل) وصفاته التي لم يكن يعلمها في الدنيا كما في الحديث: " أو استأثرت به في علم الغيب عندك " [5]. وكذلك حديثه (ﷺ):" أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة" [6].
- الشفاعة الثالثة الخاصة به (ﷺ) هي شفاعته في عمه أبي طالب عندما شفع له أن يُخفَّف عنه العذاب فكان أقل الناس عذاباً كما ورد في الحديث أن رسول الله (ﷺ) ذُكِرَ عنده عمه أبو طالب فقال: " لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه" [7].
- هناك شفاعة عامة للنبي (ﷺ) وللمؤمنين وقد ورد منها صلاة الجنازة على الميت كما في حديثه (ﷺ): " ما من رجل

في الجنة لا تكن إلا لعبد واحد من عباد الله (عز وجل). (وعدته) أي بقوله (تعالى) {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}. (حلت) استحقت. (شفاعتي) أي أن أشفع له بدخول الجنه أو رفع درجاته حسبما يليق به]. وفي رواية مسلم عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما):" إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليَّ فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة". (الوسيلة) قد فسرها صلى الله عليه وسلم بأنها منزلة في الجنة قال أهل اللغة الوسيلة المنزلة عند الملك (أنا هو) خبر كان وقع موقع إياه هذا على تقدير أن يكون أنا تأكيدا للضمير المستتر في أكون ويحتمل أن يكون أنا مبتدأ وهو خبره والجملة خبر أكون (حلت) أي وجبت وقيل نالته

1 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) واللفظ للبخاري. (أولاد العلات): بفتح العين المهملة وتشديد اللام هم الأخوة لأب من أمهات شتى والمعنى: أن أصل إيمانهم واحد وهو التوحيد وشرائعهم مختلفة. (شتى) مختلفة ومتعددة. (دينهم واحد) هو دين التوحيد وهذا يفيد أن النسب الحقيقي هو نسب العقيدة والإيمان وبه يكون التفاضل لا بالآباء

2 أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

3 أخرجه مسلم عن أنس (رضي الله عنه).

4 الصحيح أن هذا في الشفاعة العظمى وليس في شفاعة باب الجنة.

5 راجع المحاضرة الثالثة رقم (4) صـ 2.

6 أخرجه مسلم عن أنس (رضي الله عنه).

7 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه). وزاد البخاري: "حدثنا إبراهيم بن حمزة حدثنا ابن أبي حازم والدراوردي عن يزيد بهذا وقال " تغلي منه أم دماغه". (في ضحضاح..) أي ليس في أسافل جهنم. (أم دماغه) أصل دماغه

مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله فيه" [1]. ولهذا لابد أن نحرص على هذا العدد للميت حتى يكون له شفاعة.

- هناك أيضاً شفاعتهم فيمن دخل النار من أهل الكبائر فيشفع فيهم النبي (ﷺ) والمؤمنون والملائكة كما في حديثه (ﷺ): " يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أما ترى الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول: لست هناك ويذكر لهم خطيئته التي أصابها ولكن ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحا فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناكم ويذكر لهم خطاياه التي أصابها ولكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله التوراة وكلمه تكليما فيأتون موسى فيقول: لست هناكم ويذكر لهم خطيئته التي أصاب ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم ولكن ائتوا محمدا (ﷺ) عبدا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي عليه فإذا رأيت ربي وقعت له ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال لي: ارفع محمد وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأحمد ربي بمحامد علمنيها ثم أشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال: ارفع محمد وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأحمد ربي بمحامد علمنيها ربي ثم أشفع فيُحدُّ لي حدا فأدخلهم الجنة ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال: **ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأحمد ربي بمحامد علمنيها ثم أشفع فيُحدُّ لي حدا فأدخلهم الجنة ثم أرجع فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود قال النبي (ﷺ): يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن من الخير ذرة"** [2].
- وورد عن الشهيد أنه يُشفَّع في سبعين من أقربائه [3].
- وفي حديثه (ﷺ):" فيقول الله (ﷻ): شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما" [4].
- هناك شفاعة أخرى في رفع الدرجات في الجنة كما في حديثه (ﷺ) كما ورد عن أم سلمة (رضي الله عنها) قالت: " دخل رسول الله (ﷺ)على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال: " إن الروح إذا قبض تبعه البصر" فضج ناس من أهله فقال: " لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون" ثم قال: " اللهم اغفر لأبي سلمة **وارفع درجته في المهديين** واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له في قبره ونَوِّر له فيه" [5].

---

1 أخرجه مسلم عن ابن عباس (رضي الله عنهما). وفي رواية أخرى عند مسلم عن أنس وعائشة (رضي الله عنهما) عن النبي (ﷺ): "ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه"

2 أخرجه البخاري ومسلم عن أنس (رضي الله عنه). والدليل على شفاعة المؤمنون والملائكة ما رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) والرواية للبخاري: " ....فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار وإذا رأوا أنهم قد نجوا في إخوانهم يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ويحرم الله صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوا " قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرءوا: {إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها} [النساء: 40] " **فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون** فيقول الجبار: بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواما قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له: ماء الحياة فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة وإلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر وما كان منها إلى الظل كان أبيض فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه ". (بأشد) بأكثر. (مناشدة. .) مطالبة في حق ظهر لكم في الدنيا. (من المؤمن. .) من طلب المؤمنين من الله في الآخرة. (في إخوانهم) في شأن نجاة إخوانهم من النار وفي نسخة (وبقي إخوانهم). (مثقال) وزن. (صورهم) معالم خلقتهم فلا تغيرها النار. (ذرة) مثل للقلة في الوزن وقيل غير ذلك. (امتشحوا) من المحش وهو احتراق الجلد وظهور العظم. (حميل السيل) ما يحمله ويجئ به السيل من طين ونحوه فإنه إذا جاءت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل نبتت في يوم وليلة فشبه بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها]

3 راجع المحاضرة الثانية عشر رقم (3) صـ 10.

4 راجع رقم (3) في هذه الصفحة. وهذه جزء من رواية مسلم عن أنس (رضي الله عنه).

5 أخرجه البخاري عن أم سلمة (رضي الله عنها).(وقد شق بصره) بفتح الشين ورفع بصره هكذا ضبطناه وهو المشهور وضبطه بعضهم بصره بالنصب وهو صحيح أيضا والشين مفتوحة بلا خلاف قال القاضيي قال صاحب الأفعال يقال شق بصر الميت وشق الميت بصره ومعناه شخص كما في الرواية الأخرى وقال ابن السكيت في الإصلاح والجوهري حكاية عن ابن السكيت يقال شق بصر الميت ولا تقل شق الميت بصره هو الذي حضره الموت وصار ينظر إلى الشيء لا يرتد إليه طرفه (إن الروح إذا قبض تبعه البصر) معناه إذا خرج الروح من الجسد يتبعه البصر ناظرا أين يذهب وفي الروح لغتان التذكير والتأنيث وهذا الحديث دليل للتذكير وفيه دليل أن الروح أجسام لطيفة متخللة في البدن وتذهب الحياة من الجسد بذهابها (في المهديين) أي الذين هداهم الله (ﷻ) للإسلام من قبله (واخلفه في عقبه في الغابرين) أي كن خليفة له في ذريته والعقب مؤخر الرجل واستعير للولد وولد الولد وقولهم لاعقب له أي لم يبق له ولد ذكر والغابرين أي الباقين كقوله تعالى إلا امرأته كانت من الغابرين]

- وقال أبو هريرة (رضي الله عنه): "قيل يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟" قال رسول الله (ﷺ): " لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه" [1].
- والطفل الذي يموت صغيراً يشفع لوالديه كما في حديثه (ﷺ) لنسوة من الأنصار " لا يموت لإحداكن ثلاثة من الولد فتحتسبه إلا دخلت الجنة" فقالت امرأة منهن: " أو اثنين يا رسول الله؟" قال: " أو اثنين" [2].

1.10 الجنة والنار (التوقيت: 46 دقيقة و29 ثانية)

والجنة والنار مخلوقتان ولا تفنيان فالجنة مأوى أوليائه والنار عقاب لأعدائه وأهل الجنة فيها مخلدون والمجرمون: ﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف] ويؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال: «يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت» .

- قال المصنف (رحمه الله) إن الجنة والنار مخلوقتان فهي مخلوقة الآن فبعضهم قال إن الجنة والنار لم يُخلقا إلى الآن ولكن جاء في الكتاب والسنة أنهما مخلوقتان الآن ولا تفنيان وهذا جزء من إيماننا باليوم الآخر فالله (عز وجل) في الجنة :﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[آل عمران: 133] وقال في النار: :﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾[البقرة: 24]. وأعدت فعل ماضي يدل على أنهما مخلوقتان بالفعل. وكما في حديثه (ﷺ): " من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها" قالوا: " يا رسول الله أفلا ننبئ الناس بذلك؟" قال: " إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض **فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجُر أنهار الجنة**" [3]. وحديثه (ﷺ): " واشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فهو أشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير" [4].
- والدليل على أن الجنة والنار لا يفنيان قوله (تعالى):﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾[النساء: 57] وقوله (تعالى):﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ

---

1 أخرجه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه). (أسعد) أفعل من السعادة وهي خلاف الشقاوة أو من السعد وهو اليمن والخير. (بشفاعتك) مشتقة من الشفع وهو ضم الشيء إلى مثله وأكثر ما تستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى وشفاعته (ﷺ) توسله إلى الله تعالى أن يرحم العباد في مواقف عدة من مواقف يوم القيامة. (ظننت) علمت. (خالصا) مخلصا والإخلاص في الإيمان ترك الشرك وفي الطاعة ترك الرياء]

2 أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه). وهناك روايات متعدده للحديث منها الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ): " لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم". (تحلة القسم) قال العلماء تحلة القسم ما ينحل به القسم وهو اليمين قال ابن قتيبة معناه تقليل مدة ورودها قال وتحلة القسم تستعمل في هذا في كلام العرب. وفي الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي حسان قال: قلت لأبي هريرة: " إنه قد مات لي ابنان فما أنت محدثي عن رسول الله (ﷺ) بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا؟" قال: قال: " نعم": " صغارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه - أو قال أبويه - فيأخذ بثوبه - أو قال بيده - كما آخذ أنا بصنفة ثوبك هذا فلا يتناهى - أو قال فلا ينتهي - حتى يدخله الله وأباه الجنة". (دعاميص) واحد دعموص أي صغار أهلها وأصل الدعموص دويبة تكون في الماء لا تفارقه أي أن هذا الصغير في الجنة لا يفارقها (بصنفة) هو طرفه ويقال لها أيضا صنيفة (يتناهى ينتهي) أي لا يتركه.

3 أخرجه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

4 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

﴿وَأَعْتَدَ لَهُمْ سَعِيرًا (64) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[الأحزاب: 64-65]. وكذلك حديثه (ﷺ) في ذبح الموت الذي ذكره المصنف (رحمه الله) في استدلاله على عدم فناء الجنة والنار: " يُؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي: يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول: وهل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد [ص:94] رآه فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ: {وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة} [مريم: 39] وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا {وهم لا يؤمنون} [مريم: 39]" [1].

وأهل السنة يُخالفون الخوارج في أن أهل الكبائر تمسهم النار إن شاء الله (عز وجل) ثم يدخلون الجنة. فالخوارج كما أشرنا سابقاً يُكفِّرون أهل المعاصي والكبائر وهذا أيضاً عقيدة المعتزلة.

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (يُؤتى الموت) أي يُجسدً ويُؤتى به. (كهيئة) كخلقة. (كبش) ذكر الغنم. (أملح) أبيض يشوبه سواد. (فيشرئبون) يمدون أعناقهم لينظروا. (خلود) استمرار وعدم فناء. (الحسرة) الندم على التقصير. (قضي الأمر) فرغ من الحساب. (في غفلة) في الدنيا حيث كانوا يستطيعون أن يعملوا للآخرة. (لا يؤمنون) بالله تعالى وما بينه في شرائعه مما يكون في الآخرة

الشريط الرابع والخامس عشر

حقوق النبي (ﷺ) وأصحابه وزوجاته ومسألة التكفير

محتويات الشريط الرابع والخامس عشر

1- حقوق النبي (ﷺ) (14- التوقيت: 1 دقيقة و05 ثانية) 1
2- الخلفاء الأربعة (ﷺ) (14- التوقيت: 24 دقيقة و46 ثانية) 11
3- العشرة المبشرون بالجنة (ﷺ) (14- التوقيت: 56 دقيقة و44 ثانية) 24
4- الشهادة بالجنة أو النار (14- التوقيت: 57 دقيقة و44 ثانية) 24
5- مسألة التكفير (14- التوقيت: 59 دقيقة و42 ثانية & 15 من بدايته) 26
6- حقوق الصحابة (ﷺ) (15- التوقيت: 50 دقيقة و17 ثانية) 34
7- زوجات النبي (ﷺ) (15- التوقيت: 1 ساعة و2 دقيقة و10 ثانية) 36
8- معاوية (ﷺ) (15- التوقيت: 1 ساعة و12 دقيقة و55 ثانية) 40

1- حقوق النبي (ﷺ) (14- التوقيت: 1 دقيقة و05 ثانية)

ومحمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين وسيد المرسلين
لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته
ويشهد بنبوته ولا يُقضى بين الناس في يوم القيامة إلا بشفاعته
ولا يدخل الجنة أمة إلا بعد دخول أمته صاحب لواء
الحمد والمقام المحمود والحوض المورود وهو إمام النبيين
وخطيبهم وصاحب شفاعتهم أمته خير الأمم
وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام

- بدأ المصنف (رحمه الله) في هذا الفصل الكلام عن النبي (ﷺ) وحقوقه تجاه أمته وبدأ في بيان بعض خصائص النبي (ﷺ) وصفاته. ولأن الكتاب صغير فقد أهتم بأهم الأشياء التي يُحتاج إليها فقط ولكن نُعرِّج على صفات أخرى له (ﷺ).
- أولاً نسبه: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مُرَّة بن كعب بن لؤي إلى آخر نسبه الذي يصل به إلى إسماعيل (عليه السلام) ومنه إلى إبراهيم (عليه السلام). أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بنت زهرة. وهذا النسب السالف الذكر لا خلاف عليه.
- وُلِدَ في عام الفيل بمكة وقد ورد ذلك في التوراة والإنجيل وكذلك وصفه (ﷺ) [1]. وقد أقام بمكة ثلاث عشرة سنة ثم هاجر

---

[1] أورد الشيخ محمد رشيد رضا (رحمه الله) في (تفسير المنار) فصلاً طويلاً أورد فيه ثماني عشرة بشارة مستمدة من أسفار العهد القديم والجديد وناقش الشبهات التي يوردها المبشرون وأورد من الحجج والأقوال ما فيه المقنع لراغبي الحق والحقيقة في صواب استنتاجاته وقوة حججه وفي عدم قيام شبهات المشتبهين علي أسس قوية". **البشارة الأولى: "النبي من إخوتك"** "يقيم لك الله إلهك نبياً من وسطك من أخوتك مثلي له تسمعون ... أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك" (سفر التثنية 18: 15 و18) "من إخوتك" يعني لأن ولد اسماعيل هم إخوة بني إسرائيل.
البشارة الثانية: "هم أغاروني بما ليس إلهاً! أغاظوني بأباطيلهم! فأنا أغيرهم بما ليس شعباً بأمة غبية أغيظهم" (التثنية 32: 21) المقصود "بالأمة الغبية": العرب فهي كانت أمة وثنية فمن الغباء عبادة الوثن.
البشارة الثالثة: "جاء الله من سيناء وأشرق لهم! من سعير! وتلألأ من جبل فاران! وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم" (التثنية 23: 2) فمجيئه من سيناء إعطاؤه التوراة لموسى وإشراقه من سعير إعطاؤه الإنجيل لعيسى وتلألؤه من فاران إنزاله القرآن لأن فاران من جبال مكة" ومنه أتت "نار شريعة لهم"
البشارة الرابعة:" وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه: ها أنا أباركه وأثمره وأكثره جداً جداً فيلد اثني عشر ولداً. وأجعله أمة كبيرة" (التكوين 17: 2) فهذه النبوة تجعل من ولد اسماعيل من سيكون سيد شعب كبير وهذا لم يتحقق في ولد اسماعيل إلا بمحمد (ﷺ).
البشارة الخامسة: "لا يزول قضيب (صولجان) من يهوذا ولا مشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله تخضع شعوب" (التكوين 49: 10) "شيلون" هو لقب لمحمد الذي أتي وخضعت له شعوب.
البشارة السادسة: "فاض قلبي بكلام صالح! إني أنشد للملك: أنت أروع جمالاً من بني البشر! ... تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار! ... كرسيك يا الله إلى دهر الدهور! قضيب استقامة قضيب ملكك!" (المزمور 45) قالوا: إن النبي الجبار نبي السيف والبيان هو محمد فهو المقصود بهذه البشارة التي لا تنطبق على غيره.
البشارة السابعة: "غنوا للرب ترنيمة جديدة ... تعظيم الله في أفواههم وسيوف ذات حدين في أيديهم لإجراء الإنتقام من الأمم والتأديب للشعوب" (المزمور 149) وهذه البشارة نبؤة عن أمة محمد إنها أمة الحمد والسيف معاً.
البشارة الثامنة: "هوذا الأوليات قد أتت والحديثات أنا مخبر بها ... غنوا للرب أغنية جديدة ... لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار" (أشعياء 42: 9و 11) إنها نبؤة على يقظة الصحراء التي سكنها قيدار الإبن التالي لإسماعيل إلى طريقة جديدة لحمد لله فهي تشير إلي محمد والإسلام في الحجاز
البشارة التاسعة: "ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد! اندفعي بالترنيم واصرخي أيتها التي لم تتمخض فإن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل قول الرب" (أشعياء 54 كله) المراد بالعاقر هنا مكة لأنه لم يقم فيها نبي بعد إسماعيل ولم ينزل فيها وحي وتعبير "بني المستوحشة" إشارة إلي أولاد هاجر أم إسماعيل ومطلقة إبراهيم و"الحداد" المذكور فيها (54: 16) إشارة إلي محمد قاتل المشركين بسيفه.
البشارة العاشرة: "إني اعتللت لمن لم يسألوا عني ووجدت ممن يطلبوني.. وأنتم الذين تركوا الله ونسوا جبلي المقدس الذين يهيئون المائدة لجد ويعدون الممزوج لمناة إني أعينكم للسيف! وتجثون جميعكم للذبح! ... ها أني أخلق أورشليم "ابتهاجاً" وشعبها "سروراً" (أشعياء 65 كله) وهذه نبؤة لاستبدال اليهود بالمسلمين شعباً لله: "ويدعو عبيده باسم آخر" (65: 25) كما يدل عليه ذكر "مناة" ألهة العرب (65: 11)
البشارة الحادية عشر: نبؤة دانيال المزدوجة: صورة التمثال (كناية عن الشرك) الذي يمثل أربعة ممالك وفي زمن المملكة الرابعة ينقطع حجر من جبل "بغير يد قطعته" فيسحق التمثال والممالك الوثنية التي تحمله (2 : 31 - 45) وصورة ابن البشر الآتي على سحاب السماء لينشئ على الأرض ملكوت الله على أنقاض ممالك العالم (7 : 13 - 37) والحجر الذي ضرب تمثال الشرك هو محمد وملكوت الله هو الدولة الإسلامية التي قامت علي أنقاض الفرس والروم

إلى المدينة فأقام فيها عشر سنوات ثم تُوفِّي.

- أما صفاته الخِلقيَّة فقد ورد في الصحيحين إنه ليس بالطويل البائن ولا القصير أزهر اللون ليس أبيض أمهق ولا آدم وشعره ليس بجعد ولا سبط [1].
- بدأ معه نزول الوحي عندما كان يذهب يتحنث في غار حراء وكان يرى الرؤيا الصالحة فتتحقق كفلق الصبح ثم حُبِّب إليه الخلاء فذهب غار حراء ليتحنث أي يتعبد ثم جاءه في يوم من الأيام جبريل (عليه السلام) ونزل عليه وقال له إقرأ فقال ما أنا بقارئ ثلاث مرات ثم قرأ عليه قوله (ﷻ):﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[العلق: 1].
- ثم رجع إلى خديجة (رضي الله عنها) وقال زملوني زملوني فزمّلوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة (رضي الله عنها) وأخبرها بالخبر وقال لقد خشيت على نفسي فردت عليه قائله والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرأ الضيف وتعين على نوائب الحق.
- ثم أخذته لابن أخيها ورقة بن نوفل وكان على النصرانية وكان عنده ما تبقى من كتب الإنجيل وقالت له إسمع من ابن عمك فقص عليه (ﷺ) ما حدث فقال له إن هذا الذي جئت به هو ما جاء به من كان قبلك من الرسل وقال له لو كنت جذعاً لنصرتك عندما يخرجك قومك فقال له (ﷺ) وهل سيخرجني قومي فقال له نعم ما أتى رجل بمثل ما أتيت به إلا أخرجه قومه وإن ما جئت به هو الناموس الذي أنزل على موسى. وهذه كانت بشارة منه ببداية الوحي وكأنه كان يعلم لأنه كان يقرأ في كتب السابقين [2].

البشارة الثانية عشر: "هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه ليقيم دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجارهم على فجورهم" (رسالة يهوذا العدد 14 15) فالرب هنا بمعني السيد وهو محمد وربوات قديسيه الصحابة

البشارة الثالثة عشر: "وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهودية قائلاً: توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات" (متى 2: 1 - 2) ويسوع نفسه يجدد الدعوة عينها (متى 4: 17) فالمسيح لم يؤسس دولة وهو مع المعمدان سابقه يبشران بدولة الله في أرضه فملكوت السماوات (أي الله) هو الإسلام دولة وشريعة.

البشارة الرابعة عشر: "يشبه ملكوت السماوات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله ... فصارت شجرة تؤمها طيور السماء وتعشش في أغصانها" (متى 13: 31 - 32) فحبة الخردل التي تصير شجرة صورة لملكوت الله هي كناية عن الإسلام والنجاة فيه بشريعته

البشارة الخامسة عشر: "هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخرين" (متى 20: 1 – 16) فهذا المبدأ نبوة عن الإسلام دين الله في أرضه فهو يبشر بأن المسلمين آخر من ظهر من أهل الكتب المنزلة سيكونون أولين والأولين من اليهود والنصاري سيكونون آخرين.

البشارة السادسة عشر: قال المسيح لليهود: "أما قرأتم قط في الكتب: إن الحجر الذي زذله البناؤون صار رأساً للزاوية من قبل الرب كان ذلك وهو عجيب في أعيننا! من أجل هذا أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تؤدي ثماره" (متى 21: 42 - 43) فملكوت الله الذي ينزع من أهل الكتاب ويعطي لأمة أخري تؤدي ثماره هو الإسلام وأن الحجر رأس الزاوية فيه هو محمد.

البشارة السابعة عشر: "من يغلب ويحفظ أعمالي إلى النهاية فسأعطيه سلطاناً على الأمم" (الرؤيا 2: 26 – 29) فالغالب الموعود الذي وحده أعطي سلطاناً علي الأمم هو محمد.

البشارة الثامنة عشرة: النبوّة بالفارقليط في يوحنا (14: 16 14: 26 15: 26 16: 7 - 8 12 – 14) فالفارقليط الموعود هو "أحمد" المذكور في القرآن في سورة (الصف: 6)

[1] وهذا للحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم والرواية لمسلم عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أنه سمعه يقول: " كان رسول الله (ﷺ) ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ولا بالأبيض الأمهق وليس بالآدم وليس بالجعد القطط ولا بالسبط بعثه الله على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين وتوفاه الله على رأس ستين سنة وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء". (ليس بالطويل البائن) أي المفرط الطول أي هو بين زائد الطول والقصير (وليس بالأبيض الأمهق) هو الكريه البياض كلون الجص يريد أنه كان نير البياض (ولا بالآدم) الأدمة في الناس السمرة الشديدة (القطط) الشديد الجعودة

[2] وهذا للحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم والرواية لمسلم عن ابن شهاب قال: " حدثني عروة بن الزبير أن عائشة زوج النبي (ﷺ) أخبرته أنها قالت: " كان أول ما بدئ به رسول الله (ﷺ) من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي أولات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجئه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: " اقرأ" قال: " ما أنا بقارئ" قال: " فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني" فقال: " اقرأ" قال: " قلت: " ما أنا بقارئ" قال: " فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: " أقرأ" فقلت: " ما أنا بقارئ " فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: " {اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم} [العلق:1-5]". فرجع بها رسول الله (ﷺ) ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: " زملوني زملوني" فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة: " أي خديجة ما لي؟" وأخبرها الخبر قال: " لقد خشيت على نفسي" قالت له خديجة: " كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا والله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق". فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة أخي أبيها وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة: " أي عم اسمع من ابن أخيك" قال ورقة بن نوفل: " يا ابن أخي ماذا ترى؟" فأخبره رسول الله (ﷺ) خبر ما رآه فقال له ورقة: " هذا الناموس الذي أنزل على موسى (ﷺ) يا ليتني فيها جذعا يا ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك" قال رسول الله (ﷺ): " أو مخرجي هم؟" قال ورقة: " نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عُودِي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ". (فلق الصبح) قال أهل اللغة فلق الصبح وفرق الصبح هو ضياؤه وإنما يقال هذا في الشيء الواضح البين (ثم حبب إليه الخلاء) الخلاء هو الخلوة قال أبو سليمان الخطابي (رحمه الله):" حُبِّبَت العزلة إليه (ﷺ) لأن معها فراغ القلب وهي معينة على التفكير وبها يتقطع عن مألوفات البشر ويتخشع قلبه" (فكان يخلو بغار حراء) أما الغار فهو الكهف والنقب في الجبل وجمعه غيران وأما حراء فهو جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال عن يسار الذاهب من مكة إلى منى وهو مصروف ومذكر هذا هو الصحيح وقال القاضي: " فيه لغتان التذكير والتأنيث والتذكير أكثر فمن ذكره صرفه ومن أنثه لم يصرفه أراد البقعة أو الجهة التي فيها الجبل" (يتحنث) التحنث فسره بالتعبد وهو تفسير صحيح وأصل الحنث الإثم فمعنى يتحنث يتجنب الحنث فكأنه بعبادته يمنع نفسه من الحنث ومثل يتحنث يتحرج ويتأثم أي يجتنب الحرج والإثم (الليالي أولات العدد) فمتعلق يتحنث لا بالتعبد ومعناه يتحنث الليالي ولو جعل متعلقا بالتعبد فسد المعنى فإن التحنث لا يشترط فيه الليالي بل يطلق على القليل والكثير وهذا التفسير اعترض بين كلام عائشة

- بشارة قدوم النبي (ﷺ) جاءت في التوراة والإنجيل والقرآن كما في قوله (ﷻ):﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾[آل عمرن: 81]. ووجه الشاهد أن الله (ﷻ) أخذ الميثاق على النبيين أنه عندما يأتي (ﷺ) أنهم سيتبعوه.
- وجاء في حديث العرباض بن سارية (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ): "إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمُنجدِّل في طينته وسأنبئكم بأول أمري أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي رأت حين ولدتني أنه خرج منها نور أضاء له قصور الشام" [1]. وهذا لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ أنه سيكون خاتم النبيين قبل خلق آدم (عليه السلام). والمقصود من دعوة إبراهيم (عليه السلام) المذكورة في الحديث التي ذكرها الله (ﷻ) في قوله (ﷻ):﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[البقرة: 129] وبشارة عيسى (عليه السلام) المذكورة في قوله (ﷻ):﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾[الصف: 6].
- وكذلك بشَّر به موسى (عليه السلام) في البشرى التي ذكرها الله (ﷻ) في قوله (ﷻ):﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (155) وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[الأعراف: 155-157].
- وقد جاء أكثر من أثر في السنة أن اليهود كان يعلمون بقدومه (ﷺ) كما في خبر بن الهيبان التي رواها بن إسحاق قال: " حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال: " هل تدري عما كان إسلام أسيد وثعلبة ابني سعية وأسد بن عبيد نفر من هذيل لم يكونوا من بني قريظة ولا النضير كانوا فوق ذلك؟" قلت: " لا" قال: " فإنه قَدِمَ علينا رجل من الشام من يهود يقال له ابن الهيبان فأقام عندنا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس خيرا منه فقدم علينا قبل مبعث النبي (ﷺ)

(رضي الله عنه) وأما كلامها فيتحنث فيه الليالي أولات العدد (حتى فجئه الحق) أي جاءه الوحي بغتة فإنه (ﷺ) لم يكن متوقعا للوحي يقال فجئه وفجأة لغتان مشهورتان حكاهما الجوهري وغيره (ما أنا بقارئ) معناه لا أحسن القراءة فما نافية هذا الصواب (فغطني حتى بلغ مني الجهد) أما غطني فمعناه عصرني وضمني يقال غطه وغته وضغطه وعصره وخنقه وغمزه كله بمعنى واحد وأما الجهد فيجوز فتح الجيم وضمها لغتان وهو الغاية والمشقة ويجوز نصب الدال ورفعها فعلى النصب بلغ جبريل مني الجهد وعلى الرفع بلغ الجهد مني مبلغه وغايته (أرسلني) أي أطلقني (اقرأ باسم ربك الذي خلق) هذا دليل صريح في أن أول ما نزل من القرآن اقرأ وهذا هو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف (ترجف بوادره) معنى ترجف ترعد وتضطرب وأصله شدة الحركة والبوادر جمع بادرة وهي اللحمة التي بين المنكب والعنق تضطرب عند فزع الإنسان (زملوني) أي غطوني بالثياب ولفوني بها (الروع) هو الفزع (كلا) هي هنا كلمة نفي وإبعاد وهذا أحد معانيها وقد تأتي كلا بمعنى حقا وبمعنى الآن التي للتنبيه يستفتح بها الكلام وقد جاءت في القرآن العزيز على أقسام (لا يخزيك) الخزي هو الفضيحة والهوان (لتصل الرحم) صلة الرحم هي الإحسان إلى الأقارب على حسب حال الواصل والموصول فتارة تكون بالمال وتارة تكون بالخدمة وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك (وتحمل الكل) الكل أصله الثقل ومنه قوله (ﷻ): { وهو كل على مولاه } ويدخل في حمل الكل الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك وهو من الكلال وهو الإعياء (وتكسب المعدوم) قال أبو العباس ثعلب وأبو سليمان الخطابي وجماعات من أهل اللغة: " يُقال كسبت الرجل مالا وأكسبته مالا لغتان أفصحهما باتفاقهم كسبته بحذف الألف" وأما معنى تكسب المعدوم فمن رواه بالضم فمعناه تكسب غيرك المال المعدوم أي تعطيه إياه تبرعا فحذف أحد المفعولين وقيل معناه تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق وأما رواية الفتح فقيل معناها كمعنى الضم (وتقري الضيف) قال أهل اللغة يقال قريت الضيف أقريه قرى وقراء ويقال للطعام الذي يضيفه به قري ويقال لفاعله قار مثل قضى فهو قاض (وتعين على نوائب الحق) النوائب جمع نائبة وهي الحادثة وإنما قالت نوائب الحق لأن النائبة قد تكون في الخير وقد تكون في الشر قال لبيد

نوائب من خير وشر كلاهما فلا الخير ممدود ولا الشر لازب

قال العلماء (رضي الله عنها): " معنى كلام خديجة (رضي الله عنها) إنك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم الشمائل" (تنصر في الجاهلية) معناه صار نصرانيا والجاهلية ما قبل رسالته (ﷺ) سموا بذلك لما كانوا عليه من فاحش الجهالة (هذا ناموس) هو جبريل (عليه السلام). قال أهل اللغة وغريب الحديث الناموس في اللغة : " صاحب سر الخير والجاسوس صاحب سر الشر يقال نمست السر أنمسه أي كتمته" (يا ليتني فيها جذعا) الضمير يعود إلى أيام النبوة ومدتها وجذعا يعني شابا قويا حتى أبالغ في نصرك والأصل في الجذع للدواب وهو هنا استعارة ونصب على الحال كما قاله القاضي وخبر ليت قوله فيها هذا هو الصحيح الذي اختاره أهل التحقيق والمعرفة وغيرهم ممن يعتمد عليه (أومخرجي هم) هو مثل قوله تعالى بمصرخي وهو جمع مخرج فالياء الأولى ياء الجمع والثانية ضمير المتكلم وفتحت للتخفيف لئلا يجتمع الكسرة والياءان بعد كسرتين (نصرا مؤزرا) أي قويا بالغا]

[1] أخرجه أحمد والبزار وابن حبان والطبراني والحاكم والبغوي في " شرح السنة"عن العرباض بن سارية (رضي الله عنه). قال البزار: لا نعلمه يروى بإسناد متصل أحسن من هذا الإسناد. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في " مجمع الزوائد": أحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان. وصححه الألباني في شرح السنة -مشكاة المصابيح-. (إن آدم لمُنجدَّل): مطروح على الأرض "في طينته" أي لم يُخلق بعد.

بسنين وكنا إذا قحطنا أو فل علينا المطر نقول يا ابن الهيبان أخرج فاستق لنا" فيقول: " لا والله حتى تقدموا أمام مخرجكم صدقة" فنقول: " كم؟" فيقول: " صاع من تمر أو مدين من شعير" فنخرجه ثم يخرج إلى ظاهر حرتنا ونحن معه فيستقي فوالله ما نقوم من مجلسه حتى تمر السحاب وقد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثة فحضرته الوفاة فاجتمعنا إليه فقال: " يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع" قالوا: " أنت أعلم" قال: " فإنه إنما أخرجني أتوقع خروج نبي قد أظل زمانه هذه البلاد مهاجره فاتبعوه ولا تُسبقُن إليه إذا خرج يا معشر يهود فإنه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء فمن يخالفه فلا يمنعكم ذلك منه" ثم مات فلما كان الليلة التي فُتِحَت فيها قريظة قال أولئك الثلاثة الفتية وكانوا شبانا أحداثا: " يا معشر يهود والله إنه الذي ذكر لكم ابن الهيبان" فقالوا: " ما هو به" قالوا: " بلى والله إنه بصفته" ثم نزلوا فأسلموا وخلوا أموالهم وأولادهم وأهاليهم فلما فُتِحَ الحصن رُدَّ ذلك عليهم" [1].

- وكذلك شهادة الغلام اليهودي الذي كان يخدم النبي (ﷺ) فعن أنس (رضي الله عنه) قال: " كان غلام يهودي يخدم النبي (ﷺ) فمرض فأتاه النبي (ﷺ) يعوده فقعد عند رأسه فقال له: " أسلم" فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: " أطع أبا القاسم (ﷺ)" فأسلم فخرج النبي (ﷺ) وهو يقول: " الحمد لله الذي أنقذه من النار" [2].
- وكذلك بُحيرا الراهب الذي كان عند بلاد الشام وكان النبي (ﷺ) خارجاً مع عمه أبي طالب في سفر إلى الشام للتجارة وفي هذه المرة خرج هذا الراهب من صومعته فاستغرب القوم لأنهم في كل مرة يمرون على الشام لا يخرج هذا الراهب فسألوه لماذا خرجت إلينا فقال إن معكم غلام له شأن لأنكم عندما قدمتم إلى الشام ظهرت العلامات فالسحب في السماء بدأت تظلهم حتى أنه (ﷺ) عندما كان يجلس كانت السحابة تظل رأسه وعندما ذهبوا إلى الشام فالشجرة التي كان تحتها (ﷺ) مال الغصن ليُظلّه (ﷺ) وقال إن عنده (ﷺ) خاتم النبوة [3].

---

1 رواه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام وذكره ابن كثير في البداية والنهاية. وأخرجه البيهقي وقال: " إسناده غير قوي". وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوية.

2 أخرجه البخاري عن أنس (رضي الله عنه). والرواية التي ذكرها الشيخ هي التي أخرجها الواحدي في تفسيره ولم أقف على صحته قال: " أخبرنا أبو عبد الله بن أبي إسحاق نا مأمون بن أحمد بن مأمون نا علي بن سعيد العسكري حدثني محمد بن الضوء عن أبيه الصلصال بن الدلهمس قال: كنا عند النبي (ﷺ) فقال لنا: " إن عبادة بن الصامت عليل امضوا بنا لنعوده" فوثب رسول الله (ﷺ) وأَمَّنَا واتبعناه فاجتاز في طريقه برجل من اليهود يمرض ابنا له فمال إليه فقال: " يا يهودي هل تجدونني عندكم مكتوبا في التوراة؟" فأومأ إليه اليهودي برأسه يعلمه أنهم لا يجدونه عندهم في التوراة مكتوبا فقال له ابن اليهودي: " والله يا رسول الله إنهم يجدونك عندهم في التوراة مكتوبا ولقد طَلَعْتُ وإن في يده لسفرا من التوراة يقرأ فيه صفتك وصفة أصحابك وذكرك فلما رآك ستره عنك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله" فكانت آخر ما تكلم به الغلام حتى قضى نحبه فقال رسول الله (ﷺ): " أقيموا على أخيكم حتى تقضوا حقه" قال: " فَحُلْنَا بين اليهودي وبينه وتولينا أمره حتى وارياه وانصرفنا"

3 قال ابن كثير (رحمه الله) في البداية والنهاية وجاء في هامش في دلائل النبوة لأبي نعيم (رحمه الله):" بُحيرا الراهب من أحبار اليهود وقيل: كان نصرانيا وإن اسمه جرجيس وقيل: نسطورا وقيل: كان على مذهب نسطورا واسمه جرجيس بن اسكندر كان ينكر إلهية المسيح اتخذ صومعة بعد طرده من ديره- بقرب الطريق الموصل إلى الشام- تمر عليه العرب فينذرهم بعبادة الله وينهاهم عن عبادة الأصنام". قال الحافظ ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة في ترجمة بحيرا الراهب: " وردت القصة بإسناد رجاله ثقات من حديث أبي موسى الأشعري أخرجها الترمذي وغيره ولم يسمّ فيها الراهب وزاد فيها لفظة منكرة وهي قوله: "وأتبعه أبو بكر بلالًا" وسبب نكارتها أن أبا بكر حينئذٍ لم يكن متأهلًا ولا اشترى يومئذٍ بلالًا إلّا أن يحمل على أن هذه الجملة الأخيرة منقطعة من حديث آخر أدرجت في هذا الحديث وفي الجملة هي وهم من أحد رواته". وقد قال الشيخ الألباني (رحمه الله) في مجلة التمدن الإسلامي بتصرُّف: " قرأت في الأجزاء (40-77) شوال سنة 1378 - من هذه المجلة الكريمة بحثاً من كتاب " المنتقى في تاريخ القرآن " للأستاذ عبد الرؤوف المصري تحت عنوان (خرافة الراهب بحيرا) جاء فيه : " لم يثبت بالسند الصحيح عن الصحابة ولا عن التابعين حادثة بحيرا الراهب (نسطورس) ولم يثبت بالصحيحين (كذا) بأن بحيرا قابل رسول الله (ﷺ) حتى في صغره مع عمه أبي طالب في سفره إلى الشام ولم يشر (ﷺ) إلى تلك الحادثة لا تصريحاً ولا تلميحاً في جميع أحاديثه وأدوار حياته بل كانت حادثة بحيرا غفلة من بعض كتاب السيرة دسها داس لتعظيم شأن النبي في صغره ونقلها أصحاب السير من غير تمحيص " ثم قال : " . . . واعتمدوا على أمشاج من الروايات لا سند لها . . . " . هذا لب ما جاء في البحث المذكور ويتلخص منه أن الحادثة لم تثبت في الصحيحين ولا في غيرهما عن أحد من الصحابة والتابعين بالسند الصحيح وأن كل ما هنالك إنما هو أمشاج من الروايات التي لا سند لها. سند الحادثة: كيف لا تصح هذه الحادثة وقد رواها من الصحابة أبو موسى الأشعري ومن التابعين الأجلاء أبو مجلز لاحق بن حميد (رحمه الله) تعالى ورد ذلك عنهما بإسنادين صحيحين وهاك البيان : أما رواية أبي موسى الأشعري فأخرجها الترمذي في سننه وأبو نعيم في " دلائل النبوة " والحاكم في " المستدرك " وابن عساكر في " تاريخ دمشق " بأسانيد متعددة عن قراد أبي نوح : " أنبأ يونس بن أبي إسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال : " خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي (ﷺ) في أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فعلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت قال : " فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله (ﷺ) وقال : " هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين". فقال له أشياخ من قريش: " ما علمك؟". فقال: " إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً ولا يسجدان إلا لنبي وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة" ثم رجع فصنع لهم طعاماً فلما أتاهم به وكان هو في رعية الإبل قال: " أرسلوا إليه" فأقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجد القوم قد سبقوه إلى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه فقال: " انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه". الحديث بطوله. وحسنه الترمذي وإسناده جيد وقد صححه الحاكم والجزري وقواه العسقلاني والسيوطي وقد بيَّنت صحته على طريقة أهل الحديث قريباً في " مجلة المسلمون " العدد الثامن من سنة 1379 (ص 393 – 397) فليرجع إليه من أراد زيادة في التثبت. وأما رواية أبي مجلز فأخرجها ابن سعد في " الطبقات الكبرى " قال: " أخبرنا خالد بن خداش: أخبرنا معتمر بن سليمان قال: سمعت أبي يحدث عن أبي مجلز أن عبد المطلب أو أبا طالب -شك خالد- قال: لما مات عبد الله عطف على محمد (ﷺ) قال فكان لا يسافر سفراً إلا كان معه فيه وإنه توجه نحو الشام فنزل منزله فأتاه فيه راهب فقال: " إن فيكم رجلاً صالحاً " فقال: " إن فينا من يقري الضيف ويفك الأسير ويفعل المعروف أو نحواً من هذا" ثم قال: " إن فيكم رجلاً صالحاً" ثم قال: " أين أبو هذا الغلام؟" قال: " ها أنا ذا وليه" أو قيل: " هذا وليه" قال: " احتفظ بهذا الغلام ولا تذهب به إلى الشام إن اليهود حسد وإني أخشاهم عليه" قال: " ما أنت تقول ذاك ولكن الله يقول فرده" قال: " اللهم إني أستودعك محمداً ثم إنه مات ". وهذا إسناد مرسل صحيح فإن أبا مجلز واسمه لاحق بن حميد تابعي ثقة جليل احتج به الشيخان في صحيحيهما وبقية أصحاب الكتب الستة وأخذ الحديث عن جماعة من الصحابة منهم: عمران بن حصين وأم سلمة زوج النبي (ﷺ) وأنس وجندب بن عبد الله وغيرهم ومن بينه

وبين ابن سعد كلهم عدول ثقات احتج بهم مسلم في صحيحه. وإذا تبين هذا يسقط بداهة قول الأستاذ في خاتمة البحث: " إن خرافة بحيرا ابتدعت في القرن الثاني والثالث الهجري ولم يروها الثقات " فقد رواها الثقات من قبل القرن الذي زعم أن الحادثة ابتدعت فيه! شبهات حول الحادثة وجوابها:

بعد أن أثبتنا معه الحادثة بالحجة العلمية لا بد لنا من الإجابة عن الشبهات التي حملت الأستاذ المصري على الطعن في الحادثة واعتبارها من الخرافات التي راجت على أسلافنا جميعاً من كتاب السيرة! حتى يأخذ البحث مداه العلمي فأقول: **الشبهة الأولى:** أن النبي (ﷺ) لم يشر إلى تلك الحادثة لا تصريحاً ولا تلويحاً.

والجواب: إنها شبهة يغني حكايتها عن ردها إذ كل من عنده ذرة من علم بسيرة النبي (ﷺ) وسيرة غيره من العظماء يعلم أن أكثر هذه السيرة وردت عن أصحابهم متحدثين بما يعلمونه عنهم لا بما سمعوه منهم ومن هذا القسم الشمائل النبوية فهل طعن أحد في شيء من ذلك بعد ثبوت الرواية بها لأن النبي (ﷺ) لم يشر إلى ذلك أصلاً؟ **الشبهة الثانية:** قول الأستاذ: " إن بحيرا الراهب كان في القرن الرابع للمسيح وادعاء مقابلة بحيرا لمحمد (ﷺ) كان في أواخر القرن السادس مع أن بحيرا وجد في القرن الرابع وحادثته التاريخية مشهورة يقصها تاريخ الكنيسة نفسه . . . ". وجوابنا عن هذه الشبهة من وجوه: الأول: إن الراهب في تلك الحادثة لم يسم مطلقاً في الرواية الصحيحة التي قدمتها وبذلك تسقط الشبهة من أساسها. الثاني: إن تسمية الراهب بـ (بحيرا) إنما جاء في بعض الروايات الواهية في إحداها الواقدي وهو كذاب وفي الأخرى محمد بن إسحاق صاحب السيرة رواها بدون إسناد وهاتان الروايتان هما عمدة كل المؤرخين الذي سموه بهذا الاسم فلا يجوز اعتبارهما ورد الرواية الصحيحة بهما كما هو ظاهر على أن بعض مؤرخينا كالمسعودي وغيره ذكر أن اسمه جرجيس فلا إشكال أصلاً. الثالث: إن هذه الشبهة إنما تقوم على ادعاء الأستاذ أن الراهب بحيرا كان في القرن الرابع من الميلاد وهي دعوى عارية عن الصحة إذ ليس لديه حجة علمية يستطع بها إثباتها وكل ما عنده من الحجة تاريخ الكنيسة! فيا لله العجب كيف يثق الأستاذ بهذا التاريخ هذه الثقة البالغة إلى درجة أنه يعارض به تاريخ المسلمين وهو يعلم أن تاريخهم - مهما كان في بعض حوادثه نظر من الوجهة الحديثية خاصة - أصح وأنقى بكثير من تاريخ الكنيسة الذي تعجز الكنيسة نفسها عن إثبات صحة كتابها المقدس الذي هو أصل دينها فكيف تستطيع أن تثبت تاريخها الذي هو بحق " أمشاج من الروايات التي لا سند لها " كما قاله الأستاذ نفسه لكن في تاريخ المسلمين لا تاريخ الكنيسة!! الرابع : إنني رجعت إلى دائرة المعارف الإسلامية تأليف جماعة من المستشرقين وإلى دائرة المعارف للبستاني وإلى " المنجد " فلم أجدهم ذكروا ما عزاه الأستاذ المصري إلى تاريخ الكنيسة بل ظاهر كلامهم أنهم لا يعرفون عنه شيئاً مما يتعلق بتاريخ حياته في أرض العرب إلا مما جاء في مصادرنا الإسلامية وخاصة ما يتعلق منه بقصة اتصاله بالنبي (ﷺ) حسبما تقدم تخريجه وإن كانوا يعتبرونها " من الأساطير التي أحاطت بسيرة النبي محمد (ﷺ) " حسبما تقدم تخريجه كفراً منهم واستكباراً أن يكون رسول الله (ﷺ) مبشراً به في الكتب السماوية السابقة ومعروفاً عند المؤمنين بها ولذلك علق الأستاذ الفاضل المحقق أحمد محمد شاكر على هذه الكلمة الواردة في " دائرة المعارف الإسلامية " بقوله : " ليست هذه القصص بالأساطير بل كثير منها ثابت بأسانيد صحيحة وعلم أهل الكتاب بالبشارة بمحمد (ﷺ) في كتبهم ثابت عند المسلمين بنص القرآن الصريح وليسوا في حاجة إلى افتعال أساطير يؤيدون بها ما أثبته الوحي المنزل من عند الله وهو ثابت أيضاً عند المسلمين فيما قرءوه من كتب أهل الكتاب مما بقي في أيديهم من الصحيح من أقوال أنبيائهم المنقولة في كتبهم " . الخامس : لنفترض أن ما عزاه الأستاذ إلى تاريخ الكنيسة صحيح ثابت وهو أن بحيرا الراهب كان في القرن الرابع من الميلاد فذلك لا ينفي أن يأتي شخص آخر على شاكلته في الترهب سمي باسمه منذ ولادته على عادة النصارى وغيرهم من التسمي بأسماء الصالحين عندهم أو لقب به بعد لظهور شبه فيه به هذا كله جائز ليس في العقل السليم ما ينفيه وإذا الأمر كذلك فبإمكان الأستاذ أن يعتقد وجود شخصين في زمنين متباينين باسم واحد (بحيرا) وبذلك يستطيع أن يوفق بين ثقته بالتاريخ الكنسي وثقته بالتاريخ الإسلامي ولا يقع في هذه المغالطة التي كتبها بقلمه : " فكيف التقى الزمان القرن الرابع والقرن السادس والتقى المكانان . . . " !!. تلك وجوه خمسة في الجواب عن الشبهة الثانية أقواها عندنا الوجه الأول وسائرها إنما هي بالنظر لترجيح التاريخ الإسلامي على التاريخ الكنسي ولا حاجة بنا إليها بعد الوجه الأول وإنما ذكرتها لبيان ما يرد على الأستاذ مما قد يكون غافلاً عنه. **الشبهة الثالثة:** قول الأستاذ ما خلاصته: " إن الغرض من ذكر خرافة بحيرا الراهب إنما هو كرد على المبشرين والمستشرقين الذين يدعون بأن هذا الدين الإسلامي من بحيرا الراهب وكان يتردد على مكة يعلم محمداً تعاليمه ". وأقول : لا شك أن الأستاذ المصري يشكر على قصده المذكور ولكن خفي عليه أن الرد على المبشرين لا يكون برد الحقائق التاريخية وانكار ثبوتها بحجة أن الكفار يستغلونها للطعن في الإسلام أو في نبيه عليه الصلاة والسلام بل المنهج العلمي الصحيح يوحي بالاعتراف بالحادثة الثابتة ثم الجواب عن استغلال المبشرين لها جواباً علمياً صحيحاً ومن المؤسف جداً أن هذه الطريقة التي جرى عليها حضرة الأستاذ في الرد على المبشرين والمستشرقين قد أخذ بها كثير من الكتاب المسلمين في العصر الحاضر لا سيما الذين لا علم عندهم بأدلة الكتاب والسنة فهؤلاء كلما رأوا مبشراً يورد شبهة على نص إسلامي أو يستغله للطعن في الدين بادروا إلى التشكيك في صحته إن كان حديثاً أو سيرة وإلى تأويل معناه إن كان لا سبيل إلى إنكاره من أصله كالقرآن وهذا الأسلوب مع ما فيه من عدم الاعتداد بنصوص الشريعة المعصومة ومعانيها فإنه في الوقت نفسه يدل على أن هؤلاء الكتاب قد وثقوا بعلم أولئك الكفار وفهمهم واخلاصهم ثقة عمياء ! مع أن الذي يدقق فيما كتبوه ويكتبونه من البحوث حول الشريعة الإسلامية والتاريخ الإسلامي يتجل له بوضوح لا وضوح بعده -إلا قليلاً منهم- لا إنصاف عندهم ولا علم وأنهم كل غرضهم من ذلك تشويه حقائق الإسلام الناصعة وإبعاد المسلمين عنه وليس يتسع هذا المقال لضرب الأمثلة على ما نقول ولكن حسبنا منها هذه الحادثة التي أثبتنا صحتها فقد علمت مما سبق كيف أن جماعة من أولئك المستشرقين اعتبروها من الخرافات والأساطير وكيف أن الأستاذ المصري انزلق معهم في ذلك مع ما فيها من الآيات البينات على التبشير بنبوته (ﷺ) ولذلك أنكرها أولئك الكفار وأما أخونا المصري فإنما أنكرها متأثراً بوحي خفي من بعض المستشرقين الآخرين الذين زعموا أن الحادثة تدل أن الدين الإسلامي مستقى من بحيرا الراهب وأنه كان يتردد إلى مكة يعلم محمداً (ﷺ) تعاليمه ! كما نقله الأستاذ المصري عنهم وهم بهذا الزعم يرمون إلى أحد شيئين إما إثباته في قلوب ضعفاء العلم والإيمان منا وإما حمل من كان قوي الإيمان منا على رد الحادثة في سبيل رد هذا الزعم الباطل وهذا مع الأسف قد حصلوا عليه من بعضهم.

ومن الغرائب حقاً أن هذا الزعم الذي هو موضوع الرد مع أنه باطل في نفسه ولا صلة له بالحادثة مطلقاً لأن التقاء النبي (ﷺ) مرة واحدة وفي ساعة أو ساعات محدودة مع الراهب في الشام شيء وتردد الراهب إلى محمد (ﷺ) في مكة شيء آخر وهذا التردد لو ورد شيء والالتقاء شئ آخر ومع أن هذا الزعم لم يخف بطلانه على الأستاذ المصري كما صرح به في بحثه مع ذلك كله فإنه رد الحادثة وحكم ببطلانها! وهذا تناقض عجيب فإنه إذا كان الأستاذ جازماً ببطلان الزعم المذكور فلماذا رد الحادثة بعلة الرد على المبشرين الأفاكين مع أن الرد حصل عليهم كما رأيت بدون رد الحادثة بل ألا يكفي في الرد عليهم قول الله عز وجل في الرد على سلفهم من أمثالهم من المشركين الأفاكين الذين ادعوا مثل هذا الزعم في حياته؟! فقال تعالى: (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين * إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم * إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون). ما وراء إنكار الحادثة: إن أخشى ما أخشاه أن يكون الأستاذ المصري من أولئك الذين لا يصدقون بمعجزات النبي (ﷺ) -غير القرآن طبعاً- هذه المعجزات التي تجاوزت المئات وثبت قسم كبير منها بالطرق المتواترات التي لا يسع العالم بها أن ينكرها والذي يحملني على إبداء هذه الخشية أن الأستاذ نقل فصلاً من كلام الدكتور هيكل جاء فيه: " ولقد كان (ﷺ) لا يرضى أن تنسب إليه معجزة غير القرآن ويصارح أصحابه بذلك " وأقره الأستاذ عليه وأتى عليه بمثال فقال عقبه " مثل شق الصدر وغيره ". ونحن نعلم أن حادثة شق الصدر صحيحة ثابتة في صحيح مسلم وغيره فإذا كان الأستاذ ينكر ذلك تقليداً منه للدكتور هيكل في القول المذكور فمعنى ذلك أن الأستاذ ينكر المعجزات كلها مهما كانت أسانيدها صحيحة وكثيرة وحينئذ فإنكاره لحادثة التقائه (ﷺ) بالراهب ليس الباعث عليه الرد على المبشرين لأن الرد حصل بدون ذلك كما عرفت وإنما هو ما قام في نفس الأستاذ من إنكار المعجزات وبما أن هذه الحادثة تتضمن أكثر من معجزة واحدة كتظليل الغمامة له (ﷺ) وميل فيء الشمس عليه فلذلك أنكرها الأستاذ. وإذا كان استنتاجنا هذا صحيحاً فالكلام حينئذ يأخذ مع الأستاذ مجالاً آخر وهو طريقة إثبات المعجزات كحوادث وقعت أو لم تقع وما هو السبيل إلى معرفة ذلك فهذا لا مجال للبحث فيه الآن ولعل الأستاذ لا يحوجنا إلى الولوج فيه وذلك بتصريحه بتخطئتنا في استنتاجنا المذكور. ولكن لا بد لي من الإشارة إلى بطلان ما عزاه الدكتور هيكل إلى النبي (ﷺ) أنه كان لا يرضى أن تنسب إليه معجزة غير القرآن فإن هذا

- وقد جاء النبي (ﷺ) بمعجزات كثيرة أهمها القرآن وكان مُعجز لقريش الذين كانوا يضربون أسواق الشعر وكان كل منهم يأتي بألف بيت يبدأ بحرف واحد أو ينتهي بحرف واحد. وكان يتسابقون وهم من اللغة بمكان فجاء القرآن بنفس المعجزة وهذا دأب الله (ﷻ) عندما يُرسل رسول يُؤتيه بمعجزة بنفس ما برع فيه قومه فجاء عيسى (عليه السلام) بالطب الذي برع فيه قومه فكان يُبرأ الأكمه [1] ويُشفى المريض بإذن الله (ﷻ) وجاء موسى (عليه السلام) بمعجزة السحر الذي برع فيه قومه فكذلك جاء النبي (ﷺ) بأعظم المعجزات وهو القرآن وتحدى به قريش أن يأتوا بمثله أو عشر سور أو سورة أو آية مثله فلم يستطيعوا.
- وكذلك معجزة الإسراء والمعراج التي تكلمنا عنها [2].
- وكذلك معجزة إنشقاق القمر عندما طلبت قريش من النبي (ﷺ) أن يشُّق لهم القمر فانشق القمر نصفين نصف على اليمين ونصف على اليسار [3].
- وكان (ﷺ) يضع يده في الينبوع فيخرج الماء من بين أصابعه [4].
- وكذلك الطعام عندما كان يضع يده فيأكل منه الجيش جميعاً [5].

مما لا أصل له عن النبي (ﷺ) بل هو من المعاني المخترعة التي أحدثها الدكتور وأمثاله من منكري المعجزات وألصقوها ببعض الآيات القرآنية زاعمين أنها المراد بها ليضربوا بها المعجزات الثابتة بحجة أنها مخالفة لنص القرآن!!. ومجال القول في ذلك واسع جداً فأكتفي بالإشارة إليه وأجتزيء بدليل واحد يؤيد البطلان المذكور وهو أن النبي (ﷺ) كان يحدث أحياناً أصحابه ببعض معجزاته عملاً بقول الله تبارك وتعالى: (وأما بنعمة ربك فحدث) فكان (ﷺ) يقول: " إني لأعرف حجراً كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن " رواه مسلم وغيره. فإذا كان (ﷺ) يُحدِّث أصحابه بمعجزاته ثم يرويها منسوبة إليه أصحابه من بعده فكيف يصح أن يُقال: إنه كان لا يرضى أن تنسب إليه معجزة؟!. وإني قبل أن أنهي هذا البحث لابد من أن ألفت نظر القاريء إلى أمر هام وهو أنني حين قرأت بحث الأستاذ وما نقله عن ابن خلدون ومحمد عبده والسيد رشيد رضا والدكتور هيكل من وجوب التدقيق في روايات الحديث والسيرة إذ ليس كل ما فيها صحيحاً تساءلت في نفسي: ترى هل دقق هؤلاء في هذه الحادثة فتبين لهم أنها خرافة كما ادعى الأستاذ المصري؟ فرجعت إلى اثنين منهم من المعاصرين وهما الدكتور هيكل في كتابه " حياة محمد " والسيد رشيد رضا في رسالته " خلاصة السيرة النبوية " فإذا بالأول يذكر هذه الحادثة كما يذكرها كل المؤرخين وكذلك فعل الثاني دون أن يذكر أو يشير أدنى إشارة إلى ضعفها فضلاً عن وضعها! والحقيقة أن أحداً لم يصرح -فيما علمت- بأن حادثة بحيرا الراهب خرافة قبل الأستاذ المصري والحمد لله لست من " أهل الطرق ولا المتطفلين من بعض من يلبسون العمائم " وقد استندنا فيما أوردنا إلى طرق العلم الصحيح ولكن الأستاذ اتبع فيما أنكر ظنوناً وأوهاماً أدت به -ولو مع حسن النية- إلى إنكار حقيقة تاريخية لا شك فيها هي حادثة بحيرا الراهب فعسى أن الأستاذ المصري يعيد النظر فيما كان كتب فيها على ضوء الحجج التي أوردنا حتى نلتقي في صعيد واحد في ميدان العلم والحق.

[1] قال ابن كثير (رحمه الله) في تفسير قوله (ﷻ) (وأبرئ الأكمه) ": قيل: هو الذي يبصر نهارا ولا يبصر ليلا. وقيل بالعكس. وقيل: هو الأعشى. وقيل: الأعمش. وقيل: هو الذي يولد أعمى. وهو أشبه لأنه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي".

[2] راجع المحاضرة الثانية عشرة صـ 2.

[3] وهذا كما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم والرواية للبخاري عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: " انشق القمر على عهد رسول الله (ﷺ) شقتين فقال النبي (ﷺ): اشهدوا". وفي رواية أخرى أخرجها البخاري ومسلم والرواية للبخاري عن قتادة عن أنس (رضي الله عنه) أنه حدثهم: أن أهل مكة سألوا رسول الله (ﷺ) أن يُريهم آية فأراهم انشقاق القمر" وفي رواية مسلم "فأراهم انشقاق القمر مرتين"وفي رواية أخرى عند البخاري:" فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما". وفي رواية أخرى أخرجها ومسلم عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: " بينما نحن مع رسول الله (ﷺ) بمنى إذا انفلق القمر فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله (ﷺ): اشهدوا". وللحديث روايات أخرى في الصحيحين.

[4] وهذا كما في الحديث الذي أخرجه البخاري عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: "عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله (ﷺ) بين يديه ركوة فتوضأ منها ثم أقبل الناس نحوه فقال رسول الله (ﷺ): " ما لكم؟" قالوا:" يا رسول الله: ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب إلا ما في ركوتك" قال: " فوضع النبي (ﷺ) يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون". قال: " فشربنا وتوضأنا فقلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة ". (الركوة) إناء من جلد. وفي رواية أخرى أخرجها البخاري ومسلم والرواية للبخاري عن قتادة عن أنس (رضي الله عنه) قال: أتي النبي (ﷺ) بإناء وهو بالزوراء فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم" قال قتادة: قلت لأنس: " كم كنتم؟" قال: " ثلاث مائة أو زهاء ثلاث مائة". (الزوراء) اسم موضع في سوق المدينة تلك الأيام. (زهاء) مقدار.

[5] وهذا كما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) والرواية لمسلم قال: " لما حفر الخندق رأيت برسول الله (ﷺ) خمصا فانكفأت إلى امرأتي فقلت لها: " هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله (ﷺ) خمصا شديداً" فأخرجت لي جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن قال: " فذبحتها وطحنت ففرغت إلى فراغي فقطعتها في برمتها ثم وليت إلى رسول الله (ﷺ) فقالت: " لا تفضحني برسول الله (ﷺ) ومن معه" قال: " فجئته فسررته فقلت: يا رسول الله إنا قد ذبحنا بهيمة لنا وطحنت صاعا من شعير كان عندنا فتعال أنت في نفر معك" فصاح رسول الله (ﷺ) وقال: " يا أهل الخندق إن جابرا قد صنع لكم سورا فحي هلا بكم" وقال رسول الله (ﷺ): " لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينتكم حتى أجيء" فجئت وجاء رسول الله (ﷺ) يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت: " بك وبك" فقلت: " قد فعلت الذي قلت لي" فأخرجت له عجينتنا فبصق فيها وبارك ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيها وبارك ثم قال: " ادعي خابزة فلتخبز معك واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها" وهم ألف فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجينتنا - أو كما قال الضحاك: - لتخبز كما هو". (خمصاً) الخمص خلاء البطن من الطعام (فانكفأت) أي انقلبت ورجعت (جرابا) هو وعاء من جلد معروف بكسر الجيم وفتحها والكسر أشهر (بهيمة) تصغير بهمة وهي الصغيرة من أولاد الضأن قال الجوهري وتطلق على الذكر والأنثى كالشاة والسخلة الصغيرة من أولاد المعز (داجن) الداجن ما ألف البيوت (سورا) بضم السين وإسكان الواو غير مهموز هو الطعام الذي يدعى إليه وقيل الطعام مطلقا وهي لفظة فارسية (فحيهلا) بتنوين هلا وقيل بلا تنوين على وزن علا ومعنى حيهل عليك بكذا أو ادع بكذا هكذا قاله أبو عبيد وغيره وقيل معناه أعجل به وقال الهروي معناه هات وعجل به (بك وبك) أي ذمته ودعت عليه وقيل معناه بك تلحق الفضيحة وبك يتعلق الذم وقيل معناه جرى هذا برأيك وسوء نظرك وتسببك (قد فعلت الذي قلت لي) معناه أني أخبرت النبي (ﷺ) بما عندنا فهو أعلم بالمصلحة (واقدحي من برمتكم) أي اغرفي والمقدح المغرفة يقال قدحت المرق أقدحه غرفته (تركوه وانحرفوا) أي شبعوا وانصرفوا (لتغط) أي تغلي ويسمع غليانها (كما هو) يعود إلى العجين.

وكذلك حنين جذع النخلة عندما كان يتكلم مع النبي (ﷺ) [1]. وغير ذلك من المعجزات الكثيرة التي تؤكد دعوة النبي (ﷺ).

النبي (ﷺ) جلس في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو قومه إلى التوحيد وكانت الدعوة سراً ولم تنزل الشرائع بعد فكانت الدعوة فقط للتوحيد وترك الشرك والكفر الذي كان يدين به أهل قريش ومشركي العرب.

ثم أُمِر بالهجرة إلى المدينة فهاجر إلى المدينة مع أبي بكر (رضي الله عنه) وهاجر المسلمون ثم بدأ في إنشاء دولة المدينة وجلس في المدينة عشر سنوات كاملة يؤسس فيها للدولة الإسلامية وخلالها فتح مكة وفتح البلاد وانتشر الإسلام واكتمل الدين كما في قوله (ﷻ):﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾[المائدة: 3] وحجَّ حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة ثم ما لبث أشهر حتى مات (عليه السلام) في شهر ربيع الأول الذي وُلِد فيه أيضاً في نهار الأثنين وهو اليوم الذي وُلِد فيه.

نعم محمد (ﷺ) بشر يموت كما في قوله (ﷻ):﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[آل عمران: 144] ولكن دعوته باقية بعد موته (ﷺ) فدينه الدين الخاتم وشريعته الشريعة الخاتمة وينسخ كل ما سبقه من الشرائع.

هذه فقط نبذه قصيرة عنه (ﷺ) وقد قال فيه (ﷻ) آيات مهمة مثل قوله (ﷻ):﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (15) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[المائدة: 15-16] وقال فيه أيضاً (ﷻ):﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[سبأ: 28].وأهمية هاتان الآيتان سيظهر فيما قد أشار إليه المصنف (رحمه الله) وعليه ;كلام كبير في عصرنا وهو قوله: " ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته". وما قاله المصنف (رحمه الله) هو عقيدة أهل السنة والجماعة لأنه لابد أن يدخل المرء في الإسلام أن يشهد الشهادتين [2] شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . ومن لم يشهد هذه الشهادة فهو على الكفر فللدخول في الإسلام لابد أن تترك ما دون الله من أنداد وتؤمن به وحده (عز وجل) وأن تشهد أن محمداً رسول الله. فإن شهِد بالأولى فقط فلم يدخل في الإسلام.

بعض أهل العلم قالوا أن قول لا إله إلا الله تُفيد التحيد ولكنها لا تكفي فهناك من أهل الكتاب من يشهدوا أنه لا إله إلا الله فهناك من النصارى غير المُثّلثة [3] وهم قليلون في العالم يشهدون أن عيسى كان عبداً لله (عز وجل) ويقولون أن النبي (ﷺ) بُعِث في الأُميين العرب ولم يُبعث للناس كافة. فهم يوحدون الله (عز وجل) وأن عيسى عبد فهم أتوا بالجزء الأول من الشهادة [4]. وهؤلاء

---

1 وهذا كما في الحديث الذي أخرجه البخاري عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: " كان النبي (ﷺ) يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه ".

2 الصحيح أن تقول الشهادة وليس الشهادتين وذلك لأن الأحاديث الواردة عنه (ﷺ) وردت فيها كلام الشهادة وليس الشهاديتن مثل الذي أخرجه البخاري عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: " بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان". وهذا أكبر دليل على أنه لايجوز أن تؤمن بالله (عز وجل) فقط دون الإيمان بالنبي (ﷺ).

3 أي يقولون إن الله ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً

4 لم أقف على أسم الطائفة من النصارى التي تؤمن بالنبي (ﷺ) ولكن وقفت على طائفة يؤمنون بأن عيسى (عليه السلام) عبد وهم: الآريوسية وهي نسبة إلى الأسقف الليبي (آريوس) الذي درس على تلميذ بولس السميساطي وهو (لوقيانوس) وكان آريوس يعلم بأن الله إله واحد غير مولود أزلي أما الابن فليس أزليًّا بل وجد وقت لم يكن الابن فيه موجوداً وهو خرج من العدم مثل غيره من المخلوقات حسب مشيئة الله فهو ليس إلهاً ولايملك شيئاً من الصفات الإلهية إلا أن الله منحه مجداً جعله فوق كل الخلائق. وقد انتشرت الآريوسية انتشاراً عظيماً وهي التي انعقد مجمع نيقية سنة (325) م بأمر الإمبراطور قسطنطين للنظر فيها وغيرها من المذاهب التي كان يتوزع إليها النصارى في ذلك الوقت. فهذه المذاهب والأقوال المتباينة كانت منتشرة بين النصارى في ذلك الوقت ولأتباعها نشاط قوي أيضاً وكانت المواجهات القوية كثيراً ما تحدث بينهم وبين من يخالفهم وخاصة أتباع مذهب (بولس) الذي كان له تلاميذ وأتباع فيما يظهر أقوياء وذوي نشاط في دعوتهم وقد استطاعوا أن يترأسوا المراكز الدينية في ذلك الوقت بعد سقوط عاصمة الديانة الأولى وهي بيت المقدس وتلك المراكز تمثَّلت في أنطاكية والإسكندرية وروما وكانت في الغالب في يد أتباع بولس وقد كان من أولئك الأتباع أسقف أنطاكية إغناطيوس الأنطاكي الذي نصب أسقفًا لكنيسة أنطاكية وذلك في سنة (70) م. وأسقف كنيسة روما إكليمندس الروماني الذي نصب فيما يظن من سنة (92- 101) م. وأسقف سميرنا (أزمير) بوليكاربوس: الذي قتل في اضطهادات الحاكم ماركوس أوريليوس سنة (156) م. وأسقف ليون إيريناوس: الذي يعتقد أنه توفي بين سنتي (190- 202) م. جاستين- يوستينوس مارتر الذي فتح مدرسة في روما ثم أعدم في سنة (165) م. وإكليمندس الإسكندري: الذي ولد سنة (150) م في بلاد اليونان ثم انتقل إلى الإسكندرية حيث التحق بمدرستها التي تدعى (مدرسة التعليم المسيحي) وتولى إدارتها ويعتقد أنه توفي سنة (215) م. وإريجانوس المصري: الذي ولد حوالي (185) م في الإسكندرية وتولى إدارة المدرسة اللاهوتية فيها بعد مديرها السابق توفي في صور سنة (253) م. وإثناسيوس: الذي نُصِّبَ أسقفًا على الإسكندرية سنة (328) م خلفاً لإسكندروس واللذان كان لهما أكبر الأثر في تحريف دين المسيح (عليه السلام) بترسيخ عقيدة ألوهية المسيح في مجمع نيقية الذي دعا إليه الإمبراطور قسطنطين سنة (325) م ونبذ دعوة التوحيد التي كان يتزعمها آريوس الليبي. وكانت هذه المواجهات بين المختلفين من دعاة النصارى وأساقفتهم تنتهي في الغالب بالدعوة إلى مجمع من المجامع الذي يعلن في نهايته بحرمان من قصد حرمانه وطرده من الشركة النصرانية وفي الغالب لا ينصاع المطرود والمحروم لتلك القرارات بل يستمر في نشر تعاليمه. ومن المعلوم أن النصارى في تلك الفترة لم تكن لهم دولة ولم يقم لهم تجمع متكامل بحيث يمكن أن يقال عنهم: إنهم أمة مجتمعه بل كانوا أول الأمر يعيشون بين بني جنسهم اليهود ثم بين الوثنيين وهذا جعلهم في حالة من

البلاء والعذاب شديدة فحين كانوا بين بني جنسهم اليهود كانوا يُضْطَهدون لأن اليهود اعتبروهم خارجين عن شريعتهم وفي نفس الوقت يضطهد الجميع الرومان الوثنيون الذين كانوا لا يعرفون فرقاً بين اليهودي والنصراني لهذا فقد كان لثورات اليهود على الرومان أسوأ الأثر على النصارى وبعد القضاء على اليهود وطرد من بقي منهم خارج فلسطين واجه النصارى الذين كانوا بين الوثنيين اضطهاداً شبه متواصل من قبل حكام الرومان الوثنيين استمر قرابة ثلاثة قرون إلى أن تولَّى الإمبراطور قسطنطين عرش روما فأوقف الاضطهاد بمرسوم ميلان سنة (313) م وابتدأ النصارى منذ ذلك التاريخ يظهرون على السطح وبدأت ديانتهم تنتشر انتشاراً فعليًّا على حساب الوثنية التي كانت تدين بها أكثر الشعوب في ذلك الوقت إلا أن النصرانية نفسها في هذه الفترة المتأخرة قد وصلت إلى الوثنيين وقد أثرت في كثير من دعاتها السنون العجاف المتطاولة التي مرَّت بهم فانحرفوا عن دين المسيح (عليه السلام) وجعلوه ديناً وثنيًّا يقوم على تأليه ثلاثة آلهة في ثلاثة أقانيم يزعمون أنها إله واحد ويعتمدون في شرح الديانة وتفصيل العقيدة على الفلسفة وخاصة الأفلاطونية الحديثة والرواقية وكان من يسمون بالمدافعين عن النصرانية في تلك العهود جلهم قد درس الفلسفة الوثنية وربما كان تابعاً لها فترة طويلة ثم تحوَّل إلى النصرانية بفلسفته وسابق تصوراته فهذا كله جعل الوثني لا يجد فرقاً كبيراً بين ما كان يعتقد وما يدعوا إليه النصارى. وكان لتنصر أباطرة الرومان- وأولهم قسطنطين- أكبر الأثر في انتشار النصرانية في الدولة الرومانية المترامية الأطراف - والناس على دين ملوكهم- إلا أن تنصر الأباطرة قد جعل النصارى يواجهون مشكلة كبرى وهي وصاية الأباطرة على الديانة وتعاليمها حيث صارت بعد ذلك في يد الأباطرة الرومان الذين يسيّرون العقائد النصرانية وفق أهوائهم فينصرون من المذاهب ما يتفق مع أهوائهم فإذا كان هناك أحد يدعو إلى تعاليم لا يميلون إليها فإنهم يطلبون من النصارى عقد مجمع ويوعز إليهم بطرد ولعن من لا يرغبون يقول حبيب سعيد: (وباحتضان الإمبراطورية للكنيسة تعرَّضت القوى الروحية في الكنيسة لخطر الاختناق والفناء وغدا تنفيذ القانون الكنسي واستدعاء المجالس العامة وتنفيذ قرارتها وتعيين الأساقفة في المراكز الهامة وحق الاختصاص الأعلى للمحاكم الروحية والقول الفصل في المشاكل الجدلية والتي قد تنشأ حول العقائد غدت كلها من الحقوق التي طالبت بها الدولة الرومانية وأصرت على انتزاعها من السلطات الدينية). يؤكد لنا هذا التسلط ويوضحه أن الذي دعا إلى مجمع نيقية سنة (325) م هو الإمبراطور قسطنطين وكان حاضراً في ذلك المجمع وقرَّر فيه أُلوهية المسيح وطرد آريوس وجماعته ثم صدق بعده بعشر سنوات على قرارات مجمع صور التي فيها إعادة آريوس إلى الكنيسة وطرد إثناسيوس الذي كان وراء إقرار ألوهية المسيح (عليه السلام). ثم دعا كل من الإمبراطور الغربي قسطنطين الثاني والإمبراطور الشرقي قسطنديوس إلى مجمع في مدينة ساردیكا سنة (343) م بغرض توحيد النصارى لكن النصارى لم يتفقوا وخرجوا أشد اختلافاً وتفرقاً. ثم بعد مقتل الإمبراطور قسطنطين الثاني دعا الإمبراطور قسطنديوس إلى مجمع ميلانو سنة (355) م وطلب من الأساقفة إصدار حكم بخلع إثناسيوس ووقعت الأغلبية على ما أراد ثم دعا ذلك الإمبراطور أيضاً إلى مجمعين في نفس الوقت مجمع في تركيا ومجمع في إيطاليا سنة (359) م وأمر الذين يشرفون على مجمع إيطاليا بإرغام المجتمعين على التوقيع على قرار المجمع الذي يوافق نوعاً ما مذهب الآريوسيين الذين يسمون (الأريوسيين المعتدلين). كما استخدم القوة العسكرية من أجل إرغام المجتمعين في تركيا على التوقيع ثم جاء الإمبراطور ثيود وسيوس- وكانت ميوله ضد الآريوسية- فدعا إلى مجمع القسطنطينة سنة (381) م وقرر المجمع العودة إلى قانون الإيمان النيقوي وزادوا عليه: ألوهية الروح القدس واعتبار الآريوسية ضد القانون الروماني وهو المذهب الذي عليه الغالبية العظمى من النصارى إلى الآن.

وهذا يؤكده كتاب برنابا لا يعتبر من الأناجيل القانونية لدى النصارى ولا يعترفون به ولأهمية ما يحتويه من معلومات ولما بينه وبين الأناجيل الأربعة من تشابه في التعريف بالمسيح (عليه السلام) ودعوته نُعرّف به هنا في نقاط مختصرة.

أ- التعريف بـ (برنابا):

برنابا: اسمه (يوسف) ويلقب ابن الوعظ وهو لاوي قبرصي الجنسية وهو خال (مرقس) صاحب الكتاب فيما يقال وكان من دعاة النصرانية الأوائل ويظهر من كتابه أن له مكانة لدى المسيح (عليه السلام) والنصارى يرون أنه من الدعاة الذين لهم أثر ونشاط ظاهر وكان من أعماله البارزه أنه باع حقله وأتى بقيمته من النقود ووضعها تحت تصرف الدعاة وحين ادَّعى بولس (شاؤول اليهودي) الدخول في دين المسيح (عليه السلام) خاف منه الحواريون لما يعلمون من سابق عداوته فشفع له برنابا عندهم فقبلوه ضمن جماعتهم ثم اختلف معه بعد فترة من العمل في الدعوة سويا وانفصلا.

ب- التعريف بكتاب برنابا:

أقدم خبر عن كتاب برنابا كان قريباً من عام (492) م وذلك حين أصدر البابا (جلاسيوس) الأول أمراً يحرم فيه مطالعة عدد من الكتب كان منها كتاب يسمَّى (كتاب برنابا) وهذا كان قبل مبعث النبي (ﷺ) ثم لم يظهر له خبر بعد ذلك إلا في أواخر القرن السادس عشر الميلادي حيث عثر أحد الرهبان اللاتينيين وهو (فرامرينو) على رسائل (لإريانوس) يندد فيها ببولس وأسند (إريانوس) تنديده هذا إلى كتاب برنابا. فحرص هذا الراهب على الاطِّلاع على هذا الكتاب. واتفق أنه أصبح مقرباً للبابا (سكتس) الخامس ودخل معه يوماً إلى مكتبته فأخذت البابا غفوة نام فيها فأخذ (فرامرينو) يطالع في مكتبته رغبة في قطع الوقت فوقعت يده على هذا الكتاب فوضعه في ثوبه وأخفاه ثم استأذن بعد أن أفاق البابا وخرج فطالع الكتاب بشغف شديد ثم أسلم على إثر ذلك - بيَّن هذه المعلومات المستشرق سايل في مقدمة ترجمته للقرآن الكريم- ثم في أوائل القرن الثامن عشر عام (1709) م عثر (كريمر) أحد مستشاري ملك بروسيا على نسخة لكتاب برنابا باللغة الايطالية عند أحد وجهاء مدينة أمستردام- حيث كان يقيم وقتئذ - وأهداها (كريمر) إلى الأمير (إيوجين سافوي) لولعه بالعلوم والآثار التاريخية ثم انتقلت تلك النسخة فيما بعد- وذلك عام (1738) م- مع جميع مكتبة ذلك الأمير إلى مكتبة البلاط الملكي في فينا حيث هي موجودة الآن ثم ترجمت إلى الإنجليزية وعنها إلى العربية من قبل الدكتور خليل سعادة وهو لبناني نصراني. وكان يوجد لهذا الكتاب نسخة أخرى بالإسبانية يظن أنها منقولة عن الإيطالية عُثِرَ عليها في أوائل القرن الثامن عشر أيضاً وكانت عند رجل يدعى الدكتور (هلم) أهداها إلى المستشرق (سايل) ثم دفعها هذا بدوره إلى الدكتور (منكهوس) الذي ترجمها إلى الإنجليزية ودفعها مع ترجمتها عام (1784) م إلى الدكتور (هويت) أحد مشاهير الأساتذة في إكسفورد ببريطانيا وعنده اختفت تلك النسخة مع ترجمتها. وقد أورد الدكتور (هويت) مقتطفات عديدة منها في دروسه وقد اطَّلع على تلك المقتطفات خليل سعادة مترجم كتاب برنابا إلى العربية.

وحين ظهر هذا الكتاب أحدث دويًّا في الأوساط النصرانية لما فيه من المعلومات المضادة لعقائدهم فحاولوا دفعه بوسائل كثيرة ومما زعموه:

أنه تأليف عربي مسلم أو يهودي أندلسي تنصر ثم أسلم- وهذا في الواقع من التخرصات ويدلُّ على بطلان تلك الدعاوى أمور منها:

1- لماذا يؤلف رجل أسلم كتاباً للنصارى ويفتري الكذب وهو قد دخل في الإسلام.

2-أن في الكتاب معلومات غير موجودة في كتب اليهود والنصارى الآن.

3- أن مترجم الكتاب إلى العربية- وهو خليل سعادة النصراني- قد وصف صاحب الكتاب بأنه على إلمام واسع جدًّا بالعهد القديم والنصرانية أكثر ممن نذروا أنفسهم للدين النصراني وتفسيره وتعليمه حتى إنه ليندر أن يكون فيهم من يقرب من إلمام صاحب هذا الكتاب فكيف يكون مسلماً وله هذا الإلمام الواسع؟!

4- إن مما يدفع أن يكون صاحبه مسلم أن فيه أخطاء لا يمكن أن تقع من المسلم لبداهتها ومنها قوله: إن السماوات عشرة. وخلطه بين اسم ميخائيل وميكائيل ويقول: أدريل بدل إسرافيل.

وعلى كل حال فهذا كتاب ظهر في بلاد نصرانية وبخط ولغة نصرانية ولم يرد عن أحد المسلمين أنه اطَّلع على الكتاب مع سعة اطلاع علماء المسلمين وحرصهم على الرد على النصارى وهو لا شك مما يظهره الله عزَّ وجلَّ دليلاً للحق ودحراً للباطل وردًّا له.

ج- أهم مبادئ كتاب برنابا التي يختلف بها عن الأناجيل الأربعة:

إن الذي جعل النصارى يحملون على هذا الكتاب حملتهم ويتنصلون منه هو مخالفته لأناجيلهم المعتمدة وعقيدتهم في أخطر وأهم نقاطها وهي:-

أولاً: أنه صرح أن المسيح (عليه السلام) إنسان وليس إله ولا ابن إله وبيَّن أن سبب تأليف كتابه هو رد هذه الفرية التي أطلقها بولس مع غيرها من الافتراءات كترك الختان وإباحة أكل اللحوم النجسة وفي هذا يقول في أول كتابه: (أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة

كانوا مسلمين في زمن عيسى (عليه السلام) وكان اليهود الذي آمنوا بموسى (عليه السلام) الذين آمنوا بأنه لا إله إلا الله وأن موسى (عليه السلام) رسول الله.

- نعم هؤلاء مسلمون فكل الرسالات التي جاءت مع الرسل هي رسالة واحدة ودين واحد وهو دين الإسلام كما في (ﷻ):﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾[آل عمران: 19] وقوله (ﷻ):﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ

عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذي أمر الله به دائماً مجوزين كل لحم نجس الذين ضلَّ في عدادهم أيضاً بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله.

ثانياً: أنه نقل عن المسيح التصريح بأن الذبيح هو إسماعيل (عليه السلام) وليس إسحاق كما يزعم اليهود وفي هذا يقول: -

(أجاب يعقوب: يا معلم قل لنا من صنع هذا العهد فإن اليهود يقولون بإسحاق والإسماعيليون يقولون بإسماعيل؟ أجاب يسوع: صدقوني لأني أقول لكم الحق إن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحاق. حينئذ قال التلاميذ: يا معلم هكذا كتب في كتاب موسى أن العهد صنع بإسحاق؟ أجاب يسوع متأوهاً: هذا هو المكتوب ولكن موسى لم يكتبه ولا يشوع بل أحبارنا الذين لا يخافون الله. الحق أقول لكم: إنكم إذا أعملتم النظر في كلام الملاك جبريل تعلمون حديث كتبتنا وفقهائنا لأن الملاك قال: يا إبراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله حقًّا يجب عليك أن تفعل شيئاً لأجل محبة الله أجاب إبراهيم: هاهو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله فكلَّم الله حينئذ إبراهيم قائلاً: خذ ابنك بكرك إسماعيل واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة. فكيف يكون إسحاق البكر وهو لما ولد كان إسماعيل ابن سبع سنين؟ فقال حينئذ التلاميذ: إن خداع الفقهاء لجلي لذلك قل لنا أنت الحق لأننا نعلم أنك مرسل من الله). وذكر برنابا أيضاً أن المسيح خاطب رئيس كهنة اليهود قائلاً له: (إن إبراهيم أحب الله حيث إنه لم يكتف بتحطيم الأصنام الباطلة تحطيماً ولا بهجر أبيه وأمه ولكنه كان يريد أن يذبح ابنه طاعة لله. أجاب رئيس الكهنة: إنما أسألك هذا ولا أطلب قتلك فقل لنا: من كان ابن إبراهيم هذا؟ أجاب يسوع: إن غيرة شرفك يا الله تؤججني ولا أقدر أن أسكت. الحق أقول: إن ابن إبراهيم هو إسماعيل الذي يجب أن يأتي من سلالته مسيا الموعود به إبراهيم أن به تتبارك كل قبائل الأرض. فلما سمع هذا رئيس الكهنة حنق وصرخ: لنرجم هذا الفاجر لأنه إسماعيلي وقد جدف على موسى وعلى شريعة الله).

ثالثاً: أنه نقل عن المسيح التصريح بالبشارة بالنبي محمد (ﷺ) باسمه وذلك في مواطن عدة من كتابه منها: أن اليهود سألوا المسيح (عليه السلام) عن اسم النبي المنتظر فقال: (فقال الكاهن حينئذ: ماذا يسمى مسيا وما هي العلامة التي تعلن مجيئه؟ فأجاب يسوع: إن اسمه المبارك (محمد). حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين: يا الله أرسل لنا رسولك يا محمد تعال سريعاً لخلاص العالم. وأورد أيضاً برنابا حواراً تمَّ بينه وبين المسيح (عليه السلام) بعد أن رفع إلى السماء ثم عاد مرة أخرى ليطمئن أمه وحوارييه بأنه لم يمت ثم ارتفع مرة أخرى إلى السماء وهذا نصه: (فقال حينئذ الذي يكتب: يا معلم إذا كان الله رحيماً فلماذا عذبنا بهذا المقدار بما جعلنا نعتقد أنك كنت ميتاً ولقد بكتك أمك حتى أشرفت على الموت وسمح الله أن يقع عليك عار القتل بين اللصوص على جبل الجمجمة وأنت قدوس الله؟

أجاب يسوع: صدقني يا برنابا إن الله يعاقب على كل خطيئة- مهما كانت طفيفة- عقاباً عظيماً لأن الله يغضب من الخطيئة فلذلك لما كانت أمي وتلاميذي الأمناء الذين كانوا معي أحبوني قليلاً حبًّا عالميًّا أراد الله البر أن يعاقب على هذا الحب بالحزن الحاضر حتى لا يعاقب عليه بلهب الجحيم فلماذا كان الناس قد دعوني الله وابن الله على أني كنت بريئاً في العالم أراد الله أن يهزأ الناس بي في هذا العالم بموت يهوذا معتقدين أنني أنا الذي مت على الصليب لكيلا تهزأ الشياطين بي في يوم الدينونة وسيبقى هذا إلى أن يأتي محمد رسول الله الذي متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله).

رابعاً: أن برنابا صرَّح أن المسيح لم يُصلب وإنما رُفع إلى السماء وأن الذي صلب هو يهوذا الإسخريوطي وهو الذي وشى بالمسيح لدى اليهود حيث أُلْقِي عليه شبه المسيح فقبض عليه وصلب بدلاً عن المسيح (عليه السلام). وهذا نص كلامه: (ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع سمع يسوع دنو جم غفير فلذلك انسحب إلى البيت خائفاً وكان الأحد عشر نياماً فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبّح الله إلى الأبد. ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي أصعد منها يسوع وكان التلاميذ كلهم نياماً. فأتى الله العجيب بأمر عجيب فتغيَّر يهوذا في النطق وفي الوجه فصار شبيها بيسوع حتى إننا اعتقدنا أنه يسوع أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم لذلك تعجبنا وأجبنا: أنت يا سيد هو معلمنا أنسيتنا الآن؟ أما هو فقال متبسماً: هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفون يهوذا الإسخريوطي. وبينما كان يقول هذا دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا لأنه كان شبيهاً بيسوع من كل وجه). وبعد أن ذكر محاكمة يهوذا وجلده من قبل اليهود والوالي الروماني وهم يظنون أنه يسوع قال: (وأُسْلِمَ يهوذا للكتبة والفريسيين كأنه مجرم يستحق الموت وحكموا عليه بالصلب وعلى لصين معه. فقادوه إلى جبل الجمجمة حيث اعتادوا شنق المجرمين وهناك صلبوه عرياناً مبالغة في تحقيره). هذه أهم مبادئ هذا الكتاب الذي أحدث بمبادئه وقت ظهوره دويًّا لدى النصارى أما نحن المسلمين فلا يقدم عندنا هذا الكتاب ولا يؤخر فنحن مطمئنون لكتاب ربنا الذي بين أيدينا نعرف به الحق وعلى ضوئه نقيس الحق.

ومن الممكن أن يكون الشيخ يقصد طائفة العيسوية اليهودية وهي نُسِبوا إلى أبي عيسى إسحق بن يعقوب الأصفهاني وقيل: إن اسمه عوفيد الوهيم أي عابد الله كان في زمن المنصور وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية مروان بن محمد الحمار فاتبعه بشر كثير من اليهود ومعتقداتهم:

1. نسبوا إلى أبي عيسى آيات ومعجزات وزعموا انه لما حورب خط على أصحابه خطا بعود آس وقال أقيموا في هذا الخط فليس ينالكم عدو بسلاح فكان العدو يحملون عليهم حتى إذا بلغوا الخط رجعوا عنهم خوفا من طلسم أو عزيمة ربما وضعها ثم إن أبا عيسى خرج من الخط وحده على فرسه فقاتل وقتل من المسلمين كثيرا وذهب إلى أصحاب موسى بن عمران الذين هم وراء النهر المرمل ليسمعهم كلام الله وقيل انه لما حارب أصحاب المنصور بالري قتل وقتل أصحابه.
2. وهم يقولون بنبوة عيسى بن مريم (عليه السلام) ومحمد (عليه الصلاة والسلام) ويقولون إن عيسى بعثه الله (عز وجل) إلى بني إسرائيل على ما جاء في الإنجيل وأنه أحد أنبياء بني إسرائيل ويقولون إن محمدا (عليه الصلاة والسلام) نبي أرسله الله تعالى بشرائع القرآن إلى بني إسماعيل (عليه السلام) وإلى سائر العرب كما كان أيوب نبيا في بني عيص وكما كان بلعام نبيا في بني موآب بإقرار من جميع فرق اليهود.
3. زعم أبو عيسى أنه نبي وأنه رسول المسيح المنتظر.
4. زعم أن للمسيح خمسة من الرسل يأتون قبله واحدًا بعد واحد.
5. زعم أن الله (عز وجل) كلمه وكلفه أن يخلص بني إسرائيل من أيدي الأمم العاصين والملوك الظالمين.
6. زعم أن المسيح أفضل ولد آدم وأنه أعلى منزلة من الأنبياء الماضين وإذ هو رسوله فهو أفضل الكل أيضًا وكان يجب تصديق المسيح ويعظم دعوة الداعي ويزعم أيضًا أن الداعي هو المسيح.
7. حرم في كتابه الذبائح كلها ونهى على أكل كل ذي روح على الإطلاق طيرًا كان أو بهيمة.
8. أوجب عشر صلوات وأمر أصحابها بإقامتها وذكر أوقاتها.
9. خالف اليهود في كثير من أحكام الشريعة الكثيرة المذكورة في التوراة وتوراة الناس هي التي جمعها ثلاثون حبرا لبعض ملوك الروم حتى لا يتصرف فيها كل جاهل بمواضع أحكامها والله الموفق.

﴿الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران: 85].

- فكل من آمن بنبي في وقته فقد آمن بالإسلام ولكن بعد مجيء النبي (ﷺ) حتى وإن آمن بموسى (عليه السلام) أو عيسى (عليه السلام) وقال بأن موسى (عليه السلام) عبد وأن عيسى (عليه السلام) عبد فهم ليسوا بمسلمين فقد قال النبي (ﷺ): " والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار" [1].
والمقصود بالأمة في الحديث أمة الدعوة [2]. والنبي (ﷺ) خصَّ في الحديث اليهود والنصارى رغم أنه كل من لم يؤمن به من أصحاب النار لأهمية الحديث عنهما.
- وكذلك في حديثه (ﷺ) لمعاذ عندما أرسله إلى اليمن فقال له (ﷺ): " إنك ستأتي قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب" [3].
- ومن قال بأن كل الناس مسلمين وأدعى بأن النصارى مسلمين لأنهم قالوا لا إله إلا الله رغم إن النصارى في مصر مُثَلِّثة فهذا القول كفر مبين لأنه تكذيب لله (عز وجل). فالنصارى مشركون في توحيد الربوبية والألوهية فهم حتى لم يأتوا بالجزء الأول من الشهادة فما بالك بعدم إيمانهم بالنبي (ﷺ).
- وقد قال (تعالى):﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[المائدة: 17] قال (تعالى):﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[المائدة: 72] قال (تعالى):﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[المائدة: 73].فالله (عز وجل) كفَّرهم في القرآن فكيف يقول احدهم إنهم مسلمون؟!.
- فكيف يأتي من يدَّعي أنه من أهل العلم وهو جاهل رغم أنه يقرأ القرآن ويخرج على الناس يُلبِّس عليهم ويقول إن الناس كلهم مسلمون. فعلى زعمه كل العالم مسلم فالعالم إما يهود أو نصارى وخُمس بوذيون وهندوس وهذا الخُمس يسلم المسلمون من لسانه ويده [4] والغريب إن هؤلاء أنفسهم لا يقولون إنهم مسلمون. بل يقول هذا الجاهل إن كلٌ يُبعث على نيته والله (عز وجل) أعلم بالنوايا!.
- وفي حديث جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أتى النبي (ﷺ) بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي (ﷺ) فغضب وقال: " أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني" [5].
- بل إن عيسى (عليه السلام) عندما ينزل في آخر الزمان سيحكم بشريعة النبي (ﷺ) ويكسر الصليب [6].
- وكل ماذكره المصنف في الشفاعة ودخول الجنة ذكرناه من قبل [7].
- وأولو العزم من الرسل خمس [8] والنبي (ﷺ) أفضلهم وبعده إبراهيم (عليه السلام) لأنه أبو الأنبياء وأبو الملة الحنيفية ثم موسى (عليه السلام) لن شريعته أصل شرائع بني إسرائيل ثم جاء عيسى (عليه السلام) ونوح (عليه السلام) وقال المصنف (رحمه الله) أنه لا مُفاضلة

---

1 أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).
2 كلمة أمة لها معنيان: أمة الدعوة وهي من بلغها رسالة النبي (ﷺ) وأمة الإجابة وهي من أجابت دعوة النبي (ﷺ).
3 أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس (رضي الله عنهما) والرواية للبخاري. (اتق دعوة المظلوم) تجنب الظلم لئلا يدعو عليك مظلوم. (حجاب) حاجز يحول دون وصولها واستجابتها
4 يُشير الشيخ إلى الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) والرواية لمسلم قال:" **المسلم** من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"
5 أخرجه الإمام أحمد في مسنده والبيهقي في شعب الإيمان والدارمي بنحوه وقال الألباني (رحمه الله) في تخريج المشكاة: " وفيه مجالد بن سعيد وفيه ضعف ولكن الحديث حسن عندي لأن له طرقًا كثيرة عند اللالكائي والهروي وغيرهما وقد خرجت بعضها في الإرواء".(أمتهوكون) : أمتحيرون.
6 راجع المحاضرة الثانية عشر رقم (1) صـ 7.
7 راجع المحاضرة الثانية عشر والثالثة عشر.
8 قال ابن كثير(رحمه الله) في تفسير قوله (تعالى): "{فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل} أي: على تكذيب قومهم لهم. وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال وأشهرها أنهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم الأنبياء كلهم محمد (ﷺ) قد نص الله على أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سورتي "الأحزاب" و "الشورى" " يقصد ابن كثير(رحمه الله) قوله (تعالى): "{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} و قوله (تعالى): "{ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى} " وقد يحتمل أن يكون المراد بأولي العزم جميع الرسل وتكون {من} في قوله: {من الرسل} لبيان الجنس والله أعلم. وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن الحجاج الحضرمي حدثنا السري بن حيان حدثنا عباد بن عباد حدثنا مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق قال: قالت لي عائشة (رضي الله عنها): " ظل رسول الله (ﷺ) صائما ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم قال: "يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد. يا عائشة إن الله لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض مني إلا أن يكلفني ما كلفهم فقال: {فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل} وإني -والله-لأصبرن كما صبروا جهدي ولا قوة إلا بالله".

بينهما.

2- الخلفاء الأربعة (رضي الله عنهم) (14- التوقيت: 24 دقيقة و46 ثانية)

وأفضل أمته أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين. ثم علي المرتضى رضي الله عنهم أجمعين[1]

لِمَا روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا نقول - والنبي ﷺ حي -: أفضل هذه الأمة بعد نبينا أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره

وصحت الرواية عن علي رضي الله عنه أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ولو شئت لسميت الثالث

وروى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر» وهو أحق خلق الله تعالى بالخلافة بعد النبي ﷺ لفضله وسابقته.

وتقديم النبي ﷺ له في الصلاة على جميع الصحابة رضي الله عنهم. وإجماع الصحابة رضي الله عنهم على تقديمه ومبايعته ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة. ثم بعده عمر رضى الله عنه لفضله

وعهد أبي بكر إليه. ثم عثمان رضي الله عنه لتقديم أهل الشورى له. ثم علي رضي الله عنه لفضله وإجماع أهل عصره عليه.

وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون، الذين قال النبي ﷺ فيهم: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، عضوا

عليها بالنواجذ» . وقال ﷺ: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة » فكان آخرها علي رضي الله عنه .

- بدأ المصنف (رحمه الله) في الكلام عن فضل الصحابة (رضي الله عنهم). وكلمة الصحابي لغة جاءت من الصحبة ويُقال صاحب وصاحبي وأصحاب. أما شرعاً فبعضهم قال من رآى النبي (ﷺ) ولكن الصحيح أنه لا يُشترط الرؤية فإن ابن أم مكتوم لم يرى النبي (ﷺ) ولكن أهم شيء اللُّقية فتعريف الصحابي: هو من لقِيَ النبي (ﷺ) مؤمناً به (فيخرج من لقيه وهو كافر) ومات على ذلك وإن تخلله ردَّة على الأصح (لأن هناك من لقي النبي (ﷺ) ثم أرتد ثم رجع. وعموماً هناك خلاف عمن أرتد ثم رجع يفقد الصحبة على أساس حبوط كل عمله ولكن الصحيح أن من أرتد ثم رجع على الإيمان فهو من الصحابة).
- الصحابة (رضي الله عنهم) أفضل البشر على الإطلاق بعد الأنبياء (عليهم السلام) وهم أفضل أصحاب الرسل. فلكل نبي أصحاب وحواريون ولكن أفضل أصحاب نبي هم أصحاب النبي (ﷺ) [1].
- وجاء في صفاتهم قوله (تعالى):﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[الفتح: 29] وقوله (تعالى):﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (8) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[الحشر: 8-9] وقوله (تعالى):﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[الفتح: 26] وهذا مدح من الله (عز وجل) للصحابة (رضي الله عنهم) بأنهم أحق الناس بالتقوى وكلمة التقوى هي التوحيد وقوله (تعالى):﴿ سَابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[التوبة: 100] فقد رضي الله (عز وجل) عن المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.
- فمن شكَّك في دين الصحابة (رضي الله عنهم) أو انتقص منه أو أتهمهم بالردة أو الكفر أو كفر بعضهم وما شابه ذلك فهذا كفر لأن حقيقته تكذيب للقرآن لأن الله (عز وجل) رَضِيَ عنهم وعدَّلهم من فوق سبع سماوات. والذي ألمز على الصحابة (رضي الله عنهم) في صفات شخصية أو بعض الخلق غير الذي تكلم في دينهم.
- قال ابن مسعود (رضي الله عنه): " سُئِلَ النبي (ﷺ) أي الناس خير؟" قال: " قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم: تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته " [2] وهذه أهمية قرون الصحابة والتابعين وتابعي التابعين أنهم أفضل القرون.
- وقال جابر بن سمرة (رضي الله عنه): " خطب عمر الناس بالجابية فقال: إن رسول الله (ﷺ) قام في مثل مقامي هذا فقال: أحسنوا إلى أصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى إن الرجل ليحلف على اليمين قبل أن يستحلف عليها ويشهد على الشهادة قبل أن يستشهد عليها فمن أراد منكم أن ينال بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ألا لا يخلون رجل بامرأة فإن ثالثهما الشيطان ألا ومن كان منكم تسوءه سيئته وتسره حسنته فهو مؤمن " [3]

---

[1] وهذا لقوله (تعالى) ::﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[آل عمران: 110] وخيار هذه الأمة التي هي خير أمة هم الصحابة (رضي الله عنهم).

[2] أخرجه البخاري ومسلم عن ابن مسعود (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته) فيه الإشارة إلى التسارع في الشهادة واليمين لضعف الإيمان والرغبة في الدنيا وكثرة المعاصي والذنوب فيخف أمر اليمين والشهادة عنده تحملاً وأداءاً لقلة خوفه من الله (عز وجل) وعدم مبالاته بذلك وهذا من أعلام النبوة فإنه قد وُجِدَ ذلك.

[3] أخرجه النسائي وأحمد والترمذي وابن ماجة وابن حبان عن جابر بن سمرة (رضي الله عنه). قال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند: "إسناده صحيح". وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند: " صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين". والحديث صححه الألباني بمجموع طرقه في سلسلة الأحاديث الصحيحة. وقد أُختلِفَ على عبد الملك بن عمير فقد رواه جماعة عنه عن جابر بن سمرة عن عمر ورواه جماعة عنه عن عبد الله بن الزبير عن عمر ورواه جماعة عنه عن رجل لم يسم عن عبد الله بن الزبير وروي عنه عن ربعي بن حراش عن عمر وروي عنه عن قبيصة بن جابر عن عمر وروي عنه عن رجاء بن حيوة عن عمر قال الدارقطني في " العلل بعد أن أورد هذه الطرق: " ويشبه أن يكون الاضطراب في هذا الإسناد من عبد الملك بن عمير لكثرة اختلاف الثقات عنه في الإسناد والله أعلم". (يفشو) ينتشر (بحبوحة الجنة) أوسطها.

وقال (ﷺ) في بركة الصحابة (رضي الله عنهم) وفضلهم: " يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون: " فيكم من صاحب رسول الله (ﷺ)؟" فيقولون: " نعم" فيُفتح لهم ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيُقال: " هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله (ﷺ)؟" فيقولون: " نعم" فيُفتح لهم ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيُقال: " هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله (ﷺ)؟" فيقولون: "نعم" فيُفتح لهم " [1].

وقال أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه): " صلينا المغرب مع رسول الله (ﷺ) ثم قلنا: " لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء" قال: " فجلسنا فخرج علينا فقال: " ما زلتم هاهنا؟" قلنا: " يا رسول الله صلينا معك المغرب" ثم قلنا: " نجلس حتى نصلي معك العشاء" قال: " أحسنتم أو أصبتم" قال فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيرا مما يرفع رأسه إلى السماء فقال: " النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون" [2].

والصحابة في الفضل لهم مراتب كما جاء جبريل للنبي (ﷺ) وقال:" ما تعدون أهل بدر فيكم؟" قال: " من أفضل المسلمين" أو كلمة نحوها قال: " وكذلك من شهد بدرا من الملائكة" [3].

وكذلك لهم ترتيب في مجموعهم فالهاجرون أولاً ثم الأنصار ثم الذين شهدوا بدر ثم الذين شهدوا أحد ثم أهل الثبات في غزوة الأحزاب وهؤلاء ثبتوا في غزوة الأحزاب فهي غزوة مكاشفة فظهر فيها المنافقين وانخنسوا ثم أهل بيعة الرضوان [4].

وكذلك عندما تشاجر عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد (رضي الله عنهما) وسبَّ خالد (رضي الله عنه) عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) فقال (ﷺ): " لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه " [5].

وقال أبو الدرداء (رضي الله عنه): " كانت بين أبي بكر وعمر محاورة فأغضب أبو بكر عمر فانصرف عنه عمر مغضبا فاتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه فأقبل أبو بكر إلى رسول الله (ﷺ)فقال أبو الدرداء ونحن عنده: فقال رسول الله (ﷺ): " أما صاحبكم هذا فقد غامر" قال: " وندم عمر على ما كان منه فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي (ﷺ) وقص على رسول الله (ﷺ) الخبر قال أبو الدرداء: " وغضب رسول الله (ﷺ) وجعل أبو بكر يقول: " والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم" فقال رسول الله (ﷺ): " هل أنتم تاركون لي صاحبي هل أنتم تاركون لي صاحبي" إني قلت: " يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا فقلتم: كذبت وقال أبو بكر: صدقت " قال أبو عبد الله: " غامر: سبق بالخير " [6].

فقد اتفق أهل العلم أن أفضل الصحابة على الإطلاق هو أبو بكر (رضي الله عنه) وأفضل الخلق بعد النبيين (عليهم السلام) وأول الخلفاء الراشدين ثم عمر (رضي الله عنه) ثم عثمان (رضي الله عنه) ثم علي (رضي الله عنه).

وأبو بكر (رضي الله عنه) هو الوحيد الذي يُطلق عليه خليفة رسول الله (ﷺ) ومن بعده خليفة لخليفة رسول الله (ﷺ) أو يُقال عليه أمير المؤمنين.

وهناك أدلة كثيرة على أنه أحق الناس بالخلافة. أولاً هو قد أجمع عليه أهل العلم سواء أهل الحل والعقد في سقيفة بني ساعدة أو أجمع عليه المسلمون بعد ذلك في البيعة العامة ولم يتخلف أحد عن بيعة أبي بكر ولهذا بيعته كانت فلتة [7].

---

1 أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه). (فئام) جماعة ولا واحد له من لفظه (ليس له مفرد من لفظه). (فيُفتح لهم) أي ببركتهم.

2 أخرجه مسلم عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه).(أمنة للسماء) قال العلماء الأمنة والأمن والأمان بمعنى ومعنى الحديث أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء فانفطرت وانشقت وذهبت (وأنا أمنة لأصحابي) أي من الفتن والحروب وارتداد من ارتد من الأعراب واختلاف القلوب ونحو ذلك مما أنذر به صريحا وقد وقع كل ذلك (فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك وهذه كلها من معجزاته (ﷺ).

3 أخرجه البخاري عن رفاعة بن رافع (رضي الله عنه). (أهل بدر) الذين حضروا غزوة بدر. (نحوها) كقوله من خيار المسلمين.

4 لم أقف على دليل لهذا الترتيب.

5 أخرجه البخاري عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والصحيح أنه عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) وليس عن أبي هريرة (رضي الله عنه).(ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه) المراد أن القليل الذي أنفقه أحدهم أكثر ثوابا من الكثير الذي ينفقه غيرهم وسبب ذلك أن إنفاقهم كان مع الحاجة إليه لضيق حالهم ولأنه كان في نصرته (ﷺ) وحمايته غالبا ومثل إنفاقهم في مزيد الفضل وكثير الأجر باقي أعمالهم من جهاد وغيره لأنهم الرعيل الأول الذي شق طريق الحق والهداية والخير فكان لهم فضل السبق الذي لا يداينه فضل إلى جانب شرف صحبتهم رسول الله (ﷺ) وبذلهم نفوسهم وأرواحهم رخيصة دفاعا عن رسول الله (ﷺ)ونصره لدينه. (مُدَّ) ملء كف الرجل المتوسط اليدين (النصيف) النصف.

6 أخرجه البخاري عن أبي الدرداء (رضي الله عنه). (محاورة) مجادلة ومجاوبة. (غامر) سبق بالخير وزاحم فيه وخاصم من أجله.

7 وهذا للحديث الذي أخرجه البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنهما): "عن ابن عباس قال: كنت أقرئ رجالا من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها إذ رجع إلي عبد الرحمن فقال: " لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين اليوم فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في فلان؟ يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت" فغضب عمر ثم قال: " إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم". قال عبد الرحمن: فقلت: " يا أمير المؤمنين لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير وأن لا يعوها وأن لا يضعوها على مواضعها فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس فتقول ما قلت متمكنا فيعي أهل العلم مقالتك ويضعونها على مواضعها". فقال عمر: " أما والله - إن شاء الله -

- وثانياً إن أبا بكر (رضي الله عنه) صلى بالناس في مرض موته (ﷺ) فقد قالت عائشة (رضي الله عنها):"لما مرض رسول الله (ﷺ) مرضه الذي مات فيه فحضرت الصلاة فأذن فقال: " مروا أبا بكر فليصل بالناس" فقيل له: " إن أبا بكر رجل أسيف إذا قام في مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس" وأعاد فأعادوا له فأعاد الثالثة فقال: " إنكن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس" فخرج أبو بكر فصلى فوجد النبي (ﷺ) من نفسه خفة فخرج يهادى بين رجلين كأني أنظر رجليه تخطان من الوجع فأراد أبو بكر أن يتأخر فأومأ إليه النبي (ﷺ) أن مكانك ثم أتي به حتى جلس إلى جنبه قيل للأعمش: وكان النبي (ﷺ) يصلي وأبوبكر يصلي بصلاته والناس يصلون بصلاة أبي بكر فقال: برأسه نعم رواه أبو داود عن شعبة عن الأعمش بعضه وزاد أبو معاوية جلس عن يسار أبي بكر فكان أبو بكر يصلي قائما" [1]. وهذه إشارة أنه من يرتضيه النبي (ﷺ) لإمامة المسلمين في الصلاة والصلاة عامود الدين [2] فهو أحق الناس بالخلافة لأن الصلاة أهم أركان الدين وهذا

لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة". قال ابن عباس: " فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة فلما كان يوم الجمعة عجلت الرواح حين زاغت الشمس حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلى ركن المنبر فجلست حوله تمس ركبتي ركبته فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب فلما رأيته مقبلا قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: " ليقولن العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف" فأنكر علي وقال: " ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله" فجلس عمر على المنبر فلما سكت المؤذنون قام فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: " أما بعد فإني قائل لكم مقالة قد قدر لي أن أقولها لا أدري لعلها بين يدي أجلي فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته ومن خشي أن لا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب علي: إن الله بعث محمدا (ﷺ) بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها رجم رسول الله (ﷺ) ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم أو إن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم. ألا ثم إن رسول الله (ﷺ) قال: " لا تطروني كما أطري عيسى ابن مريم وقولوا: عبد الله ورسوله " ثم إنه بلغني أن قائلا منكم يقول: والله لو قد مات عمر بايعت فلانا فلا يغترن امرؤ أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت ألا وإنها قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر من بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه (ﷺ) أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة وخالف عنا علي والزبير ومن معهما واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نريدهم فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان فذكرا ما تمالأ عليه القوم فقالا: " أين تريدون يا معشر المهاجرين؟" فقلنا: " نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار" فقالا: " لا عليكم أن لا تقربوهم اقضوا أمركم" فقلت: " والله لنأتينهم" فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم فقلت: " من هذا؟" فقالوا: " هذا سعد بن عبادة" فقلت: " ما له؟" قالوا: " يُوعك" فلما جلسنا قليلا تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: " أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر المهاجرين رهط وقد دفت دافة من قومكم" فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر. فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر وكنت أداري منه بعض الحد فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: " على رسلك" فكرهت أن أغضبه فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت فقال: " ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم" فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا فلم أكره مما قال غيرها كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم إلا أن تسول إلي نفسي عند الموت شيئا لا أجده الآن. فقال قائل من الأنصار: " أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش". فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف فقلت: " ابسط يدك يا أبا بكر" فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار. ونزونا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم: " قتلتم سعد بن عبادة" فقلت: " قتل الله سعد بن عبادة" قال عمر: " وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة: أن يبايعوا رجلا منهم بعدنا فإما بايعناهم على ما لا نرضى وإما نخالفهم فيكون فساد فمن بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا". (أقرئ) قرآنا. (هل لك في فلان) ألا أخبرك بما قال. (فلانا) يعني طلحة بن عبيد الله (رضي الله عنه). (فلتة) فجأة من غير تدبر ووقعت من غير مشورة من جميع من كان ينبغي أن يشاور. (غوغاءهم) السفلة المتسرعون إلى الشر وهو في الأصل صغار الجراد حين يبدأ بالطيران (يغلبون على قربك) يمنعون أصحاب الرأي من الناس أن يكونوا في المكان القريب منك عند قيامك للخطبة ويكونون هم في القرب منك لغلبتهم. (يطيرها) يحمل مقالتك على غير وجهها وحقيقتها (لا يعوها) لا يحفظوها ولا يفهموها. (عقب) آخره أو بعده. (عجلنا الرواح) أسرعنا بالذهاب. (زاغت) زالت ومالت عن وسط السماء. (أنشب) أمكث. (المؤذنون) أي المؤذن الذي يؤذن بين يدي الخطيب حين يجلس على المنبر ويكون قد سكت قبله المؤذن الذي يؤذن خارج المسجد. (لعلها بين يدي أجلي) أي بقرب موتي. (آية الرجم) هي قوله تعالى فيما نسخ تلاوته وبقي حكمه [الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما]. (كفر) كفران حق ونعمة أو خروج عن الإسلام إن استحله. (وقى شرها) حماهم وحفظهم من شر العجلة فيها. (من تقطع الأعناق إليه) أي أعناق الإبل من كثرة السير والمعنى ليس فيكم مثل أبي بكر رضي الله عنه في الفضل ولذلك مضت خلافته - على ما كان في بيعته من عجلة - بخير وسلامة فلا يطمعن أحد منكم في مثل ذلك. (تغرة أن يقتلا) تغرة مصدر غرر بنفسه تغريرا وتغرة إذا عرضها للهلاك أي خوفا من أن يقتل المبايع والمتابع (قد كان من خبرنا) أي حين اجتمعنا في منزل رسول الله (ﷺ) ولم يجتمع الأنصار. وفي نسخة (من خبرنا) أي أبو بكر (رضي الله عنه). (أن الأنصار) في نسخة (ألا إن الأنصار). (تمالأ) اتفق. (رجلان) هما عويم بن ساعدة ومعن بن عدي رضي الله عنهما (اقضوا أمركم) افصلوا في أمركم واختياركم لخليفتكم. (مزمل) ملتف في ثوب. (يُوعك) تصيبه الحمى. (تشهد) قال كلمة الشهادة. (خطيبهم) قيل كان ثابت بن قيس بن شماس. (كتيبة الإسلام) الكتيبة هي الجيش المجتمع الذي لا ينتشر والمراد أنهم أكثر المسلمين ومجتمع الإسلام. (رهط) نفر يسير بمنزلة الرهط وهو ما دون العشرة من الرجال. (دفت دافة) جاء عدد قليل والدافة الرفقة يسيرون سيرا لينا والمعنى إنكم قوم غرباء مطرودون أقبلتم من مكة إلينا. (أن يختزلونا) أن يقتطعونا عن الأمر وينفردوا به دوننا. (يحضنونا) يخرجونا من الإمارة والحكم ويستأثروا به علينا. (زورت) من التزوير وهو التحسين والتزيين. (أداري منه بعض الحد) أدفع عنه بعض ما يعتريه من الغضب ونحوه. (على رسلك) اتئد واستعمل الرفق. (أوقر) أكثر وقارا وهو الرزانة عند الطلب والتأني في الأمور. (بديهته) هي سداد الرأي عند المفاجأة والمعرفة يجدها الإنسان في نفسه من غير إعمال للفكر ولا علم بأسبابها. (يعرف هذا الأمر) الخلافة. (غيرها) أي ما كرهت إلا قوله وإشارته إلي. (تسول) تزين (جذيلها المحكك) أصله عود ينصب في العطن لتحتك به الإبل الجربى أي أنا ممن يستشفى برأيه كما تستشفي الإبل الجربى بالاحتكاك به (عذيقها المرجب) هو القنو العظيم من النخيل. والقنو الغصن والمراد أنه داهية عالم في الأمور. (اللغط) الصوت والضجيج. (فرقت) خشيت (نزونا) وثبنا عليه. (قتلتم سعد بن عبادة) خذلتموه وأعرضتم عنه واحتسبتموه في عداد القتلى. (قتل الله سعد بن عبادة) القائل هو عمر (رضي الله عنه) والمعنى إن الله تعالى هو الذي قدر خذلانه وعدم صيرورته خليفة أو هو دعاء عليه لأن موقفه كان ربما أحدث فرقة في المسلمين.

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها). (المواظبة) الملازمة والمداومة. (فأذن) في نسخة فأوذن. (أسيف) من الأسف وهو شدة الحزن والمراد أنه رقيق القلب سريع البكاء. (صواحب يوسف) أي مثل صواحبه في التظاهر والاتفاق على ما يردن من كثرة الإلحاح فيما يمكن أن يكون.

[2] راجع المحاضرة الثالثة عشر رقم (6) صـ 3.

دليل أنه يرتضيه لشئون المسلمين.

- وهناك المرأة العجوز التي أتت للنبي (ﷺ) فقال لها: "آتيني العام القادم" فقالت: "فإن لم أجدك؟" فقال لها: "آتي لهذا" [1].
- وكذلك ورد عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) أنه توضأ في بيته ثم خرج فقلت: " لألزمن رسول الله (ﷺ) ولأكونن معه يومي هذا" قال: " فجاء المسجد فسأل عن النبي (ﷺ) فقالوا: " خرج ووجه ها هنا" فخرجت على إثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله (ﷺ) حاجته فتوضأ فقمت إليه فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت لأكونن بواب رسول الله (ﷺ) اليوم فجاء أبو بكر فدفع الباب فقلت: " من هذا؟" فقال: " أبو بكر" فقلت: " على رسلك" ثم ذهبت فقلت: " يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن؟" فقال: " ائذن له وبشره بالجنة". فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: " ادخل ورسول الله (ﷺ) يبشرك بالجنة" فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله (ﷺ) معه في القف ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي (ﷺ) وكشف عن ساقيه ثم رجعت فجلست وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني فقلت: " إن يرد الله بفلان خيراً - يريد أخاه - يأت به" فإذا إنسان يحرك الباب فقلت: " من هذا؟" فقال: " عمر بن الخطاب" فقلت: " على رسلك" ثم جئت إلى رسول الله (ﷺ) فسلمت عليه فقلت: " هذا عمر بن الخطاب يستأذن؟" فقال: " ائذن له وبشره بالجنة" فجئت فقلت: " ادخل وبشرك رسول الله (ﷺ) بالجنة" فدخل فجلس مع رسول الله (ﷺ) في القف عن يساره ودلى رجليه في البئر ثم رجعت فجلست فقلت: " إن يرد الله بفلان خيراً يأت به" فجاء إنسان يحرك الباب فقلت: " من هذا؟" فقال: " عثمان بن عفان" فقلت: " على رسلك" فجئت إلى رسول الله (ﷺ) فأخبرته فقال: " ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه" فجئته فقلت له: " ادخل وبشرك رسول الله (ﷺ) بالجنة على بلوى تصيبك" فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الشق الآخر قال شريك بن عبد الله قال سعيد بن المسيب " فأولتها قبورهم" [2].
- وعن قتادة أن أنس بن مالك (رضي الله عنه) حدثهم " أن النبي (ﷺ) صعد أُحُداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان" [3].
- وأبو بكر هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن مُرَّة التيمي وهو والد عائشة (رضي الله عنها) خير نساء المؤمنين [4] وأحب النساء إلى النبي (ﷺ).
- نزل فيه كثير من الفضل في القرآن كما في قوله (تعالى): ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[النور: 22].

وسبب نزول هذه الآية كما روت عائشة (رضي الله عنها) :" كان رسول الله (ﷺ) إذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه فأيهن خرج سهمها خرج بها رسول الله (ﷺ) الحجاب فكنت أحمل في هودجي وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله (ﷺ) من غزوته تلك وقفل دنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه قالت: وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلوني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل فساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وكان

---

[1] لم أقف عليه.

[2] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه). (إثره) عقبه. (أريس) هو بستان في المدينة قريب من قباء. (قفها) حافتها. (قفها) أي حافتها. (على رسلك) تمهل ولا تعجل. (أخي) كان لأبي موسى رضي الله عنه أخوان هما أبو رهم وأبو بردة رضي الله عنهما. (بلوى) بلية وهي التي صار بها شهيد الدار عندما داهمه الثوار الآثمون. (فأولتها قبورهم) أي فسرت جلستهم على تلك الهيئة بما كان من تجاوز قبورهم بعد موتهم وكون قبر عثمان رضي الله (رضي الله عنه) عنه بعيدا عنهم في البقيع.

[3] أخرجه البخاري عن أنس (رضي الله عنه) ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه). (فرجف) اضطرب وذلك معجزة. (صديق) صيغة مبالغة من الصدق والمراد به أبو بكر (رضي الله عنه). (شهيدان) هما عمر وعثمان (رضي الله عنهما) وقد ماتا شهيدين.

[4] قال ابن القيم (رحمه الله) وهو يتكلم عن خديجة (رضي الله عنها) :" ومنها (أي من خصائصها) أنَّها خيرُ نساء الأمَّة واختُلف في تفضيلها على عائشة (رضي الله عنها) على ثلاثة أقوال: ثالثُها: الوقف وسألتُ شيخَنا ابن تيمية رحمة الله عليه؟ فقال: اختصَّ كلُّ واحدةٍ منهما بخاصَّة فخديجةُ كان تأثيرُها في أوَّل الإسلام وكانت تُسَلِّي رسولَ الله (ﷺ) وتُثبِّتُه وتُسكنه وتَبذُلُ دونه مالَها فأدركت غرة الإسلام واحتملتِ الأذى في الله تعالى وفي رسوله (ﷺ) وكانت نُصرتُها للرَّسول (ﷺ) في أعظمِ أوقات الحاجة فلها من النُّصرةِ والبذل ما ليس لغيرها وعائشة (رضي الله عنها) تأثيرُها في آخر الإسلام فلها من التفقُّه في الدِّين وتبليغه إلى الأمَّة وانتفاع بَنيها بما أدَّت إليهم من العلم ما ليس لغيرها هذا معنى كلامِه".

رآني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت إليها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول قالت: " فهلك من هلك وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول" قال عروة: " أُخبِرتُ أنه كان يُشاع ويُتحدث به عنده فيُقره ويستمعه ويستوشيه" وقال عروة أيضا: " لم يسم من أهل الإفك أيضا إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى وإن كبر ذلك يُقال له: عبد الله بن أبي ابن سلول" قال عروة: " كانت عائشة تكره أن يُسب عندها حسان وتقول: إنه الذي قال: " فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء" قالت عائشة: " فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله (ﷺ) اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي إنما يدخل علي رسول الله (ﷺ) فيسلم ثم يقول: " كيف تيكم؟" ثم ينصرف فذلك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا قالت: " وأمرنا أمر العرب الأول في البرية قبل الغائط وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا" قالت: " فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: " تعس مسطح" فقلت لها: " بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدراً؟" فقالت: " أي هنتاه ولم تسمعي ما قال؟" قالت: " وقلت: ما قال؟" فأخبرتني بقول أهل الإفك قالت: " فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله (ﷺ) فسلم ثم قال: " كيف تيكم؟" فقلت له: " أتأذن لي أن آتي أبوي؟" قالت: " وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما" قالت: " فأذن لي رسول الله (ﷺ) فقلت لأمي: " يا أمتاه ماذا يتحدث الناس؟" قالت: " يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن عليها" قالت: فقلت: " سبحان الله أولقد تحدث الناس بهذا؟" قالت: " فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت: " ودعا رسول الله (ﷺ)علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت: " فأما أسامة فأشار على رسول الله (ﷺ) بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه فقال أسامة: " أهلك ولا نعلم إلا خيراً" وأما علي فقال: " يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية تصدقك" قالت: " فدعا رسول الله (ﷺ) بريرة فقال: " أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك؟". قالت له بريرة: " والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله" قالت: " فقام رسول الله (ﷺ) من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال: " يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيراً وما يدخل على أهلي إلا معي؟". قالت: " فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال: " أنا يا رسول الله أعذرك فإن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك" قالت: " فقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج قالت: " وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يُقتل". فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: " كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين" قالت: " فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله (ﷺ) قائم على المنبر قالت: " فلم يزل رسول الله (ﷺ) يخفضهم حتى سكتوا وسكت" قالت: " فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم" قالت: " وأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى إني لأظن أن البكاء فالق كبدي فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت: " فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله (ﷺ) علينا فسلم ثم جلس قالت: " ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهرا لا يُوحى إليه في شأني بشيء قالت: " فتشهد رسول الله (ﷺ) حين جلس ثم قال: " أما بعد يا عائشة إنه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه" قالت: " فلما قضى رسول الله (ﷺ) مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبي: " أجب رسول الله (ﷺ) عني فيما قال" فقال أبي: " والله ما أدري ما أقول لرسول الله (ﷺ)" فقلت لأمي: " أجيبي رسول الله (ﷺ) فيما قال" قالت أمي: " والله ما أدري ما أقول لرسول الله (ﷺ)" فقلت: " وأنا جارية حديثة السن: لا أقرأ من القرآن كثيرا: إني والله لقد علمت: لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم: إني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقني فوالله لا أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف حين قال: {فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون} [يوسف: 18] ثم تحولت واضطجعت على فراشي والله يعلم أني حينئذ بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله (ﷺ)

في النوم رؤيا يبرئني الله بها فوالله ما رام رسول الله (ﷺ) مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه قالت: فسُرِّي عن رسول الله (ﷺ) وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال: " يا عائشة أما الله فقد برأك". قالت: فقالت لي أمي: " قومي إليه" فقلت: " والله لا أقوم إليه فإني لا أحمد إلا الله (ﷻ)" قالت: وأنزل الله تعالى: {إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم} العشر الآيات ثم أنزل الله هذا في براءتي **قال أبو بكر الصديق: " وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: " والله لا أنفق على مسطح شيئا أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال" فأنزل الله: {ولا يأتل أولو الفضل منكم} - إلى قوله - {غفور رحيم} [البقرة: 173] قال أبو بكر الصديق: " بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي" فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: " والله لا أنزعها منه أبداً"** قالت عائشة: " وكان رسول الله (ﷺ) سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال لزينب: " ماذا علمت أو رأيت؟". فقالت: " يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيراً" قالت عائشة: " وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي (ﷺ) فعصمها الله بالورع" قالت: " وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك" قال ابن شهاب: " فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط" ثم قال عروة قالت عائشة: " والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول: سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف أنثى قط قالت: ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله " [1].

ونزل فيه كذلك قوله (ﷻ):﴿ **وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (17) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (18) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (20) وَلَسَوْفَ يَرْضَى** ﴾[الأعلى: 17-21] [2].

قال ابن عمر (رضي الله عنهما):"كنا في زمن النبي (ﷺ) لا نعدل بأبي بكر أحدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي (ﷺ) لا نفاضل بينهم" [3]. هناك خلاف عند بعض أهل العلم أيهما أفضل عثمان أم علي (رضي الله عنهما) ولكن استقر أهل العلم المعتبرين يُقِّدمن عثمان على علي (رضي الله عنهما) وهذا لأن هذا هو الترتيب الذي جاء في الخلافة فهو الذي ارتضاه الله (ﷻ).

ومما يدل على تقديم أبي بكر على بقية الصحابة حديث عمرو بن العاص (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت: " أي الناس أحب إليك؟ قال: " عائشة" فقلت: " من الرجال؟" فقال: " أبوها" قلت: " ثم من؟" قال: " ثم عمر بن الخطاب" فعدَّ رجالاً" [4]. فقد ظن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) أنه (ﷺ) عندما بعثه على قيادة الجيش فهو يُفضِّله على بقية الصحابة فعلِمَ أنه ليس لأنه كان قائداً على هؤلاء الصحابة (رضي الله عنهم) أنه أفضل منهم ولقد أرسل (ﷺ) أسامة بن

---

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها) والرواية للبخاري. (اقتصاصا) أحفظ وأحسن ايرادا وسردا للحديث. (يهبلن) لم يسمن ولم يكثر لحمهن وشحمهن. (باسترجاعه) بقوله إنا لله وإنا إليه راجعون. (فخمرت) غطيت. (بجلبابي) الجلباب ثوب يغطي جسم المرأة. (فوطئ على يدها) ليسهل ركوبها ولا يحتاج إلى مساعدة. (موغرين) أي داخلين في وقت شدة الحر. (نحر الظهيرة) صدر وقت الظهر وأوله. (يستوشيه) يطلب ما عند المتحدث ليزيد منه. (عصبة) جماعة. (كما قال الله تعالى) أي كما ذكر في القرآن أنهم عصبة دون تحديدهم بقوله تعالى {إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم} / النور 11 /. (كبر ذلك) متولي معظم حديث الإفك ومشيعه. (عرضي) العرض هو موضع المدح والذم من الإنسان وقيل جانبه الذي يصونه من نفسه وحسبه ويحامي عنه أن ينتقص أو ينال منه. (يفيضون) يخضون. (يريبني) يشككني في حاله. (اللطف) الرفق والإحسان. (تيكم) اسم إشارة للمؤنث. (نقهت) أفقت من المرض وصححت من علتي. (المناصع) مواضع خارج المدينة كانوا يتبرزون فيها واحدها منصع لأنه يبرز إليه ويظهر من نصع الشيء إذا وضح وبان. (متبرزنا) مكان قضاء حاجتنا. (الكنف) جمع كنيف وهو المكان المستور من بناء أو نحوه يتخذ لقضاء الحاجة. (قبل الغائط) أي التوجه نحو مكان منخفض لقضاء الحاجة. (أي هنتاه) يا هذه وقيل يا بلهاء لقلة معرفتها بمكايد الناس وشرورهم. (وضيئة) حسنة جميلة من الوضاءة وهي الحسن. (أكثرن) أكثرن القول الرديء عليها. (يرقأ) يسكن وينقطع. (يضيق الله عليك) أي تستطيع أن تطلقها وتتزوج غيرها ولم يقل ذلك عداوة ولا بغضا لها ولا شكا في أمرها إنما قاله إشفاقا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من انزعاجه بهذا الأمر فأراد اراحة خاطره وتسهيل الأمر عليه. (أغمصه عليها) أعيبها به. (الداجن) الشاة التي تقتنى في البيوت وتلعف ولا تخرج إلى المرعى وقد تطلق على غير الشاة من كل ما يألف البيوت من الطير وغيره. (يعذرني) يقوم بعذري إن جازيته على قبيح فعاله وقيل ينصرني العذير الناصر. (رهطك) جماعتك وقبيلتك. (قلص دمعي) انقطع. (البرحاء) الشدة التي كانت تصيبه عند نزول الوحي. (الجمان) اللؤلؤ الصغار. (تحارب لها) تطعن بي وتعاديني تعصبا لأختها لأني ضرة لها مع أن زينب نفسها أمسكت عن هذا وما قالت إلا خيرا رضي الله عنها وأرضاها. (الرجل) المتهم وهو صفوان بن المعطل (رضي الله عنه). (كنف أنثى) ثوبها الذي يسترها وهو كناية عن عدم جماع النساء ومخالطتهن

[2] قال ابن كثير (رحمه الله) في تفسير هذه الآية: "وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك. ولا شك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها فإن لفظها لفظ العموم وهو قوله تعالى: {وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى} ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة فإنه كان صديقا تقيا كريما جوادا بذالا لأمواله في طاعة مولاه ونصرة رسول الله فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل ولهذا قال له عروة بن مسعود -وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية-: أما والله لولا يد لك كانت عندي لم أجزك بها لأجبتك. وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم؟ ولهذا قال: {وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى} وفي الصحيحين أن رسول الله (ﷺ) قال: "من أنفق زوجين في سبيل الله دعته خزنة الجنة: يا عبد الله هذا خير" فقال أبو بكر: " يا رسول الله ما على من يدعى منها ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد؟" قال: "نعم وأرجو أن تكون منهم".

[3] أخرجه البخاري عن ابن عمر (رضي الله عنهما). وقد روى عنه أبو داود قوله " كنا نقول ورسول الله (ﷺ) بين حي: أفضل أمة النبي بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان" وزاد الطبراني "ويسمع النبي (ﷺ) فلا ينكره"

[4] أخرجه البخاري ومسلم عن عمرو بن العاص (رضي الله عنه). (ذات السلاسل) أي الغزوة المسماة بذلك وهو اسم مكان وكانت الغزوة سنة سبع للهجرة وقيل سميت كذلك لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض وقيل لأن الأرض التي كانوا فيها ذات رمل ينعقد بعضه على بعض كالسلسلة. (فعدَّ رجالا) أي ذكر عددا من الرجال الذين يحبهم منهم أبو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه).

زيد (رضي الله عنه) قائداً على جيش فيه أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) ولكن هذا لا يعني الأفضلية.

- وقال (ﷺ): " إن عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده" فبكى أبو بكر وقال: " فديناك بآبائنا وأمهاتنا" فعجبنا له وقال الناس: " انظروا إلى هذا الشيخ يُخبر رسول الله (ﷺ) عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده وهو يقول: " فديناك بآبائنا وأمهاتنا" فكان رسول الله (ﷺ)هو المُخيَّر وكان أبو بكر هو أعلمنا به وقال رسول الله (ﷺ): " إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر **ولو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر إلا خلة الإسلام لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر**" [1].
- والصحيح أن كلاً من إبراهيم (عليه السلام) ومحمد (ﷺ) خليل للرحمن فلا يصح أن تقول إبراهيم خليل الرحمن ومحمد (ﷺ) حبيب الرحمن فقط وليس خليله [2].
- خلافة أبو بكر كانت سنتان وتخللها حروب الردة وهي التي أهم المواقف التي سدَّد خُطى أبي بكر (رضي الله عنه) فهو الذي اختار الحرب وخالفه في ذلك كثير من الصحابة (رضي الله عنهم) كما قال أبو هريرة (رضي الله عنه): " لما توفي النبي (ﷺ) واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر: يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله (ﷺ): " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فمن قال: لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله ". قال أبو بكر: " والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله (ﷺ) لقاتلتهم على منعها" قال عمر: " فوالله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق" [3]. وهذا يدل على أن الشورى لا يُشترط فيها العدد أو الأكثرية كما يُقال فأبو بكر (رضي الله عنه) كان وحيداً وكان الخليفة وهؤلاء مستشارون وهم أهل الحل والعقد ولكن عندما يرى الخليفة الأمر فلابد أن غيره ينصاع حتى ولو رأوا غير راي الخليفة لأن الله (عز وجل) جعله خليفة فهو لابد أن يُتَّبع رغم إن الأمر جلل وكان بعد وفاته (ﷺ) بشهور فقط وكل الصحابة (رضي الله عنهم) كانوا موجودين فرأي أهل الحل والعقد ليس مُلزم طالما ليس في رأي الخليفة ما يُخالف شرع الله (عز وجل) فهذا أمر اجتهادي من حق الخليفة وعلى من معه أن يسمعوا ويطيعوا.
- وأبو بكر قاتل طائفتين من الناس: طائفة المرتدين الذين أرتدوا عن الإسلام بالكلية ممن اتبعوا مسيلمة وغيره وطائفة أخرى منعوا الزكاة متأولين بأنهم كانوا يُعطونها لرسول الله (ﷺ) في حياته لقوله (سبحانه وتعالى):﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾[التوبة: 103] والنبي (ﷺ) قد مات فلا نُعطي الزكاة لأحد من بعده وبيَّن أبو بكر (رضي الله عنه) للصحابة (رضي الله عنهم) أنه من فرَّق بين الصلاة والزكاة يُقاتل وخصوصاً أن له شوكة ومنَعَة ويُقاتل على منعها لأنه منع شعيرة من شعائر الله (عز وجل) والعلماء أصلاً أختلفوا هل قاتلهم أبو بكر لأنهم مرتدين أم لأنهم بُغاة؟. والصحيح أنهم لم يُقاتلوا ردَّة وسُمَّيت الحروب بحروب الردة من باب التغليب لأن أكثر من حاربهم كانوا من المرتدين. وكان يُقاتلهم وليس يُجاهدهم مُجاهدة النفس كما يقول البعض فجهاد النفس على الصبر والطاعة ولكن الحروب قتال وهي تُسمَّى حروب الردة. وكلمة الجهاد عند إطلاقها تنصرف إلى الجهاد الأصلي وهو القتال. فمتفق عليه في التاريخ أنها كانت حروب وأرسل فيها أبو بكر (رضي الله عنه) سرايا.
- وأما استخلاف عمر (رضي الله عنه) فذكر ابن سعد عن الواقدي عن ابن أبي سبرة عن عبد المجيد بن سهيل عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: " لما نزل بأبي بكر (رضي الله عنه) الموت دعا عبد الرحمن بن عوف فقال: " أخبرني عن عمر". فقال: " إنه أفضل من رأيك إلا أنه فيه غلظة". فقال أبو بكر: " ذلك لأنه يراني رقيقا ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيرا مما هو عليه وقد رمقته فكنت إذا غضبت على رجل أراني الرضاء عنه وإذا لنت له أراني الشدة عليه". ودعا عثمان بن عفان وقال له: "أخبرني عن عمر". فقال: " سريرته خير من علانيته وليس فينا مثله". فقال أبو بكر لهما: " لا تذكرا مما قلت لكما شيئا ولو تركته ما عدوت عثمان والخيرة له ألا يلي من أموركم شيئا ولوددت أني كنت من أموركم خلوا وكنت فيمن مضى من سلفكم". ودخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر فقال: " استخلفت على الناس عمر وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه وكيف به إذا خلا بهم وأنت لاق ربك فسائلك عن رعيتك!" فقال أبو بكر: " أجلسوني" فأجلسوه فقال: " أبالله تخوفني! إذا لقيت ربي فسألني

---

1 أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) ومسلم عن جندب (رضي الله عنه). (زهرة الدنيا) نعيمها وأعراضها. (خوخة) هي الباب الصغير بين البيتين ونحوه. وفي رواية مسلم:" إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ولو كنت متخذا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك". (أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل) معنى أبرأ أي أمتنع من هذا وأنكره والخليل هو المنقطع إليه وقيل المختص بشيء دون غيره قيل هو مشتق من الخلة (بفتح الخاء) وهي الحاجة وقيل من الخلة (بضم الخاء) وهي تخلل المودة في القلب.

2 راجع رواية مسلم في الهامش في الحديث السابق.

3 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه). (وحسابه على الله) معناه أي فيما يستسرون به ويخفونه دون ما يخلون به في الظاهر من الأحكام الواجبة (العناق): الأنثى من ولد المعز ما لم يتم له سنة وهي السخلة وفي رواية (العقال): هو الحبل الذي يُعقل به البعير

قلت: استخلفت على أهلك خير أهلك". ثم إن أبا بكر أحضر عثمان بن عفان خالياً ليكتب عهد عمر فقال له: " اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين أما بعد " - ثم أغمي عليه - فكتب عثمان: " أما بعد فإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرا". ثم أفاق أبو بكر فقال: " اقرأ علي". فقرأ عليه فكبر أبو بكر وقال: " أراك خفت أن يختلف الناس إن مت في غشيتي". قال: " نعم". قال: " جزاك الله خيرا عن الإسلام وأهله". فلما كتب العهد أمر به أن يقرأ على الناس فجمعهم وأرسل الكتاب مع مولى له ومعه عمر فكان عمر يقول للناس: " أنصتوا واسمعوا لخليفة رسول الله (ﷺ) فإنه لم يألكم نصحاً". فسكن الناس فلما قرئ عليهم الكتاب سمعوا وأطاعوا وكان أبو بكر أشرف على الناس وقال: " أترضون بمن استخلفت عليكم؟ فإني ما استخلفت عليكم ذا قرابة وإني قد استخلفت عليكم عمر فاسمعوا له وأطيعوا فإني والله ما ألوت من جهد الرأي". فقالوا: " سمعنا وأطعنا". ثم أحضر أبو بكر عمر فقال له: " إني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله (ﷺ) وأوصاه بتقوى الله ثم قال: " يا عمر إن لله حقا بالليل لا يقبله في النهار وحقا في النهار لا يقبله بالليل وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ألم تر يا عمر أنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه غدا إلا حق أن يكون ثقيلاً. ألم تر يا عمر أنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه غدا إلا باطل أن يكون خفيفاً. ألم تر يا عمر أنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون المؤمن راغباً راهباً لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه. أولم تر يا عمر أنما ذكر الله أهل النار بأسوأ أعمالهم فإذا ذكرتهم قلت: إني لأرجو ألا أكون منهم وأنه إنما ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم لأنه يجاوز لهم ما كان من سيئ فإذا ذكرتهم قلت أين عملي من أعمالهم؟ فإن حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من حاضر من الموت ولست بمعجزه" [1].

- فمن أساليب الحكم أن يعهد الحاكم إلى غيره قبل موته وهذا من أساليب الحكم المتفق عليها ولهذا لم يُنكر بيعة عمر (رضي الله عنه) أحد فعلى الرغم مما يعلمون من شدته إلا أنه قبلوا به (رضي الله عنه) فقد كانت شدته في الحق.
- والصحابة (رضي الله عنهم) كان يخشون من شدة عمر (رضي الله عنه) مع الناس ولكن الناظر لتاريخ خلافته يعرف أنه كان شديداً في الحق وألين الناس مع الرعية بعدله.
- فجاء الفاروق عمر (رضي الله عنه) الذي مناقبه لا تُعد ولا تُحصى واستمرت خلافته عشر سنوات وانتشرت فيها الفتوحات وانتشر العدل في ربوع الأمة الإسلامية.
- ومات عمر بطعنة أبي لؤلؤة المجوسي عليه من الله (عز وجل) ما يستحق وقد ورد أن عن أبي رافع قال: " كان أبو لؤلؤة عبداً للمغيرة بن شعبة وكان يصنع الأرحاء وكان المغيرة يستغله كل يوم بأربعة دراهم فلقي أبو لؤلؤة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقال: " يا أمير المؤمنين إن المغيرة قد أثقل عليَّ غلتي فكلمه يُخفِّف عني" فقال له عمر: " اتق الله وأحسن إلى مولاك" فغضب العبد وقال: " وسع الناس كلهم عدلك غيري" فأضمر على قتله فاصطنع جُرَّاً له رأسان وسمَّه ثم أتى به الهرمزان فقال: " كيف ترى هذا؟" فقال: " إنك لا تضرب بهذا أحدا إلا قتلته". قال: " وتحين أبو لؤلؤة عمر فجاءه في صلاة الغداة حتى قام وراء عمر وكان عمر إذا أقيمت الصلاة يقول: " أقيموا صفوفكم" فقال كما كان يقول فلما كبر وجأه أبو لؤلؤة في كتفه ووجأه في خاصرته فسقط عمر وطعن بخنجره ثلاثة عشر رجلا فهلك منهم سبعة وحُمِلَ عمر فذهب به إلى منزله وصاح الناس حتى كادت تطلع الشمس فنادى الناس عبد الرحمن بن عوف: " يا أيها الناس الصلاة الصلاة" قال: " ففزعوا إلى الصلاة فتقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم بأقصر سورتين في القرآن فلما قضى صلاته توجهوا إلى عمر فدعا عمر بشراب لينظر ما قدر جرحه فأتي بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فلم يدر أنبيذ هو أم دم فدعا بلبن فشربه فخرج من جرحه فقالوا: " لا بأس عليك يا أمير المؤمنين" قال: " إن يكن القتل بأسا فقد قتلت". فجعل الناس يُثنون عليه يقولون: " جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين كنت وكنت" ثم ينصرفون ويجيء قوم آخرون فيُثنون عليه فقال عمر: " أما والله على ما تقولون وددت أني خرجت منها كفافاً لا عليَّ ولا لي وإن صحبة رسول الله (ﷺ) سلمت لي. تكلم عبد الله بن عباس - وكان عند رأسه وكان خليطه كأنه من أهله وكان ابن عباس يُقرئه القرآن - فتكلم بن عباس فقال: " لا والله لا تخرج منها كفافا لقد صحبت رسول الله (ﷺ) فصحبته وهو عنك راض بخير ما صحبه صاحب كنت له وكنت له وكنت له حتى قبض رسول الله (ﷺ) وهو عنك راض ثم صحبت خليفة رسول الله فكنت تنفذ أمره وكنت له وكنت له ثم وليتها يا أمير المؤمنين أنت فوليتها بخير ما وليها وال وكنت تفعل وكنت تفعل" فكان عمر يستريح إلى حديث ابن عباس فقال له عمر: " كرر عليَّ حديثك" فكرر عليه فقال عمر:" أما والله على ما تقول لو أن لي طلاع الأرض ذهبا لافتديت به اليوم من هول المطلع قد جعلتها شورى في ستة: عثمان وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن

---

[1] أخرجه ابن سعد في " الطبقات" وابن الجوزي في "مناقب عمر" والطبري في تاريخه وابن الأثير في الكامل ووهي روايته ومحمود شاكر في الخلفاء الراشدون وإسناده ضعيف جداً. وأخرج ابن سعد والحاكم عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: " أفرس الناس ثلاثة: أبو بكر حين استخلف عمر وصاحبة موسى حين قالت: استأجره والعزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته: أكرمي مثواه" وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

أبي وقاص وجعل عبد الله بن عمر معهم مشيرا وليس منهم وأجلهم ثلاثا وأمر صهيباً أن يُصلي بالناس رحمة الله عليه ورضوانه" [1]. وعهِد عمر (رضي الله عنه) لأن النبي (ﷺ) مات وهو راضٍ عنهم وهؤلاء هم المتبقون من العشرة المبشرين بالجنة [2].

- وجاء عند البخاري في استخلاف عثمان (رضي الله عنه) قال: ".... فقال عبد الرحمن: " اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم" فقال الزبير: " قد جعلت أمري إلى علي" فقال طلحة: " قد جعلت أمري إلى عثمان" وقال سعد: " قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف" فقال عبد الرحمن: " أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه؟" فأسكت الشيخان فقال عبد الرحمن: " أفتجعلونه إلي والله علي أن لا آل عن أفضلكم" قالا: " نعم" فأخذ بيد أحدهما فقال: " لك قرابة من رسول الله (ﷺ) والقدم في الإسلام ما قد علمت فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن" ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك فلما أخذ الميثاق قال: " ارفع يدك يا عثمان" فبايعه فبايع له علي وولج أهل الدار فبايعوه " [3].
- وهذه طريقة أخرى من طرق البيعة وهي الاختيار عن طريق مجلس شورى المسلمين في استخلاف الحاكم.
- ثم حكم عثمان (رضي الله عنه) ثلاث عشرة سنة وزادت فيها رقعة الإسلام وهو تزوج اثنين من بنات النبي (ﷺ) وهو صاحب بئر رومة وجهَّز جيش العسرة [4].
- ولكن هؤلاء الذين خرجوا عليه عليهم من الله (عز وجل) ما يستحقون وهي بداية قصة مقتل عثمان (رضي الله عنه) كما ذكر ابن كثير في (البداية والنهاية) مختصراً:" ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وفيها مقتل عثمان وكان السبب في ذلك أن عمرو بن العاص حين عزله عثمان عن مصر ولى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكان سبب ذلك أن الخوارج من المصريين كانوا محصورين من عمرو بن العاص مقهورين معه لا يستطيعون أن يتكلموا بسوء في خليفة ولا أمير فما زالوا حتى شكوه إلى عثمان لينزعه عنهم ويُولِّي عليهم من هو ألين منه. فلم يزل ذلك دأبهم حتى عزل عمراً عن الحرب وتركه على الصلاة وولى على الحرب والخراج عبد الله بن سعد بن أبي سرح ثم سعوا فيما بينهما بالنميمة فوقع بينهما حتى كان بينهما كلام قبيح فأرسل عثمان فجمع لابن أبي سرح جميع عمالة مصر خراجها وحربها وصلاتها وبعث إلى عمرو يقول له: " لا خير لك في المقام عند من يكرهك فأقدم إليَّ" فانتقل عمرو بن العاص إلى المدينة. وكان بمصر جماعة يبغضون عثمان ويتكلمون فيه بكلام قبيح على ما قدمنا وينقمون عليه في عزله جماعة من علية الصحابة وتوليته من دونهم أو من لا يصلح عندهم للولاية وكره أهل مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح بعد عمرو بن العاص واشتغل عبد الله بن سعد عنهم بقتال أهل المغرب وفتحه بلاد البربر والأندلس وإفريقية. ونشأ بمصر طائفة من أبناء الصحابة يؤلبون الناس على حربه والإنكار عليه وكان عظم ذلك مسندا إلى محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة حتى استنفرا نحوا من ستمائة راكب يذهبون إلى المدينة في صفة معتمرين في شهر رجب ليُنكروا على عثمان فساروا إليها تحت أربع رفاق وأمر الجميع إلى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعبد الرحمن بن عديس البلوي وكنانة بن بشر التجيبي وسودان بن حمران السكوني. وأقبل معهم محمد بن أبي بكر وأقام بمصر محمد بن أبي حذيفة يؤلب الناس ويدافع عن هؤلاء. وكتب عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى عثمان يعلمه بقدوم هؤلاء القوم إلى المدينة منكرين عليه في صفة معتمرين. ذكر مجيء الأحزاب إلى عثمان للمرة الثانية من مصر: وذلك أن أهل الأمصار لما بلغهم خبر مروان بن الحكم أنه زوَّر كتابا على لسان عثمان يأمر فيه ولاة الأمصار بقتل المؤلبين عليه وغضب علي على عثمان بسببه ووجدوا الأمر على ما كان عليه لم يتغير ولم يسلك عثمان سيرة صاحبيه تكاتب أهل مصر وأهل الكوفة وأهل

---

1 أخرجه ابن حبان في صحيحه وهي روايته وهو حديث صحيح إسناده على شرط مسلم. قطن بن نسير قال ابن عدي: لا بأس به وذكره المؤلف في "الثقات" وأخرج له مسلم حديثا واحدا وكان أبو حاتم يحمل عليه وقد توبع وباقي رجاله ثقات. أبو رافع: هو نفيع الصائغ المدني. وهو في "مسند أبي يعلى" وأخرجه الحاكم وعنه البيهقي في "السنن" من طريق محمد بن عبيد بن حساب عن جعفر بن سليمان الضبعي بهذا الإسناد مختصرا إلى قوله: "إن يكن القتل بأسا فقد قتلت". وأورده الهيثمي في "المجمع" ورواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح. (يستغله) يستعمله أي يدفع له أجرة عمله (الأرحاء) جمع رحى وهي الأداة التي يُطحن بها وهي حجران مستديران يُوضع أحدهما على الآخر ويُدار الأعلى على قُطب وقيل الحديدة وقيل القائم الذي تدور عليه الرَّحي (أثقل عليَّ غلتي) يُعطيه عمل كثير والمُقابل المادي قليل (وسع الناس كلهم عدلك غيري) تعدل مع كل الناس إلا أنا (جُرَّاً) خنجراً (صلاة الغداة) صلاة الفجر (ووجأه) ضربه (خاصرته) جنبه ما بين عظم الحوض وأسفل الأضلاع وكل جانب من أسفل الأضلاع إلى الورك وهما خاصرتان (كفافا) مقدار الحاجة من غير زيادة ولا نقصان (هول المطلع) أهوال يوم القيامة.

2 في أحد الروايات عند البخاري قال عمر (رضي الله عنه):"وإني لا أعلم أحدا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله (ﷺ) وهو عنهم راض"

3 أخرجه البخاري عن عمرو بن ميمون (رضي الله عنه). (اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم) كانوا ستة فيتنازل كل اثنين إلى واحد فيصبحوا ثلاثة (تبرأ من هذا الأمر) أعلن أنه لا يرغب أن يكون هو الخليفة. (فنجعله إليه) نكل أمر اختيار الخليفة إليه. (والله عليه والإسلام) الله رقيب عليه يحاسبه على فعله والإسلام حاكم عليه بأحكامه. (لينظرن أفضلهم في نفسه) ليفكر في نفسه وليختر الذي يراه الأفضل من غيره. (الشيخان) علي وعثمان (رضي الله عنهما). (أفتجعلونه إليَّ) اتنازل وتجعلوني اختار بينكما (لا آل) لا أقصر في اختيار أفضلكم. (أحدهما) هو علي (رضي الله عنه). (خلا بالآخر) انفرد به وهو عثمان رضي الله عنه. (الميثاق) العهد والظاهر أنه أخذ العهد من الجميع. (ولج أهل الدار) دخل أهل المدينة بعد مبايعة أهل الشورى.

4 أخرجه البخاري عن عثمان (رضي الله عنه) أنه قال: "قال النبي (ﷺ): " من يشتري بئر رومة فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين؟" فاشتراها عثمان (رضي الله عنه)". وقال النبي (ﷺ) عند البخاري: " من يحفر بئر رومة فله الجنة؟". فحفرها عثمان وقال: " من جهَّز جيش العسرة فله الجنة؟" فجهَّزه عثمان. وأخرج الترمذي عن (ﷺ) أنه لما جاءه بالمال وكان ألف دينار فنثرها في حجره (ﷺ): " ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم" مرتين. قال الترمذي وقال: حديث حسن.

البصرة وتراسلوا وزُوِّرَت كُتب على لسان الصحابة الذين بالمدينة وعلى لسان علي وطلحة والزبير يدعون الناس إلى قتال عثمان ونصر الدين وأنه أكبر الجهاد اليوم. فلما كان شوال سنة خمس وثلاثين خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء المُقِلّ لهم يقول ستمائة والمُكثِر يقول: ألف. على الرفاق عبد الرحمن بن عديس البلوي وكنانة بن بشر الليثي وسودان بن حمران السكوني وقتيرة السكوني وعلى القوم جميعا الغافقي بن حرب العكي وخرجوا فيما يظهرون للناس حجاجا ومعهم ابن السوداء - وكان أصله ذميا فأظهر الإسلام وأحدث بدعا قولية وفعلية (قبَّحه الله) وخرج أهل الكوفة في عدتهم في أربع رفاق أيضا وأمراؤهم: زيد بن صوحان والأشتر النخعي وزياد بن النضر الحارثي وعبد الله بن الأصم وعلى الجميع عمرو بن الأصم. وخرج أهل البصرة في عدتهم أيضا في أربع رايات مع حكيم بن جبلة العبدي وبشر بن شريح بن ضبيعة القيسي وذريح بن عباد العبدي وعليهم كلهم حرقوص بن زهير السعدي. فسار كل طائفة من بلدهم حتى توافوا حول المدينة فبعثوا قصادا وعيونا بين أيديهم ليخبروا الناس أنهم إنما جاؤوا للحج لا لغيره وليستعفوا هذا الوالي من بعض عماله ما جئنا إلا لذلك واستأذنوا للدخول فكل الناس أبى دخولهم ونهى عنه فتجاسروا واقتربوا من المدينة فرجع كل فريق منهم إلى قومهم وأظهروا للناس أنهم راجعون إلى بلدانهم وساروا أياما راجعين ثم كروا عائدين إلى المدينة فما كان غير قليل حتى سمع أهل المدينة التكبير وإذا القوم قد زحفوا على المدينة وأحاطوا بها وجمهورهم عند دار عثمان بن عفان وقالوا للناس: " من كف يده فهو آمن" فكف الناس ولزموا بيوتهم وأقام الناس على ذلك أياما. هذا كله ولا يدري الناس ما القوم صانعون ولا على ما هم عازمون وفي كل ذلك وأمير المؤمنين عثمان بن عفان يخرج من داره فيصلي بالناس فيصلي وراءه أهل المدينة وأولئك الآخرون. وذهب الصحابة إلى هؤلاء يؤنبونهم ويعذلونهم على رجوعهم حتى قال علي لأهل مصر: " ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم؟" فقالوا: " وجدنا مع بريد كتابا بقتلنا". وكذلك قال البصريون لطلحة والكوفيون للزبير. وقال أهل كل مصر: " إنما جئنا لننصر أصحابنا". فقال لهم الصحابة: " كيف علمتم بذلك من أصحابكم وقد افترقتم وصار بينكم مراحل؟" إنما هذا أمر اتفقتم عليه فقالوا: " ضعوه على ما أردتم لا حاجة لنا في هذا الرجل ليعتزلنا ونحن نعتزله- يعنون أنه إن نزل عن الخلافة تركوه آمنا-" وكان المصريون فيما ذكر لما رجعوا إلى بلادهم وجدوا في الطريق بُريدا يسير فأخذوه ففتشوه فإذا معه في إداوة كتابا على لسان عثمان فيه الأمر بقتل طائفة منهم وبصلب آخرين وبقطع أيدي آخرين منهم وأرجلهم ولا شك أنهم كذلك لكن لم يكن لمروان أن يفتات على عثمان ويكتب على لسانه بغير علمه ويزور على خطه وخاتمه ويبعث غلامه على بعيره بعدما وقع الصلح بين عثمان وبين المصريين على تأمير محمد بن أبي بكر على مصر بخلاف ذلك كله وكان على الكتاب طابع بخاتم عثمان والبريد أحد غلمان عثمان وعلى جمله ولهذا لما وجدوا هذا الكتاب على خلاف ما وقع الاتفاق عليه وظنوا أنه من عثمان أعظموا ذلك مع ما هم مشتملون عليه من الشر فرجعوا إلى المدينة فطافوا به على رؤوس الصحابة وأعانهم على ذلك قوم آخرون حتى ظن بعض الصحابة أن هذا عن أمر عثمان فلما قيل لعثمان في أمر هذا الكتاب بحضرة جماعة من أعيان الصحابة وجمهور المصريين حلف بالله العظيم وهو الصادق البار الراشد أنه لم يكتب هذا الكتاب ولا أملاه على من كتبه ولا علم به فقالوا له: فإن عليه خاتمك فقال: إن الرجل قد يزور على خطه وخاتمه قالوا: فإنه مع غلامك وعلى جملك فقال: والله لم أشعر بشيء من ذلك فقالوا له - بعد كل مقاله - -إن كنت قد كتبته فقد خنت وإن لم تكن قد كتبته بل كتب على لسانك وأنت لا تعلم فقد عجزت ومثلك لا يصلح للخلافة إما لخيانتك وإما لعجزك. وذكر سيف بن عمر أن عثمان بعد أن صلى بالناس يوم الجمعة صعد المنبر فخطبهم أيضا فقال في خطبته: يا هؤلاء الغرباء! الله الله فوالله أن أهل المدينة ليعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد - صلى الله عليه وسلم - فامحوا الخطأ بالصواب فإن الله لا يمحو السئ إلا بالحسن فقام محمد بن مسلمة فقال: أنا أشهد بذلك فأخذه حكيم بن جبلة فأقعده فقام زيد بن ثابت فقال: إنه في الكتاب فثار إليه من ناحية أخرى محمد بن أبي مريرة فأقعده وقال: يا نطع. وثار القوم بأجمعهم فحصبوا الناس حتى أخرجوهم من المسجد وحصبوا عثمان حتى صرع من المنبر مغشيا عليه فاحتمل وأدخل داره وكان المصريون لا يطمعون في أحد من الناس أن يساعدهم إلا محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر وعمار بن ياسر. وأقبل علي وطلحة والزبير إلى عثمان في أناس يعودونه ويشكون إليه بثهم وما حل بالناس ثم رجعوا إلى منازلهم. واستقبل جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عمر وزيد بن ثابت في المحاربة عن عثمان فبعث إليهم عثما يقسم عليهم لما كفوا أيديهم وسكنوا حتى يقضي الله ما يشاء. ذكر حصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان: لما وقع ما وقع يوم الجمعة وشج أمير المؤمنين عثمان وهو في رأس المنبر وسقط مغشيا عليه واحتمل إلى داره وتفاقم الأمر وطمع فيه أولئك الأجلاف الأخلاط من الناس وألجأوه إلى داره وضيقوا عليه وأحاطوا بها محاصرين له لزم كثير من الصحابة بيوتهم وسار إليه جماعة من أبناء الصحابة عن أمر آبائهم منهم الحسن والحسين وعبد الله بن الزبير -وكان أمير الدار- وعبد الله بن عمرو وصاروا يحاجون عنه ويناضلون دونه أن يصل إليه أحد منهم. وذكر ابن جرير أن عثمان لما رأى ما فعل هؤلاء الخوارج من أهل الأمصار من محاصرته في داره ومنعه الخروج إلى المسجد كتب إلى معاوية بالشام وإلى ابن عامر بالبصرة وإلى أهل الكوفة يستنجدهم في بعض جيش يطردون هؤلاء من المدينة فبعث معاوية حبيب بن مسلمة وانتدب يزيد بن أسد القشيري في جيش وبعث أهل الكوفة جيشاً وأهل البصرة جيشا فلما سمع أولئك بخروج الجيوش إليهم صمموا على أمرهم وبالغوا فيه وانتهزوا الفرصة بقلة الناس وغيبتهم في الحج وأحاطوا بالدار وجدوا في الحصار. وقتل طائفة من أهل الدار وآخرون من أولئك الفجار وجرح عبد

الله بن الزبير جراحات كثيرة وكذلك جرح الحسن بن علي. فلما كان يوم السابع عشر من ذي الحجة قال عثمان للذين عنده في الدار من المهاجرين والأنصار - وكانوا قريبا من سبعمائة فيهم عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين ومروان وأبو هريرة وخلق من مواليه ولو تركهم لمنعوه فقال لهم: أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده وأن ينطلق إلى منزله وعنده من أعيان الصحابة وأبنائهم جم غفير وقال لرفيقه: من أغمد سيفه فهو حر فبرد القتال من داخل وحمي من خارج واشتد الأمر وكان سبب ذلك أن عثمان رأى في المنام رؤيا دلت على اقتراب أجله فاستسلم لأمر الله رجاء موعوده وشوقا إلى رسول الله (ﷺ) وليكون خيرا ابني آدم حيث قال حين أراد أخوه قتله: {إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين} [المائدة: 29].وجاء محمد بن أبي بكر في ثلاثة عشر رجلا فأخذ بلحيته فعال بها حتى سمع وقع أضراسه فقال: " ما أغنى عنك معاوية وما أغنى عنك ابن عامر وما أغنت عنك كتبك". قال: " أرسل لحيتي يا ابن أخي قال: فأنا رأيته استعدى رجلا من القوم بعينه - يعني أشار إليه - فقام إليه بمشقص فوجأ به رأسه. ثم تعاوروا عليه حتى قتلوه. ووثبت نائلة بنت الفرافصة الكلبية (زوجة عثمان) فصاحت وألقت نفسها عليه وقالت: يا بنت شيبة أيقتل أمير المؤمنين؟ وأخذت السيف فقطع الرجل يدها وانتهبوا متاع الدار. وثبت من غير وجه أن أول قطرة من دمه سقطت على قوله تعالى {فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم} [البقرة: 137] ويروى أنه كان قد وصل إليها في التلاوة أيضا حين دخلوا عليه وليس ببعيد فإنه كان قد وضع المصحف يقرأ فيه القرآن. قال سيف بن عمر: والله ما تركوا في داره شيئا حتى الأقداح إلا ذهبوا به. ثم تنادى القوم: أن أدركوا بيت المال لا تستبقوا إليه فسمعهم حفظة بيت المال فقالوا: يا قوم النجا النجا فإن هؤلاء القوم لم يصدقوا فيما قالوا منأن قصدهم قيام الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما ادعوا أنهم إنما قاموا لأجله وكذبوا إنما قصدهم الدنيا فجاء الخوارج فأخذوا مال بيت المال وكان فيه شيء كثير جداً".

قال أبو أسيد الأنصاري: " سمع عثمان أن وفد مصر قد أقبلوا فاستقبلهم فلما سمعوا به أقبلوا نحوه إلى المكان الذي هو فيه. فقالوا له: " ادع بالمصحف" فدعا بالمصحف فقالوا له: " افتح السابعة- وكانوا يسمون سورة يونس السابعة-" فقرأها حتى أتى على هذه الآية: {قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون} [يونس: 59] فقالوا: " قف أرأيت ما حميت من الحمى أذن لك به أم على الله تفتري؟." فقال: " أمضه نزلت في كذا وكذا وأما الحمى لإبل الصدقة فلما ولدت (وفي رواية وليت) زادت إبل الصدقة فزدت في الحمى لما زاد في إبل الصدقة". أمضه. فجعلوا يأخذونه بآية آية فيقول: " أمضه نزلت في كذا وكذا". فقال لهم: " ما تريدون؟" قالوا: " ميثاقك". قال: " فكتبوا شرطا وأخذ عليهم أن لا يشقوا عصا ولا يفارقوا جماعة". فأقام لهم شرطهم وقال لهم: " ما تريدون؟" قالوا: " نريد أن تأخذ أهل المدينة" قال: " لا إنما هذا المال لمن قاتل عليه وهؤلاء الشيوخ من أصحاب محمد (ﷺ)". قال: فرضوا وأقبلوا معه إلى المدينة راضين. قال: " فقام فخطب فقال: ألا من كان له زرع فليلحق بزرعه ومن كان له ضرع فليلحق به فليحتلبه. ألا إنه لا مال لكم عندنا إنما المال لمن قاتل ولهؤلاء الشيوخ من أصحاب محمد (ﷺ)". قال: فغضب الناس وقالوا: "هذا مكر بني أمية". قال: ثم رجع المصريون (وفي الإحسان "البصريون" وهو تحريف. انظر تاريخ الطبرى والكامل في التاريخ) فبينما هم في الطريق إذا هم براكب يتعرض لهم ثم يفارقهم ثم يرجع إليهم ثم يفارقهم ويسبهم. قالوا: " مالك؟ إن لك الأمان ما شأنك؟". قال: " أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر". ففتشوه فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان عليه خاتمه إلى عامله بمصر أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم. فأقبلوا حتى قدموا المدينة فأتوا علياً (رضي الله عنه) فقالوا: " ألم تر إلى عدو الله كتب فينا بكذا وكذا وإن الله قد أحل دمه قم معنا إليه". قال: " والله لا أقوم معكم" قالوا: " فلم كتبت إلينا؟" قال: " والله ما كتبت إليكم كتابا قط". فنظر بعضهم إلى بعض ثم قال بعضهم لبعض: " أبهذا تقاتلون أو بهذا تغضبون؟". فانطلق علي فخرج من المدينة إلى قرية وانطلقوا حتى دخلوا على عثمان فقالوا: " كتبت فينا بكذا وكذا" فقال: " إنما هما اثنتان: أن تقيموا علي رجلين من المسلمين أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمليت ولا علمت وقد تعلمون أن الكتاب يكتب على لسان الرجل وقد ينقش الخاتم على الخاتم". فقالوا: " والله أحل الله دمك". ونقضوا العهد والميثاق فحاصروه. فأشرف عليهم ذات يوم فقال: " السلام عليكم". فما اسمع أحدا من الناس رد عليه السلام إلا أن يرد رجل في نفسه. فقال: " أنشدكم الله هل علمتم أني اشتريت رومة من مالي فجعلت رشائي فيها كرشاء رجل من المسلمين؟". قيل: " نعم". قال: " فعلام تمنعوني أن اشرب منها حتى أفطر على ماء البحر؟.أنشدكم الله هل تعلمون أني اشتريت كذا وكذا من الأرض فزدته في المسجد؟". قالوا: " نعم". قال: " فهل علمتم أن أحدا من الناس منع أن يصلي فيه قبلي؟. أنشدكم الله هل سمعتم النبي (ﷺ) يذكر كذا وكذا- أشياء من شأنه عددها-". قال: " ورأيته أشرف عليهم مرة أخرى فوعظهم وذكرهم فلم تأخذ منهم الموعظة". وكان الناس تأخذ منهم الموعظة في أول ما يسمعونها فإذا أعيدت عليهم لم تأخذ منهم. فقال لامرأته: " افتحي الباب ووضع المصحف بين يديه وذلك أنه رأى من الليل نبي الله (ﷺ) يقول له: "أفطر عندنا الليلة". فدخل عليه رجل فقال: " بيني وبينك كتاب الله" فخرج وتركه. ثم دخل علية آخر فقال: " بيني وبينك كتاب الله "- والمصحف بين يديه- قال: " فأهوى إليه بالسيف فاتقاه بيده فقطعها فلا أدري أقطعها ولم يبنها أو أبانها. قال عثمان: " والله إنها لأول كف خطت المُفصَّل" وفي غير حديث أبي سعيد: فدخل التجيبي (وفي بعض الروايات التجومي ولكن صوابه: التجيبي) فضربه بمشقص فنضح الدم على هذه الآية {فسيكفيكهم الله

وهو السميع العليم} [البقرة:137]. قال: " وإنها في المصحف ما حكت". قال: وأخذت بنت الفرافصة- في حديث أبي سعيد - حُليَّها ووضعته في حجرها قبل أن يقتل فلما قتل تفاجت عنه فقال بعضهم: قاتلها الله ما أعظم عجيزتها فعلمت أن أعداء الله يريدون الدنيا" [1].

أما علي (رضي الله عنه) فهو أول من أسلم من الشباب وزوج فاطمة بنت النبي (ﷺ) ووالد الحسن والحسين (رضي الله عنهما) وسيدا شباب أهل الجنة [2].

وهو صاحب غزوة خيبر عندما قال (ﷺ):" لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله " [3].

وعندما تركه (ﷺ) في غزوة تبوك فقال المنافقون إن النبي (ﷺ) تركك مع النساء فأراد أن يخرج مع النبي (ﷺ) فقال له (ﷺ): " أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى" [4].

وتولى علي (رضي الله عنه) الخلافة وحدث ما حدث في الفتنة مع معاوية (رضي الله عنه) [5]. وظل خليفة لمدة أربع سنوات وستة أشهر وثلاثة أيام.

المصنف (رحمه الله) قال إن آخر الخلافة علي (رضي الله عنه) ولكن الصحيح أنها تنتهى بخلافة الحسن [6]. ثم أصبح ملك من زمن معاوية (رضي الله عنه) إلى بعد ذلك.

وأصبح الإقتداء بسنة أبي بكر وعمر كالإقتداء بسنة النبي (ﷺ) فعن حذيفة (رضي الله عنه) قال : كنا عند رسول الله (ﷺ) جلوسا فقال: " إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي - وأشار إلى أبي بكر وعمر وتمسكوا بعهد عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه" وفي رواية "تمسكوا بعهد ابن أم عبد واهتدوا بهدي عمار" [7].

وكذلك سنة الخلفاء الراشدون لابد أن نقتدي بها لقوله (ﷺ): " إنه من يعش منكم بعدي سيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي **وسنة الخلفاء الراشدين المهديين** عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة" [8].

فما فعله الخلفاء الراشدون يدخل تحت السنة للحديث السابق.

---

1 إسناده صحيح أبو سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري ذكره ابن منده وأبو نعيم في الصحابة. وقال ابن منده: "روى عنه أبو نضرة العبدي قصة مقتل عثمان بطولها". وقال ابن حجر في الإصابة: "وقد رويناها من هذا الوجه وليس فيها ما يدل على صحبته". ولأنه أدرك أبا بكر ترجمه ابن حجر في القسم الثالث من الإصابة. وذكره ابن حبان في ثقات التابعين وصحَّح الحاكم حديثه ووافقه الذهبي. وانظر أيضا أسد الغابة. والحديث في الإحسان وأخرجه الطبري في التاريخ من طريق يعقوب بن إبراهيم بهذا الإسناد. وأخرجه -مختصرا- الحاكم من طريق ... علي بن عيسى حدثنا محمد بن عمرو الحرشي حدثني يحيى بن يحيى أنبأنا المعتمر بن سليمان التيمي بهذا الإسناد. وقد تحرف فيه "أبو سعيد" إلى "أبي سعد". وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي. ومن طريق الحاكم السابقة أخرجه البيهقي في إحياء الموات اب: ما جاء في الحمى. وزاد السيوطي نسبته في "البدر المنثور" إلى ابن أبي شيبة وابن عساكر. وقال ابن أبي حاتم: "قرئ على يونس بن عبد الأعلى: حدثنا ابن وهب حدثنا زياد بن يونس حدثنا نافع بن أبي نعيم قال: أرسل إلى بعض الخلفاء مصحف عثمان ليصلحه قال زياد: فقلت له: إن الناس يقولون: إن مصحفه كان في حجره حين قتل فوقع الدم على {فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم}. فقال نافع: " بصرت عيني بالدم على هذه الآية وقد قدم". وهذا إسناد جيد. وزاد السيوطي نسبته في "الدر المنثور" إلى ابن أبي داود في المصاحف وأبي القاسم بن بشران في أماليه وأبي نعيم في المعرفة وابن عساكر وانظر المصاحف لابن أبي داود وطبقات ابن سعد والكامل في التاريخ والبداية والنهاية لابن كثير وتفسير ابن كثير والطبري ومجمع الزوائد. (أن تقيموا علي رجلين من المسلمين أو يميني بالله) يقصد إما أن يأتوا بشاهدين على أنه هو من كتب هذا الكتاب أو يحلف (رضي الله عنه) أنه لم يكتبه (الرشاء) حبل الدلو ونحوها (المُفصَّل) هي سور القرآن القصيرة التي كُثِّر فيها الفصل بالبسملة وهي تبدأ بسورة الحجرات (أو سورة "ق" على خلاف بين العلماء) وتنتهي بسورة الناس (التجيبي) هو كنانة ابن بشر الذي قيل إنه قاتل عثمان. (تفاجت عنه) يُقال: تفاج إذا بالغ في التوسيع بين رجليه والمقصود وقوع الذهب من فوق قدميها.

2 وهذا للحديث الذي أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه): "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة". وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح"

3 راجع المحاضرة السادسة رقم (5) صـ 5.

4 أخرجه البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (بمنزلة هارون) نازلا مني منزلة هارون من موسى عليهما السلام في أخوة الدين والنسب وقيل إنه (ﷺ) قاله له حين خرج إلى تبوك وخلفه على أهله وعياله وأمره أن يقيم فيهم فكان كهارون حين خلفه موسى عليهما السلام على بني إسرائيل لما ذهب لميقات ربه.

5 وهذا يحتاج لشرح طويل لا يتسع المقام لذكره.

6 راجع المحاضرة الخامسة رقم (2) صـ 2.

7 أخرجه الترمذي وأحمد والحميدي في مسنده وابن أبي عاصم في السنة من حديث حذيفة (رضي الله عنه). وحسَّنه الترمذي وصححه الألباني في الصحيحة.

8 أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد والحاكم وابن أبي عاصم في السنة وابن حبان وابن ماجة والدارمي من حديث العرباض بن سارية (رضي الله عنه). وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح" وصححه الألباني في ظلال الجنة.

3- العشرة المبشرون بالجنة (رضي الله عنهم) (14- التوقيت: 56 دقيقة و44 ثانية)

ونشهد للعشرة المبشرين بالجنة، كما شهد لهم النبي ﷺ فقال: «أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة

- وهؤلاء العشرة الذين ذكرهم المصنف (رحمه الله) تكلمنا منهم عن أربعة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم) ونتكلم الآن عن بقيتهم. فأما طلحة بن عبيد الله (رضي الله عنه) فهو من أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام وكذلك الزبير بن العوام (رضي الله عنه) وسعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) وسعيد بن زيد (رضي الله عنه) وأبوعبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) وهو عامر بن عبد الله بن الجراح (رضي الله عنه).
- وهؤلاء العشرة الذين ذكرهم المصنف (رحمه الله) شهِدَ لهم النبي (ﷺ) بالجنة [1].

4- الشهادة بالجنة أو النار (14- التوقيت: 57 دقيقة و44 ثانية)

وكل من شهد له النبي ﷺ بالجنة شهدنا له بها، كقوله: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وقوله لثابت بن قيس: «إنه من أهل الجنة» . ولا ننزل أحداً من أهل القبلة جنة ولا ناراً إلا من نزل له رسول الله ﷺ لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء

- ولابد أن تأتي الشهادة بالجنة لأحد من تصريح النبي (ﷺ) لأن عقيدة أهل السنة والجماعة أننا لا نشهد لأحد بالجنة ولا بالنار من أهل القبلة إلا من شهِدَ لهم النبي (ﷺ) بالجنة أو النار. فكل من شهِدَ النبي (ﷺ) بالجنة أو النار نشهد له بذلك.
- وكذلك شهِدَ للحسن والحسين (رضي الله عنهما) أنهما سيدا شباب أهل الجنة [2].
- وكذلك شهِدَ لثابت بن قيس (رضي الله عنه) بالجنة كما في حديث أنس (رضي الله عنه) قال: " لما نزلت هذه الآية: {يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي} [الحجرات: 2] إلى آخر الآية جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: " أنا من أهل النار"

---

[1] وهذا للحديث الذي أخرجه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وأحمد وابن أبي عاصم والحاكم والنسائي وأبو نعيم عن سعيد بن زيد (رضي الله عنه) قال: " أشهد على رسول الله (ﷺ) أني سمعته يقول: " عشرة في الجنة: النبي في الجنة وأبو بكر في الجنة وطلحة في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وسعد بن مالك في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ولو شئت لسميت العاشر" قال: فقالوا: " من هو؟" قال: " سعيد بن زيد" وقال: " لمشهد رجل منهم مع رسول الله (ﷺ) يغبر منه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عمر عمر نوح". وصححه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير. ورواه الترمذي وأحمد والنسائي والبغوي عن عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) بإسنادٍ صحيحٍ وفي رواية أخرى قال سعيد بن زيد (رضي الله عنه):"عشرة في الجنة: أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعلي وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن وأبوعبيدة وسعد بن أبي وقاص" فعد هؤلاء التسعة وسكت فقال القوم: " ننشدك الله يا أبا الأعور من العاشر؟" قال: " نشدتموني بالله أبو الأعور في الجنة".

[2] راجع رقم (1) صـ 23 في هذه المحاضرة.

واحتبس عن النبي (ﷺ) فسأل النبي (ﷺ) سعد بن معاذ فقال: " يا أبا عمرو ما شأن ثابت؟ اشتكى؟" قال سعد: " إنه لجاري وما علمت له بشكوى" قال: " فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله (ﷺ) فقال ثابت: " أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتا على رسول الله (ﷺ) فأنا من أهل النار" فذكر ذلك سعد للنبي (ﷺ) فقال رسول الله (ﷺ): " بل هو من أهل الجنة" [1].

ونشهد لعكاشة بن محصن بالجنة [2].

وجاء التصريح في دخول النار في أبي لهب كما في قوله (ﷻ):﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5)** ﴾[المسد: 1-5].

وعمرو بن خزاعة الذي شهِدَ له النبي (ﷺ) أنه يجر أمعاءه في النار [3].

وكذلك عم النبي (ﷺ) أبو طالب شهد له بالنار [4].

وحتى من مات على الصلاح من أهل القبلة لا نجزم له أنه من أهل الجنة ولكن نقول "نحسبه على خير ولا نُزَّكي على الله أحد" [5] وكذلك من مات على معصية من أهل القبلة لا نشهد له بالنار لأنه في المشيئة إن شاء الله (ﷻ) عذَّبه وإن شاء غفر له.

---

1 أخرجه البخاري ومسلم عن أنس (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.

2 راجع المحاضرة الثالثة عشر رقم (4) صـ 2.

3 أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري قال (ﷺ):" رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السوائب".(قصبه) أمعاءه وقيل ما كان أسفل البطن من الأمعاء (البحيرة) قال ابن الأثير:" كانوا إذا ولدت إبلهم سقبا " في اللسان السقب هو ولد الناقة" بحروا أذنه أي شقوها وقالوا اللهم إن عاش ففتي وإن مات فذكي فإذا مات أكلوه وسموه البحيرة وقيل البحيرة هي بنت السائبة كانوا إذا تابعت الناقة بين عشر إناث لم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ولدها أو ضيف وتركوها مسيبة لسبيلها وسموها السائبة فما ولدت من ذلك من أنثى شقوا أذنها وخلوا سبيلها وحرم ما حرم من أمها وسموها البحيرة".

4 راجع المحاضرة الثالثة عشر رقم (7) صـ 10.

5 أخرج البخاري عن زيد بن ثابت (رضي الله عنه) أن أم العلاء امرأة من نسائهم بايعت النبي (ﷺ) أخبرته: " أن عثمان بن مظعون طار لهم في السكنى حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين قالت أم العلاء: " فاشتكى عثمان عندنا فمرَّضته حتى توفي وجعلناه في أثوابه" فدخل علينا النبي (ﷺ) فقلت: " رحمة الله عليك أبا السائب شهادتي عليك لقد أكرمك الله" فقال النبي (ﷺ): " وما يدريك أن الله أكرمه" قالت: " قلت: لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله فمن؟" قال: " أما هو فقد جاءه والله اليقين والله إني لأرجو له الخير وما أدري والله وأنا رسول الله ما يُفعل بي" قالت: " فوالله لا أزكي أحدا بعده" قالت: " فأحزنني ذلك فنمت وفريت لعثمان بن مظعون عينا تجري فجئت رسول الله (ﷺ) فأخبرته فقال: ذلك عمله" وفي رواية "ورأيت لعثمان في النوم عيناً تجري فجئت رسول الله (ﷺ) فذكرت ذلك له فقال: ذاك عمله يجري له". (من نسائهم) من نساء الأنصار. (طار لهم) خرج لهم في القرعة. (أبا السائب) كنية عثمان بن مظعون (رضي الله عنه). (فمن) أي فمن الذي يكرمه الله تعالى إذن إذا لم يكن هو من المُكرَّمين عنده؟ (عينا) عين ماء. (ذلك عمله) أي فسر العين التي تجري بأنها عمله الصالح الذي كان يعمله وهو الرباط في سبيل الله تعالى وثوابه مستمر إلى يوم القيامة.

5- مسألة التكفير (14- التوقيت: 59 دقيقة و42 ثانية & 15 من بدايته)

ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ولا نخرجه عن الإسلام بعمل وجوب الحج والجهاد مع كل إمام براً كان أو فاجراً ونرى الحج والجهاد ماضيين مع كل إمام براً كان أو فاجراً وصلاة الجمعة خلفهم جائزة

قال أنس رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «ثلاث من أصل الإيمان: انكف عمن قال: لا إله إلا الله ولا نكفره بذنب ولا نخرجه من الإسلام بعمل والجهاد ماض منذ بعثني الله عز وجل حتى يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار» رواه أبو داود .

- فالمصنف (رحمه الله) يقصد بما ذكره الخوارج الذين يُكفِّرون بالذنب فمن أتى بكبيرة عندهم كشرب الخمر والزنا والقتل فهو كافر. ولكن أهل السنة لا يُكفِّرون بذنب دون الكفر فالكبائر والصغائر لا يُكفِّر عندنا. ولكن لو كان الذنب فيه شرك أو كفر ولو كان من أهل القبلة فيخرج وهذا عندما يأتي بناقض من نواقض الإيمان.
- وللرد على الخوارج في تكفيرهم بالذنوب مثل القتل والخمر أدلة كثيرة منها قوله (ﷻ):﴿ **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا** ﴾[الحجرات: 9] والله (ﷻ) سمَّى الطائفتين مؤمنين رغم أنهما طالما اقتتلوا فلابد أن يقتل أحدهما الآخر فلم يخرجهم الله (ﷻ) عن الإيمان.
- وحديث أبي داود الذي استدل به المصنف (رحمه الله) حديث ضعيف ضعَّفه أهل العلم وعموماً ما ذكره يحتاج لتدقيق.
- ونُبيّن أولاً إن الله (ﷻ) فضَّل أمة النبي (ﷺ) على سائر الأمم كما في (ﷻ):﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾[آل عمران: 110] وقال (ﷻ):﴿ **كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾[البقرة: 143] وهذه الوسطية المذكورة في الآية هي أصل منهج أهل السنة والجماعة فهي دائماً وسط بين طرفين: الطرف الأول إفراط وتفريط والطرف الثاني غلو وجفو. وهذان الطرفان هما دائماً أهل البدع والأهواء. وأهل السنة والجماعة دائماً وسط لأنهم لا يتعصبون لرأي بل يقفون مع النصوص حيث كانت فحيث كان الدليل فهم يقفون مع الدليل فلا يُقدِّمون العقل على الدليل.
- في حين أن أهل البدع والأهواء يضعون لأنفسهم نظريات عقلية وأفكار وأقيسة وقواعد باطلة أحياناً تُصيب وأحياناً لا تُصيب. وأهل البدع والأهواء يعتقدون أولاً ثم يستدلون بأدلة يأولونها لما وافق هواهم على عكس أهل السنة الذين ينظرون في الأدلة ثم يبحثون عن الحق في الدليل.
- فمثلاً المعتزلة والجهمية وضعوا قواعد في الأسماء والصفات ظناً منهم أنهم يُنزِّهون الله (ﷻ) فعطلوا الصفات. وكذلك المُشبِّهه الذين وضعوا قواعد في الأسماء والصفات ظناً منهم أنهم يُنزِّهون الله (ﷻ) ويُثبتون أسماء الله (ﷻ) وصفاته فوقعوا في التشبيه.
- وكذلك كعادة أهل السنة في الوسطية ففي مسألة تكفير العصاة بالمعاصي من الذنوب وقفوا فيها موقفاً وسطاً. فالغلو جاء من

الخوارج الذين خرجوا على عثمان (رضي الله عنه) عندما قتلوه وخرجوا عليه [1] ثم أشد ما ظهروا في خلافة علي (رضي الله عنه) عندما رفضوا التحكيم الذي صار بين علي (رضي الله عنه) ومعاوية (رضي الله عنه) وقالوا أنهما حكَّما الرجال فقالوا بكفرهما وكفر من رضى بذلك فكفَّروا الصحابة ثم ذهب ابن عباس (رضي الله عنهما) لهم فرجع أكثر من ثلثهم عن موقفهم [2]. وأصل البدعة عندهم أنهم يكفرون أهل المعاصي من المسلمين بالذنوب.

- لابد أن نعرف أولاً إن التكفير حكم شرعي مثل إي حكم شرعي موجود في الشريعة لكنه حكم شرعي خاص لله (عز وجل) فالله (عز وجل) هو الذي وضع لنا القواعد التي يكفر بها الشخص فلا يصح أن يجتهد فيه البشر فهو أمر خاص لله (عز وجل) ولكن البشر يطبقونه كما أنزله الله (عز وجل).
- وهو أمر دقيق لا يتجرأ عليه أحد إلا أن يكون قد أتقن ورسخ في العلم لأن توابع مسألة التكفير ليست بالهيّنة فهي تُخرج المرء من الإسلام وتجعله في دائرة الكفر ويترتب على ذلك أشياء كثيرة منها أنه يحل ماله ودمه وتُطلَّق زوجته وإذا مات لا يُورَّث ولا يرث ولا يُدفن في مقابر المسلمين.
- قال ابن تيمية (رحمه الله) رأيه في الخوارج رغم أنهم كفروا أهل الإسلام وأخرجوهم أن الراجح أنهم لم يكفروا فقال: "وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفروا مع أمر الله ورسوله (ﷺ) بقتالهم فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم فلا يحل لأحد من هذه الطوائف أن يكفر الأخرى ولا تستحل دمها ومالها وإن كانت فيها بدعة محققة فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة أيضاً وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ والغالب أنهم جميعاً جُهَّال بحقائق ما يختلفون فيه" [3]. فمن خالفك في حكم شرعي أو مسألة فلا تتسرع في تكفيره فرغم أن الخوارج بدعتهم صريحة كما أتى في النصوص وحتى بالعقل ولكن ليس من السهل أن تكفرهم قبل أن تنطبق عليهم الشروط وتنتفي عنهم الموانع إلا إذا كان في المعلوم من الدين بالضرورة كما بيَّن أهل العلم في ذلك.
- بل جاءت الأدلة من الكتاب والسنة تحمي أعراض المسلمين ودماءهم وأموالهم ودينهم فقد قال (عز وجل): ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا** ﴾[النساء: 94] ومقصود هذه الآية أنه لابد أن تتبيَّن قبل أن تُلقي على أحد حكم بكفر حتى لا تؤذوا الناس [4].

---

[1] راجع رقم (1) صـ 22 في هذه المحاضرة.

[2] وهكذا كما أخرج الحاكم عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال:" لما خرجت الحرورية اجتمعوا في دار وهم ستة آلاف أتيت علياً فقلت: " يا أمير المؤمنين أبرد بالظهر لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم". قال: " إني أخاف عليك". قلت: " كلا". قال ابن عباس: " فخرجت إليهم ولبست أحسن ما يكون من حلل اليمن" قال أبو زميل:" كان ابن عباس جميلاً جهيراً". قال ابن عباس: " فأتيتهم وهم مجتمعون في دارهم قائلون فسلمت عليهم فقالوا: " مرحبا بك يا ابن عباس فما هذه الحلة؟" قال: " قلت: " ما تعيبون عليَّ لقد رأيت على رسول الله (ﷺ) أحسن ما يكون من الحلل ونزلت: {قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق} [الأعراف: 32]" قالوا: " فما جاء بك؟" قلت: " أتيتكم من عند صحابة النبي (ﷺ) من المهاجرين والأنصار لأبلغكم ما يقولون المخبرون بما يقولون فعليهم نزل القرآن وهم أعلم بالوحي منكم وفيهم أنزل وليس فيكم منهم أحد". فقال بعضهم: " لا تخاصموا قريشا فإن الله يقول: {بل هم قوم خصمون} [الزخرف: 58]" قال ابن عباس: " وأتيت قوماً لم أر قوما قط أشد اجتهاداً منهم مُسْهِمَةٌ وجوههم من السهر كأن أيديهم وركبهم تثنى عليهم فمضى من حضر" فقال بعضهم: " لنكلمنه ولننظرن ما يقول". قلت: " أخبروني ماذا نقمتم على ابن عم رسول الله (ﷺ) وصهره والمهاجرين والأنصار؟" قالوا: " ثلاثاً". قلت: " ما هن؟" قالوا: " أما إحداهن فإنه حكم الرجال في أمر الله وقال الله تعالى: {إن الحكم إلا لله} [الأنعام: 57] وما للرجال وما للحكم؟" فقلت: " هذه واحدة". قالوا: " وأما الأخرى فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم فلئن كان الذي قاتل كفاراً لقد حل سبيهم وغنيمتهم ولئن كانوا مؤمنين ما حلَّ قتالهم". قلت: " هذه اثنتان فما الثالثة؟" قال: " إنه محا نفسه من أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين". قلت:" أعندكم سوى هذا؟" قالوا: " حسبنا هذا". فقلت لهم: " أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله ومن سنة نبيه (ﷺ) ما يرد به قولكم أترضون؟" قالوا: " نعم". فقلت: " أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله فأنا أقرأ عليكم ما قد رد حكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم في أرنب ونحوها من الصيد فقال: {يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم} [المائدة: 95] إلى قوله {يحكم به ذوا عدل منكم} [المائدة: 95] فنشدتكم الله أحكم الرجال في أرنب ونحوها من الصيد أفضل أم حكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم؟ وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال وفي المرأة وزوجها قال الله عز وجل: {وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما} [النساء: 35] فجعل الله حكم الرجال سنة مأمونة أخرجت عن هذه؟" قالوا: " نعم" قال: " وأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم أتسبون أمكم عائشة ثم تستحلون منها ما يستحل من غيرها؟ فلئن فعلتم لقد كفرتم وهي أمكم ولئن قلتم: ليست أمنا لقد كفرتم فإن الله يقول: {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم} [الأحزاب: 6] فأنتم تدورون بين ضلالتين أيهما صرتم إليها صرتم إلى ضلالة فنظر بعضهم إلى بعض" قلت: " أخرجت من هذه؟" قالوا: " نعم" قال: " وأما قولكم محا اسمه من أمير المؤمنين فأنا آتيكم بمن ترضون وأريكم قد سمعتم أن النبي (ﷺ) يوم الحديبية كاتب سهيل بن عمرو وأبا سفيان بن حرب فقال رسول الله (ﷺ) لأمير المؤمنين: " اكتب يا علي: هذا ما اصطلح عليه محمد رسول الله " فقال المشركون: " لا والله ما نعلم إنك رسول الله لو نعلم إنك رسول الله ما قاتلناك" فقال رسول الله (ﷺ): " اللهم إنك تعلم أني رسول الله اكتب يا علي: هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله " فوالله لرسول الله خير من علي وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه" قال عبد الله بن عباس: " فرجع من القوم ألفان وقتل سائرهم على ضلالة". قال الحاكم في تعليقه على الحديث: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يُخرجاه" وقال الذهبي في التعليق: " على شرط مسلم".(مُسْهِمَةٌ) يُقال لونه يسهم: إذا تغير عن حاله لعارض. وأخرجه عبد الرزاق في " المصنف" والطبراني وأخرج أحمد بعضه ورواه بكامله ابن عبد البر في كتابه "جامع بيان العلم وفضله" وابن الجوزي في " تلبيس إبليس" وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال عقبه: "رواه الطبراني وأحمد بعضه ورجالهما رجال الصحيح"

[3] راجع كلامه (رحمه الله) في مجموع الفتاوى.

[4] قال ابن كثير (رحمه الله) في تفسيره: " الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن أبي بكير وحسين بن محمد وخلف بن الوليد قالوا: حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: " مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي (ﷺ) وهو يسوق غنما له فسلم عليهم فقالوا: " ما سلم علينا إلا ليتعوَّذ منا". فعمدوا إليه فقتلوه وأتوا

- ونهى الله (ﷻ) عن عموم أذى المؤمنين والمؤمنات بغير دليل فقال (ﷻ):﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾[الأحزاب: 58] ولا شك أن تكفير المرء وإخراجه من الإسلام هو أعظم الأذى.
- وقال (ﷺ): " لا يرمي رجل رجلا بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك" [1]. وهذا أمر عظيم لابد أن نحذر منه ولا نخوض فيه إلا بعلم ويقين حتى لا يرجع علينا الكفر أو الفسق.
- وقال (ﷺ): " من حلف بملة غير الإسلام كاذبا فهو كما قال ومن قتل نفسه بشيء عذب به في نار جهنم ولعن المؤمن كقتله ومن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله" [2]. فالذي يُكفِّر مسلماً فقد أحل ماله ودمه لأنه أصبح مرتد ولهذا الكفر أشد بكثير من قتل المسلم. وهذا فيمن رمى أي شتم رجل مسلم بأنه كافر ولم يعتقد ذلك فما بالك بمن أعتقد كفره!!.
- وقد خرجت كثير من الطوائف تتساهل في مسألة التكفير حتى لو كان خلاف بسيط لا يستحق تكفير صاحبه عليه وخاصة في طوائف الشباب. وهذا الكلام فيه من رائحة الخوارج لأنهم أول من بدأ فتنة التكفير.
- ونؤكد أولاً أنه ما من عبد بخلاف الأنبياء المعصومين إلا وقع في معصية وقد يقع في الكبيرة إلا من عصمه الله (ﷻ).
- وحتى الأنبياء معصومون في الكبائر بالأتفاق ولكن يقعوا في بعض الصغائر مثل أكل آدم (عليه السلام) من الشجرة وقال (ﷻ) فيما فعله :﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾[طه: 121] ولكن تاب الله (ﷻ) عليهم.
- والمسألة ليست في الوقوع في المعصية ولكن المسألة على الإصرار على المعصية كما في قوله (ﷻ):﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[آل عمران: 135]. فالإصرار على المعصية يرتقي للكبيرة لأنك تصر وتعاند. وقال (ﷺ) وهو على المنبر: " ارحموا ترحموا واغفروا يُغفر لكم ويل لأقماع القول ويل للمُصرّين الذي يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون " [3].
- فمسألة الوقوع في المعصية منتهية فقد قال (ﷺ): " إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه" [4].
- ولكن ليس كل معصية تؤدي إلى الكفر ولكن كبائر الذنوب تختلف في شدة المعصية وقوتها وشدة فحشها فمنها ما هو بشرك ومنها ما هو دون الشرك. فالشرك منها مثلاً كالطواف بالقبور والنذر أو الذبح لغير الله (ﷻ) والحلف بغير الله (ﷻ) والسجود لغير الله (ﷻ) فهذه كلها كبائر من الشرك فهي من أعلى أنواع الكبائر وهذا لا يغفره الله (ﷻ) كما سنبين.
- ثم ما كان دون الشرك من الكبائر مثل القتل والزنا والخمر وأكل الربا. فمن وقع في هذه المعاصي والذنوب حكمه غير ما وقع من القسم الأول.
- فمن وقع في الكبائر من الشرك ومات على ذلك فهو مُشرك وهو خالد مُخلَّد في نار جهنم كما بين (ﷻ):﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[النساء: 48&116].
- والشيخ الألباني (رحمه الله) وهو جبل من جبال أهل العلم وهو الذي دافع عن السنة ولكنه أخطأ عندما قال إن الشرك لا يقع إلا إذا استحل المرء بقلبه [5] وهذا كلام أهل الإرجاء فهم يقولون إن المسلم لا يكفر إلا إذا استحل بقلبه فيجعلون الكفر فقط في

بغنمه النبي (ﷺ) فنزلت هذه الآية: {يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا] } إلى آخرها.وذكر روايات متعددة لهذا القصة (رحمه الله).

1 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي ذر (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (يرمي) ينسب ويتهم. (بالفسوق) المعصية والخروج عن طاعة الله تعالى (ارتدت عليه) رجعت عليه فكان هو فاسقا أو كافرا. (صاحبه) المَرمي والمُتهم. (كذلك) كما رماه واتهمه. قال ابن حجر في الفتح: " تقدم صدره في مناقب قريش بالإسناد المذكور هنا فهو حديث واحد فرقه البخاري حديثين"

2 أخرجه البخاري ومسلم عن ثابت بن الضحاك (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. ورمي المؤمن بالكفر في رواية البخاري فقط.

3 أخرجه أحمد والطبراني والبيهقي والدرر والكنز والمنثور وابن كثير والترغيب والخطيب والبخاري في " الأدب المفرد" والمجمع وعزاه إلى أحمد ورجاله رجال الصحيح غير حبان بن يزيد الشرعبى ووثقه ابن حبان عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما). وصححه أحمد شاكر وقال المنذري في الترغيب: رواه أحمد بإسناد جيد وكذا العراقي وصححه السيوطي في " الجامع الصغير" وصححه الألباني في " صحيح الجامع". (أقماعُ القولِ): بمن كانتْ أذناهُ كالقُمع لما يسمعُ من الحكمةِ والموعظةِ

4 أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس (رضي الله عنهما) والرواية للبخاري. (حظه) نصيبه. (أدرك ذلك لا محالة) لا حيلة له ولا خلاص من الوقوع فيما كتب عليه وقدر له. (النظر) إلى العورات والنساء الأجنبيات. (المنطق) النطق بالفحش وما يتعلق بالفجور. (تتمنى) تسول لصاحبها وتحركه (الفرج) الذي هو آلة الزنا الحقيقي. (يصدق ذلك) بفعل ما تمنته النفس (يكذبه) بالترك والبعد عن الفواحش ومقدماتها. والأصرح من ذلك حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) في صحيح مسلم عن النبي (ﷺ) أنه قال:" والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم"

5 وهذا الخطأ يُغتفر أمام جبال حسنات الشيخ الألباني (رحمه الله) فنقول كما قال ابن القيم (رحمه الله) في الإمام الهروي (رحمه الله) في مدارج السالكين:" شيخ الإسلام حبيبنا ولكن الحق أحب إلينا منه وكان شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) يقول: عمله خير من علمه وصدق (رحمه الله) فسيرته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد أهل البدع لا يُشقُّ له فيها غبار وله المقامات المشهورة في نصرة الله ورسوله وأبى الله أن يكسو ثوب العصمة لغير الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى (ﷺ) وقد أخطأ في هذا الباب لفظا ومعنى ...". فنحن لن نُقلل من الشيخ الألباني ولكن نرد على خطأه. فقد أخطأ الشيخ الألباني (رحمه الله) عندما قال في صحيحه: " فإنه لا يجوز تكفير المسلم الموحد بعمل يصدر منه **حتى يتبين منه أنه جاحد** ولو بعض ما شرع الله" وكذلك قوله في موسوعة العقيدة: " المسلم يخرج من إسلامه إذا أنكر

التكذيب القلبي فالاستحلال لا يكون إلا في القلب. وهذا غير صحيح فقد يصدر عن المرء أفعال هي كفر سواء أعتقد أم لم يعتقد. فمثلاً السجود للصنم فهذا كافر ولا نحتاج أن نذهب إليه فنقول له هل أنت تعتقد إن هذا الصنم ينفع أو يضر؟. فطالما سجد للصنم فهو كافر إلا لو كان مثلاً ساجداً لله (ﷻ) وصادف وجود صنم. وهناك أفعال تحتاج إلى تفصيل فقد تكون شرك أكبر وقد تكون شرك أصغر مثل السجود لشيخ أو ولي من باب أنه يشفع له عند الله (ﷻ) مثلما يفعل النصارى في الكنائس ويُقدمون الصكوك والصوفية مع أولياءهم فهذا السجود كفر. ولكن إن سجد تحية ومثل ذلك ركوع بعض الأعاجم عند تحية الغير فهي ليست كفر لكنها حرام لأنه أراد أن يُحييه بتحية خطأ. وهذا كان في شرع من قبلنا كما كان في شرع سيدنا يوسف (عليه السلام) كما قال (ﷻ):﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾[يوسف: 100] وهذا عكس الصنم فالصنم جماد لا يعقل فلا يتم تحيته فالسجود له لا يكون إلا لعبادته. وسبب التحريم إنه جاء معاذ بن جبل (رضي الله عنه) مرة للنبي (ﷺ) فسجد له فقال له: "ما هذا يا معاذ؟ " فقال: " يا رسول الله رأيتهم في الشام يسجدون لأساقفتهم". فقال:"يا معاذ إنه لا يصلح السجود إلا لله ولو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها" [1]. فلم يقل له (ﷺ) يا معاذ لقد كفرت وهذا لأنه لم يسجد له إلا للتحية. ولكن لو سجد تعظيماً ظناً منه أنه يستحق ما لا يُستحق إلا لله (ﷻ) فهذا شرك أكبر. والنبي (ﷺ) حرَّم ذلك السجود حتى لا يكون ذريعة للشرك.

- وإذا دخلنا في مسألة أنه لا يكفر إلا من اعتقد بقلبه فلن تُكفِّر أحداً فكيف ستصل إلى قلبه؟؟ فالقلب بين العبد وربه ولن يكفر أحد حتى يخبرك ولا أحد سيخبرك أنه يكفر بقلبه. ولهذا الباب دقيق يحتاج لعلماء فهناك تكذيب بالقلب وهناك تكذيب بالفعل والعمل.
- وأما ما دون الشرك من كبائر أو صغائر فهي في مشيئة الله (ﷻ) لقوله (ﷻ):﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[النساء: 48&116]. نعم لو كان الذنب فيه تعريز أو حد فعليه التعزير أو الحد مثل حد القتل والسرقة والزنا وغيرها من الحدود. والصحيح أن الحدود جوابر أي أنها تكفير لصاحبها عن عقوبة الآخرة كما في حديث ماعز بن مالك (رضي الله عنه) أنه أتى رسول الله (ﷺ) فقال: " يا رسول الله إني قد ظلمت نفسي وزنيت وإني أريد أن تطهرني" فردَّه فلما كان من الغد أتاه فقال: " يا رسول الله إني قد زنيت" فردَّه الثانية فأرسل رسول الله (ﷺ) إلى قومه فقال: " أتعلمون بعقله بأسا تنكرون منه شيئا؟" فقالوا: " ما نعلمه إلا وفي العقل من صالحينا فيما نرى". فأتاه الثالثة فأرسل إليهم أيضا فسأل عنه فأخبروه أنه لا بأس به ولا بعقله فلما كان الرابعة حفر له حفرة ثم أمر به فرجم قال فجاءت الغامدية فقالت: " يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني" وإنه ردَّها فلما كان الغد قالت: " يا رسول الله لم تردني؟ لعلك أن تردني كما رددت ماعزاً فوالله إني لحبلى" قال: " إما لا فاذهبي حتى تلدي" فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة قالت: " هذا قد ولدته" قال: " اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه" فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز فقالت: " هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام" فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها فيُقبِل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها فتنضح الدم على وجه خالد فسبها فسمع نبي الله (ﷺ) سبه إياها فقال: " مهلا يا خالد فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له" ثم أمر بها فصلى عليها ودفنت" [2].
- والذين يعصم صاحب الكبائر من أن يخلد في نار جهنم أبداً هي شهادة التوحيد " لا إله إلا الله محمد رسول الله" وسنرد بالأدلة على بعض الإشكاليات التي ذكرها الخوارج والمعتزلة واستدلوا بظاهرها على أن صاحب الكبيرة يكفر ويخلد في نار جهنم أبداً. وشروط لا إله إلا الله هي سبعة على سبيل التغليب لا الحصر وهي: العلم المنافي للجهل والدليل قوله (ﷻ):﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾[محمد: 19] والصدق المنافي للكذب والدليل قوله (ﷻ):﴿ الم (1) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾[العنكبوت: 1-3] فقد قسَّم الله (ﷻ) الناس إلى طائفتين وهم الصادقين المؤمنين والكاذبين الكافرين.

ولهذا من رمى عائشة بالفحشاء والمنكر فهو كافر لأنه كذَّب لقوله (ﷻ):﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[النور: 23] فالله (ﷻ) أثبت لها الإيمان. واليقين المنافي للشك لقوله

شيئاً منه كان دخل فيه مفهوم هذا الكلام؟ إذا أنكر إذا جحد شيئاً يتبناه في إسلامه وفي دينه **وهو يعرف ذلك فأنكره بقلبه وليس بلسانه فهو مرتد عن دينه** ولو كان يوجد حكم إسلامي يقتل لأنه ارتد عن دينه أما إذا لم يُخرِجْ ذلك عن عقيدةٍ وإنما إما قال ذلك جهلاً بدينه أو قاله مضطراً أو خوفاً أو نحو ذلك فهو لا يكفر به".

[1] أخرجه أحمد وابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن ابن أبي أوفى (رضي الله عنه). قال الألباني في" الصحيحة": "إسناده صحيح على شرط مسلم".

[2] أخرجه مسلم عن بريدة بن الحصيب (رضي الله عنه). (إما لا فاذهبي) هو بكسر الهمزة من إما وتشديد الميم وبالإمالة الأصل إن ما فأدغمت النون في الميم وحذف فعل الشرط فصار إما لا ومعناه إذا أبيت أن تسترى على نفسك وتتوبي وترجعي عن قولك فاذهبي حتى تلدي فترجمين بعد ذلك (فيُقبل خالد) حكاية للحال الماضية أي فأقبل (فتنضح) روى بالحاء المهملة وبالمعجمة والأكثرون على المهملة ومعناه ترشش وانصب (صاحب مكس) معنى المكس الجباية وغلب استعماله فيما يأخذه أعوان الظلمة عند البيع والشراء كما قال الشاعر:

وفي كل أسواق العراق إتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم

(ﷻ):﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[الحجرات: 15] و قوله (ﷺ): " أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد **غير شاكٍّ** فيُحجب عن الجنة" [1] والانقياد والإذعان والاستسلام المنافي للرد والإنكار والعناد لقوله (ﷻ):﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[الأحزاب: 36] ولقوله (ﷻ):﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء: 65] فلابد عدم العناد لأن العناد من صفات الكافرين كما قال الله (ﷻ) في وصف فرعون ومن معه (ﷻ):﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[النحل: 14] والإخلاص المنافي للرياء لقوله (ﷻ):﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾[الزمر: 14] و قوله (ﷺ): " أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه" [2] والمحبة المنافية للكره وهي محبة الله (ﷻ) ورسوله (ﷺ) ومحبة الصالحين وهي محبة العبادة لقوله (ﷻ):﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[محمد: 9] [3]. وهناك شروط خارج السبع ولكن لابد منها وهي من أركان الإيمان مثل التوكل لقوله (ﷻ):﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[المائدة: 23] فمن مفهوم المخالفة فمن لم يتوكل على الله (ﷻ) فهو ليس بمؤمن. فمن حقق لا إله إلا الله فهي تعصمه من الخلود في النار حتى وإن أتى بكبائر الذنوب فهذا في المشيئة إن شاء الله (ﷻ) عذبه وإن شاء غفر له ثم مآله إلى الجنة.

- ومما استدل به الخوارج في كفر صاحب الكبيرة بقوله (ﷻ):﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[النساء: 93] فقالوا بما أن قاتل النفس خالداً في النار فهو كافر. وردَّ عليهم ابن تيمية عندما سُئِل عن حكم القتل المتعمد فقال: " الحمد لله أما إذا قتله على دين الإسلام: مثل ما يقاتل النصراني المسلمين على دينهم: فهذا كافر شر من الكافر المعاهد فإن هذا كافر محارب بمنزلة الكفار الذين يقاتلون النبي (ﷺ) وأصحابه وهؤلاء مخلدون في جهنم كتخليد غيرهم من الكفار. وأما إذا قتله قتلا محرما لعداوة أو مال أو خصومة ونحو ذلك فهذا من الكبائر ولا يكفر بمجرد ذلك عند أهل السنة والجماعة وإنما يكفر بمثل هذا الخوارج ولا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد عند أهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة الذين يقولون بتخليد فساق الملة. وهؤلاء قد يحتجون بقوله تعالى: {ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما} [النساء: 93]. وجوابهم: على أنها محمولة على المتعمد لقتله على إيمانه. وأكثر الناس لم يحملوها على هذا بل قالوا: " هذا وعيد مطلق قد فسره قوله تعالى: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} [النساء: 48]". وفي ذلك حكاية عن بعض أهل السنة أنه كان في مجلس فيه عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة فقال عمرو: " يُؤتى بي يوم القيامة فيقال لي: يا عمرو من أين قلت: إني لا أغفر لقاتل؟ فأقول أنت يا رب قلت: {ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها} [النساء: 93]". قال: " فقلت له: فإن قال لك: فإني قلت: {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} [النساء: 48]. فمن أين علمت أني لا أشاء أن أغفر لهذا؟ فسكت عمرو بن عبيد" [4]. وبعضهم حمل الآية على أن معناها فيها جزاؤه خالداً فيها إلى أن يشاء الله (ﷻ) فالخلود في اللغة لا يُحمل فقط على الدوام والاستمرار ولكنه يُحمل على طول المكث. والضابط في الخلود هو أن تأتي بعده كلمة "أبداً" وهذه لم تأتي إلا في الكفار. نعم تحقق شرط الخلود وهو القتل ولكن أتى مانع يمنعه من الخلود في النار أبدا وهو التوحيد فمن وحَّد لا يمكن أن يكون في نار جهنم خالداً فيها.
- ومن الأدلة التي تدل على أن المُوحِّد مآله إلى الجنة حتى ولو أتى بذنوب وكبائر قوله (ﷻ):﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[النساء: 48&116] فبنص الآية ما دون الشرك فهو في مشيئة الله (ﷻ) إن شاء الله (ﷻ) عذبه وإن شاء غفر له ثم مآله إلى الجنة.وهذا أصل عام في الرد على الخوارج لأنها آية محكمة قبل الرد على شبهاتهم التي ستأتي. فلو جاء نص محكم وجاءت نصوص لها أوجه تُخالف هذا النص المحكم فلابد أن نرد هذه النصوص للأصول المحكمة.

---

1 أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

2 أخرجه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

3 وهناك بيتين من الشعر مشهورين (ولم أقف على من قالهما من العلماء) يجمعا كل هذه الشروط وهما:

علم ويقين وإخلاص وصدقك مع محبة وانقياد والقبول لها

وزيدَ ثامنها الكفران بما سوى الإله من الأنداد قد أُلِها

والشروط السبعة ذكرها الشيخ عبد الرحمن بن الحسن (رحمه الله) في كتابه " فتح المجيد" ومن زاد الشرط الثامن هو الشيخ عبد العزيز بن باز (رحمه الله) في كتابه "الدروس المهمة لعامة الأمة" وزاد الشيخ حمود العقلاء (رحمه الله) في كتابه "شرح شروط لا إله إلا الله" أن الشرط التاسع هو الموت عليها.

4 راجع مجموع الفتاوى لابن تيمية (رحمه الله)

- و كذلك قوله (ﷺ): " الدواوين عند الله ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئا وديوان لا يترك الله منه شيئا وديوان لا يغفره الله فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله قال الله (ﷻ): {إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء} وقال: {إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة} وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين الله من صوم يوم تركه أو صلاة فإن الله تعالى يغفر ذلك ويتجاوزه إن شاء وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئا فظلم العباد بعضا القصاص لا محالة" [1].
- وكذلك قوله (ﷺ): " أتاني جبريل فبشرني أنه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت: " وإن سرق وإن زنى!!" قال: " وإن سرق وإن زنى " [2]. وهذا أصرح الأدلة في الرد على من يكفرون بالكبائر.
- وكذلك قوله (ﷺ): " من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة " [3].
- وكذلك قوله (ﷺ): " من قال: لا إله إلا الله نفعته يوماً من الدهر يصيبه قبل ذلك ما أصابه " [4]. وهذا يوم الحساب الذي قال فيه (ﷻ):﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[الشعراء: 88-89] فكلمة التوحيد تنجيه من العذاب. وكما جاء في حديث البطاقة فقد طاشت كل ذنوبه بقول لا إله إلا الله [5].
- وكذلك حديث القبضة [6] يدل على أنه من قال لا إله إلا الله سوف يدخل الجنة في النهاية. وكلمة التوحيد عموماً من عمل اللسان.
- أما الخوارج يقولون إن فاعل الكبيرة كافر في الدنيا وفي الآخرة مُخلَّد في نار جهنم والمعتزلة يقولون إن فاعل الكبيرة في منزلة بين المنزلتين في الدنيا فلا هو كافر ولا هو مؤمن [7] وفي الآخرة مُخلَّد في نار جهنم.
- واستدل الخوارج قوله (ﷺ): " من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا " [8] والحديث فيه براءة ممن حمل علينا السلاح أو غشنا والبراءة من النبي (ﷺ) تقتضي الكفر.
- وقوله (ﷺ): " أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا يا رسول الله ولم؟ قال: لا تراءى نارهما " [9] والحديث فيه براءة ممن جلس بين أظهر المشركين والبراءة من النبي (ﷺ) تقتضي الكفر.
- وقوله (ﷺ): " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" [10] فقالوا إن الفسق والكفر يأتيا بمعنى واحد فكلاهما ينزل تحت الظلم ولقد قال (ﷻ):﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[البقرة: 254] والفسق ظلم.وعن جرير أن النبي (ﷺ) قال له في حجة الوداع: " استنصت الناس" فقال: " لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" [11].
- وقوله (ﷺ): " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن" [12] ونفي الإيمان في الحديث يدل على الكفر.

---

1 أخرجه أحمد والحاكم عن عائشة (رضي الله عنها) وقال الحاكم: " حديث صحيح ولم يخرجاه" ولم يوافقه الذهبي وقال: " صدقة ضعفوه وابن بابنوس فيه جهالة". ورواه الطبراني في الكبير والصغير عن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) وفيه يزيد بن سفيان بن عبد الله بن رواحة تكلم فيه ابن حبان وذكر حديثه وروي عن سلمان من طريق آخر عند الطبراني في الكبير والبزار وفيه حميد بن الربيع وعلي بن عاصم وكلاهما ضعيف وقد وثقا والحديث حسن لشواهد له عدة.

2 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي ذر (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. وفي رواية أخرى عند البخاري:" ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة " قلت: " وإن زنى وإن سرق؟" قال: " وإن زنى وإن سرق" قلت: " وإن زنى وإن سرق؟" قال: " وإن زنى وإن سرق" قلت: " وإن زنى وإن سرق؟" قال: " وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر" وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال: " وإن رغم أنف أبي ذر" قال أبو عبد الله: " هذا عند الموت أو قبله إذا تاب وندم وقال: لا إله إلا الله غفر له "

3 لم أقف عليه.

4 أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وأبو نعيم والبزار والطبراني في الأوسط والصغير والخطيب في " موضح أوهام الجمع والتفريق" وأبو نعيم في " الحلية" عن أبي هريرة (رضي الله عنه). وبعض هذه الطرق بأسانيد صحيحة. قال المنذري: " رواته رواة الصحيح". وقال الهيثمي: "رجاله رجال الصحيح " يقصد رجال البزار والطبراني في الصغير"وقد صححه الشيخ الألباني في الصحيحة.

5 راجع المحاضرة الثالثة عشر رقم (1) صـ 5.

6 راجع المحاضرة الثالثة عشر رقم (1) صـ 7.

7 وهذا عجيب فهو إما كافر وإما مؤمن ولكن غير مفهوم أن يكون بينهما فهما على النقيضين فكيف يكون في منزلة وسط بينهما؟ وهم لم يستطيعوا أن يفسروا هذا.

8 أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه).

9 أخرجه أبو داود والترمذي عن جرير بن عبد الله (رضي الله عنه) لكنه أُعِلَّ بالإرسال. قال الترمذي وأبو داود: " وقد رواه جماعة ولم يذكروا جريراً". وأخرجه النسائي عن قيس بن أبي حازم مرسلاً ولم يذكر جريراً. قال الترمذي "وسمعت محمداً -يعني: البخاري- يقول: الصحيح حديث قيس عن النبي (ﷺ) مرسل". والحديث صححه الألباني في "الإرواء" وذكر طرقه وشواهده. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود. (لا تراءى ناراهما) ألا يكون كل واحد منهما بحيث يرى نار صاحبه فجعل الرؤية للنار ولا رؤية لها يعني: أن تدنو هذه من هذه يُقال: داري تنظر إلى دار فلان أي: تقابلها وقيل: معناه: أنه أراد نار الحرب يقول: ناراهما مختلفتان هذه تدعو إلى الله وهذه تدعو إلى الشيطان فكيف تتفقان؟ وكيف يساكنهم في بلادهم وهذه حال هؤلاء وهذه حال هؤلاء؟

10 أخرجه البخاري ومسلم عن ابن مسعود (رضي الله عنه).

11 أخرجه البخاري ومسلم عن جرير (رضي الله عنه). (استنصت الناس) اطلب منهم أن يسكتوا ويستمعوا لما أقوله لهم. (كفارا) تفعلون مثل الكفار.

12 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.

- وقوله (ﷺ): " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن" [1] ونفي الإيمان في الحديث يدل على الكفر.
- وكل ما سبق - بالنسبة للخوارج- أدلة على الكفر.
- وما فعله الخوارج هو دأب أهل البدع الذين يأخذون أطراف الأحاديث وبعض أوجه الحديث دون الأخرى ولا يجمعون بين الروايات على عكس أهل السنة الذين يأتون بكل الروايات ويجمعون بينهما ثم يستخرجون الحكم وهدفهم أنهم يريدون نصرة مذهبهم فقط.
- وهناك قاعدة مستنبطة عند أهل العلم إن الكفر إذا جاء نكرة فيُقصد به الكفر الأصغر وهو كفر دون كفر ومثال ذلك قوله (ﷺ): " سباب المسلم فسوق وقتاله **كفر**" [2] وإذا جاءت مُعرَّفة فيُقصد بها الكفر الأكبر ومثال ذلك قوله (ﷺ): " إن بين الرجل وبين الشرك **والكفر** ترك الصلاة" [3].
- والرد عليهم في فهمهم من قوله (ﷺ): " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن" أن النفي على ثلاث أنواع: إما نفي وجود أو نفي صحة أو نفي كمال. فنفي وجود معناه أن الشيء غير موجود مثل أن تقول: "لا خالق للكون إلا الله" فلا يوجد أبداً خالق إلا الله (ﷻ) ونفي الصحة كما في قوله (ﷺ): " لا تُقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول" [4] ونفي الكمال هو أن العمل صحيح ولكنه ناقص كما في قوله (ﷺ): " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" [5] فالإيمان صحيح لكنه ناقص. وفي باب الإيمان ذكرنا أنه مراتب الإيمان ثم الإسلام ثم الإحسان فالشرع فرَّق بين الإيمان والإسلام فالإيمان الأعمال الباطنة والإسلام الأعمال الظاهرة. فالزاني عندما يزني يخرج الإيمان ولكن يظل في الإسلام فهو معه أصل الإيمان ولكن كمال الإيمان أو الإيمان الواجب نزل حتى إن النبي (ﷺ) قال: "إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان كان عليه كالظُّلَّة فإذا انقطع رجع إليه الإيمان" [6]. فالشرع بيَّن لنا أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعصية.
- وعن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) قال: " أن رسول الله (ﷺ) أعطى رهطا وسعد جالس فترك رسول الله (ﷺ) رجلا هو أعجبهم إليَّ فقلت: " يا رسول الله ما لك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمناً" فقال: " أو مسلما" فسكت قليلا ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي فقلت: " ما لك عن فلان؟ فوالله إني لأراه مؤمناً" فقال: " أو مسلماً". ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي وعاد رسول الله (ﷺ) ثم قال: " يا سعد إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليَّ منه خشية أن يكبُّه الله في النار" [7].

وهذه تفرقة واضحة بين الإسلام والإيمان. فالإيمان تزكية ولا يطلع عليه أحد إلا الله (ﷻ) وقال (ﷻ):﴿**فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾[النجم: 32]. وكذلك نرد عليهم من حديث أبي ذر (رضي الله عنه): " وإن سرق وإن زنى " [8]

- وكذلك من حديث عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) وكان شهد بدرا وهو أحد النقباء ليلة العقبة: أن رسول الله (ﷺ) قال وحوله عصابة من أصحابه: " بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعُوقِبَ في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه" فبايعناه على ذلك [9].
- والرد على فهمهم من قوله (ﷺ): " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" أن المقصود من الكفر هو الكفر دون الكفر والدليل على ذلك في قوله (ﷻ) في قتال المؤمنين:﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[الحجرات: 9] فالله (ﷻ) سماهم المؤمنين وهم يقتتلون ولابد من وقوع قتلى في صفوفهما فهم لم يرتفع عنهم

---

1 أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (ينتهب نهبة) لا يختلس شيئاً له قيمة عالية.
2 سبق تخريجه في بداية الصفحة.
3 أخرجه مسلم عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه).
4 أخرجه مسلم عن ابن عمر (رضي الله عنه). (غلول) الغلول الخيانة وأصله السرقة من مال الغنيمة قبل القسمة.
5 أخرجه البخاري ومسلم عن أنس (رضي الله عنه).
6 أخرجه أبو داود في السنة والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة (رضي الله عنه). وقال الحاكم:" صحيح على شرط الشيخين" ووافقه الذهبي. وصحح إسناده عبد الحق الإشبيلي في " الأحكام الصغرى كما أشار لذلك في مقدمته وابن حجر في " فتح الباري". وقال الألباني في " صحيح سنن أبي داود": صحيح. وهو قول مأثور عن ابن عباس (رضي الله عنه) وعطاء وطاووس والحسن والإمام أحمد (رحمهم الله). (كالظُّلَّة) أي كالمظله تُظله أي ان الإيمان لا يفارقه تماماً بل يظل ملازماً له ويعود له بعد الانتهاء من معصيته.
7 أخرجه البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه). (رهطاً) ما دون العشرة من الرجال. (رجلاً) هو جعيل بن سراقة الضمري. (أعجبهم إليَّ) أفضلهم وأصلحهم في اعتقادي. (ما لك عن فلان) ما سبب عدولك عنه إلى غيره وفلان كناية عن اسم أبهم بعد أن ذكر أو سمي به المحدث عنه الخاص. (أو مسلما) أي بل قل مسلماً بدل مؤمناً لأنك تعلم ظاهر أمره ولا تعلم حقيقة حاله وليس لك أن تجزم بهذا. (غلبني) حملني على القول ثانية. (يكبُّه) يُلقيه منكوساً على وجهه.
8 راجع رقم (3) صـ 30 في هذه المحاضرة.
9 أخرجه البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه).

الإيمان وقوله (ﷻ):﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[البقرة: 178] فالله (ﷻ) سمى القاتل أخو ولي الدم والأخوة ليست في الدم أو النسب بل هي في الدين. هو طبعاً فعل كبيرة بالقتل ولكن نحن نتكلم عن مسألة هل يكفر أم لا؟.

- والرد على فهمهم من قوله (ﷺ): " من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا " أن البراءة على نوعين: براءة من الشخص وبراءة من العمل ويظهر ذلك في قول إبراهيم (عليه السلام) الذي ذكره الله (ﷻ) في قوله (ﷻ):﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[الممتحنة: 4] وهذه الآية فيها التبرؤ من القوم لأنهم كفار وكذلك التبرؤ من أعمالهم. فمقصود حديث النبي (ﷺ) التبرؤ من العمل وليس الشخص وهذا الحديث أصلة أن النبي (ﷺ) مر على صبرة طعام فأدخل أصابعه فيها فإذا فيه بلل فقال: "ما هذا يا صاحب الطعام؟" قال: " أصابته سماء يا رسول الله" قال: " فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا" [1]. فالنبي (ﷺ) لم يقل له قد كفرت أرجع وقل الشهادة مرة أخرى ولكن المقصود التبرؤ من العمل.
- ويظهر التبرؤ من العمل في حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: " بعث النبي (ﷺ) خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فجعلوا يقولون: " صبأنا صبأنا" فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ودفع إلى كل رجل منا أسيره حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره فقلت: " والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره حتى قدمنا على النبي (ﷺ) فذكرناه فرفع النبي (ﷺ) يده فقال: " اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد مرتين" [2].
- وكذلك قال أسامة بن زيد بن حارثة (رضي الله عنهما):" بعثنا رسول الله (ﷺ) إلى الحرقة من جهينة قال: " فصبحنا القوم فهزمناهم" قال: " ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم" قال: " فلما غشيناه" قال: " لا إله إلا الله" قال: " فكفَّ عنه الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلته" قال: " فلما قدمنا بلغ ذلك النبي (ﷺ) قال: فقال لي: " يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله؟" قال: " قلت: " يا رسول الله إنما كان متعوذاً" قال: " أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله" قال: " فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم" [3]. ولم يقل له (ﷺ) كفرت بل غضب من فعله.
- وجاءت البراءة من العمل منفرداً تصريحاً في قوله (ﷻ):﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[الشعراء: 216].

---

1 أخرجه ابن حبان والرواية له والترمذي وابن ماجه والحاكم والبيهقي وابن منده والبغوي من طرق عن إسماعيل بن جعفر بهذا الإسناد عن أبي هريرة (رضي الله عنه). وأخرجه أحمد وأبو داود وأبو عوانة والطحاوي. قال الحاكم: " وأما شرح الحال في هذه الأحاديث فلم يخرجاه وكلها صحيحة على شرط مسلم"

2 أخرجه البخاري عن ابن عمر (رضي الله عنهما). (بني جذيمة) قبيلة من قبائل العرب. (صبأنا) خرجنا من دين إلى دين وقصدوا الدخول في الإسلام ولكن خالداً (رضي الله عنه) ظن أنهم لم ينقادوا ولهذا لم يقولوا أسلمنا. (أبرأ إليك) أعتذر. (مما صنع خالد) من قتل وأسر لهؤلاء.

3 أخرجه البخاري عن أسامة بن زيد (رضي الله عنهما). (الحرقة) قبيلة من جهينة وكان هذا البعث في رمضان سنة سبع أو ثمان (متعوذاً) إي لجأ إلى قولها خائفاً من القتل.

6- حقوق الصحابة (رضي الله عنهم) (15- التوقيت: 50 دقيقة و17 ثانية)

ومن السنة تولي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم وذكر محاسنهم، والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم

واعتقاد فضلهم، ومعرفة سابقتهم قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر: ١٠]، وقال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]

وقال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفه» .

- وهذا فصل عظيم وهو حقوق الصحابة (رضي الله عنهم) وهم خير خلق الله (عز وجل) بعد الأنبياء وهم أفضل من صاحب نبياً فلكل نبي حواريون [1] وأفضلهم الخلفاء الأربعة كما ذكرنا.
- الصحابة (رضي الله عنهم) جاءنا تعديلهم وتوثيقهم من عند الله (عز وجل) كما في (تعالى):﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة: 100].
- وقد لخَّص صاحب العقيدة الطحاوية [2] عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (رضي الله عنهم) فقال :" ونحب أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ولا نذكرهم إلا بخير وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان" [3].
- والصحابة (رضي الله عنهم) لهم علينا حقوق أولها أن نترضَّى عليهم [4] عند ذكرهم ولكن لا نترضَّى عمن عُلِمَ نفاقه منهم كأمثال ابن سلول وغيره والذي قال فيه (تعالى):﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النور: 11] بل منع الله (عز وجل) النبي (صلى الله عليه وسلم) من الصلاة عليهم فقال (تعالى):﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[التوبة: 84] وكان عمر (رضي الله عنه) لا يريد النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يصلي عليهم فنزل القرآن كما أراد المُلهم

---

1 وهذا للحديث الذي أخرجه مسلم عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل". (ثم إنها تخلف) الضمير في إنها هو الذي يسميه النحويون ضمير القصة والشأن ومعنى تخلف تحدث وأما الخلوف فهو جمع خلف وهو الخالف بشر وأما بفتح اللام فهو الخالف بخير هذا هو الأشهر.

2 وهو الإمام الطحاوي (رحمه الله).

3 راجع كتاب العقيدة الطحاوية.

4 نقول عند ذكرهم (رضي الله عنهم).

عمر (رضي الله عنه) [1].بل بيَّن أنهم في الدرك الأسفل من النار كما في قوله (تعالى):﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[النساء: 145]

- وثانيها نعرف قدرهم وهذا كان معروف بينهم ومعروف بين التابعين وتابعي التابعين.
- وثالثها عدم الخوض فيما دار بينهم من فتن وخصوصاً فما حدث منذ زمن خلافة علي (رضي الله عنه) ومعاوية (رضي الله عنه). فلابد أن نتأدب معهم فلا نتكلم عن علي (رضي الله عنه) ومعاوية (رضي الله عنه) وطلحة (رضي الله عنه) والزبير (رضي الله عنه) وعائشة (رضي الله عنها). نعم من الممكن أن نُوضَّح بعض الشبهات ولكن مع عدم الخوض في أشخاصهم ويكون الهدف هو إحقاق الحق ومعرفته فهذه فتن حدثت في زمانهم وهم أعلم وأدرى بها وهم كانوا أفضل الخلق وقتها وقد مات عنهم النبي (ﷺ) وهو راضٍ عنهم وقد اصطفاهم الله (عز وجل) لصحبة النبي (ﷺ) فهؤلاء لهم الفضل االتي لا يُدانيهم فيها أحد ونتمسك بقوله (ﷺ): " لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه " [2].
- وقد انتشر الآن سب الصحابة (رضي الله عنهم) من الشيعة الرافضة والملحدين والعلمانيين وغير ذلك. ولابد أن نعلم إن سب الصحابة (رضي الله عنهم) هو سب في الدين فهم الذين نقلوا لنا هذا الدين فمن يسب الصحابة (رضي الله عنهم) لا يقصد الأشخاص بل يقصد من نقل لك الدين.
- فتجد بعضهم يقول إن الصحابة (رضي الله عنهم) كلهم كفروا إلا عشرة أو ثلاثة عشر أو هم فسقة أو ظلمة أو فيهم صفات كذا. وهدفه من ذلك التشكيك في نَقَلة السنة. فالله (عز وجل) حفظ القرآن والسنة بنقل الصحابة (رضي الله عنهم) فالرواة من الصحابة (رضي الله عنهم) هم نَقَلة حديث النبي (ﷺ) وقد أخذه منهم التابعون وتابعي التابعين إلى أن وصل إلينا.
- وحتى مع احتياج السنة إلى دراسة وتمحيص وتدقيق وإلى تخليص الغث من السمين ولكن هذا لا يُشكِّك في الصحابة (رضي الله عنهم). فهو الآن إذا شكَّك في النَقَلة فكيف ستعتمد على النقل؟.
- اختلف أهل العلم في مسألة سب الصحابة (رضي الله عنهم) على قولين: القول الأول أنه من سب الصحابة (رضي الله عنهم) أو انتقص في دينهم أو عابهم في العدالة يكفر. وهذا ذهب إليه كثير من أهل العلم. والقول الثاني أنه من سب الصحابة (رضي الله عنهم) يفسق ولا يكفر وإن كان يُعذَّر ويُؤدَّب.
- والصحيح أن المسألة تحتاج لتفصيل. فالسب له أنواع: النوع الأول: من سبهم لأمر متعلق بالدين فهذه ردَّة وزندقة لأن تعديلهم في دينهم جاء من عند الله (عز وجل) فقال (تعالى):﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾[الفتح: 26] فالله (عز وجل) بيَّن أنهم ملتزمون و أحق الناس بكلمة "لا إله إلا الله" من غيرهم وغير ذلك من الآيات التي تكلمنا عنها. فمن أخرج الصحابة من الدين كما يقول بعد موت علي (رضي الله عنه): " كفر كل الصحابة إلا عشرة" مثلاً فهذا كافر زنديق لأنه كذَّب الله (عز وجل) في الآيات التي ذكرناها.
- النوع الثاني: من سبهم بلعن أو قبح أو يقدح في بعض الدين عندهم مثل أن يقول إنهم كانوا يريدون الدنيا ولا يريدون الآخرة أو كانوا يقاتلون للمغنم ولا يقاتلون لإعلاء كلمة الله (عز وجل). وهذا مختلف عليه بين أهل العلم فبعضهم قال: من قال مثل ذلك يكفر واستدلوا بالآيات التي نزلت فيمن استهزىء بقُرَّاء النبي (ﷺ) فنزل فيهم قوله (تعالى):﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (64) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾[التوبة: 64-66] [3]. وهناك قول آخر أنه ينزل من الكفر إلى الفسق وإن كانوا يُعذَّروا ويؤدبوا.

---

[1] قال ابن كثير في تفسير الآية {ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره}: " أمر الله تعالى رسوله (ﷺ) أن يبرأ من المنافقين وألا يصلي على أحد منهم إذا مات وألا يقوم على قبره ليستغفر له أو يدعو له لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا عليه. وهذا حكم عام في كل من عرف نفاقه وإن كان سبب نزول الآية في عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين كما قال البخاري: " حدثنا عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله -هو ابن أبي -جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله (ﷺ) فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله (ﷺ) ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله (ﷺ) فقال: " يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟!" فقال رسول الله (ﷺ): " إنما خيرني الله فقال: {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم} وسأزيده على السبعين". قال: " إنه منافق!" قال: " فصلى عليه رسول الله (ﷺ) فأنزل الله عز وجل آية: {ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره}"

[2] راجع رقم (4) صـ 13 في هذه المحاضرة.

[3] قال ابن كثير في تفسير الآية: " قال أبو معشر المديني عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا: قال رجل من المنافقين: ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء". فرُفِعَ ذلك إلى رسول الله (ﷺ) فجاء إلى رسول الله وقد ارتحل وركب ناقته فقال: " يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب". فقال: {أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون} إلى قوله: {مجرمين} وإن رجليه لتنسفان الحجارة وما يلتفت إليه رسول الله (ﷺ) وهو متعلق بنسعة رسول الله (ﷺ)".

النوع الثالث: أن يُسب الصحابي (رضي الله عنه) ليس لدينه ولكن لصفة فيه مثل أن يقول إن الصحابي الفلاني (رضي الله عنه) كان بخيلاً أو كان يحب الأكل الكثير. فلو كانت الصفة التي انتقص الصحابي (رضي الله عنه) فيها جاء التعديل فيها في الكتاب أو السنة فيكون قد كذَّب الكتاب أو السنة فيكفر. فمثلاً يصف أبي بكر (رضي الله عنه) بالبخل وهو الذي نزل فيه قوله (تعالى) في إنفاقه :﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (17) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (18) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (20) وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾[الليل: 17-21] [1] و قوله (تعالى) في إنفاقه على مسطح (رضي الله عنه):﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[النور: 22] [2] فجاءت الآيات تثبت صفة لإبي بكر (رضي الله عنه) وهي الكرم وأنه كان يؤتي المال. فمن كذَّب هذه الصفة في أبي بكر (رضي الله عنه) يكفر. ولكن من لمز على الصحابي (رضي الله عنه) بصفة لم يأتي فيها النص فهذا فسق وظلم وليس بكفر وإن كانوا يُعذَّروا ويؤدبوا. وإن كان هناك ولي أمر يدافع عن الصحابة فلابد ألا يترك هؤلاء حتى لا يتجرأ الناس على أكثر من ذلك.

فمن وصفهم إنهم جبناء يفرون في المعارك فلو جاء نص في هذا الصحابي (رضي الله عنه) بالشجاعة مثل خالد (رضي الله عنه) وقد قال فيه النبي (صلى الله عليه وسلم) عندما ذكر القادة في سرية مؤتة: "أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرفان حتى أخذ **سيف من سيوف الله** حتى فتح الله عليهم" [3] فهذا يكفر لأن سيف الله (عز وجل) لا يكون جباناً فهذا معناه أن الله (عز وجل) أساء الاختيار -حاشا لله-.

الإمام مالك (رحمه الله) يرى أن أي سب للصحابة كفر واستدل بقوله (تعالى):﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[الفتح: 29] وقال: " من تغيَّظ من الصحابة فكافر" أي من نقموا على الصحابة وسبوهم فهم من الكفار. وإن كان الأولى أن نُفصِّل التفصيل الذي فصلناه.

7- زوجات النبي (ﷺ) (15- التوقيت: 1 ساعة و2 دقيقة و10 ثانية)

ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء أفضلهن خديجة بنت خويلد وعائشة الصديقة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة فمن قذفها بما برأها الله منه فقد كفر بالله العظيم

وزوجات النبي (صلى الله عليه وسلم) مُبرَّءات من كل سوء ومن أي اتهام فهن العفيفات اللاتي هم قدوات النساء وهن أمهات المؤمنين واختارهن الله (عز وجل) ليكنَّ أزواجاً للنبي (صلى الله عليه وسلم) وهم أزواجه في الدنيا والآخرة.

وقد قال (تعالى):﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾[النور: 26] والنبي (صلى الله عليه وسلم) هو أطيب الطيّبين فزوجاته طيّبات.

وزوجات النبي (صلى الله عليه وسلم) هن: خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) وهي أم كل أولاد النبي (صلى الله عليه وسلم) ما عدا إبراهيم. تزوجها النبي (صلى الله عليه وسلم) ودخل بها بعد أن تزوجت قبله مرتين وكان يحبها حباً جماً وكان يُثني عليها حتى بعد موتها بسنوات حتى إن عائشة (رضي الله عنها) كانت تغير من هذا الثناء كما قال (رضي الله عنها): "استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك فقال: " اللهم هالة". قالت: " فغرت فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيرا منها " [4].

---

[1] راجع رقم (2) صـ 17 في هذه المحاضرة.

[2] راجع رقم (1) صـ 17 في هذه المحاضرة.

[3] أخرجه مسلم عن أنس (رضي الله عنه) والرواية للبخاري.

[4] أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها) والرواية للبخاري. (فعرف استئذان خديجة) تذكره لشبه صوتها بصوتها رضي الله عنهما. (فارتاع لذلك) تغير واهتز سرورا بذلك. وأصل ارتاع من الروع وهو الفزع وليس مرادا هنا وقد يكون المعنى تغير حزنا لتذكره فراقها. (اللهم هالة) أي اجعلها يا الله هالة أو هي هالة. (حمراء الشدقين) الشدق جانب الفم أرادت أنها عجوز كبيرة جدا قد سقطت أسنانها من الكبر ولم يبق في فمها بياض من الأسنان وإنما حمرة اللثاث. (هلكت في

وقد اختلف أهل العلم هل أفضل النساء عائشة أم خديجة (رضي الله عنهما) والصحيح أنه في نصرة الدين تقدَّم خديجة (رضي الله عنها) فهي التي نصرت النبي (ﷺ) في دينه في أول الأمر فنصرته بماله وأحاطته برعايتها ولكن عائشة (رضي الله عنها) لها الفضل في نشر الدين بسبب تعليمها لكثير من الصحابة (رضي الله عنهم) والتابعين [1]. وعامة هذا الخلاف لا يخرج عنه كثير عمل فالأولى تركه.

- وثاني زوجاته عائشة (رضي الله عنها) فقد عقد عليها وهي بنت ست سنين ودخل بها وهي بنت تسع سنين [2]. وقد جاءه جبريل مرتين في المنام يبين له إنها زوجته ويحملها له وهي صغيرة [3].
- والثالثة هي سودة بنت زمعة (رضي الله عنها) وقيل إنه (ﷺ) تزوجها هي وعائشة في وقت واحد
- وهذا كما في الحديث "لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون قالت: " يا رسول الله ألا تزوج؟" قال: " من؟" قالت: " إن شئت بكرا وإن شئت ثيبا؟" قال: " فمن البكر؟" قالت: " ابنة أحب خلق الله (عز وجل) إليك عائشة بنت أبي بكر" قال: " ومن الثيب؟" قالت: " سودة بنت زمعة آمنت بك واتبعتك على ما تقول " قال: " فاذهبي فاذكريهما علي". فدخلت بيت أبي بكر فقالت: " يا أم رومان ماذا أدخل الله (عز وجل) عليكم من الخير والبركة؟" قالت: " وما ذاك؟" قالت: " أرسلني رسول الله (ﷺ) أخطب عليه عائشة" قالت: " انتظري أبا بكر حتى يأتي فجاء أبو بكر فقالت: يا أبا بكر ماذا أدخل الله (عز وجل) عليكم من الخير والبركة؟" قال: " وما ذاك؟" قالت: " أرسلني رسول الله (ﷺ) أخطب عليه عائشة" قال: " وهل تصلح له؟ إنما هي ابنة أخيه" فرجعت إلى رسول الله (ﷺ) فذكرت ذلك له قال: " ارجعي إليه فقولي له: " أنا أخوك وأنت أخي في الإسلام وابنتك تصلح لي" فرجعت فذكرت ذلك له قال: " انتظري" وخرج قالت أم رومان: " إن مطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه فوالله ما وعد وعداً قط فأخلفه لأبي بكر" فدخل أبو بكر على مطعم بن عدي وعنده امرأته أم الفتى فقالت:" يا ابن أبي قحافة لعلك مصبئ صاحبنا مدخله في دينك الذي أنت عليه إن تزوج إليك" قال أبو بكر للمطعم بن عدي: " أقول هذه تقول" قال: " إنها تقول ذلك" فخرج من عنده وقد أذهب الله (عز وجل) ما كان في نفسه من عدته التي وعده فرجع فقال لخولة: " ادعي لي رسول الله (ﷺ)" فدعته فزوجها إياه وعائشة يومئذ بنت ست سنين ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت: " ماذا أدخل الله (عز وجل) عليك من الخير والبركة؟" قالت: " ما ذاك؟" قالت: " أرسلني رسول الله (ﷺ) أخطبك عليه" قالت: " وددت ادخلي إلى أبي فاذكري ذاك له" وكان شيخا كبيرا قد أدركته السن قد تخلف عن الحج فدخلت عليه فحيته بتحية الجاهلية فقال: " من هذه؟" فقالت: " خولة بنت حكيم" قال: " فما شأنك؟" قالت: " أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة" قال: " كفء كريم ماذا تقول صاحبتك؟" قالت: " تحب ذاك" قال: " ادعها لي" فدعتها فقال: " أي بنية إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفء كريم أتحبين أن أزوجك به؟" قالت: " نعم" قال: " ادعيه لي" فجاء رسول الله (ﷺ) إليه فزوجها إياه فجاءها أخوها عبد بن زمعة من الحج فجعل يحثي على رأسه التراب فقال بعد أن أسلم: " لعمرك إني لسفيه يوم أحثي في رأسي التراب أن تزوج رسول الله (ﷺ) سودة بنت زمعة قالت عائشة: " فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث من الخزرج في السنح قالت: " فجاء رسول الله (ﷺ) فدخل بيتنا واجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء فجاءت بي أمي وإني لفي أرجوحة بين عذقين ترجح بي فأنزلتني من الأرجوحة ولي جميمة ففرقتها ومسحت وجهي بشيء من ماء ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب وإني لأنهج حتى سكن من نفسي ثم دخلت بي فإذا رسول الله (ﷺ) جالس على سرير في بيتنا وعنده رجال ونساء من الأنصار فأجلستني في حجره ثم قالت: " هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهم وبارك لهم فيك فوثب الرجال والنساء فخرجوا وبنى بي رسول الله (ﷺ) في بيتنا ما نحرت علي جزور ولا ذبحت علي شاة حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها إلى رسول الله (ﷺ) إذا دار إلى نسائه وأنا يومئذ

الدهر) ماتت وذهبت في غابر الأيام ولم يبق لها وجود.

[1] وسبب الخلاف أنه ورد في كل واحدة منهما فضل. فقد قال (ﷺ) في خديجة (رضي الله عنها) كما عند الترمذي وأحمد والطبراني وابن حبان والحاكم وقد قال الذهبي في التلخيص: "صحيح" وصححه الألباني في صحيح الجامع عن أنس (رضي الله عنه): " خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد" ولكنه قال في عائشة (رضي الله عنها) كما أخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) والرواية للبخاري:"كَمُلَ من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام" (الثريد) الملح.

[2] ومثل هذا الزواج كان معروفاً في الجاهلية وجاء الإسلام وأقره وهو أن الصغيرة تخطب وتتزوج بإذن وليها وقد كانت عائشة (رضي الله عنها) مخطوبة قبل رسول الله (ﷺ) لابن مطعم بن عدي كما ذكر ذلك الطبري وابن كثير لكن رسول الله (ﷺ) لم يدخل بها إلا بعد أن أصبحت صالحة للجماع فقد روى مسلم عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: " تزوجني رسول الله (ﷺ) لست سنين وبنى بي وأنا بنت تسع سنين". وبنت تسع سنين صالحة للوطء وبالغة مبلغ النساء في كثير من البلدان وهذا يختلف باختلاف الأشخاص والبيئات قال النووي: " قال الداودي: وكانت قد شبت شباباً حسناً (رضي الله عنها) ولما كانت أعرف بنفسها وأنها بلغت مبلغ النساء قالت - كما روى عنها الترمذي-: إذا بلغت الجارية تسع سنين فهي امرأة". ولذلك نص العلماء كمالك والشافعي وأبي حنيفة على أن المرأة لا تجبر على الوطء إلا إذا أطاقته ويختلف ذلك باختلافهن ولا يُضبط بسن معين.

[3] وهذا كما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها) والرواية للبخاري أن النبي (ﷺ) قال:" أُريتك في المنام مرتين أرى أنك في سرقة من حرير ويقول: هذه امرأتك فاكشف عنها فإذا هي أنت فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه". (سرقة) قطعة حرير جيد. (يمضه) ينفذه ويأمر به.

بنت تسع سنين" [1].

- سودة بنت زمعة (رضي الله عنها) لها حديث عمدة في المصالحة [2] كما ورد عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: " ما رأيت امرأة أحب إلي أن أكون في مسلاخها من سودة بنت زمعة من امرأة فيها حدة قالت: فلما كبرت جعلت يومها من رسول الله (ﷺ) لعائشة قالت: " يا رسول الله قد جعلت يومي منك لعائشة " فكان رسول الله (ﷺ) يقسم لعائشة يومين يومها ويوم سودة" فهي ذكية لبيبة تريد أن تكون زوجته (ﷺ) في الآخرة فهي تعلم مدى حب النبي (ﷺ) لعائشة (رضي الله عنها) فتنازلت عن ليلتها لها [3].
- والرابعة حفصة بنت عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) وهي لها قصة كما قال ابن عمر (رضي الله عنه): " أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي وكان من أصحاب رسول الله (ﷺ) قد شهد بدرا توفي بالمدينة قال عمر: " فلقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقلت: " إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر" قال: " سأنظر في أمري" فلبثت ليالي فقال: " قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا" قال عمر: " فلقيت أبا بكر فقلت: " إن شئت أنكحتك حفصة بنت عمر" فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئا فكنت عليه أوجد مني على عثمان فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله (ﷺ) فأنكحتها إياه. فلقيني أبو بكر فقال: " لعلك وجدت عليَّ حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك؟" قلت: " نعم" قال: " فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت إلا أني قد علمت أن رسول الله (ﷺ) قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله (ﷺ) ولو تركها لقبلتها" [4].
- والخامسة زينب بنت خزيمة الهلالية (رضي الله عنها) وكانت تُكنَّى بأم المساكين.
- والسادسة أم سلمة (رضي الله عنها) (هند بنت أبي أمية المخزومية) وقصة زواجها قالت فيها: "سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: " ما

---

[1] أخرجه أحمد والرواية له وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني والطبري في " تاريخه" والطبراني في " المعجم الكبير" والبيهقيُّ في " السنن الكبرى" وابن الأثير في "أسد الغابة" وفي " دلائل النبوة" وقال الهيثمي في " مجمع الزوائد": "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث" والحاكم في مستدركه وقال: " هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وقال الذهبي في التعليق:" على شرط مسلم" عن عائشة (رضي الله عنها).

[2] والمصالحة هي تنازل المرء عن ليلتها لدرتها.

[3] أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة (رضي الله عنها) والرواية لمسلم. واختلف العلماء في سبب هذا الفعل من أم المؤمنين سودة (رضي الله عنها) على ما يلي:

1- إن ذلك كان بعد تطليق النبي (ﷺ) وسلم لها.
2- إنه (ﷺ) همَّ بتطليقها.
3- إنها ظنَّت أنه سيطلقها ولذا تنازلت عن ليلتها لعائشة لتبقى في عصمته (ﷺ) في الدنيا وتكون زوجة له في الآخرة فقبل منها ذلك (ﷺ).
4- إنها أرادات بتلك الهبة رضا رسول الله (ﷺ) حيث كانت تعلم محبته لعائشة (رضي الله عنها) وهذان السببان هما أصح ما ورد من الأسباب لذلك الفعل منها (رضي الله عنها).

أ. أما ما ورد أنها (رضي الله عنها) وهبت ليلتها لعائشة بعد أن طلقها النبي (ﷺ) فهي رواية ضعيفة. قال ابن الملقِّن (رحمه الله) كما في " البدر المنير" : وهذه رواية البيهقي من حديث هشام عن أبيه : " أنه عليه السلام طلق سودة فلما خرج إلى الصلاة أمسكتهُ بثوبه فقالت : " ما لي في الرجال حاجة ولكني أُريد أن أُحشر في أزواجك". قال : " فراجعها وجعل يومها لعائشة فكان يقسم لها بيومها ويوم سودة " . وهذا مع إرساله فيه أحمد العطاردي وهو ممن اُختلف فيه. قال الدارقُطني: " لا بأس به". وقال ابن عدي: " رأيتهم مُجمعين على ضعفه" وقال مُطين: " كان يكذب". وكذبه (رحمه الله) ليس في الحديث وإلا كان حديثه موضوعاً وقد بينه الإمام الذهبي (رحمه الله) في سير أعلام النبلاء فقال: " يعني في لهجته لا أنه يكذبُ في الحديث فإن ذلك لم يُوجد منهُ ولا تفرد بشيءٍ ومما يُقوي أنهُ صدوقٌ في باب الرواية : أنه روى أوراقاً من " المغازي " بنُزُولٍ عن أبيه عن يُونُس بن بُكيرٍ وقد أثنى عليه الخطيبُ وقواهُ واحتج به البيهقي في تصانيفه. وثمة رواية أخرى نحوها قال عنها الحافظ ابن كثير (رحمه الله) في تفسيره: " غريب مرسل".

ب. وأما القول بأن سودة وهبت ليلتها لعائشة (رضي الله عنها) لما هم النبي (ﷺ) بطلاق سودة فلم نره في حديث بل كان فهماً من بعض المفسرين والعلماء ومن ذلك قال الماوردي (رحمه الله) في تفسيره في بيان سبب نزول قوله (تعالى) (وإن امرأةٌ خافت من بعلها نُشُوزاً أو إعراضاً): أحدهما : " أنها نزلت في رسول الله (ﷺ) حين هم بطلاق سودة بنت زمعة فجعلت يومها لعائشة على ألا يطلقها فنزلت هذه الآية فيها وهذا قول السدي".

ج. وأما ما ورد أنها (رضي الله عنها) خشيت من تطليق النبي (ﷺ) لها فقد ثبت في أحاديث صحيحة فعند أبي داود وصححه الألباني في " صحيح أبي داود" عن عروة بن الزبير قال: " قالت عائشةُ: " ولقد قالت سودةُ بنتُ زمعة حين أسنت وفرقت أن يُفارقها رسُولُ الله (ﷺ): " يا رسُول الله يومي لعائشة" فقبل ذلك رسُولُ الله (ﷺ) منها. قالت: " نقُولُ في ذلك أنزل الله تعالى وفي أشباهها - أُراهُ قال (وإن امرأةٌ خافت من بعلها نُشُوزاً)". و عند الترمذي وصححه الألباني في " صحيح الترمذي" عن عكرمة عن ابن عباسٍ قال:" خشيت سودةُ أن يُطلقها النبي (ﷺ) فقالت: " لا تُطلقني وأمسكني واجعل يومي لعائشة" ففعل فنزلت: (فلا جُناح عليهما أن يُصلحا بينهُما صُلحًا والصلحُ خيرٌ) .

د. وأما ما ورد أن سودة وهبت ليلتها لعائشة (رضي الله عنها) ساعية لرضا رسول الله (ﷺ) فقد ثبت أيضاً كما أخرج البخاري عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: " غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبي (ﷺ) تبتغي بذلك رضا رسُول الله (ﷺ)".

ه. وأمر آخر: أن النبي (ﷺ) لم يتزوجها أصلاً من أجل صغر سنها ولا من أجل الشهوة فقد كانت كبيرةً في السن حين تزوجها وكل نسائه لما تزوجهن كن ثيبات وذوات أولاد إلا عائشة (رضي الله عنها) فلم يكن نبينا (ﷺ) صاحب شهوة يبحث عن أبكار وصغيرات ليتزوجهن ثم إن كبرن طلقهن وكل من علم شيئا من سيرته وحاله: قطع بذلك ونزهه عن إفك الأفاكين. عن علي بن أبي طالبٍ (رضي الله عنه) قال:" إذا حدثتُكم عن رسُول الله (ﷺ) حديثًا فظُنوا به الذي هُو أهناهُ وأهداهُ وأتقاهُ ". رواه ابن ماجة في مقدمة سننه وقال البوصيري في "مصباح الزجاجة": "هذا إسناد صحيح ورجاله محتج بهم في الصحيحين". ورُويَ ذلك أيضاً عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه). قال السندي (رحمه الله): " أي الذي هُو أوفق به من غيره وأهدى وأليق بكمال هُداهُ وأتقاهُ : أي وأنسب بكمال تقواهُ ".

[4] أخرجه البخاري عن ابن عمر (رضي الله عنهما). (تأيمت) مات عنها زوجها والأيم كل من لا زوج لها ويطلق أيضا على من لا زوجة له من الرجال. (توفي بالمدينة) من جراحة أصابته يوم أحد. (فلم يرجع إليَّ شيئا) فلم يرد عليَّ بقبول أو رفض. (أوجد مني عليه) أشد غضبا لما كان بينهما من مزيد المحبة فكان غضبه لعدم قبوله أشد. (ذكرها) أي بما يدل على أنه يرغب في زواجها.

من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: {إنا لله وإنا إليه راجعون} اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها " قالت: " فلما مات أبو سلمة قلت: " أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله (ﷺ) ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله (ﷺ)" قالت: " أرسل إلي رسول الله (ﷺ) حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له فقلت: " إن لي بنتا وأنا غيور" فقال: " أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها وأدعو الله أن يذهب بالغيرة" [1]. فهي خافت على أن لها أولاداً فقال (ﷺ) أنها سيتكفل أولادها وخافت أن تغار فتفعل فعل ما لا يرضاه الله (ﷻ) ورسوله (ﷺ) فيغضب عليها الله (ﷻ) ورسوله (ﷺ) فتهلك فقال لها (ﷺ) أنه سيدعو الله (ﷻ) أن يُذهب عنها الغيرة. فالنبي (ﷺ) لا يُرد.

- والسابعة زينب بنت جحش الأسدية (رضي الله عنها) وهي بنت عمته وتزوجها بأمر السماء كما جاء في قوله (ﷻ):﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾[الأحزاب: 37] وزوجناكها أي زوجناك إياها فكانت تقول لنساء النبي (ﷺ): " زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات" [2].
- والثامنة جويرية بنت الحارث (رضي الله عنها) والتاسعة أم حبيبة (رضي الله عنها) (رملة بنت أبي سفيان) والعاشرة صفية بنت حيي بن أخطب (رضي الله عنها) والحادية عشرة هي ميمونة بنت الحارث (رضي الله عنها) خالة ابن عباس (رضي الله عنهما).
- وهناك اثنان من زوجاته تزوجهم ولم يدخل بهم (ﷺ) وهما أسماء بنت النعمان (رضي الله عنها) والسبب أتى في حديث ضعيف عن كعب بن عجرة (رضي الله عنه) قال: " تزوج رسول الله (ﷺ) امرأة من بني غفار فلما دخلت عليه ووضعت ثيابها رأى بكشحها بياضا فقال لها النبي (ﷺ): " البسي ثيابك والحقي بأهلك" وأمر لها بالصداق. هذه ليست بالكلابية إنما هي أسماء بنت النعمان الغفارية " [3].
- والثانية هي بنت أبي الجون (رضي الله عنها) وكانت شديدة الجمال فغارت منها عائشة (رضي الله عنها) فقالت لها: "عندما يدخل عليكي النبي (ﷺ) فقولي إني أعوذ بالله منك" وقصتها روتها عائشة (رضي الله عنها) قالت: " أن ابنة الجون لما أدخلت على رسول الله (ﷺ) ودنا منها قالت: " أعوذ بالله منك" فقال لها: " لقد عُذتِ بعظيم الحقي بأهلك" [4]. وقد فعل النبي (ﷺ) ذلك لقول السيدة مريم (رضي الله عنها) الذي ذكره (ﷻ):﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾[مريم: 18] ومن أتقى من النبي (ﷺ)!.
- والآن نقف مع معنى المحرمية أي أن نساء النبي (ﷺ) محارم لنا فهل المقصود أنه يجوز الاختلاط بهم والسفر معهم؟ كلا المقصود من المحرمية ألا يتزوجهم أحد بعد النبي (ﷺ) كما في قوله (ﷻ):﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾[الأحزاب: 53] والدليل على عدم جواز الاختلاط معهم قوله (ﷻ):﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[الأحزاب: 53].
- وبيَّن المصنف (رحمه الله) حكم من رمى عائشة (رضي الله عنها) بما برَّأه الله (ﷻ) بها في حادثة الإفك فقال هذا كفر لأنه فيه تكذيب لله (ﷻ) في قوله (ﷻ):﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[النور: 23]. فالله (ﷻ) شَهِدَ لها بالإيمان وقد ذكرنا حديث الإفك من قبل [5].

---

[1] أخرجه مسلم عن أم سلمة (رضي الله عنها).(ما أمره الله) أي في ضمن مدح الصابرين بقوله في سورة البقرة {الذين إذا أصابتهم مصيبة} الخ فإن كل خصلة ممدوحة في الكتاب الكريم تتضمن الأمر بها كما أن المذمومة فيه تقتضي النهي عنها (اللهم أجرني) كذا بهمزة واحدة وهو أمر من أجره الله إذا أصابه فهمزة الوصل المجلوبة لصيغة الأمر أسقطت كما أسقطت في نحو فأتنا كراهة توالي المثلين وبابه نصر وضرب فيجوز في الجيم الضم والكسر والأول أكثر قال النووي:" قال القاضي: يُقال أجرني بالقصر والمد حكاهما صاحب الأفعال وقال الأصمعي: " وأكثر أهل اللغة هو مقصور لا يمد ومعنى أجره الله أعطاه أجره وجزاء صبره وهمه في مصيبته" (وأخلف لي) هو بقطع الهمزة وكسر اللام قال أهل اللغة يقال لمن ذهب له مال أو ولد أو قريب أو شيء يتوقع حصول مثله أخلف الله عليك أي رد عليك مثله فإن ذهب مالا يتوقع مثله بأن ذهب والد أو عم أو أخ لمن لاجد له ولا والد له قيل له خلف الله عليك بغير ألف كأن الله خليفة منه عليك (أي المسلمين خير من أبي سلمة) استعظام منها لشأن زوجها وتعجب من أن يكن لها خلف خير منه (أول بيت هاجر إلى رسول الله (ﷺ)) أي هو أول أهل بيت هاجر مع عياله فهو أول من هاجر بأهله إلى أرض الحبشة ثم المدينة وكان أخا النبي (ﷺ) من الرضاعة وابن عمته (وأنا غيور) هو فعول من الغيرة وهي الحمية والأنفة تكون للرجل على امرأته ولها عليه يقال رجل غيور وامرأة غيور بلا هاء لأن فعولا يشترك فيه الذكر والأنثى قال النووي: " يُقال امرأة غيرى وغيور ورجل غيور وغيران وقد جاء فعول في صفات المؤنث كثيراً كقولهم امرأة عروس وعروب وضحوك لكثيرة الضحك وعقبة كؤود وأرض صعود وهبوط وحدور وأشباهها" (يذهب بالغيرة) يقال أذهب الله الشيء وذهب به كقوله تعالى {ذهب الله بنورهم}.

[2] أخرجه البخاري عن أنس (رضي الله عنه).

[3] أخرجه الحاكم في مستدركه والرواية له وأحمد وابن الأثير والبيهقي وسعيد بن منصورعن كعب بن عجرة (رضي الله عنه). والحديث ضعيف فقد قال الذهبي في التلخيص: " جميل بن زيد ليس بثقة". وقال ابن عبد البر: " وفي هذا الخبر اضطراب كثير". (بكشحها بياضاً) أي عيباً وهو البرص (الحقي بأهلك) من ألفاظ الكناية التي تحتاج إلى نية حتى يقع الطلاق.

[4] أخرجه البخاري عن عائشة (رضي الله عنها). (ابنة الجون) واسمها أميمة بنت النعمان بن شراحيل وقيل أسماء بنت النعمان بن أبي جون. (أعوذ) ألتجئ. (بعظيم) برب عظيم. (الحقي بأهلك) من ألفاظ الكناية التي تحتاج إلى نية حتى يقع الطلاق.

[5] راجع رقم (5) صـ 17 في هذه المحاضرة.

8- معاوية (رضي الله عنه) (15- التوقيت: 1 ساعة و12 دقيقة و55 ثانية)

ومعاوية خال المؤمنين وكاتب وحي الله وأحد خلفاء المسلمين رضي الله عنه

- ومعاوية (رضي الله عنه) خال المؤمنين لأنه أخو رملة بنت أبي سفيان (رضي الله عنها) زوجة النبي (ﷺ) وأخو الزوجة عند الأطفال بمنزلة الخال والله (سبحانه وتعالى) قال في زوجاته (ﷺ):﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[الأحزاب: 6].
وكان من كُتَّاب الوحي
- وقال أبو الحسن القاري: " قيل لابن المبارك: " أيما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟" فقال: " الغبار الذي دخل في أنف فرس معاوية مع النبي (ﷺ) خير من مثل عمر بن عبد العزيز كذا وكذا مرة" [1].
- وقد يظن الناس أن عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) خير من معاوية وأنه سادس الخلفاء الراشدين ولكن الصحيح أنه لا أحد يسبق أصحاب رسول الله (ﷺ) وخاصة أن له الفضائل التي ذكرها المصنف (رحمه الله).
- وعن صالح بن حسان قال: " رأى بعض مُتَفَرِّسِيّ العرب معاوية وهو صبي صغير فقال: " إني لأظن هذا الغلام سيسود قومه". فقالت هند: " ثكلته إن كان لا يسود إلا قومه" [2].
- ومن أفضل صفات معاوية (رضي الله عنه) الحِلم والأناة [3] وهذا ما أهَّله وقت الفتن أن يستوعب الناس ويتحكم في ملكه. وهاتان الصفتان هما من جعل له القبول سواء عندما تولى الشام في زمن عمر (رضي الله عنه) ثم في زمن عثمان (رضي الله عنه).
- وهو كان يشترك مع عثمان (رضي الله عنه) في النسب ولهذا كان يُطالب بدمه (رضي الله عنه) عند مقتله.

---

[1] راجع كتاب " مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح".وقد ذكر ابن المبارك (رحمه الله) غبار الفرس ليُذّكِر السائل بجهاد معاوية (رضي الله عنه) مع النبي (ﷺ).

[2] راجع كتاب " المجالسة وجواهر العلم" لأبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (رحمه الله) ولم أقف على صحة سنده. وذكر ابن كثير (رحمه الله) في " البداية والنهاية": "نظر أبو سفيان يوماً إلى معاوية وهو غلام فقال لهند: " إن ابني هذا لعظيم الرأس وإنه لخليق أن يسود قومه". فقالت هند: " قومه فقط؟! ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة". وكانت هند تحمله وهو صغير وتقول:

إن بني معرق كريم — محبب في أهله حليم
ليس بفحاش ولا لئيم — ولا بطخرور ولا سئوم
صخر بني فهر به زعيم — لا يخلف الظن ولا يخيم

[3] الأناة: الصبر والتمهل

الشريط السادس عشر

طاعة ولي الأمر وهجران أهل البدع واختلاف العلماء

محتويات الشريط السادس عشر

1- طاعة ولي الأمر (التوقيت: 1 دقيقة و30 ثانية) 1
2- هجران أهل البدع والطوائف المبتدعة (التوقيت: 19 دقيقة و53 ثانية) 4
3- اختلاف العلماء (التوقيت: 59 دقيقة و52 ثانية) 12

1- طاعة ولي الأمر (التوقيت: 1 دقيقة و30 ثانية)

ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به أو غلبهم بسيفه حتى صار الخليفة وسمي أمير المؤمنين وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه، وشق عصا المسلمين

- وطاعة أولياء الأمور هو أصل من أصول أهل السنة والجماعة وهو ليس فرع من الفروع وبه يُعرف الفرق بين أهل السنة والجماعة وأهل البدع والأهواء فالمعتزلة من أحد أصولهم الخمس الخروج على أولياء الأمور بأصغر المعاصي. فالأصل مع أولياء الأمور وأمراء المسلمين هو السمع والطاعة.
- وتولي الإمارة (أو الرئاسة في عصرنا) تأتي بثلاث طرق:

أ. **اختيار أهل الحل والعقد:** وهي التي حدثت في استخلاف أبو بكر وعثمان (رضي الله عنهما) [1] وهي أن أهل الحل والعقد يختارون من يتولى أمر المسلمين. وأهل الحل والعقد هم العلماء وأهل العلم والدعاة وهم الأصل وبعضهم أضاف الوجهاء من القوم ورؤساء القبائل الذين لهم كلمات مسموعة بين العوام. وأهل الحل والعقد يجتمعوا فيختاروا أميراً ليكون على المسلمين. وهذا ايضاً ما حدث مع علي (رضي الله عنه) [2].

---

[1] راجع المحاضرة الخامسة عشرة رقم (1) صـ 19.

[2] قال ابن كثير (رحمه الله) في البداية والنهاية: "فيُقال: إن أول من بايعه طلحة بيده اليمنى وكانت شلاء من يوم أحد - لما وقى بها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال بعض القوم: " والله إن هذا الأمر لا يتم. وخرج علي إلى المسجد فصعد المنبر وعليه إزار وعمامة خز ونعلاه في يده يتوكأ على قوسه فبايعه عامة الناس وذلك يوم السبت التاسع عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ويُقال: إن طلحة والزبير إنما بايعاه بعد أن طلبهما وسألاه أن يؤمرهما على البصرة والكوفة فقال لهما: " بل تكونان عندي أستأنس بكما". ومن الناس من يزعم أنه لم يبايعه طائفة من الأنصار منهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وأبو سعيد ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة. ذكره ابن جرير من طريق المدائني عن شيخ من بني هاشم عن عبد الله بن الحسن. قال المدائني: " حدثني من سمع الزهري يقول: " هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا عليا ولم يبايعه قدامة بن مظعون وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة. قلت: وهرب مروان بن الحكم والوليد بن عقبة وآخرون إلى الشام". وقال الواقدي: " بايع الناس علياً بالمدينة وتربص سبعة نفر لم يبايعوا منهم ابن عمر وسعد بن أبي وقاص وصهيب وزيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة وسلمة بن سلامة بن وقش وأسامة بن زيد ولم يتخلف أحد من الأنصار إلا بايع فيما نعلم. وذكر سيف بن عمر عن جماعة من شيوخه قالوا: " بقيت المدينة خمسة أيام بعد قتل عثمان وأميرها الغافقي بن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر والمصريون يُلِحُّون على علي وهو يهرب منهم إلى الحيطان ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه والبصريون يطلبون طلحة فلا يجيبهم فقالوا فيما بينهم: " لا نولي أحدا من هؤلاء الثلاثة". فمضوا إلى سعد بن أبي وقاص فقالوا: " إنك من أهل الشورى". فلم يقبل منهم ثم جاءوا إلى ابن عمر فأبى عليهم فحاروا في أمرهم ثم قالوا: " إن نحن رجعنا إلى أمصارنا بقتل عثمان من غير إمرة اختلف الناس في أمرهم ولم نسلم". فرجعوا إلى علي فألحوا عليه وأخذ الأشتر النخعي بيده فبايعه وبايعه الناس وأهل الكوفة يقولون: " أول من بايعه الأشتر النخعي". وذلك يوم الخميس الرابع والعشرون من ذي الحجة وذلك بعد مراجعة الناس لهم في ذلك وكلهم يقول: لا يصلح لها إلا علي. فلما كان يوم الجمعة وصعد المنبر بايعه من لم يبايعه بالأمس وكان أول من بايعه طلحة بيده الشلاء فقال قائل: " إنا لله وإنا إليه راجعون". ثم الزبير ثم قال الزبير: " إنما بايعت علياً واللج على عنقي". ثم راح إلى مكة فأقام بها أربعة أشهر وكانت هذه البيعة يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة وكان أول خطبة خطبها أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: " إن الله تعالى أنزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر إن الله حرم حرما مجملة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق لا يحل أذى مسلم إلا بما يجب بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم الموت فإن الناس أمامكم وإنما خلفكم الساعة تحدوكم فتخففوا تلحقوا فإنما ينتظر الناس أخراهم اتقوا الله عباده في عباده وبلاده إنكم مسئولون حتى عن البقاع والبهائم أطيعوا الله ولا تعصوه وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه: {واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض} [الأنفال: 26] فلما فرغ من خطبته قال المصريون:

خذها إليك واحذرن أبا الحسن — إنا نمر الأمر إمرار الرسن
صولة أقوام كأسداد السفن — بمشرفيات كغدران اللبن
نطعن الملك بلين كالشطن — حتى يمرن على غير عنن

فقال علي مجيبا لهم:

إني عجزت عجزة لا أعتذر — سوف أكيس بعدها وأستمر
أرفع من ذيلي ما كنت أجر — وأجمع الأمر الشتيت المنتشر

ب. **الاستخلاف:** وهو أن يستخلف الأمير بعده بأن يعهد إلى من بعده بتولي الإمارة أو الرئاسة أو الخلافة فيما يُسمى ولي العهد. وهذا ما حدث مع عمر (رضي الله عنه) عندما استخلفه أبو بكر من بعده وقد قَبِلَ الصحابة (رضي الله عنهم) جميعاً استخلاف عمر (رضي الله عنه) وبايعوه جميعاً [1].

ج. **الغلبة والقهر بالسيف:** وهو أن يسود رجل من الناس بسيفه وما معه من قوة فيغلب على الناس بقوته وغلبته حتى يُدان له الأمر ويرضى له العباد ويجعله أميراً سواء مُكرهين أم راضين. وهذه حدثت بعد موت يزيد بن معاوية [2]. حتى لو ظالماً فاسقاً قتل فهو حاكم وإن كان طبعاً فعله ليس محموداً بل مذموماً [3].

ولا يجوز أن يُطبَّق أحد ما سبق على الواقع فهناك تفاصيل كثيرة في هذه المسألة. ولكننا نتكلم فيما سبق عمن أصبح ولي أمر المسلمين فأصبح له حقوق ستأتي [4].

فمن تملَّك الخلافة بأحد الطرق الثلاث السابقة فله السمع والطاعة من الكتاب والسنة. أما الكتاب في قوله (تعالى): ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾[النساء: 59]. فجاءت طاعة الله (عز وجل) مستقلة وطاعة النبي (صلى الله عليه وسلم) مستقلة وجاءت طاعة أولي الأمر غير مستقلة فعند الله (عز وجل) والنبي (صلى الله عليه وسلم) ذُكِرَ لفظ الطاعة مستقلاً ولكنه لم يُذكر عن أولياء الأمور وذلك لأنه لا يمكن ان يستقيم إيمان عبد دون طاعته لله (عز وجل) والنبي (صلى الله عليه وسلم) فما أتى به الله (عز وجل) والنبي (صلى الله عليه وسلم) يكون فيه منفعة للعباد فلا يمكن أن يكون فيه معصية ولهذا الطاعة مستقلة.

أما في أولياء الأمور فالطاعة مُقيَّدة بأن تكون طاعته في المعروف ولا طاعة له في المعصية لحديث علي (رضي الله عنه) قال: " بعث النبي (صلى الله عليه وسلم) سرية فاستعمل رجلا من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه فغضب فقال: " أليس أمركم النبي (صلى الله عليه وسلم) أن تطيعوني؟" قالوا: " بلى" قال: " فاجمعوا لي حطباً" فجمعوا فقال: " أوقدوا ناراً" فأوقدوها فقال: " ادخلوها" فهمُّوا وجعل بعضهم يمسك بعضاً ويقولون: " فررنا إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) من النار" فما زالوا حتى خمدت النار فسكن غضبه فبلغ النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: " لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة الطاعة في المعروف" [5] وقال (صلى الله عليه وسلم): " السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يُؤمَر بمعصية فإذا أُمِرَ بمعصية فلا سمع ولا طاعة" [6].

وهنا لابد أن ننبه على نقطة هامة: هل النبي (صلى الله عليه وسلم) مُشرِّعاً أم ناقل للشرع؟. وهذه المسألة خلاف عند أهل الأصول فبعضهم قال إن النبي (صلى الله عليه وسلم) له طاعة مستقلة فله أن يُحلِّل ويُحرِّم وأن يسن وأن يمنع. وبعضهم قال بأن النبي (صلى الله عليه وسلم) ليس له تشريع مستقل ولكنه ناقل للشرع وهذا هو الصحيح لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال له (تعالى): ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** ﴾[المائدة: 67] فهو مُطالب بتبليغ الوحي سواء القرآن أو السنة وليس له أن يُحلِّل ويُحرِّم استقلالاً. ولكن إن اجتهد في بعض المسائل فإما أن الله (عز وجل) يُقرَّه عليها أو إذا كان فيها خلاف ما يُريده الله (عز وجل) فلا يُقرَّه عليها كما جاء في مسألة أسرى بدر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) اجتهد هل يُفاديهم أم يقتلهم؟ ومآل النبي (صلى الله عليه وسلم) لاجتهاد أبي بكر (رضي الله عنه) بالفداء ولم يميل لاجتهاد عمر (رضي الله عنه) بقتلهم ونزلت الآيات تُعاتب النبي (صلى الله عليه وسلم) ولكن عفى الله (عز وجل) عن ذلك وبيَّن أن رأي عمر هو الأصوب [7].

إن لم يشاغبني العجول المنتصر أو يتركوني والسلاح يبتدر".

1 راجع المحاضرة الخامسة عشرة رقم (7) صـ 13 ورقم (3) صـ 20.

2 لم أقف على وقت بداية الحكم المتغلب في المصادر.

3 هذا إن انطبقت عليه شروط الولاية العشرة المذكورة في كتاب الأحكام السلطانية للماوردي فقال: "والذي يلزمه من الأمور العامة عشرة أشياء.....". فلتُراجع

4 راجع كتاب الأحكام السلطانية للماوردي.

5 أخرجه البخاري ومسلم والرواية للبخاري عن علي (رضي الله عنه). (فغضب) لأمر بدا منهم. (فهمُّوا) قصدوا الدخول في النار. (خمدت) انطفأ لهيبها. (فسكن) هدأ غضبه. (الطاعة) للمخلوق. (المعروف) أمر عرف جوازه بالشرع. وفي رواية مسلم: " أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بعث جيشا وأمر عليهم رجلا فأوقد نارا وقال: " ادخلوها" فأراد ناس أن يدخلوها وقال الآخرون:" إنا قد فررنا منها" فذُكِرَ ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: " لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة" وقال للآخرين قولا حسنا وقال: " لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف"

6 أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) ومسلم عن ابن عمر (رضي الله عنهما) والرواية للبخاري.

7 وقصة أسرى بدر كما أخرج مسلم عن ابن عباس (رضي الله عنهما) يقول: " حدثني عمر بن الخطاب قال: " لما كان يوم بدر نظر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله (صلى الله عليه وسلم) القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: " اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آت ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض" فما زال يهتف بربه مادا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: " يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سيُنجزُ لك ما وعدك" فأنزل الله (عز وجل): {إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين} [الأنفال: 9] فأمده الله بالملائكة قال أبو زميل: " فحدثني ابن عباس قال: " بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول: " أقدِم حيزوم" فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط

- وجاءت أحاديث تُبيّن مسألة طاعة أولياء الأمور ومتى يكون لهم السمع والطاعة ومتى لا يكون لهم السمع والطاعة. نُلخِّص ذلك في حديث عن جنادة بن أبي أمية قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض قلنا: أصلحك الله حدث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي (ﷺ) قال: دعانا النبي (ﷺ) فبايعناه فقال فيما أخذ علينا: " أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان" [1].
- فالأصل السمع والطاعة حتى مع وجود المكره والعسر إلا أن تصل المسألة إلى الكفر الذي عليه دليل واضح صريح لا يحتاج لتأويل. وهذا يكون لأهل العلم أن يُثبتوه بعد تدقيق وتمحيص وليس آحاد الناس وليس لعوام المسلم عندما يرى شيء أو يسمع شيء يقول هذا كفر أو قد كفر فلان. فهذا فساد في الدين ويؤدي إلى مهالك. فإخراج المرء من الإسلام إلى الكفر ليست هيِّنة لأنك تُخلِّده في النار وتُخرجه من الجنة. فحتى لو كان من الأمراء من له ذنوب ومعاصي وفسق لا يُخرج عليه.
- وحتى لو كان هناك جور من هؤلاء الأمراء لا يُخرج عليه لحديثه حذيفة (رضي الله عنه) قال: " قلت: " يا رسول الله إنا كنا بشر فجاء الله بخير فنحن فيه فهل من وراء هذا الخير شر؟" قال: " نعم" قلت: " هل وراء ذلك الشر خير؟" قال: "نعم" قلت: " فهل وراء ذلك الخير شر؟" قال: " نعم" قلت: " كيف؟" قال: " يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس" قال: قلت: " كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟" قال: " تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع" [2].
- ولابد أن نفهم أن السمع والطاعة لله (عز وجل) وليست لولي الأمر فعن عبد الرحمن بن شماسة قال: أتيت عائشة أسألها عن شيء فقالت: " ممن أنت؟" فقلت: " رجل من أهل مصر" فقالت: " كيف كان صاحبكم لكم في غزاتكم هذه؟" فقال: " ما نقمنا منه شيئا إن كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير والعبد فيعطيه العبد ويحتاج إلى النفقة فيعطيه النفقة" فقالت: " أما إنه لا يمنعني الذي فعل في محمد بن أبي بكر أخي أن أخبرك ما سمعت من رسول الله (ﷺ) يقول في بيتي هذا: " اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به" [3]. فظلمه وفسقه حسابه عند ربه (عز وجل). فنحن نمتثل لقول الله (عز وجل) وقول النبي (ﷺ) في طاعة ولي الأمر فهي عبادة نتعبد بها لله (عز وجل) وليس لها علاقة بشخص ولي الأمر ذاته.
- وهذه مسألة شائكة في الأمة فهذا الخلاف حدث منذ زمن الصحابة فأول من خُرِجَ عليه هو عثمان (رضي الله عنه) [4] بتأويلات فاسدة

فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله (ﷺ) فقال: " صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة" فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين قال أبو زميل: " قال ابن عباس: " فلما أسروا الأسارى قال رسول الله (ﷺ) لأبي بكر وعمر: " ما ترون في هؤلاء الأسارى؟" فقال أبو بكر: " يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام" فقال رسول الله (ﷺ): " ما ترى يا ابن الخطاب؟" قلت: " لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تُمكِّنا فنضرب أعناقهم فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه وتُمكِّني من فلان نسيباً لعمر فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها" فهوي رسول الله (ﷺ) ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله (ﷺ) وأبو بكر قاعدين يبكيان قلت: " يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما" فقال رسول الله (ﷺ): " أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة - شجرة قريبة من نبي الله (ﷺ)وأنزل الله (عز وجل): {ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض} [الأنفال: 67] إلى قوله {فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا} [الأنفال: 69] فأحل الله الغنيمة لهم".(لما كان يوم بدر) اعلم أن بدرا هو موضع الغزوة العظمى المشهورة وهو ماء معروف وقرية عامرة على نحو أربع مراحل من المدينة بينها وبين مكة قال ابن قتيبة بدر بئر كانت لرجل يسمى بدرا فسميت باسمه وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان في السنة الثانية للهجرة (فجعل يهتف بربه) معناه يصيح وستغيث بالله في الدعاء (أن تهلك) ضبطوا تهلك بفتح الهاء وضمها فعلى الأول ترفع العصابة لأنها فاعل وعلى الثاني تنصب وتكون مفعوله (العصابة) الجماعة (كذاك مناشدتك ربك) المناشدة السؤال مأخوذة من النشيد وهو رفع الصوت هكذا وقع لجماهيرواة مسلم كذاك ولبعضهم كفاك وكل بمعنى (مناشدتك) ضبطوها بالرفع والنصب وهو الأشهر قال القاضي من رفعه جعله فاعلا بكفاك ومن نصبه فعلى المفعول بما في كفاك وكذاك من معنى الفعل (ممدكم) أي معينكم من الإمداد (مردفين) متتابعين (أقدم حيزوم) ضبطوه بوجهين أصحهما وأشهرهما لم يذكر ابن دريد وكثيرون أو الأكثرون غيره أنه بهمزة قطع مفتوحة وبكسر الدال من الإقدام قالوا وهي كلمة زجر للفرس معلومة في كلامهم والثاني بضم الدال وبهمزة وصل مضمومة من التقدم وحيزوم اسم فرس الملك وهو منادى بحذف حرف النداء أي يا حيزوم (فإذا هو قد خطم أنفه) الخطم الأثر على الأنف (وصناديدها) يعني أشرافها الواحد صنديد والضمير في صناديدها يعود على أئمة الكفر أو مكة (فهوى) أي أحب ذلك واستحسنه يقال هوى الشيء يهوي هوى والهوى المحبة (ولم يهو ما قلت) هكذا هو في بعض النسخ ولم يهو وفي كثير منها ولم يهوي بالياء وهي لغة قليلة بإثبات الياء مع الجازم ومنه قراءة من قرأ إنه من يتقي ويصبر بالياء ومنه قول الشاعر " ألم يأتيك والأنباء تنمي" (حتى يثخن في الأرض) أي يُكثر القتل والقهر في العدو.

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) والرواية للبخاري وهي جمع روايتين متتاليتين لحديثين عنده. (أصلحك الله) كلمة اعتادوا أن يقولوها عند الطلب أو المراد الدعاء له بإصلاح جسمه ليعافى من مرضه. (أخذ علينا) اشترط علينا. (على السمع والطاعة) لله تعالى ورسوله (ﷺ). (منشطنا) حالة نشاطنا. (مكرهنا) في الأشياء التي نكرهها وتشق علينا. (أثرة علينا) استئثار الأمراء بحظوظهم واختصاصهم إياها بأنفسهم أي ولو منعنا حقوقنا. (الأمر) الملك والإمارة. (كفراً) منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام فتكون المنازعة بالإنكار عليهم أو كفراً ظاهراً فينازعون بالقتال والخروج عليهم وخلعهم. (بواحاً) ظاهراً وبادياً. (برهان) نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل.

[2] أخرجه البخاري ومسلم عن حذيفة (رضي الله عنه) والرواية لمسلم. قال الدارقطني:" هذا عندي مرسل لأن أبا سلام لم يسمع حذيفة" وهو كما قال الدارقطني لكن المتن صحيح متصل بالطريق الأول وإنما أتى مسلم بهذا متابعة كما ترى وقد قدمنا أن الحديث المرسل إذا روي من طريق آخر متصلاً تبيَّنَّا به صحة المرسل وجاز الاحتجاج به ويصير في المسئلة حديثان صحيحان (في جثمان إنس) أي في جسم بشر

[3] أخرجه مسلم عن عائشة (رضي الله عنها). (ما نقمنا منه شيئا) أي ما كرهنا وهو بفتح القاف وكسرها

[4] راجع المحاضرة الخامسة عشرة رقم (1) صـ 23.

باطلة. ومنذ الخروج على عهد عثمان (رضي الله عنه) لم تنجح أي فرقة خرجت على أميرها. حتى الحجَّاج الذى اختلف أهل العلم فيه بين الكفر والفسق والراجح فسقه خرج عليه سعيد بن جُبير (رحمه الله) ومن معه فلم يستطيعوا أن يفعلوا شيء وقُتِلَ فيها سعيد بن جُبير (رحمه الله). وقد قال الإمام أحمد (رحمه الله): " قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه" [1].
وقد قُتِل سعيد بن جُبير (رحمه الله) مُتأوِّلاً مجتهداً فالحجاج قتل ابن عمر (رضي الله عنهما) في الحج وقتل ابن الزبير (رضي الله عنهما) وعلَّقه على أستار الكعبة.

- وقال (صلى الله عليه وسلم): " ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برئ ومن أنكر سلم ولكن من رضي وتابع" قالوا: " أفلا نقاتلهم؟" قال: " لا ما صلوا" [2]. وهذا دليل استدل به من قال بأن تارك الصلاة كافر.

2- هجران أهل البدع والطوائف المبتدعة (التوقيت: 19 دقيقة و53 ثانية)

ومن السنة هجران أهل البدع ومباينتهم وترك الجدال والخصومات في الدين وترك النظر في كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم وكل محدثة في الدين بدعة و كلّ مُتَّسِم بغير الإسلام مبتدعٌ كالرافضة والجهمية والخوارج والقدريّة والمرجئة والمعتزلة والكرّامية والكلّابية ونظرائهم فهذه فرق الضلال و طوائف البدع أعاذنا الله منها .

- والهجران يأتي بمعنى الترك والمراد من هجران أهل البدع عدم مجالستهم ولا تسمع لهم ولا تنظر في كتبهم وفي زمننا هذا لا تسمع شرائطهم ولا تُروَّج لكتبهم ولا تدعو لكلامهم الذي يقولونه وهذا هو مُجمل الهجران.
- وكما قال أهل العلم :" البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية" [3]. فالشيطان يحب المبتدع أكثر مما يحب العاصي مثل الزاني وشارب الخمر وفاعل الكبائر لأن المبتدع يُنافح ويُقاتل على نشر بدعته وذهبه وأفكاره ويفعل كل ما يستطيع حتى ينتشر فكره وبدعته بخلاف العاصي فمعصيته تعود على نفسه وليس عنده القوة والاشتداد على نشر هذا وما أُحييت بدعة إلا وأُميت سنة [4].
- قال أبو إدريس الخولاني: " لأن أسمع في ناحية المسجد بنار تحرق أحب إليَّ من أن أسمع ببدعة ليس لها مُغيِّر" [5].
- وكفى بالبدعة بشارة سوء قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا

---

1 راجع كتاب وفيات الأعيان والسير وانظر قوله في تذكرة السامع والمتكلم.
2 أخرجه مسلم عن أم سلمة (رضي الله عنها). (ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون) هذا الحديث فيه معجزة ظاهرة بالإخبار بالمستقبل ووقع ذلك كما أخبر (صلى الله عليه وسلم) بالضبط (فمن عرف برئ) وفي الرواية التي بعدها " فمن كره فقد برئ" فأما رواية " فمن كره فقد برئ" فظاهرة ومعناها من كره ذلك المنكر فقد برئ عن إثمه وعقوبته وهذا في حق من لا يستطيع إنكاره بيده ولا لسانه فليكرهه بقلبه ويبرأ وأما " فمن عرف برئ" فمعناها والله أعلم فمن عرف المنكر ولم يشتبه عليه فقد صارت له طريق إلى البراءة من إثمه وعقوبته بأن يغيره بيده أو بلسانه فإن عجز فليكرهه بقلبه وقوله (ولكن من رضى وتابع) ولكن الإثم والعقوبة على من رضى وتابع وفيه دليل على أن من عجز عن إزالة المنكر لا يأثم بمجرد السكوت بل إنما يأثم بالرضا به أو بأن لا يكرهه بقلبه أو بالمتابعة عليه (ألا نقاتلهم قال لا ما صلوا) ففيه معنى أنه لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجرد الظلم أو الفسق ما لم يغيروا شيئا من قواعد الإسلام.
3 قال أبو إسماعيل الهروي في كتابه "ذم الكلام وأهله": "وأخبرناه القاسم أخبرنا محمد بن الحسن بن عمر المؤملي ببغداد حدثنا عثمان بن عبد الله الدقاق حدثنا الحسن بن عمرو سمعت بشر بن الحارث يقول سمعت يحيى بن اليمان يقول قال سفيان "يقصد سفيان الثوري" (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية) زاد الأشج (لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها)"
4 قال أبو إسماعيل الهروي في كتابه "ذم الكلام وأهله": "وأخبرناه القاسم أخبرنا محمد بن الحسن بن عمر المؤملي ببغداد حدثنا عثمان بن عبد الله الدقاق حدثنا الحسن بن عمرو سمعت بشر بن الحارث يقول سمعت يحيى بن اليمان يقول قال سفيان "يقصد سفيان الثوري" (البدعة أحب إلى إبليس من المعصية) زاد الأشج (لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها)"
5 قال اللالكائي في كتاب: "أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة": " وأخبرنا علي بن محمد بن عبد الله أنبا عثمان بن أحمد ثنا الحسن بن سلام ثنا عفان ثنا عبد المؤمن السدوسي ثنا مهدي بن أبي مهدي العبدي قال: حدثني عكرمة عن ابن عباس قال: " ما يأتي على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن" وسمعته يقول: " حتى تظهر البدع".

﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[الحديد: 27] وهذا عامة وإن نزلت في النصارى وهو إن كل شيء مُبتدع في الدين مذموم عند الله (ﷻ). والبدع ليس فيها مذموم وحسن بل كلها مذمومة مكروهة عندالله (ﷻ).

وكفى بالحديث الذي رواه عامر بن واثلة قال: كنت عند علي بن أبي طالب فأتاه رجل فقال: " ما كان النبي (ﷺ) يُسِرُّ إليك" قال: " فغضب" وقال: " ما كان النبي (ﷺ) يُسِرُّ إليَّ شيئاً يكتمه الناس غير أنه قد حدثني بكلمات أربع" قال: " فقال: " ما هن يا أمير المؤمنين؟" قال: " قال: " لعن الله من لعن والده ولعن الله من ذبح لغير الله **ولعن الله من آوى محدثا** ولعن الله من غيَّر منار الأرض" [1]. وهنا اللعن ليس على المُحدِث بل على من آوى المُحدِث مثل أن فتح له داره أو يفتح له مسجده ليتكلم فيه أو مكتبته ليبيع له كتبه أو يبيع له أشرطته أو يفتح له لقاءات تليفزيونية أو صوتية.

وأشد من ذلك حديثه (ﷺ): " إن الله حجب التوبة عن كل صَاحب بدعة حتى يضع بدعته" [2]. وهذا يدل على شدة ذم الله (ﷻ) للمبتدعة فعلى الرغم من رحمته بعباده إلا أنه لم يرحم المبيدع وأغلق عليه باب التوبة لأنه يُضاد الله (ﷻ) ويعانده لأن الله (ﷻ) أنزل الوحيين الكتاب والسنة فكل صاحب بدعة لابد أن يُخالف الكتاب والسنة فكأنه أراد أن يجعل نفسه مقابل لله (ﷻ) -حاشا لله-. فالغالب أن صاحب البدعة يظل عليها إلا أن يشاء الله (ﷻ) فقد ردَّ الله (ﷻ) من أصحاب البدع الكثير مثل أبو الحسن الأشعري (رحمه الله) فالأشاعرة ينتسبون إليه زوراً فهو رجع عن مذهبه.

وقد ذمَّ الصحابة (رضي الله عنهم) والسلف أهل البدع فهذا ابن مسعود (رضي الله عنه) قال : "اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتُم" [3]. فالله (ﷻ) أنزل الوحيين الكتاب والسنة فلا نحتاج لغيرهما في شيء فلماذا نبتدع ونخترع جديداً في الدين مما لم يأذن به الله (ﷻ) ولا نبيه (ﷺ) في الوحيين؟.

وقال الإمام مالك (رحمه الله): "من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة لأن الله يقول: {اليوم أكملت لكم دينكم} فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً ولن يَصلُح آخر هذه الأمة إلا بما صَلُحَ به أولها" [4]. فمن فعل بدعة فهذا لازم قوله إنه يقول إن النبي (ﷺ) قصّر في البلاغ وخان الأمانة أو أنه علِمَ شيئاً فكتمه وهو كذلك يُكذِّب الآية التي ذكرها الإمام مالك (رحمه الله) بأن الدين مازال ناقصاً يحتاج إلى من يُكمِّلُه.

وقال أحمد (رحمه الله) مقولة يستخدمها البعض خطئاً: " قبور أهل السنة من أهل الكبائر روضة وقبور أهل البدع من الزنادقة حفرة. **فُسَّاق أهل السنة أولياء الله وزُهَّاد أهل البدعة أعداء الله**" [5]. وللأسف أن بعض المناهج التي فيها عوار رموا الناس بالبدعة ثم قالوا نُناصر أهل الفسق لأن أهل الفسق أقل من أهل البدع فرضوا بأن يكونوا مُنْظرين لأهل الفسق والمعاصي.

وهذا كلام صحيح لكن من الذي يُبدِّع؟ فلابد أن يكون عالم مُنصف مُحقِق فليس لكل أحد أن يرمي أخاه بالبدعة لأنه يُخالفه في رأي أو منهج اجتهادي. وهذا ليس من دأب أهل السنة والجماعة فقد كان الصحابة يختلفون ولم يُبدِّع أحدهم أحد. بل إن السلف اختلفوا وظهرت أربعة مذاهب فقهية "أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد (رحمهم الله)" وغيرهم ولم يُبدِّع أحدهم الآخر رغم أن كل واحد منهم له قول وإن أصاب أو أخطأ فالمُصيب واحد كما ذكرنا من قبل ولكن الشرط أن يكون الاجتهاد على دليل. والمصيبة أن من يُبدِّعون الناس يقولون إنهم على مذهب أهل السنة والجماعة وإن خالفته في مسألة فأنت مبتدع فتجده يقول من خالفني في هذه المسألة فهو مبتدع فنقول له ومن أنت حتى تقول هذا؟؟. فإنما العلم قال الله (ﷻ) وقال رسوله (ﷺ) وقال الصحابة (رضي الله عنهم). وهذه المسألة فرَّقت كثير من الأخوة فلابد أن يُنتبه إليها.

وأقسام البدع: إما أن تكون مُكفِّرة أو مُفسِّقة. فالبدعة المُكفِّرة مثل الطوائف التي تُلحِد في أسماء الله (ﷻ) وتعطلها ويقولون ليس لله (ﷻ) أسماء فهو عندهم سميع بلا سمع وبصير بلا بصر وعليم بلا علم فهم يعبدون عدماً وهذا كما عند غلاة الجهمية والمعتزلة. وكما في بدع الطواف بالقبور ودعاء الأولياء والشيوخ والمقبورين لأنها شرك.

---

[1] أخرجه مسلم عن علي (رضي الله عنه). (فغضب) فيه إبطال ما تزعمه الرافضة والشيعة والإمامية من الوصية إلى علي وغير ذلك من اختراعاتهم. (لعن الله من لعن والده الخ) أما لعن الوالد والوالدة فمن الكبائر وأما الذبح لغير الله فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى كمن ذبح للصنم أو للصليب أو لموسى (عليه السلام) أو لعيسى (عليه السلام) أو للكعبة ونحو ذلك فكل هذا حرام ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلما أو نصرانيا أو يهوديا وأما المحدث بكسر الدال فهو من يأتي بفساد في الأرض (منار الأرض) علامات حدودها.

[2] أخرجه الطبراني عن أنس (رضي الله عنه). وقال الهيثمي في " مجمع الزوائد": " ورواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروي وهو: ثقة وليس فيما ذكره قوله: " حتى يدع بدعته" وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب. وأخرج ابن ماجه وابن أبي عاصم عن أنس (رضي الله عنه) قال: " قال رسول الله (ﷺ): " أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته". وقال البوصيري في " زوائد ابن ماجه": " هذا إسناد رجاله كلهم مجهولون قاله الذهبي في الكاشف" وقال أبو زرعة: " لا أعرف أبا زيد ولا أبا المغيرة". ورواه ابن أبي عاصم في " كتاب السنة" وفيه أبو زيد وأبو المغيرة اللذان قال عنهما الذهبي في الكاشف: " أبو المغيرة عن ابن عباس وعنه أبو يزيد مجهولون".

[3] أخرجه وكيع في " الزهد" وأحمد في " الزهد" والدارمي والطبراني في " الكبير" والبيهقي ومحمد بن وضاح القرطبي في البدع وأبو خيثمة في العلم عن ابن مسعود (رضي الله عنه). وقال الهيثمي: " رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح". وقال الألباني: " إسناده صحيح".

[4] راجع كتاب " الاعتصام" للشاطبي (رحمه الله).

[5] راجع كتاب " طبقات الحنابلة" لابن أبي يعلى (رحمه الله).

- وهناك بدع مُفسِّقة وهي أقل من البدع المُكفِّرة فهي لا تصل إلى الكفر ولكن تصل بصاحبها أن يكون على مشارف هلكة فصاحبها يعلو بها حتى يصل بها إلى الكفر.
- هناك منهج لأهل السلف مع أهل البدع كما أورده المصنف (رَحِمَهُ اللَّهُ) وهو هجران أهل البدع. ولكن هناك ضابط أن الهجران لا يكون مطلقاً فإذا كان هجرك لأهل البدع فيه مصلحة مثل أن صاحب البدعة أو من يبدأ في طريق البدعة مثل أن يبدأ بطلب العلم من مبتدع لو هجرته سيكُف عما هو فيه أو يتوقَّف عن استكمال طريق البدعة ويسأل ويرجع بذلك لأهل السنة ومنهج السلف. وإن كان الهجران يؤدي إلى كثرة العناد والجحود والاستكبار فلا تهجره بل تتقرب إليه وتلين معه وتُوضَّح له حتى تُعيده لمنهج أهل السنة.
- وليس لعوام المسلمين ولا لطلبة العلم المجتهدين ولا المُقلِّدة أن يُناظروا أهل البدع ولا يتكلموا معهم ولا يجلسوا معهم ولكن يُناظرهم أهل العلم المُتمكِّنين لأن المفاسد عظيمة فهو معه ما ظاهره أنه حُجَّة فإن لم يكن معك حُجَّة تُناظره بها وتدعوه بها فلا تجلس معه فإنه إما سيفتنك ويسحبك معه كما حدث مع محمد بن السائب فقد قال المغيرة: " خرج محمد بن السائب وما كان له هوى (أي إنه كان صاحب سنة ولم يكن صاحب بدعة) فقال: " اذهبوا بنا حتى نسمع قولهم (أي قول القدرية) فما رجع حتى أخذ بها وعلقت بقلبه" [1] أو يجعلهم ينتصرون عليه إن لم يكن معه حُجَّة فيفتنوا عوام المسلمين.
- وما سبق يظهر كثيراً في المناظرات التليفزيونية فيأتون برجل قوي من أهل البدع ويأتون برجل ضعيف من أهل السنة أو داعية من أصحاب الرقائق والوعظ وليس عالم وهذا يكون أمام ملايين المشاهدين. فيعلو صاحب البدعة عليه فقد يُفتن الرجل أو يُفتن العوام الذين يسمعونه. وقد ذكر الإمام اللالكائي (رَحِمَهُ اللَّهُ) في كتاب "أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" فصلاً كاملاً يتكلم فيه عن تحذير السلف من أهل البدع.
- وتجوز مناظرة المبتدعة (مع أهل العلم المُتمكِّنين) لأن الرسل (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ناظروا أقوامهم فهذا نوح (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ناظر قومه حتى إنهم قال كما ذكر القرآن في قوله (تَعَالَى) رواية عنهم :﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[هود: 32]. وكذلك إبراهيم (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ناظر آزر حتى إنه قال كما ذكر القرآن في قوله (تَعَالَى):﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَاإِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾[مريم: 46] وكان النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُناظر قريش كثيراً كما ورد في السيرة.فإن كان مناظرة أهل الكفر ثبتت فالأولى مناظرة أهل البدع. فنحن لسنا مُطالبين بمناظرتهم بل نحن مُطالبين بالتعلُّم والتعليم وأن تحمي نفسك وتناظر لو وصلت لمرتبة التنظير في العلم وكذلك لو كانت المناظرة لله (عَزَّ وَجَلَّ) وليست بغرض الشهرة كما حدث مع ابن عباس (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) مع الخوارج [2] وقد قال له علي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) لابن عباس (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا): " يا ابن عباس جادلهم بالسنة ولا تجادلهم بالقرآن فإن القران حمَّال أوجه" [3] وهذا من فقه علي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).
- فلابد أن تنظر للمبتدعة بعين القدر وعين الشرع. أما عين القدر أن تبغض فعلهم ولا تُجالسهم ولا تسمع لهم. وأما عين الشرع فالنظر لهم بعين الرحمة وتتمنى هدايتهم لسنة النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) والخلل أن تنظر بأحد العنينين دون الأُخرى.
- وهناك قصة أن رجل تكلم في القدر في عهد عمر بن الخطاب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) في ولاية أبي موسى الأشعري (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) فقال له عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): "أرسله لي" فجاءه الرجل فنزل عليه ضرب بالدرة على رأسه حتى خرَّ الدم من رأسة فقال له: "اكتفيت" فقال له عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): "هل ما زال في رأسك شيء؟" فقال له: "لا" [4]. وهذه القصة فيها فوائد جمَّة منها أن مهمة أمير المؤمنين أن يُوفِّرَ المأكل والمشرب فقط لكن من رأس أولوياته حفظ دين الناس وأهم الأشياء في الدين هي أركان الإيمان الستة التي منها الإيمان بالقدر. وهذا لم يكن رجل تكلم ويراه ملايين المشاهدين في الفضائيات ولكنه تكلم في فئة قليلة ففعل عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) معه ما فعل ليحفظ على الناس دينهم. وللأسف الآن الرجل يقول أنه لا إله إلا الله فقط ولا يقول محمد رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ويُترك ولا يُفعل معه شيء بل أقصى شيء ينزل بيان استنكار والرجل مازال يتكلم ويَبُثُ السموم للناس.
- وتُظهر شدة عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) في الحق فقد قال سعد بن أبي وقاص (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ): " استأذن عمر على رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب فأذن له رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ورسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يضحك فقال عمر: " أضحك الله سنك يا رسول الله" قال: " عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك

---

[1] راجع كتاب " الإبانة الكبرى" لابن بطة. ومحمد بن السائب هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي- أبو النضر- المفسر وكان- أيضا- رأسا في الأنساب ولد بالكرفة وهو من كلب بن وبرة من قضاعة وصنَّف كتابا في تفسير القرآن. قال الذهبي: " إلا أنه شيعي متروك الحديث". وقال ابن خلكان: " كان من أصحاب عبد الله بن سبأ يقول بأن علي ابن أبي طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) لم يمت وإنه راجع إلى الدنيا مات سنة 146 هـ". وقال ابن حجر: " متهم بالكذب ورمي بالرفض". وقال النسائي:" حدث عنه ثقات من الناس ورضوه في التفسير أما في الحديث ففيه مناكير". انظر ترجمته في:"سير أعلام النبلاء" و "وفيات الأعيان" و "تهذيب التهذيب".

[2] راجع المحاضرة الرابعة عشرة رقم (2) صـ 27.

[3] لم أقف عليه.

[4] لم أقف عليه.

ابتدرن الحجاب" قال عمر: " فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يهبن" ثم قال: " أي عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله (ﷺ)؟" قلن: " نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله (ﷺ)" قال رسول الله (ﷺ): " والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك" [1].

- واشترط أهل العلم لتوبة المبتدع أنه لابد أن يُعلن ذلك ويُروِّج للحق فيما كان يتكلم فيه من الباطل فلو كانت بدعته في الأسماء والصفات فلابد أن يُروِّج للحق في الأسماء والصفات وهذا كما في قوله (ﷻ): ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[البقرة: 159-160]. فلابد أن يتوب أولاً ثم يُصلح ثم يُبيِّن ما كان عليه من بدعة وما الحق فيها. وكما قال أهل العلم: " الباب الذي دخل منه المرء في الكفر لابد أن يدخل منه في الإسلام" [2]. فلو خرج من الإسلام في باب القدر يدخل الإسلام بإيمانه بالقدرو لو خرج من الإسلام في باب الإيمان يدخل الإسلام بتصحيح عقيدته في باب الإيمان وكل هذا مع البيان والإصلاح كما في الآية وخصوصاً لو كان من المشهورين وكان يسمع له الناس وقت بدعته فلابد أن يُبيِّن لهم هذه البدعة ونقيضها من السنة.
- بيَّن المصنف (رَحِمَهُ اللَّهُ) علامات لأهل البدع ومنها أنهم يتصفون بغير الإسلام والسنة. فعندما يتكلم في بدعة قولية أوعملية أو عقائدية تراه يحيد عن منهج أهل السنة والجماعة وتجد أكثرهم يسب أهل الحديث والأثر لأنهم يعلمون إن أهل الحديث والأثر هم من ينصرون سنة النبي (ﷺ). فيسبُّون شيخ الإسلام ابن تيمية (رَحِمَهُ اللَّهُ) مثلاً وعموم علماء علماء أهل السنة لأنه لا يستطيع أن يسمعهم فقلبه أغلقه الله (ﷻ) فلا يسمع الحق من أهله فيسب النووي (رَحِمَهُ اللَّهُ) [3] حتى ولو كان عنده بعض

---

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (يستكثرنه) يطلبن منه الكثير من العطاء أو من الحديث (يبتدرن الحجاب) يتسارعن ويتسابقن للاختباء (أضحك الله سنك) دعاء بمزيد السرور واستمراره (يهبن) من الهيبة وهي الخوف مع الإجلال والوقار (أفظ وأغلظ) من الفظاظة وهي عبارة عن شدة الخلق وخشونة الجانب وأغلظ بمعناها (فجاً) طريقاً واسعاً

[2] لم أقف عليه.

[3] وسنذكر هنا مجموعة من الأقوال المأخوذة على النووي (رَحِمَهُ اللَّهُ) ولسنا نهدف لنقضهم بل للتحذير من هذا الخطأ وقد قال الذهبي في " سير أعلام النبلاء": " ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده مع صحة إيمانه وتوخيه لاتباع الحق أهدرناه وبدعناه لقلَّ من يسلم من الأئمة معنا. رحم الله الجميع بمنه وكرمه". فكل ما سيأتي ليس هدفه نقض رجال كالجبال كالنووي (رَحِمَهُ اللَّهُ) ففضله واجتهاده وتقواه معروف لا محالة ولكن لتعلم الحق فلا أحد معصوم إلا المصطفى (ﷺ).

بعض الأقوال المأخوذة على النووي (رَحِمَهُ اللَّهُ)

1) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم في حديث النزول : "هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء: أحدهما وهو مذهب السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى **وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد** ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات وسائر سمات الخلق والثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي على أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين أحدهما: تأويل مالك بن أنس وغيره معناه تنزل رحمته وأمره وملائكته كما يقال فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره والثاني: أنه على الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف.".
2) ونقل الحافظ النووي تأويل الإمام مالك بن أنس (رَحِمَهُ اللَّهُ) لحديث النزول: " فقد سُئِلَ الإمام مالك (رَحِمَهُ اللَّهُ) عن نزول الرب (ﷻ) فقال "ينزل أمره تعالى كل سَحَر فأما هو عزّوجلّ **فانه دائم لا يزول ولا ينتقل سبحانه لا إله إلا هو**"
3) ويعلق الإمام النووي على حديث الجارية في شرحه على مسلم قائلاً:" هذا الحديث من أحاديث الصِّفات وفيها مذهبان تقدَّم ذكرهما مرَّات في كتاب الإيمان: أحدهما الإيمان به من غير خوض في معناه مع اعتقاد أنَّ الله ليس كمثله شيء وتنزيهه عن سمات المخلوقات. والثَّاني: تأويله بما يليق به. فمن قال بهذا (أي التأويل) قال: كان المراد امتحانها هل هي موحِّدة تقرُّ بأنَّ الخالق المدبّر الفعَّال هو الله وحده وهو الَّذي إذا دعاه الدَّاعي استقبل السَّماء كما إذا صلَّى المصلِّي استقبل الكعبة **وليس ذلك لأنَّه منحصر في السَّماء كما أنَّه ليس منحصراً في جهة الكعبة** بل ذلك لأنَّ السَّماء قبلة الدَّاعين كما أنَّ الكعبة قبلة المصلِّين أو هي من عبدة الأوثان العابدين للأوثان الَّتي بين أيديهم فلمَّا قالت: في السَّماء علم أنَّها موحِّدة وليست عابدة للأوثان".
4) قال الإمام النووي في "شرح صحيح مسلم" اتيته هرولة": " هذا الحديث من أحاديث الصفات **ويستحيل إرادة ظاهره** وقد سبق الكلام في أحاديث الصفات مرات ومعناه من تقرب إليَّ بطاعتي تقربت إليه برحمتي والتوفيق والإعانة وإن زاد زدت فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيته هرولة أي صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود والمراد أن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه".
5) قول الإمام النووي في شرح مسلم: " إن الله تعالى ليس كمثله شيء وإنه منزّه عن التجسيم **والانتقال والتحيز في الجهة** وعن سائر صفات المخلوق".
6) قال النووي عند شرح قوله (ﷺ): " فذلك يوم يكشف عن ساق": " قال العلماء معناه ومعنى ما في القرآن {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} **يوم يكشف عن شدة وهول عظيم** أي يظهر ذلك. يُقال: " كشفت الحرب عن ساقها" إذا اشتدت وأصله أن من جد في أمره كشف عن ساقه مستمراً في الخفة والنشاط له"
7) قال الإمام النووي في شرح مسلم: "من العلماء من يمسك عن تأويلها ويقول نؤمن بأنها حق **وأن ظاهرها غير مراد** ولها معنى يليق بها وهذا مذهب جمهور السلف وهو أحوط وأسلم والثاني أنها تتأول على حسب ما يليق بتنزيه الله تعالى وإنه ليس كمثله شيء".
8) جاء في شرح مسلم للنووي في حديث خلق الله آدم على صورته: " قال المازري وقد غلط بن قتيبة في هذا الحديث فأجراه على ظاهره وقال لله تعالى صورة لا كالصور **وهذا الذي قاله ظاهر الفساد** لأن الصورة تفيد التركيب وكل مركب محدث والله تعالى ليس بمحدث فليس هو مركبا فليس مصورا قال وهذا كقول المجسمة جسم لا كالأجسام لما رأوا أهل السنة يقولون الباري سبحانه وتعالى شئ لا كالأشياء طردوا الاستعمال فقالوا جسم لا كالأجسام والفرق أن لفظ شئ لا يفيد الحدوث ولا يتضمن ما يقتضيه وأما جسم وصورة فيتضمنان التأليف والتركيب وذلك دليل الحدوث قال العجب من بن قتيبة في قوله صورة لا كالصور مع أن ظاهر الحديث على رأيه يقتضي خلق آدم على صورته فالصورتان على رأيه سواء فإذا قال لا كالصور تناقض قوله ويقال له أيضاً إن أردت بقولك صورة لا كالصور أنه ليس بمؤلف ولا مركب فليس بصورة حقيقة وليست اللفظة على ظاهرها وحينئذ يكون موافقا على افتقاره إلى التأويل واختلف العلماء في تأويله فقالت طائفة الضمير في صورته عائد على الأخ المضروب وهذا ظاهر رواية مسلم وقالت طائفة يعود إلى آدم وفيه ضعف وقالت طائفة يعود إلى الله تعالى ويكون المراد إضافة تشريف واختصاص كقوله تعالى ناقة الله وكما يقال في الكعبة بيت الله ونظائره والله اعلم"

المخالفات وكذلك وابن حجر (رَحِمَهُ اللَّهُ) [1] فهذا لا يسمح لنا بسبه بل توضيح عدم اتباعهم في هذه المسائل ويقولون مثلاً إنه من

---

9) قال الإمام النووي في شرح الحديث: "**ورواه بعضهم إن الله خلق آدم على صورة الرحمن وليس بثابت عند أهل الحديث**".

10) وقال الإمام النووي أثناء الكلام على حديث إمساك السماوات على أصبع والأرضين على أصبع: " هذا من أحاديث الصفات وقد سبق فيها المذهبان التأويل والإمساك عنه مع الإيمان بها **ومع اعتقاد أن الظاهر منها غير مراد**".

11) في كتاب تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي قال في ترجمة الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني:" وكان الأستاذ أحد الثلاثة الذين اجتمعوا في عصر واحد على **نصر مذهب الحديث والسنة في المسائل الكلامية القائمين بنصر مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري** وهم الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني والقاضي أبو بكر الباقلاني والإمام أبو بكر بن فورك".

12) قال الإمام النووي في المجموع مُبيّنا ما يستحب أن يقوله من يزور النبي (ﷺ) إذا وقف أمام القبر الشريف مخاطبا رسول الله (ﷺ) ما نصه: " ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله (ﷺ) **ويتوسل به في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى** ومن أحسن ما يقول ما حكاه الماوردي والقاضي أبو الطيب وسائر أصحابنا - يعني سائر الشافعية - عن العتبي مستحسنين له قال : " كنت جالسا عند قبر رسول الله (ﷺ) فجاء أعرابي فقال : " السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول : " ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله وأستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما" وقد جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك إلى ربي . . . . ".

13) وقال الامام النووي في التبرك بمكان صلاة سيدنا النبي (ﷺ) من الصحابي عتبان بن مالك الانصاري (رضي الله عنه) وقال النووي في شرحه على مسلم عند حديث عتبان: " **وفي هذا الحديث التبرك بآثار الصالحين**"

14) قال الإمام النووي قال في كتاب الأذكار باب الأذكار في الاستسقاء: " إنه يستحب إذا كان فيهم رجل مشهور بالصلاح أن يستسقوا به فيقولون: **اللهم إنا نستسقي ونستشفع إليك بعبدك** فلان كما روى البخاري أن عمر (رضي الله عنه) استسقى بعباس (رضي الله عنه)"

15) عمل الإمام النووي بحديث يا عباد الله أعينوا والاستغاثة والمدد بعباد الله من المخلوقات التي لا نراها وعمل الائمة بذكر الإمام النووي في الأذكار في كتاب أذكار المسافر: باب ما يقول إذا انفلتت دابته: " روينا في كتاب ابن السني عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) قال: " إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا يا عباد الله احبسوا فان لله (عَزَّ وَجَلَّ) حاضرا سيحبسه". قلت: حكى لي بعض شيوخنا الكبار في العلم أنه انفلتت له دابة أظنها بغلة وكان يعرف هذا الحديث فقاله فحبسها الله عليهم في الحال. وكنت أنا مرة مع جماعة فانفلتت منها بهيمة وعجزوا عنها فقلته: **فوقفت في الحال بغير سبب سوى هذا الكلام**".

16) قال النووي في شرح صحيح مسلم في حديث " أن الناس نزلوا مع رسول الله (ﷺ) على الحجر ارض ثمود وفى هذا الحديث فوائد منها النهى عن استعمال مياه بئار الحجر الا بئر الناقة ومنها لو عجن منه عجينا لم يأكله بل يعلفه الدواب ومنها أنه يجوز علف الدابة طعاما مع منع الآدمى من أكله ومنها مجانبة آبار الظالمين **والتبرك بآبار الصالحين**".

17) يري الإمام النووي ببركة الصالحين بعد موتهم لا تنقطع عن المؤمنين ففي " الأذكار" قال: " {فَصْلٌ : في تقبيل وجه الميت والقادم من سفرٍ }: " **ولا بأسَ بتقبيل وجه الميت الصالح للتَبَرُّك** "

18) قال الإمام النووي عقب حديث الاستشفاء بجُبة رسول الله (ﷺ): " وفى هذا الحديث دليل على استحباب **التبرك بآثار الصالحين وثيابهم**"

19) وقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: " قوله فخرج بلال بوضوء فمن نائل بعد ذلك وناضح تبركًا بآثاره (ﷺ) وقد جاء مبينًا في الحديث الآخر: فرأيت الناس يأخذون من فضل وضوئه **ففيه التبرك بآثار الصالحين** واستعمال فضل طهورهم وطعامهم وشرابهم ولباسهم".

20) وقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: " وفي هذا الحديث فوائد منها تحنيك المولود عندولادته وهو سنة بالإجماع كما سبق. ومنها أن يُحَنّكه صالح من رجل أو امرأة. **ومنها التبرك بآثار الصالحين وريقهم وكل شيء منهم**".

21) وقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: " أما أحكام الباب ففيه استحباب تحنيك المولود وفيه التبرك بأهل الصلاح والفضل وفيه استحباب حمل الأطفال إلى أهل الفضل **للتبرك بهم** وسواء في هذاالاستحباب المولود في حال ولادته وبعدها"

22) وقال الإمام النووي في باب قربه (ﷺ) من الناس وتبركهم به وتواضعه لهم: " **وفيه التبرك بآثار الصالحين** وبيان ما كانت الصحابة عليه من التبرك بآثاره صلى الله عليه وسلم وتبركهم بإدخال يده الكريمة في الآنية وتبركهم بشعره الكريم وإكرامهم إياه أن يقع شيء منه إلا في يد رجل سبق إليه"

23) قال النووي عقب هذا الحديث عن سهل في حديث المرأة التي للنبي (ﷺ) أعوذ بالله منك وهي لا تعرفه وفيه: ".. فأقبل رسول الله (ﷺ) يومئذ حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابه ثم قال: اسقنا " لسهل" قال: " فأخرجت لهم هذا القَدَح فأسقيتهم فيه. قال أبو حازم: " فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا فيه. قال: ثم استوهبه بعد ذلك عمر بن عبد العزيز فوهبه له": " **هذا فيه التبرك بآثار النبي (ﷺ) وما مسه أو لبسه أو كان منه فيه سبب وهذا نحو ما أجمعوا عليه وأطبق السلف والخلف عليه من التبرك بالصلاة في مصلى رسول الله (ﷺ) في الروضة الكريمة ودخول الغار الذي دخله (ﷺ) وغير ذلك.** من هذا إعطاؤه (ﷺ) أبا طلحة شعره ليقسمه بين الناس وإعطاؤه (ﷺ) حقوة لتكفن فيه بنته (رضي الله عنها) وجعله الجريدتين على القبرين وجمعت بنت ملحان عرقه (ﷺ) وتمسحوا بوضوئه (ﷺ) ودلكوا وجوههم بنخامته (ﷺ) وأشباه هذه كثيرة مشهورة في الصحيح وكل ذلك واضح لا شك فيه".

24) تقسيم الإمام النووي للبدعة في كتابه "تهذيب الأسماء واللغات" قال: " البدعة بكسر الباء في الشرع هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله وهي منقسمة إلى **حسنة** وقبيحة".

25) قال الذهبي في ترجمة " النووي" في " تاريخ الإسلام": " إن مذهبه في الصفات السمعية السكوت وإمرارها كما جاءت وربما تأول قليلاً في شرح مسلم". ونقل كلام الحافظ الذهبي الحافظ السَّخاوي في ترجمة الإمام النووي عنه وتعقبه بقوله: " كذا قال و التأويل كثير في كلامه" وقال السَّخاوي: " وصرح اليافعي والتاج السُّبكي (رَحِمَهُمُ اللَّهُ) أنه أشعري".

26) وقال الإمام السُّبكي في " طبقات الشافعية الكبرى": " شيخ الإسلام أستاذ المتأخرين وحجة الله على اللاحقين والداعي إلى سبيل السالفين "وبـ ((له الزهد والقناعة ومتابعة السالفين من أهل السنة والجماعة

[1] وسنذكر هنا مجموعة من الأقوال المأخوذة على ابن حجر (رَحِمَهُ اللَّهُ) ولسنا نهدف لنقضهم بل للتحذير من هذا الخطأ وقد قال الذهبي في " سير أعلام النبلاء": " ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده مع صحة إيمانه وتوخيه لاتباع الحق أهدرناه وبدعناه لقلَّ من يسلم من الأئمة معنا. رحم الله الجميع بمنه وكرمه". فكل ما سيأتي ليس هدفه نقض رجال كالجبال كابن حجر (رَحِمَهُ اللَّهُ) ففضله واجتهاده وتقواه معروف لا محالة ولكن لتعلم الحق فلا أحد معصوم إلا المصطفى (ﷺ).

بعض الأقوال المأخوذة على ابن حجر (رَحِمَهُ اللَّهُ)

1) قال ابن حجر في فتح الباري:" استوى على العرش هو من المتشابه الذي يفوض علمه إلي الله تعالى ووقع تفسيره في الأصل".

2) قال ابن حجر في فتح الباري:" قوله إن الله لا يستحي من الحق قدمت هذا القول تمهيدا لعذرها في ذكر ما يستحيى منه والمراد بالحياء هنا معناه اللغوي إذ

الحشوية [1] أو المُجسِّمة [2] أو المُشبِّهه [3].

- ومن علامات أهل البدع أنهم يناصرون أصحاب المناصب والرياسات من البغاة والظلمة والفسقة فتجده يناصره على أهل السنة لأنه يعلم أنه لا يستطيع أن ينشر بدعته إلا بمناصرته للسلاطين من البغاة والظلمة والفسقة حتى يجعلون له حماية لنشر مذهبه ويضرب بهم أهل السنة.
- وهذا حدث مع فتنة الإمام أحمد بن حنبل (رَحِمَهُ اللَّهُ) فقد وقف في وجه البغاة والظلمة والفسقة الذين يُناصرون أهل البدعة [4].

الحياء الشرعي خير كله وقد تقدم في كتاب الإيمان أن الحياء لغة تغير وانكسار **وهو مستحيل في حق الله تعالى** فيحمل هنا على أن المراد أن الله لايأمر بالحياء في الحق أو لا يمنع من ذكر الحق وقد يقال إنما يحتاج إلى التأويل في الاثبات".

3) قال ابن حجر في فتح الباري:" وفيه نقض ما أصلوه وفيه الرد على **من زعم أنه على العرش بذاته**".

4) قال ابن حجر في فتح الباري في التبرك بالصالحين:" وفيه اجتماع أهل المحلة على الإمام أو العالم إذا ورد منزل بعضهم ليستفيدوا منه **ويتبركوا به**".

5) قال ابن حجر في فتح الباري في التبرك بالصالحين:" والذي نفسي بيده هو قسم كان النبي (ﷺ) كثيرا ما يقسم به والمعنى أن أمر نفوس العباد **بيد الله أي بتقديره وتدبيره** ".

1 قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رَحِمَهُ اللَّهُ): "وأما قول القائل حشوية فهذا لفظ له مسمى معروف لا في شرع ولا في اللغة ولا في العرف العام ولكن يُذكر أن أول من تكلم بهذا اللفظ عمرو بن عبيد قال: " كان عبد الله بن عمر حشوياً" وأصل ذلك أن كل طائفة قالت قولاً تخالف به الجمهور والعامة يُنسب إلى أنه قول الحشوية أي الذين هم حشو في الناس ليسوا من المتأهلين عندهم فالمعتزلة تسمي من أثبت القدر حشوياً والجهمية يسمون مثبتة الصفات حشوية والقرامطة كأتباع الحاكم يسمون من أوجب الصلاة والزكاة والصيام والحج حشوياً. وذكر في موضع آخر أن أهل الكلام والفلسفة أحق بهذا اللفظ لقلة الفائدة في كلامهم. ونقل اللالكائي عن أبي حاتم الرازي في بيان اعتقاده قوله: " وعلامة أهل البدع الوقعة في أهل الأثر وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل السنة حشوية يريدون إبطال لأثر". انظر "مجموع الفتاوى" لابن تيمية وشرح اعتقاد أهل السنة للالكائي.

2 المُجسِّمة: من يقولون إن الله (عَزَّوَجَلَّ) له جسم.

3 المُشبِّهه: من يُشبِّهون الله (عَزَّوَجَلَّ) بالمخلوقات.

4 قال ابن كثير (رَحِمَهُ اللَّهُ) في البداية والنهاية (ما بين القوسين ليس من كلام ابن كثير(رَحِمَهُ اللَّهُ) ولكنه من باب التوضيح) : " مُلخَّص الفتنة والمحنة من كلام أئمة السنة قد ذكرنا فيما تقدم أن المأمون كان قد استحوذ عليه جماعة من المعتزلة فأزاغوه عن طريق الحق إلى الباطل وزينوا له القول بخلق القرآن ونفي الصفات عن الله (عَزَّوَجَلَّ). قال البيهقي: " ولم يكن في الخلفاء قبله من بني أمية وبني العباس خليفة إلا على مذهب السلف ومنهاجهم فلما وليَ هو الخلافة اجتمع به هؤلاء فحملوه على ذلك وزينوا له واتفق خروجه إلى طرسوس لغزو الروم فكتب إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يدعو الناس إلي القول بخلق القرآن واتفق له ذلك آخر عمره قبل موته بشهور من سنة ثماني عشرة ومائتين. فلما وصل الكتاب كما ذكرنا استدعى جماعة من أئمة الحديث فدعاهم إلى ذلك فامتنعوا فتهدَّدهم بالضرب وقطع الأرزاق فأجاب أكثرهم مكرهين. واستمر على الامتناع من ذلك الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح الجند يسابوري فحُمِلا على بعير وسُيِّرا إلى الخليفة عن أمره بذلك وهما مقيدان متعادلان في محمل على بعير واحد فلما كانا ببلاد الرحبة جاءهما رجل من الأعراب من عبادهم يُقال له جابر بن عامر فسلَّم على الإمام أحمد وقال له: " يا هذا إنك وافد الناس فلا تكن شؤما عليهم وإنك رأس الناس اليوم فإياك أن تجيبهم إلى ما يدعونك إليه فيجيبوا فتحمل أوزارهم يوم القيامة وإن كنت تحب الله فاصبر على ما أنت فيه فإنه ما بينك وبين الجنة إلا أن تُقتل وإنك إن لم تُقتل تمت وإن عشت عشت حميداً". قال أحمد: " وكان كلامه مما قوى عزمي على ما أنا فيه من الامتناع من ذلك الذي يدعونني إليه.

فلما اقتربا من جيش الخليفة ونزلوا دونه بمرحلة جاء خادم وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه ويقول: " يَعزُّ عليَّ يا أبا عبد الله أن المأمون قد سل سيفا لم يسله قبل ذلك وأنه يقسم بقرابته من رسول الله (ﷺ) لئن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن ليقتلنك بذلك السيف". قال: " فجثى الإمام أحمد على ركبتيه ورمق بطرفه إلى السماء وقال: " سيدي غرَّ حلمك هذا الفاجر حتى تجرأ على أوليائك بالضرب والقتل اللهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته". قال: " فجاءهم الصريخ بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل". قال أحمد: ففرحنا ثم جاء الخبر بأن المعتصم قد ولي الخلافة وقد انضم إليه أحمد بن أبي دؤاد وأن الأمر شديد فردُّونا إلى بغداد في سفينة مع بعض الأسارى ونالني منهم أذى كثير وكان في رجليه القيود ومات صاحبه محمد بن نوح في الطريق وصلى عليه أحمد فلما رجع أحمد إلى بغداد دخلها في رمضان فأودع في السجن نحوا من ثمانية وعشرين شهراً وقيل نيفا وثلاثين شهراً ثم أُخرجَ إلى الضرب بين يدي المعتصم. وقد كان أحمد وهو في السجن هو الذي يصلي في أهل السجن والقيود في رجليه. لما أحضره المعتصم من السجن زاد في قيوده قال أحمد: " فلم أستطع أن أمشي بها فربطتها في التكة وحملتها بيدي ثم جاؤني بدابة فحُمِلتَ عليها فكدت أن أسقط على وجهي من ثقل القيود وليس معي أحد يمسكني فسلم الله حتى جئنا دار المعتصم فأدخلت في بيت وأغلق عليَّ وليس عندي سراج فأردت الوضوء فمددت يدي فإذا إناء فيه ماء فتوضأت منه ثم قمت ولا أعرف القبلة فلما أصبحت إذا أنا على القبلة ولله الحمد". ثم دُعيتُ فأُدخِلتُ على المعتصم فلما نظر إليَّ وعنده ابن أبي دؤاد قال: " أليس قد زعمتم أنه حدث السن وهذا شيخ مكهل؟" فلما دنوت منه وسلمت قال لي: "ادنه" فلم يزل يدنيني حتى قربت منه ثم قال: " اجلس!" فجلست وقد أثقلني الحديد فمكثت ساعة ثم قلت: " يا أمير المؤمنين إلى ما دعا إليه ابن عمك رسول الله (ﷺ)؟" قال: " إلى شهادة أن لا إله إلا الله". قلت: "فإني أشهد أن لا إله إلا الله". قال: " ثم ذكرت له حديث ابن عباس في وفد عبد القيس (وفيه: إن وفد عبد القيس سألوه عن الايمان فقال (ﷺ): أتدرون ما الإيمان؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تعطوا الخمس من المغنم) قلت: " فهذا الذي دعا إليه رسول الله (ﷺ)". قال: " ثم تكلم ابن أبي دؤاد بكلام لم أفهمه وذلك أني لم أتفقه كلامه" ثم قال المعتصم: " لولا أنك كنت في يد من كان قبلي لم أتعرض إليك" ثم قال: " يا عبد الرحمن ألم آمرك أن ترفع المحنة؟" قال أحمد: " فقلت الله أكبر هذا فرج للمسلمين" ثم قال: " ناظره يا عبد الرحمن كلمه". فقال لي عبد الرحمن (وهو عبد بن إسحاق الشافعي): " ما تقول في القرآن؟" فلم أجبه فقال المعتصم: " أجبه" فقلت: " ما تقول في العلم؟" فسكت فقلت: " القرآن من علم الله ومن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر بالله" فسكت فقالوا فيما بينهم: " يا أمير المؤمنين كفَّرك وكفَّرنا" فلم يلتفت إلى ذلك فقال عبد الرحمن: " كان الله ولا قرآن" فقلت: "كان الله ولا علم؟" فسكت. فجعلوا يتكلمون من ههنا وههنا فقلت: " يا أمير المؤمنين أعطوني شيئا من كتاب الله أو سنة رسوله حتى أقول به" فقال: ابن أبي دؤاد: " وأنت لا تقول إلا بهذا وهذا؟" فقلت: " وهل يقوم الإسلام إلا بهما؟". وجرت مناظرات طويلة واحتجوا عليه بقوله " ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث" [الانبياء: 2] وبقوله " الله خالق كل شيء" [الرعد: 16] وأجاب بما حاصله أنه عام مخصوص بقوله " تدمر كل شئ بأمر ربها" [الأحقاف: 25] فقال ابن أبي دؤاد: " هو والله يا أمير المؤمنين ضال مضل مبتدع وهنا قضاتك والفقهاء فسلهم" فقال لهم: " ما تقولون؟" فأجابوا بمثل ما قال ابن أبي دؤاد ثم أحضروه في اليوم الثاني وناظروه أيضا ثم في اليوم الثالث وفي ذلك كله يعلو صوته عليهم وتغلب حجته حججهم. قال: فإذا سكتوا فتح الكلام عليهم ابن أبي دؤاد وكان من أجهلهم بالعلم والكلام وقد تنوعت بهم المسائل في المجادلة ولا علم لهم بالنقل فجعلوا ينكرون الآثار ويردون الاحتجاج بها وسمعت منهم مقالات لم أكن أظن أن أحدا يقولها وقد تكلم معي ابن غوث بكلام طويل ذكر فيه الجسم وغيره بما لا فائدة فيه فقلت: " لا أدري ما تقول إلا أني أعلم أن الله أحد صمد ليس كمثله شيء" فسكت عني. وقد أوردت لهم حديث الرؤية في الدار الآخرة فحاولوا أن يُضعِّفوا إسناده ويلفقوا عن بعض المحدثين كاملاً يتسلقون به إلى الطعن فيه وهيهات وأنى لهم التناوش من كان بعيد؟ وفي غبون ذلك كله يتلطف به الخليفة ويقول: " يا أحمد أجبني إلى هذا حتى أجعلك من خاصتي وممن يطأ بساطي".

- ومن علامات أهل البدع الغلو في العبادة كما ذكر (ﷺ) في الخوارج:" يخرج فيكم قوم **تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وعملكم مع عملهم ويقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم** يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر في النصل فلا يرى شيئا وينظر في القدح فلا يرى شيئا وينظر في الريش فلا يرى شيئا ويتمارى في الفوق" [1].
وكذلك الرهبان في الصوامع والكنائس يُغالون في العبادة وهم على باطل فهم شابهوهم. فنحن لا نغتر بالقوم لأنهم أصحاب عبادة من صلاة وصوم وقراءة القرآن وكثرة حمل المصحف فالأصل الموافقة لسنة النبي (ﷺ) [2].
- ثم ذكر المصنف (رَحِمَهُ اللَّهُ) مجمل هذه الطوائف التي تحدثنا عنها من قبل [3] فذكر الرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة. ومذهب أهل البدع كما ذكرنا إما التعطيل أو التشبيه [4].
- والرافضة أخبث الطوائف المبتدعة وسبب تسميتهم بهذا الاسم لأنهم جاءوا إلي زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي

فأقول: " يا أمير المؤمنين يأتوني بآية من كتاب الله أو سنة عن رسول الله (ﷺ) حتى أجيبهم إليها". واحتج أحمد عليهم حين أنكروا الآثار بقوله تعالى " يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا" [مريم: 42] وبقوله: " وكلم الله موسى تكليما" [النساء: 163] وبقوله " إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني" [طه: 14] وبقوله: " إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون" [النحل: 40] ونحو ذلك من الآيات. فلما لم يقم لهم معه حجة عدلوا إلى استعمال جاه الخليفة فقالوا: " يا أمير المؤمنين هذا كافر ضال مضل". وقال له إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد: " يا أمير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة أن تخلي سبيله ويغلب خليفتين فعند ذلك حَمِيَ واشتد غضبه وكان أُلينهم عريكة وهو يظن أنهم على شيء". قال أحمد فعند ذلك قال لي: " لعنك الله طمعت فيك أن تجيبني فلم تجبني" ثم قال: " خذوه واخلعوه واسحبوه". قال أحمد: " فأُخذت وسحبت وخلعت وجئ بالعاقبين والسياط وأنا أنظر وكان معي شعرات من شعر النبي (ﷺ) مصرورة في ثوبي فجردوني منه وصرت بين العقابين فقلت: " يا أمير المؤمنين الله الله أن رسول الله (ﷺ) قال: " لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث " وتلوت الحديث وإن رسول الله (ﷺ) قال: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم " فبم تستحل دمي ولم آت شيئا من هذا؟ يا أمير المؤمنين اذكر وقوفك بين الله كوقوفي بين يديك" فكأنه أمسك. ثم لم يزالوا يقولون له: " يا أمير المؤمنين إنه ضال مضل كافر" فأمر بي فقمت بين العقابين وجئ بكرسي فأقمت عليه وأمرني بعضهم أن آخذ بيدي بأي الخشبتين فلم أفهم فتخلعت يداي وجئ بالضرابين ومعهم السياط فجعل أحدهم يضربني سوطين ويقول له - يعني المعتصم -: " شد قطع الله يديك" ويجئ الآخر فيضربني سوطين ثم الآخر كذلك فضربوني أسواطا فأغمي عليَّ وذهب عقلي مرارا فإذا سكن الضرب يعود عليَّ عقلي وقام المعتصم إلي يدعوني إلى قولهم فلم أجبه وجعلوا يقولون: " ويحك! الخليفة على رأسك" فلم أقبل وأعادوا الضرب ثم عاد إلي فلم أجبه فأعادوا الضرب ثم جاء إليَّ الثالثة فدعاني فلم أعقل ما قال من شدة الضرب ثم أعادوا الضرب فذهب عقلي فلم أحس بالضرب وأرعبه ذلك من أمري وأمر بي فأطلقت ولم أشعر إلا وأنا في حجرة من بيت وقد أطلقت الأقياد من رجلي وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من رمضان من سنة إحدى وعشرين ومائتين ثم أمر الخليفة بإطلاقه إلى أهله وكان جملة ما ضرب نيفا وثلاثين سوطا وقيل ثمانين سوطا ولكن كان ضرباً مبرحاً شديداً جداً. وقد كان الإمام أحمد رجلا رقيقا أسمر اللون كثير التواضع (رَحِمَهُ اللَّهُ). ولما خُلِيَ من دار الخلافة إلى دار إسحاق بن إبراهيم وهو صائم أتوه بسويق ليفطر من الضعف فامتنع من ذلك وأتم صومه وحين حضرت صلاة الظهر صلى معهم فقال له ابن سماعة القاضي: " وصليت في دمك!" فقال له أحمد: " قد صلى عمر وجرحه يثعب دماً" فسكت. ويُروى أنه لما أُقيمَ ليُضرب انقطعت تكة سراويله فخشي أن يسقط سراويله فتكشف عورته فحرك شفتيه فدعا الله فعاد سراويله كما كان ويُروى أنه قال: " يا غياث المستغيثين يا إله العالمين إن كنت تعلم أني قائم لك بحق فلا تهتك لي عورة". ولما رجع إلى منزله جاءه الجرايحي فقطع لحما ميتا من جسده وجعل يداويه والنائب في كل وقت يسأل عنه وذلك أن المعتصم ندم على ما كان منه إلى أحمد ندماً كثيراً وجعل يسأل النائب عنه والنائب يستعلم خبره فلما عُوفِيَ فرح المعتضم والمسلمون بذلك ولما شفاه الله بالعافية بقي مدة وإبهاماه يؤذيهما البرد وجعل كل من آذاه في جل إلا أهل البدعة وكان يتلو في ذلك قوله تعالى (وليعفوا وليصفحوا) الآية [النور: 22] . ويقول: " ماذا ينفعك أن يُعذَّب أخوك المسلم بسببك؟ وقد قال تعالى (فمن عفا وأصلح فأجره على الله أنه لا يحب الظالمين) [الشورى: 40] وينادي المنادي يوم القيامة: " ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا " وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): " ثلاث أقسم عليهن: ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا ومن تواضع لله رفعه الله". وكان الذين ثبتوا على الفتنة فلم يجيبوا بالكلية أربعة: أحمد بن حنبل وهو رئيسهم ومحمد بن نوح بن ميمون الجند يسابوري ومات في الطريق ونعيم بن حماد الخزاعي وقد مات في السجن وأبو يعقوب البويطي وقد مات في سجن الواثق على القول بخلق القرآن وكان مثقلا بالحديد وأحمد بن نصر الخزاعي وقد ذكرنا كيفية مقتله. ".

[1] أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) والرواية للبخاري. (يتمارى في الفوق) يشك الرامي في مدخل الوتر من السهم هل فيه شيء من أثر الصيد والمعنى أنهم لا تحصل لهم أية فائدة من قراءتهم مثل السهم الذي ينفذ من الصيد دون أن يتعلق به أي أثر منه. وعند مسلم عن أبي سلمة وعطاء بن يسار أنهما أتيا أبا سعيد الخدري فسألاه عن الحرورية "هل سمعت رسول الله (ﷺ) يذكرها؟" قال: " لا أدري من الحرورية ولكني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: " يخرج في هذه الأمة - ولم يقل: منها - قوم **تحقرون صلاتكم مع صلاتهم** فيقرءون القرآن لا يجاوز حلوقهم - أو حناجرهم - يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية فينظر الرامي إلى سهمه إلى نصله إلى رصافه فيتمارى في الفوقة هل علق بها من الدم شيء؟"

[2] وأصرح حديث في أن موافقة سنة النبي (ﷺ) أهم من كثرة العبادة دون موافقة سنته (ﷺ) الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) والرواية للبخاري قال: " جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي (ﷺ) يسألون عن عبادة النبي (ﷺ) فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها فقالوا: " وأين نحن من النبي (ﷺ)؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم: " أما أنا فإني أصلي الليل أبداً" وقال آخر: " أنا أصوم الدهر ولا أُفطِر" وقال آخر: " أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً" فجاء رسول الله (ﷺ) إليهم فقال: " أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني". فهؤلاء الصحابة كانوا يقصدون الخير والاجتهاد في العبادة وظنوا أن النبي (ﷺ) لا يحتاج لهذه العبادات لأنه قد غُفِرَ له فوضَّح لهم النبي (ﷺ) أنه لو كان هناك اجتهاد في العبادة أكثر مما يفعله النبي (ﷺ) لكان هو أولى الناس به (ﷺ) فهو اتقى الخلق واخشاهم لله. (رهط) قيل هم علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص. وعثمان بن مظعون رضي الله عنهم. (تقالوها) عدوها قليلة. (ذنبه) ذنبه صلى الله عليه وسلم على حسب مقامه وما يعتبر ذنبا في حقه ليس هو من جنس الذنوب حقيقة ولو فعله غيره لا يسمى ذنبا. كفعله خلاف الأولى ونحو ذلك. (أبدا) دائما دون انقطاع. (الدهر) أي أواصل الصيام يوما بعد يوم. (لأخشاكم لله واتقاكم له) أكثركم خوفا منه واشدكم تقوى. (أرقد) أنام. (رغب عن سنتي) مال عن طريقتي وأعرض عنها. (فليس مني) أي ليس بمسلم إن كان ميله عنها كرها لها أوعن عدم اعتقاد بها وإن كان غير ذلك فإنه مخالف لطريقتي السهلة السمحة التي لا تشدد فيها ولا عنت.

[3] لمزيد من التفاصيل عن الفرق عموما يُرجع إلى كتاب " الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة للشيخ مانع الجهني وهو من مطبوعات الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

[4] راجع المحاضرة الثانية كلها والمحاضرة الثالثة صـ 1 تحت عنوان " مذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات".

طالب عندما وطلبوا منه أن يتبرأ من أبي بكر وعمر حتى يكونوا معه فقال: " بل أتولاهما وأتبرأ ممن تبرأ منهما" فقالوا: " إذاً نرفضك" فرفضوه وارفضوا عنه فسُمُّوا: الرافضة لأنهم رفضوه ولم يرتضوا قوله.

- وأخفهم الزيدية الموجودون في اليمن الذين يقرُّون بفضل أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) ولكن يُقدِّمون علي (رضي الله عنه) على عثمان (رضي الله عنه) فهم أقرب الناس إلى أهل السنة. وهذا أيضاً قول الشوكاني (رحمه الله) [1] وعامة هذا خلاف بين أهل العلم ولكن كلهم يُقدِّمون أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما).
- وأخبثهم الإثنى عشرية الذين هم الذين هم موجودن إيران الآن فهم أصحاب الإثنى عشر إمام. وأخبثهم النصيرية العلويون الموجودن في سوريا الذين يُألهون علي (رضي الله عنه) وهو أكفر طائفة فيهم. أما الاثني عشرية يقولون إن جبريل (عليه السلام) نزل بالوحي خطأ على النبي (صلى الله عليه وسلم) بدلاً من علي (رضي الله عنه) وهم عندهم اثنى عشر إمام آخرهم العسكري الذي في السرداب منذ أكثر من 1200 سنة!!. وهؤلاء يسبون الصحابة وخصوصاً أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) ويرمون عائشة (رضي الله عنها) بالفاحشة.
- وهؤلاء أشبه الناس باليهود حتى إن ابن تيمية (رحمه الله) أتى بسبعين خصلة يشابهون فيها اليهود [2] منها أن اليهود أتهموا مريم (رضي الله عنها) بالزنا والرافضة أتهموا عائشة (رضي الله عنها) بالزنا. واليهود اتهموا الله (عز وجل) بالفقر وغير ذلك من الصفات وكذلك الرافضة اتهموا الله (عز وجل) بأنه أخطأ عندما أنزل الرسالة على النبي (صلى الله عليه وسلم) وليس على علي (رضي الله عنه).
- ثم ذكر المصنف (رحمه الله) الجهمية المُعطِّلة الذين يُنسبون إلى جهم بن صفوان وهم من الجبرية الخالصة وافقوا المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزادوا. فمنهم الغلاة الذين انقرضوا فهم نفوا كل الأسماء والصفات وهم كفَّار باتفاق أهل السنة والجماعة.
- وسار على نهجهم المعتزلة بعد ذلك ولكنهم اثبتوا الأسماء ونفوا الصفات.
- والخوارج كما ذكرنا منشأهم من قبل [3] وهم خرجوا على عثمان (رضي الله عنه) ومازالوا موجودين إلى يومنا هذا. وهم يكفرُّون بالمعاصي وكبائر الذنوب ويستحلون الدماء في ذلك ويخرجون على أولياء الأمور بالذنوب وليس بالكفر البواح كما هو في عقيدة أهل السنة والجماعة وهم خرجوا على علي (رضي الله عنه) ومعاوية (رضي الله عنه) بسبب أنهما حكَّما الرجال.
- والقدرية الذين تكلمنا عنهم في باب القدر [4] فمنهم غلاة القدرية الذين نفوا خلق الله (عز وجل) لأفعال العباد وهؤلاء كفَّار باتفاق أهل السنة والجماعة وقد انقرضوا. والطائفة الثانية الذين أقرُّوا بمرتبتين من مراتب القدر الأربعة (العلم والكتابة والخلق والإرادة) وهما العلم والكتابة ونفوا الخلق والإرادة.
- والمرجئة تكلمنا عنهم في الإيمان [5] الذين قالوا إن الإيمان تصديق بالقلب وبعضهم زاد وباللسان وهم قليل فأخرجوا الأعمال من الإيمان وأهل السنة يقولون إن الإيمان قول وعمل واعتقاد. ولهذا هم في الكفر لا يُكذِّبون إلا بالتكفير القلبي والاستحلال فعندهم من سبَّ الله (عز وجل) أو النبي (صلى الله عليه وسلم) أو الدين لا يكفر فطالما هم قالوا الإيمان بالقلب فقط فيكون الكفر بالقلب فقط أي الاستحلال القلبي. فلو كفر بلسانه عند معظمهم أو ألقى المصحف في القاذورات لا يكفر إلا ان يستحل بقلبه. وكلمة المرجئة جاءت من إرجاء (إبعاد وتأخير) الأعمال عن الإيمان وهم مازالوا موجودين إلى عصرنا هذا.
- والكرامية مذهبهم التشبيه في الأسماء والصفات وهم يُنسبون إلى أتباع محمد بن كِرام (ت 255 هـ) وفي الإيمان مرجئة.
- والكلابية وهم يُنسبون إلى أتباع ابن كُلاب مذهبهم التشبيه في الأسماء والصفات.
- والأشاعرة من أكثر الطوائف المبتدعة ولكن المصنف لم يذكرها مع هذه الفرق وهم يثبتون سبع صفات فقط كما ذكرنا [6] ويظهر أنهم أقرب لأهل السنة لكن حقيقة معتقدهم هم أبعد من أهل السنة لأنهم في الأسماء والصفات مُحرِّفة وفي الإيمان هم مرجئة وفي القدر جبرية مؤدَّبة [7].

---

1 لم أقف عليه.
2 راجع كلام ابن تيمية (رحمه الله) في كتاب " منهاج السنة" من قوله :".. ولهذا كان بينهم وبين اليهود من المشابهة في الخبث واتباع الهوى وغير ذلك من أخلاق اليهود وبينهم وبين النصارى من المشابهة في الغلو والجهل.."
3 راجع المحاضرة الثانية رقم (1) صـ 2.
4 راجع المحاضرة التاسعة والعاشرة.
5 راجع المحاضرة الحادية عشرة.
6 راجع المحاضرة الثانية صـ 3 عند ذكر الأشاعرة والماتريدية.
7 راجع المحاضرة العاشرة صـ 3.

3- اختلاف العلماء (التوقيت: 59 دقيقة و52 ثانية)

وأما بالنسبة إلى إمام في فروع الدين كالطوائف الأربع فليس بمذموم فإن الاختلاف في الفروع رحمة والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم مثابون في اجتهادهم واختلافهم رحمة واسعة واتفاقهم حجة قاطعة

نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة وأن يبقينا على الإسلام والسنة، وأن يجعلنا ممن يتبع رسول الله ﷺ في الحياة ويحشرنا في زمرته بعد الممات برحمته وفضله. آمين وهذ آخر المعتقد والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

- المصنف (رَحِمَهُ اللَّهُ) يُقر بالمذهب الأربعة الفقهية المعروفة (مذهب الإمام أبي حنيفة ومذهب الإمام مالك ومذهب الإمام الشافعي و مذهب الإمام أحمد (رَحِمَهُمُ اللَّهُ) جميعاً) وهناك مذاهب أخرى مثل مذهب سفيان ومذهب الظاهرية وهناك مذاهب أندثرت مثل مذهب الليث بن سعد (رَحِمَهُ اللَّهُ) مفخرة المصريين.
- ولكن هذه المذاهب الأربعة هي الباقية إلى يومنا هذا وجعل الله (عَزَّ وَجَلَّ) لها القبول في الأرض وهي مذاهب فقهية أي تتكلم في فروع الفقه فالعقيدة ليست فيها مذاهب. فتجد أصحاب المذاهب الأربعة على عقيدة أهل السنة والجماعة وإن كان هناك كلام عند أبي حنيفة (رَحِمَهُ اللَّهُ) في بعض المسائل لكن الشافعي (رَحِمَهُ اللَّهُ) وهو الذي يُسمَّى ناصر السنة كما قال الإمام أحمد [1] لأن أهل الرأي قبل مجيء الشافعي (رَحِمَهُ اللَّهُ) إلى العراق كان أهل الرأي اتباع مذهب أبي حنيفة يعلون على أهل السنة المُستكينين هناك فعندما جاء الشافعي (رَحِمَهُ اللَّهُ) إلى وتعلم تحت يد محمد بن الحسن (رَحِمَهُ اللَّهُ) تلميذ أبي حنيفة فاستطاع أن يُناظرهم مع كل هذا كان يقول في أبي حنيفة (رَحِمَهُ اللَّهُ) : " من أراد التفسير فهو عيال على مقاتل ومن أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة" [2].
- ثم تكلم المصنف (رَحِمَهُ اللَّهُ) عن مسألة إن الاختلاف في الفروع رحمة وهو كلام يحتمل الصواب ويحتمل الخطأ. فإن كان الاختلاف رحمة يُقصد به أن هؤلاء الأئمة (رَحِمَهُمُ اللَّهُ) اجتهدوا بالدليل وأرادوا الوصول للحق واختلفوا في اجتهادتهم فنقول الرحمة هنا في اجتهادهم لنا. ولكن لو المقصود إن اختلافهم هذا نختار منه ما نشاء فهذا ليس مقصوداً فهؤلاء الأئمة (رَحِمَهُمُ اللَّهُ) كما قال المصنف (رَحِمَهُ اللَّهُ) محمودون أي مأجورون على اجتهادهم فالحق لا يتعدد فالحق عند الله (عَزَّ وَجَلَّ) واحد فالرحمة هي في اجتهاد الأئمة (رَحِمَهُمُ اللَّهُ) لإظهار الحق للناس.
- فتجد بعضهم يخرج على الناس في المسألة الواحدة بعشر أقوال ثم يقول المسألة فيها سعة والدين يُسر فاختار ما يرتاح إليه قلبك واعمل به. وهذه زندقة فهو يجعل العامِّي يتحيَّر فهذه الأقوال كلها موجودة في المغني أو المجموع ولكنه يسأل لكي تفتيه بما يرضي الله (عَزَّ وَجَلَّ) من وجهة نظرك كعالم مُتبَّع للنصوص في القرآن والسنة فلو تركت العامِّي دون ترجيح فلابد أنه سينتقي ما يهواه لأنه لا توجد مسألة في الفروع وإلا فيها خلاف بين أهل العلم وتجد في المسألة الواحدة رأيين على طرفي نقيض.
- فالله (عَزَّ وَجَلَّ) لم يذكر الخلاف في القرآن إلا وكان فيه ذم وشر وهذا كما أتى في قوله (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى): ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[هود: 118-119] وغيرها من الآيات.

---

1 لم أقف عليه.

2 راجع كتاب العرش للذهبي (رَحِمَهُ اللَّهُ).

- فلا أحد معصوم إلا النبي (ﷺ). وأصبح عندنا الآن بلاء كبير وخصوصاً بين طلبة العلم عندما يتبع شيخ معين وهذا الشيخ قد يُخطأ وقد يُصيب ولابد أن يُخطأ فلا أحد معصوم ولكن هل إذا أخطأ فهل هذا ينتقص من الشيخ؟. والجواب كلا فهو مجتهد مأجور [1].
- ومما يُنسب للذهبي (رحمه الله) وبعضهم قال ابن القيم (رحمه الله) أنه قال:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس خُلْفٌ فيهِ
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين رأي فقيه
كلا ولا نصب الخلاف جهالة بين النصوص وبين رأي فقيه
حاشا النصوص من الذي رميت به من فرقة التعطيل والتمويه

- فتجدهم عندما يُخطأ الشيخ يُدافعون عن الخطأ بتقليد أعمى فالأولى أن تسير مع الدليل ولا تسير مع الشيخ. فلا تقل قال الشيخ فلان بل قل قال النبي (ﷺ) أو تقول قال الشيخ ودليله كذا.
- فالشيخ في حد ذاته ليس دليل فالدليل هو قال الله (عز وجل) قال النبي (ﷺ) وطلبة العلم لا يتكلمون إلا بالدليل. نعم من الممكن أن تقول: الحمد لله (عز وجل) وافقت الإمام الشافعي (رحمه الله) أو ابن تيمية (رحمه الله) أو الشيخ الفلاني من المعاصرين. فكل طالب علم مُطالب أن يعرف الدليل والحكم والشاهد ووجه الاستدلال فالله (عز وجل) أعطاه القدرة والآلة في طلب العلم الشرعي فلابد أن يستخدمها.
- فالمُقلِّد ليس بطالب علم بل هو يسمع ويُقلِّد فهو مثله مثل العوام.
- وكلمة (اتفاقهم حجة) يقصد بها إجماع العلماء من أهل السنة والجماعة. وقد اتفق أهل العلم على أن إجماع الصحابة (رضي الله عنهم) هو الذي يُعمل به كما هو في أصول الفقه فهو المرتبة الثالثة بعد القرآن والسنة.
- والإجماع لابد أن يكون مستنداً إلى دليل قد نعلمه وقد لا نعلمه فالصحابة (رضي الله عنهم) لن يُجمعوا على أمر إلا بدليل. وهذا الدليل قد يصل إلينا وقد لا يصل فلو وصل الدليل أصبح هو الأصل ولكن لو وصل إن الصحابة (رضي الله عنهم) أجمعوا على مسألة في زمن الصحابة بعد موت النبي (ﷺ) ففي زمنه (ﷺ) الوحي كان ينزل فلا يوجد ما يُسمَّى إجماع صحابة فهذا إجماع معتبر. ولكن بعد تفرُّق الصحابة في الأقطار أصبح الإجماع عزيز كما قال عبد الله بن أحمد بن حنبل (رحمه الله) فيما ينقله عن أبيه: " سمعت أبي يقول: ما يدعي فيه الرجل الإجماع فهو كذب من ادعى الإجماع فهو كاذب لعل الناس اختلفوا ما يدريه ولم ينته إليه؟ فليقل: لا نعلم الناس اختلفوا هذه دعوى بشر المريسي والأصم ولكنه يقول: لا نعلم الناس اختلفوا أو لم يبلغني ذلك هذا لفظه" [2]. وأما بعد الصحابة (رضي الله عنهم) فمن الصعب أن ينضبط الإجماع.

---

[1] وهذا كما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله (ﷺ) قال: " إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر"

[2] راجع كتاب ابن القيم " إعلام الموقعين" .وهذه الكلمة ليست من أصول كلام الإمام أحمد (أي: من مقاصد كلامه) وإنما هي كلمة قالها لما رأى توسع الناس في بعض مسائل التشريع وبعض مسائل الخلاف الفقهي وبدؤوا يكثرون من ذكر الإجماع فيها فقال هذا القول من باب الورع ولهذا تجد أن الموفق ابن قدامة رحمه الله في كتابه المغني تمثل كلمة الإمام أحمد كثيراً وإذا قارنت بين كتاب المغني وبين كتاب المجموع في الفقه المقارن وجدت أن النووي يغلب عليه أنه ينص على الإجماع حتى في مسائل لم تنضبط أنها إجماع قطعي أي: الإجماع الضروري المنضبط عند السلف بخلاف الموفق فإنه غلب على كلامه أنه يقول: لا أعلم فيه خلافاً وهذا من باب التقيد بنوع من الهدي المأثور عن الأئمة.